دمشق في العصر العباسي
خلال الفترة (١٣٢-٢٦٤هـ/ ٧٤٩-٨٧٧م)

إعداد

جميل محمود بني سلامة

المشرف

الأستاذ الدكتور صالح الحمارنة

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب ٢٠٠٣م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ في الجامعة الأردنية بتاريخ ١٧/٨/٢٠٠٣م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:			التوقيع
١- الأستاذ الدكتور صالح الحمارنة	الجامعة الأردنية	رئيساً	
٢- الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري	الجامعة الأردنية	عضواً	
٣- الأستاذ الدكتور صالح درادكه	الجامعة الأردنية	عضواً	
٤- الأستاذالدكتور أحمد الحسو	الجامعة الأردنية	عضواً	

الاهداء

إلى روح والدي محمود مطلق طه (أبو طه) الذي فارق هذه الدنيا خلال إعداد هذه الرسالة، والتي اشتاقت روحه أن يراها كاملة.

جميل محمود

شكر وتقدير

بعد أن أعانني الله تعالى على إكمال هذا الجهـد، لا يسـعني إلا أن أتقـدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور صالح الحمارنة، على ما أبداه لي من توجيهاته، التي كان لها الأثر الأكبر في إخراج هذا الجهد، فأدامه الله علماً من أعلام التاريخ.

كما وأتقدم بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم قبول عضوية لجنة المناقشة وهم:

الأستاذ: عبد العزيز الدوري و الأستاذ: صالح درادكـه والأسـتاذ :أحمـد الحسو.

كما وأتقدم بالشكر إلى عائلتي الكريمة "أمي وأخواني واخواتي" علـى مـا قدموه لي من دعم مادي ومعنوي لإكمال دراستي.

وإلى الاصدقاء زياد ارديسات ومحمد نقرش ومحمد القضاة على تعاونهم

مع خالص محبتي وشكري.

المختصرات والرموز

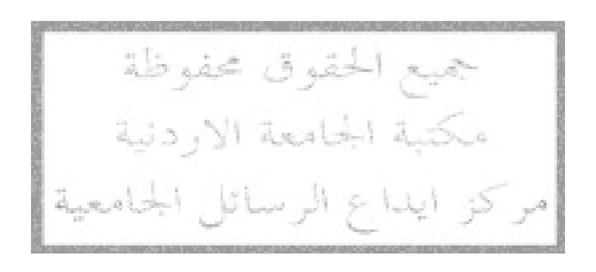
ترمز الحروف التالية إلى ما يقابلها أينما وجدت في فصول الرسالة:

١-	مخط	:	مخطوط.
٢-	د.م	:	دون مكان النشر.
٣-	د.ن	:	دون ناشر.
٤-	د.ت	:	دون تاريخ النشر.
٥-	ج	:	جزء.
٦-	ص	:	صفحة.
٧-	م	:	ميلادي.
٨-	هـ	:	هجري.
٩-	ط	:	طبعة.
١٠-	ع	:	عدد.
١١-	P	:	صفحة.
١٢-	T	:	جزء.
١٣-	Tom I	:	جزء١.
١٤-	Tom II	:	جزء ٢.
١٥-	E.I	:	Encyclopedia of Islam

ثبت المحتويات

الموضوع | **الصفحة**

الموضوع	الصفحة



الملخص

دمشق في العصر العباسي
خلال الفترة ١٣٢-٢٦٤/٧٤٩-٨٧٧م.

إعداد

جميل محمود مطلق بني سلامة

المشرف

الأستاذ الدكتور صالح الحمارنة

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أوضاع دمشق المختلفة خلال فترة طويلة ودقيقة من تاريخها تم فيها تحول مركز الثقل من الشام وحاضرتها دمشق إلى العراق وحاضرتها بغداد.

وكان لانتقال دمشق إلى أيدي العباسين أثر كبير على تلك المدينة شمل مختلف المجالات الإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فانتقلت من مركز الصدارة أيام دولة بني أمية إلى مركز ولاية في الدولة العباسية.

ومع أن دمشق فقدت في العهد الجديد الكثير من أهميتها الإدارية لكنها لم تهمش ولم تتوقف عن التطور الذي طال مختلف جوانبها، كما أنها لاقت عناية كبيرة من جانب الخلفاء العباسين الذين أموها.

وجاءت هذه الدراسة على خمسة فصول تناول الباحث في الفصل الأول الخطط والعمران في دمشق في الفترات السابقة للعباسين وكذلك في العصر العباسي واهتمامات العباسين فيها، ثم العوامل المؤثرة في عمران دمشق.

وفي الفصل الثاني عالج الباحث موقف أهل دمشق وردة فعلهم تجاه الدولة العباسية الجديدة وأهم الحركات التي قامت في دمشق ضد الدولة العباسية وأسبابها وعوامل فشلها.

أما الفصل الثالث فقد تناول الإدارة في دمشق والتعرف على الجهاز الإداري والدواوين المتخلفة فيها خلال فترة البحث.

وعالج الفصل الرابع الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث تناول عناصر السكان والعادات والملابس والأطعمة، وكذلك الأحوال الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة.

وتم تخصيص الفصل الخامس والأخير للحديث عن الحياة العلمية والتعليمية وتناول الباحث المؤسسات التعليمية والعلوم الدينية والعقلية والعلماء الذين اشتهروا في العلوم المختلفة وإنجازاتهم.

وتوصل الباحث لمجموعة من النتائج من أبرزها:

أن دمشق شهدت توسعاً في العمران في العصر العباسي، وشملت مناطق جديدة لم تكن موجودة قبله، كما لاقت المدينةعناية كبيرة من خلفاء بني العباس من خلال زيارتهم المكررة لها.

لم ترحب دمشق بقدوم العباسيين واستيلائهم عليها، وكان أهلها ينظرون للدولة الجديدة نظرة عدم ارتياح، لأنها سلبتهم مكانتهم وامتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها، لذا قاموا بالعديد من الثورات التي أملوا من خلالها أن تعود لدمشق مكانتها التي كانت تتمتع بها.

وقد أنجبت دمشق خلال فترة البحث مجموعة من العلماء في العلوم المختلفة وخاصة العلوم الدينية كالقراءات والحديث والفقه وكذلك في مجال الطب والترجمة والتاريخ.

مقدمة:

شهدت أواخر الدولة الأموية تطورات متسارعة نجم عنها العديد من الاضطرابات والفتن التي ساهمت في تسريع عجلة الانهيار لهذه الدولة، وأدت هذه التطورات التي شهدتها الدولة الأموية إلى إيجاد تربة ملائمة غرست خلالها الدعوة العباسية بذور نجاحها لتعلن عن قيام الثورة العباسية ١٣٢هـ-٧٤٩م.

وجاءت الانتصارات العباسية على الجيوش الأموية سريعة وخاطفة حتى تمكنت جيوشها من هزيمة الجيش الأموي في معركة الزاب ثم متابعة المسير إلى مركز الدولة الأموية في دمشق ومحاصرتها وسقوطها، وبالتالي انتهت فترة كانت فيها دمشق عاصمة للدولة الإسلامية ممثلة بالدولة الأموية.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تناقش أحوال مدينة دمشق خلال الفترة ١٣٢-٢٦٤هـ/٧٤٩-٨٧٧م، حيث شهدت هذه الفترة تحولاً لصالح العراق على حساب الشام، وشمل هذا التحول مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية الإدارية والعلمية.

وواجه الباحث خلال إعداد هذه الدراسة عدد من المشاكل كان من أهمها :

عدم تحديد المصادر للمواقع والدور التي سكنها أهل دمشق أو عدم تحديد الفترة الزمنية التي تم خلاها إقامة البناء وهذا ما أوقع الباحث في حيرة في رد العديد من الدور والمباني إلى أصحابها الحقيقيين أو أعادتها إلى الفترة التي تمت فيها عملية البناء.

وكان لتركيز المصادر عامة على الجوانب السياسية ومتابعتها أولاً بأول على حساب الجوانب الأخرى، أثر في شح المعلومات وندرتها حول بعض الموضوعات وبخاصة الاجتماعية والإدارية، وهوماً جعل الباحث يلجأ إلى قياس هذه الأحوال في دمشق أحياناً على ما جاء في المناطق الأخرى معتمداً على التشابه في الإدارة والتقاليد بين مختلف المناطق الإسلامية.

وعلى الرغم مما واجهه الباحث من عقبات فقد أجابت هذه الدراسة على عدد من التساؤلات من أهمها: ملاحظة الأثر الناجم عن انتقال العاصمة إلى خارج دمشق، وما الموقف الذي اتخذه أهلها من الدولة العباسية؟ وهل تأثرت أحوالها الاقتصادية في هذه الفترة؟ وما المكانة التي تمتعت بها من قبل الخلفاء العباسين؟ وكيف أدارها العباسيون؟ وكيف كانت الأحوال العلمية والثقافية فيها خلال فترة البحث؟.

وتطلبت الإجابة على تلك التساؤلات خمسة فصول:

ويهدف الفصل الأول للتعرف على العمران والخطط في دمشق خلال الفترات السابقة للعصر العباسي وفي العصر العباسي، وملاحظة الإضافات التي أضافها العباسيون لدمشق وجوانب اهتمامهم بها، والعوامل المؤثرة في عمران دمشق سلباً وإيجاباً خلال فترة البحث.

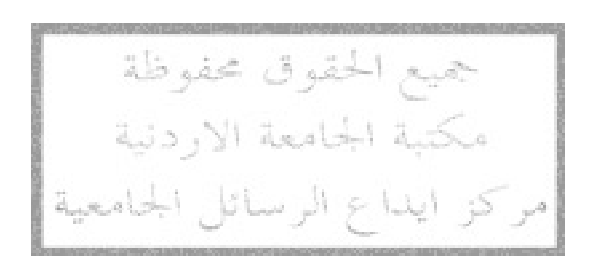
أما الفصل الثاني فعالج الناحية السياسية واستيلاء العباسين على دمشق، ثم موقف أهــل دمشق من الدولة العباسية وأهم الحركات التي قامت ضد الدولة العباسية.

وفي الفصل الثالث تم الحديث عن طبيعة الإدارة العباسية لدمشق من خلال التعرف على الجهاز الإداري الذي يتكون من الولاة والقضاة وغيرها من الأجهزة الأخرى.

وجاء الفصل الرابع للتعرف على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لدمشق حيث يتنــاول الجوانب الاقتصادية المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة وكذلك التعرف على العادات والتقاليــد والبيوت والسكان والأعياد والمناسبات الأخرى عند أهل دمشق.

ويهدف الفصل الخامس لمناقشة الأحوال والحياة العلمية والثقافية وسيتناول الحديث عــن المؤسسات التعليمية والعلوم الدينية والعقلية، وذكر أهم العلماء الذين برزوا في كل مجــال مــن المجالات من أهل دمشق.

والله ولي التوفيق



الفصل الأول

دراسة في الجغرافية والعمران

أ- جغرافية دمشق:

١- لمحة تاريخية، تسمية المدينة

٢- الموقع ٣- التضاريس

٤- المياه والأنهار ٥- المناخ

٦- السكان

ب- الخطط والعمران

١- الدور والمنازل منذ الفتح وحتى بداية الحكم الطولوني.

٢- امتداد العمران للمناطق والقرى المحيطة بدمشق.

٣- الكنائس والأديرة.

٤- المساجد * المسجد الجامع * المساجد الأخرى

٥- الحمامات

٦- المقابر

٧- اهتمام العباسيين بدمشق

٨- العوامل المؤثرة في عمران دمشق.

١- لمحة تاريخية:

لقد توفرت في منطقة دمشق الشروط الطبيعية المناسبة للاستقرار والعمران، والتي تمثلت في المناخ المعتدل والتربة الخصبة للزراعة، والمياه الغزيرة التي وفرها نهر بردى وفروعه، ومن هنا فليس من المستغرب أن تكون دمشق من أقدم المدن التي نشأت في بلاد الشام، وكانت عامرة على مدى فترات التاريخ[١].

ومن خلال الشواهد الأثرية المكتشفة في المناطق المحيطة بدمشق، يمكن التأكيد على أن القرى الزراعية كانت موجودة في الغوطة منذ الألف الثامن قبل الميلاد، ولكن هذه الشواهد نفسها لا تقدم دليلاً على عهد تأسيس المدينة أو الزمن الذي تمت فيه نشأتها[٢].

ويرجح بعض الباحثين وجود المدينة إلى الألف الرابع قبل الميلاد[٣]، إلا أنه من المؤكد أنها كانت موجودة في الألف الثاني قبل الميلاد، حيث بدأ اسمها يظهر في النصوص التاريخية، فقد ورد ذكرها في ألواح "ايبلا" تل مرديخ تحت اسم دامسكي[٤]، كما تكرر اسمها في الوثائق العائدة لعهد الفرعون تحوتمس الثالث (١٥٠٤-١٤٥٠ق.م) تحت اسم "تمسكو"[٥]. بمعنى المدينة المثمرة أو المزهرة تسمية بغوطتها الخصيبة[٦].

وفي رسائل تل العمارنة العائدة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، ورد اسم دمشق بثلاث صيغ هي (تمشقي، دومشقا، دمشقا)[٧]. وجاء اسم دمشق في التوراة بصيغ عديدة أيضاً (دِمشق، دُمشق، دارمسق)[٨]. وإذا أخذ بعين الاعتبار ما كان يوفره نهر بردى من مياه لدمشق فيرجح أن تكون اللفظة الأخيرة بمعنى الدار المسقية المروية أو الأرض المسقية[٩].

وفي عهد الآراميين الذين سكنوا دمشق واتخذوها عاصمة لهم منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، فقد كتبوا اسم دمشق كما هو الآن[١٠]، وبعد الغزو الأشوري لبلاد الشام في القرن التاسع

---

(١) كلينكل: آثار، ص٢٧؛ جاك كوفان: الوحدة ص١٠٨؛ كرد علي: غوطة، ص٢٨؛ سلطان محيسن: دمشق، ص١٢٠؛ أحمد داوود: تاريخ، ص١٥٧؛ علي أبو عساف: دمشق، ص٨٥.

(٢) كلينكل: آثار، ص٩٠؛ أحمد أبو داود: تاريخ، ص١٥٧؛ سوفاجيه: دمشق ص٣١-٣٢؛ Pitard, Ancient damascus, P. 7-8.

(٣) Elisseeff, Dimashk, E. I, Vol.2, P. 278.

(٤) Pitard, Ibid, P. 7-8; Klengel, City, P. 50.

(٥) علي أبو عساف، دمشق، ص٦٦؛ المعلوف: حقائق، ص٣٤٥.

(٦) المعلوف: حقائق، ص٣٤٥-٣٤٦؛ كلينكل: آثار، ص٩٠.

(٧) Elisseeff, Dimashk. EI. Vol.2, p.278; Petard, Ibid. P.7-8

(٨) التوراة: سفر التكوين، ١٤-١٥.

(٩) علي أبو عساف، دمشق، ص٧٧؛ Pitard, Ibid, P.7-8

(١٠) علي أبو عساف: المرجع نفسه، ص٦٦.

عشر قبل الميلاد، بقي اسم دمشق كما جاء عند الآراميين[١]. وفيما بعد أطلق اليونان ومن ثم الرومان على دمشق اسم (داماس، وداماسكوس) نسبة إلى أسماء أبطالهم الأسطوريين[٢].

أما الروايات التاريخية فنجدها تنسب اسم مدينة دمشق إلى أشخاص أسطوريين يعتقد أنهم ساهموا في بنائها، ومثال ذلك دمشاق بن كنعان بن حام، أو دامشقيوش[٣]، وقيل بل تنسب إلى دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح[٤].

وبعضهم نسب دمشق إلى نوح عليه السلام[٥]، وهناك روايات أخرى نسبت دمشق إلى العازر غلام إبراهيم الخليل عليه السلام[٦]. وروايات أخرى تعيد المدينة إلى الاسكندر المقدوني[٧].

أما عن اشتقاق اسم المدينة في المصادر اللغوية، فقد فسر من قول العرب "ناقة دمشق" أي سريعة، ويقال للسرعة في المشي دمشقة، ودَمْشَق الشيء دمشقةً ودمشاقاً إذا أسرع فيه وكل سريع دمشق[٨]، وعليه فقد سميت دمشق بهذا الاسم لأنهم أسرعوا في بنائها[٩]، ويقال أن لفظة دمشق في الأصل لفظة أعجمية مشتقة من دومسكي أي مسك مضاعف[١٠]. ويظهر أن ذلك ناتج من كثرة طيباتها وخيراتها التي تنتجها.

وإذا كان من الصعب الجزم حول أصل دمشق وتسميتها وتاريخ بنائها بسبب اختلاف الأقوال واضطراب التفسيرات، فإن الأمر الواضح الذي لا خلاف فيه أن دمشق من أقدم المدن المأهولة في التاريخ الإنساني ومن أقدم عواصم العالم إن لم تكن أقدمها، وما زالت عاصمة مأهولة بالسكان.

---

(١) كلينكل: آثار، ص٩٠؛ عفيف البهنسي: المدينة، ص٩-١٠؛ Elisseef, Ibid. P.278.

(٢) انظر عفيف البهنسي: المدينة، ص٨٥.

(٣) الزبيدي: تاج ج٦ ص٥٥٦؛ الفيرزأبادي: القاموس المحيط، ج٣ ص٢٤؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص١١-١٨.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، ج١ ص٥٥٦؛ ابن الفقيه: مختصر، ص١٥٥؛ ابن شداد: الأعلاق "دمشق" ص٢٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٦٤.

(٥) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص١٠٤، المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٥٩؛ الحميري: الروض، ص٢٣٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٦٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص١٣؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الجنان، ج١ ص٧١؛ الهروي: الإشارات، ص١٠.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص١٥؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٦٣؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٢٥-٢٦.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص١١-١٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٦٣؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٢٥-٢٦؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص١٥٥.

(٩) الجوهري: الصحاح، ج٤ ص١٤٧٧؛ الزبيدي: تاج، ج٦ ص٣٤٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٠ ص١٠٤.

(١٠) المقدسي: أحسن، ص١٥٩؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص٢١؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص٦٢.

الألقاب التي أطلقت على دمشق:

أطلق على دمشق عدة ألقاب كل منها يحمل في طيّاته معنى ينم عن صفة كانت تتمتع بها دمشق. فقد أطلق عليها لقب الفيحاء، التي تعني الأرض الواسعة أو الدور أو الرياض، ويبدو أن ذلك عائد إلى اتساع غوطتها وكثرة الورود والأشجار فيها[١]، وكثيراً ما عرفت بلقب "جِلَّق" – وهي لفظة فارسية، تعني ألف زهرة–، ويظهر أن ذلك كناية عن كثرة الورود والرياحين فيها[٢]، وقد ذكرها حسان بن ثابت بهذا اللّقب عند مدحه لبني غسان؛ ملوك العرب بالشام فقال[٣]:

لِله دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُم   يَوْماً بجِلَّقَ في الزمانِ الأَوَّلِ.

ومن الجدير بالملاحظة أن اسم بلاد الشام قد كثر استعماله في دمشق حتى صار يقرن اسم دمشق بالشام.[٤].

٢– الموقع:

تقع دمشق على ارتفاع ٦٩١م عن سطح البحر، على خط طول ٣٦ درجة و١٨ دقيقة شرق خط غرينتش، وخط عرض ٣٣ درجة و٣٠ دقيقة شمال خط الاستواء، في السهل الواقع إلى الشرق من سفوح جبال لبنان الشرقية[٥].

وجاء لدى الجغرافيين إشارات كثيرة تبين أهمية موقع دمشق حيث المياه المتوفرة والتربة الخصبة والمناخ المعتدل، واعتبرت هذه العناصر مجتمعة من العوامل الهامة التي ساهمت في عمران المدينة وازدهارها[٦]، فقد وصفها ابن حوقل بقوله: "وهي أجمل مدينة بالشام في أرض مستوية[٧]". ووصفها المهلبي بقوله: "وهي أحسن البلاد وأجلها موقعاً وهي ذات سهول وجبال[٨]"، ووصف ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) موقع المدينة بقوله: "وهي في وطأة مستوية من الأرض بارزة عن الوادي المنحط عند منتهى ذيل الجبل، مكشوفة الجوانب لممر الهواء، إلا من جهة الشمال حيث يحجبه جبل قاسيون"[٩]، وذكر البكري أنها تقع في الإقليم الثالث[١٠]، وأكد ذلك

---

(١) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص١٦؛ ابن شداد: الأعلاق، ص١٤–١٥؛ البدري: نزهة، ص٢١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص١٥٤؛ الحصني: منتخبات، ج١ ص٢٥؛ العلاف: دمشق، ص٦؛ كرد علي: دمشق، ص٨؛ المعلوف: حقائق، ص٣٤٦.

(٣) حسان بن ثابت: ديوان، ج١ ص٧٤؛ القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٤–٩٥.

(٤) ابن الوردي: خريدة، ص٢٤٤؛ عفيف البهنسي: مصدر، ص١٠٩–١١٠.

(٥) سوفاجيه: دمشق، ص٢٣؛ صفوح خير: مدينة، ص٤٨؛ علي حسن محمود: دمشق ومصايفها، ص١٩. Sack, Damascuse, P.25

(٦) المهلبي: قطعة، ص٦٢؛ الاصطخري: مسالك، ص٥٩؛ الادريسي: نزهة، ج٤ ص٣٦٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٦٣.

(٧) صورة الأرض، ص١٦٠.

(٨) قطعة، ص٦٢.

(٩) مسالك الممالك، ص١١٢.

(١٠) المسالك، ص١٨٤.

الحموي بقوله "أن دمشق تقع في الإقليم الثالث، وطولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف"[١]، أما موقع دمشق بالنسبة لبلاد الشام، فقد ذكر المقدسي أن إقليم الشام يتكون من أربعة صفوف ودمشق تقع في الصف الرابع وهو الذي أسماه صف سيف البادية الذي يتكون من جبال عالية باردة ومعتدلة مع البادية[٢].

٣- التضاريس:

تشكل التضاريس في دمشق مجموعة متنوعة تشمل الجبال والسهول والتلال والأنهار.

والجبال هي امتداد لسفوح جبال القلمون الجنوبية المطلة على المدينة وأهمها جبل برزة الذي يرتفع عن سطح البحر (١٠٢٨م)، وجبل قاسيون الذي يبلغ ارتفاعه (١٠٠٠م)، ثم جبل المزة وارتفاعه (٩٠٠م)، ويقطع هذه الجبال نهر بردى عند خانق الربوة، ويخترقها مرة أخرى وادي منين عند قرية برزة[٣]، ولهذه الجبال أهمية استراتيجية نابعة من إشرافها الكامل على المدينة من الجهتين الشمالية والغربية، كما أنها تعتبر عائقاً طبيعياً أمام حركة المواصلات بين دمشق من جهة والمناطق الواقعة إلى الغرب والشمال الغربي منها[٤].

ويعتبر جبل قاسيون أهم جبال دمشق جميعاً فهو يعطي المدينة ميزة خاصة وجمالاً (منقطع النظير)، ولقاسيون سفحان يفصل بينهما "نهر يزيد" فما كان على ضفته الشمالية فهو السفح الأعلى، وهو سفح كبير واسع خال من الماء لم يكن ينتفع به إلا بزرع قليل من الحنطة والشعير المسقيين بماء المطر، ولم يكن فيه شيء من البناء إلا محلة "دير مران" وبعض دور قليلة متفرقة في أنحائه، علاوة على بعض بنايات دينية كالأديرة ومغارة الدم والجوع وكهف جبريل، أما السفح الأدنى فهو ما كان على ضفة "نهر يزيد" الجنوبية، وهو سفح مزدهر ناضر عملت يد الإنسان فيه فنظمته ونسقته وغرست فيه أنواع الأشجار والبقول والزهور، ويرجع الفضل في ازدهاره إلى مياه نهر يزيد، وهو خير بقعة زراعية في دمشق لطيب أرضه ووفرة مياهه[٥].

أما السهول فتنحسر في المنطقة المعروفة بحوض دمشق، والتي يتراوح طولها بين (٥٠-٦٠كم) وعرضها بين (٤٠-٥٠كم) ويعرف قسمها الغربي باسم الغوطة والقسم الشرقي باسم المرج[٦]، وهذه السهول في أغلبها منبسطة ذات سطح أقرب إلى الميلان، وترتفع عند الأطراف الشمالية والغربية، ثم ما تلبث بالانحدار التدريجي شرقاً حتى تصل أخفض المناطق فيها عند

---

(١) معجم البلدان، ج٢ ص٤٦٣.

(٢) المقدسي: أحسن، ص٨٦.

(٣) كرد علي: غوطة، ص٨٦-٨٧؛ صفوح خير: مدينة، ص٥٣-٥٤.

(٤) سوفاجيه: دمشق، ص٢٣؛ صفوح خير: مدينة، ص٥٣-٥٤.

(٥) ابن طولون: القلائد، ص٣٤.

(٦) عادل عبد السلام: جغرافية، ص٩٥.

بحيرتي العتيبة والهيجانة حيث يبلغ ارتفاعها هناك ٥٩٨م عن سطح البحر في أراضي المرج إلى الشرق من الغوطة حيث ينتهي هناك نهر بردى[١].

ومما هو جدير بالملاحظةِ أن ميلان سطح تلك السهول يعطيها أهمية بالغة، حيث يجعلها من أكثر الأماكن ملاءمة للعمران حيث تمنع تجمع المياه السطحية فيها بل تعمل على تنظيم التصريف السطحي للمياه، وبشكل طبيعي مثالي[٢]، ومن أجل عمليات الري فقد تم تنظيم تلك السهول على شكل المصاطب الاصطناعية لتسهيل الري ومنع انجراف التربة[٣].

أما الطبيعة الجيولوجية لتربة السهول في دمشق، فهي تتكون من رواسب حصوية ورمل وطين، تعتليها طبقة من التربة السوداء التي تتميز بغناها بالمواد العضوية اللازمة للزراعة، علاوة على ارتفاع درجة نفاذيتها يجعلها مناسبة لجميع أنواع المحاصيل الحقلية أو الأشجار المثمرة[٤].

٤- المياه والأنهار:

لقد امتازت منطقة دمشق عن غيرها من مناطق الشام، بغناها بمصادر المياه المتمثلة بنهر بردى وفروعه العديدة، علاوة على كثرة الينابيع المتفجرة فيها، وتجمع مياه السيول المتعددة والتي تتكون في مواسم الأمطار[٥].

وكان لتوفر المياه وتعدد مصادرها أثراً بالغ في تطور دمشق وازدهارها العمراني منذ فترات التاريخ الغابرة، فقد برع أهلها في استثمار هذه المصادر من المياه، فقاموا بشق مجموعة من القنوات المتفرعة من نهر بردى، وأوصلوها إلى داخل المدينة، فأصبحت المدينة تسبح بين تلك الجداول والقنوات التي انتشرت في أغلب أرجائها وبساتينها المحيطة بها[٦]. أما أهم مصادر المياه الطبيعية التي تتغذى منها دمشق فهي:

نهر بردى: ويعتبر بمثابة القلب الذي ينبض بالحياة والرخاء لدمشق وما حولها، فهو ينبع من جبال لبنان الشرقية عند الزاوية الجنوبية الغربية من سهل الزبداني من منطقة الينابيع التي تسمى "عيون التوت"[٧]، ويبدأ النهر بالتوجه نحو الجنوب الشرقي ناشراً معه الحياة والجمال، وقبل أن يصل إلى هدفه بحوالي ٢٠كم يتحد مع نبع الفيجة ثم يتابع جريانه صوب الجسد الذي سيسكنه

---

(١) انظر صفوح خير: مدينة، ص٥٠؛ عفيف البهنسي: المدينة، ص١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٠؛ المرجع نفسه، ص١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٠؛ المرجع نفسه، ص١٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٩؛ المرجع نفسه، ص١٠-١١.

(٥) انظر رجاء دويدري: جغرافية، ص٤٣٠؛ صفوح خير: غوطة، ص١١٧.

(٦) صفوح خير: مدينة، ص١٠٤؛ سوفاجيه: دمشق، ص٢٤.

(٧) العمري: مسالك، ص١١٥؛ كرد علي: غوطة، ص١٣؛ صفوح خير، مدينة، ص٨١.

(دمشق)، ويمر بمحاذاة سور دمشق من جهتي الشمال والشرق، قبل أن تبدأ مياهه بالانتشار داخل الغوطة[١].

ويتفرع نهر بردى على مقربة من دمشق إلى عدة أنهار صغيرة أولها: الداعياني، الذي ينسب إلى قرية داعية[٢]، وينفصل هذا النهر عن (بردى) قرب باب الفراديس ليدخل المدينة من جهتها الشمالية ماراً بأرض الصفوانية عند باب توما[٣]، وتتفرع من هذا النهر عدة قنوات تتغذى بمياهها مجموعة من القرى أهمها كفر بطنا، وجسرين، وسقبا وبيت سوا وداعية[٤]. أما الفرع الثاني: فهو نهر المنيحي الذي ينسب لقرية المنيحة[٥]. وينفصل عن أصله بردى عند باب توما أيضاً، لتتفرع منه عدة قنوات تسقي مجموعة من القرى منها قرية المنيحة والبلاط والخيارة، ودير يجدل، وينتهي هذا الفرع عند قرية شبعا[٦]. والفرع الثالث لبردى هو فرع العقرباني الذي يسمى المجدول[٧]، وينسب إلى قرية عقربا، وينفصل هذا النهر عن بردى عند وسط المدينة الحالية (ساحة المرجة)، ويتخذ طريقه بمحاذاة السور الشمالي، ويتابع جريانه حتى يصل باب توما، حيث ينقسم إلى مجموعة من الفروع الصغيرة[٨].

وعلاوة على هذه الفروع الثلاثة الرئيسة لنهر بردى، فقد وجدت مجموعة من القنوات الأخرى التي تنتشر في الغوطة شمالاً وجنوباً، وقد عرفت كل قناة باسم القرية أو المنطقة التي تقطعها أو تمر بها، ومنها قناة زبدين، وحزرما، والزابوق، والملك، والتومة العليا، والتومة السفلى[٩].

وهناك فروع تم شقها من نهر بردى أهمها:

نهر يزيد: وينسب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت٦٤هـ-٦٨٣م)، وينفصل عن نهر بردى إلى الجنوب الشرقي من قرية الهامة بوساطة مقسم حجري، ويتابع سيره مسافة ١٦ كم تقريباً بعد ذلك ماراً إلى الشرق من قرية دُمَّر، ثم يمر بأراضي دير مرَّان وينتهي في أراضي قريتي القابون وحرستا[١٠].

---

(١) انظر الاصطخري: المسالك، ص٣٢؛ ابن حوقل: صورة، ص١٦١؛ الادريسي: نزهة، ج٤ ص٣٦٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ص٣٧٨؛ صفوح خير: غوطة، ص١١٨.

(٢) الادريسي: نزهة، ج١ ص٣٦٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٧١؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٦-٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١ ص٣٦٧؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٦-٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ج١ ص٣٦٧؛ المرجع نفسه، ص٣٦-٣٧.

(٥) صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٧.

(٦) المرجع نفسه، ص٣٧.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٧١؛ صفوح خير: غوطة، ص١٠٣.

(٨) العمري: مسالك، ص١١٧؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٦؛ صفوح خير: مدينة، ص١٢٧.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٧١؛ العمري: مسالك، ص١١٧؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٦.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٩.

نهر ثورا: "تورى"

ويبدأ هذا النهر بالانفصال عن بردى إلى الجنوب الشرقي من قرية دُمَّر، بوساطة مقسم حجري شبيه بمقسم نهر يزيد، ويخترق سفح قاسيون إلى الجنوب من نهر يزيد[١]، عن طريق مقسم حجري بالقرب من قرية جوبر تتفرع من نهر ثورا عدة فروع تغذي مجموعة من القرى، وهي جوبر، وعين ثرما وقناة تغذي زملكا وحزه وعربيل ومديرا ومسرابا، وبسبب استواء المنطقة وضآلة الانحدار يتلاشى النهر مختفياً في قرية عذرا[٢].

نهر القنوات:

وهو أهم الأنهار التي تغذي المدينة، وتزودها بالمياه، حيث يتفرع من بردى، ويسير بمحاذاته من جهته الجنوبية، ويتفرع منه عند منطقة الخلخال خمسة قنوات أخرى[٣]، منها اثنتان تسيران جهة الجنوب وتغذيان قريتي كفرسوسية والحميرين، والثلاثة الأخرى تتابع سيرها متجهة نحو المدينة من الجهة الشرقية، لتروي الأراضي الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقي من المدينة حيث قصر عاتكة وقصر حجاج[٤]، وتدخل إحدى هذه القنوات الثلاث قلب مدينة دمشق عبر قناة جوفية متوزعة على منشآت المدينة ودورها[٥]، ونهر القنوات يدخل ويخترق دمشق (من الشارع الرئيس) لتدخل المياه المتبقية منه إلى الغوطة من جهة الشرق[٦].

نهر باناس:

وكان يعرف بنهر الجامع[٧]، ويبدأ هذا النهر تفرعه عن بردى عند منطقة الربوة، وبعد خروجه من خانق الربوة، يتابع جريانه موازياً لمجرى بردى من الجهة الجنوبية، ثم ينقسم عند القلعة الحالية إلى قسمين أحدهما يدخل المدينة ويتوزع في الأقنية المقامة فيها، ثم يخرج من جديد ويعرف عندها باسم الطوير[٨]، بينما يدخل الآخر لمنطقة الجامع وينقسم بدوره لفرعين يتجه فرع منه إلى منطقة الميدان جنوب المدينة منحرفاً جهة الشرق ليصل إلى منطقة باب شرقي، وخلال رحلته يحمل فضلات وتراكمات المدينة ولذلك يسمونه بـ القليط[٩]، أما الفرع الثاني فيبدأ من منطقة القلعة، ويدخل لمنطقة باب البريد إلى الغرب من الجامع حيث يتوزع في تلك المنطقة

---

(١) الاصطخري: المسالك، ص٤٥؛ ابن حوقل: صورة، ص١٦١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٣٧٨؛ القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٩؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٢٨-٢٩.

(٢) شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٤؛ وانظر ولتسينجر: الآثار، ص٥٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٧١؛ شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٤؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٧١؛ شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٤؛ صلاح الدين المنجد، ص٣٣.

(٥) صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٣؛ صفوح خير: مدينة، ص١٠٠.

(٦) المرجع نفسه، ص٣٣؛ المرجع نفسه، ص١٠.

(٧) شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٤؛ العمري: مسالك، ص١١٦؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٤.

(٨)القلقشندي: صبح، ج٥ ص٩٩.؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٥؛ صفوح خير: مدينة، ص١٠١

(٩) صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٥؛ صفوح خير: مدينة، ص١٠١.

بواسطة مقسم إلى ثلاث قنوات، إحداها يدخل ضمن الجامع والأخريان تدوران حول الجامع ليعاودن الالتقاء من جديد في المنطقة الواقعة إلى الشرق من باب جيرون، ثم تجري المياه بالقنوات مغذية جميع المنطقة الشرقية من الجامع حتى تصل لباب توما(١).

نهر المزة:

وينسب إلى قرية المزة، وهو من الأنهار الصغيرة المتفرعة عن بردى حيث ينفصل عن بردى قرب قرية دُمَّر ويسير في منطقة الربوة حتى يصل إلى أراضي المزة، ويتفرع هناك بواسطة مقسم إلى قنوات عديدة تصل إحداها لتغذي قرية الحميريين(٢).

نهر الداراني:

وينسب لقرية داريا جنوب غرب دمشق(٣)، وينفصل عن بردى من منطقته الشادروان ويتابع سيره ماراً بأراضي المزة وأراضي داريا وكفرسوسية وقينية والحميريين مغذياً إياها بالمياه، ولأن تلك المنطقة مستوية قليلة الانحدار يتلاشى النهر فيها(٤).

ومما يجدر بالانتباه أن هذه القنوات والأنهار المتفرعة من بردى قد شقت على شكل مسارات كانت تراعي واقع المدينة والغوطة الطبوغرافي من حيث الارتفاع والانخفاض، وهذا بالطبع جعل المياه المتدفقة فيها تجري بسرعة وسهولة دون الحاجة إلى روافع أو آلات(٥)، وفي داخل المدينة كانت هناك شبكة كبيرة من الأقنية تتوزع في أرجاء المدينة وحاراتها(٦)، وقد شبه شيخ الربوة كثرة تلك القنوات بمدينة أخرى تحت المدينة حيث قال: "وتحت الأرض في دمشق: مدينة أخرى من متصرفات المياه والقني والجداول ومساري ومخازن وقنوات كل ذلك تحت الأرض، حتى أن الإنسان لو حفر أينما حفر لوجد مجاري المياه تحته مشتبكة طبقات يمنه ويسره شيئاً فوق شيء"(٧).

وذكر صفوح خير(٨) أن القنوات في دمشق كانت نوعين: قنوات رئيسية وأخرى فرعية، وكان يقوم عند نقطة تفرع القنوات مقاسم للمياه تسمى الطالع، وهي على شكل حوض ماء مستطيل يظهر في وسطه فوهة القسطل الموصل للمياه، وتفتح في وسط الطالع حجيرات كبيرة وصغيرة متصلة بوسط الحجيرة التي يصل منها الماء، وفيها فتحات مختلفة الأحجام تحدد كمية

---

(١) صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٥؛ ولتسينجر: الآثار، ص٥٥-٥٧.

(٢) الاصطخري: مسالك، ص٥٩؛ ابن حوقل: صورة، ص١٦١؛ شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٤-١٩٥؛ صفوح خير: مدينة، ص٩٨.

(٣) شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٨؛ البدري: نزهة، ص٩٣؛ صلاح الدين المنجد: خطط، ص٣٢.

(٤) صفوح خير: مدينة، ص٩٥؛ ولتسينجر: الآثار، ص٥٦.

(٥) انظر الصفدي: أقنية، ص٤٨-٤٩؛ ولتسينجر: الآثار، ص٥٧.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٧٨-٣٨٩.

(٧) شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٣.

(٨) صفوح خير: مدينة، ص٤٨٣-١٨٧.

المياه إلى أصحابها وهذه الفتحات تنقل المياه من القناة الرئيسية إلى الأقنية الثانوية، وتنساب بهـا إلى المنازل قساطل ممتدة تحت الأرض.

ويمكن القول أن الموقع الجغرافي المميّز لدمشق والأراضي الخصبة والمياه الغزيرة جعل منها وبالتحديد غوطتها إحدى أهم مناطق بلاد الشام في الإنتاج الزراعي، علاوة على أن دمشـق تخلو من أية عقبات طبيعية تحول دون الوصول إلى المدينة، باستثناء خانق الربوة الذي يعترض الطريق المؤدي إلى ساحل البحر المتوسط، أما الجهات الأخرى فهي مفتوحة لمسـافات شاسـعة تمتد شرقاً وشمالاً حتى الفرات والأناضول، وجنوباً حتى شبه الجزيرة العربية، وهو مـا سـهل اتصالها بالمناطق المختلفة الأخرى(١).

٥- المناخ:

لقد حدد موقع دمشق طبيعة مناخها الذي يتميز بكونه قارياً جافاً إلى شبه جاف، إذ أن قمم جبال لبنان الغربية والشرقية شكلت حاجزاً متتابعاً يمنع عن دمشق المؤثرات القادمة من البحـر المتوسط، على الرغم من قرب المدينة من البحر، حيث لا تبعد عنه أكثر من ٨٠كم، وغير ذلـك فإن انفتاح موقعها تجاه الشرق والجنوب الشرقي جعلها عرضة للمؤثرات المناخية القاسية القادمة من البادية(٢).

أما درجات الحرارة، فيقدر المدى الحراري السنوي بـ (١٨ْم)، وتتفاوت درجات الحرارة بين فصول السنة بشكل واضح فتجدها ترتفع صيفاً لتصل (٣٨ْم) وأحياناً تزيد عن الأربعين، وهذا يؤدي إلى ارتفاع معدلات التبخر لدرجة أنها تفوق أحياناً معدلات الهطول(٣)، وفي الشتاء تنخفض الحرارة إلى (٧ْم)، وأحياناً يزداد انخفاضها لتصل إلى ما دون الصفر، ويحصـل نتيجـة ذلـك الصقيع الذي يؤثر على المزروعات بشتى أنواعها(٤).

وتهب على دمشق رياح من مختلف اتجاهاتها، والسائد منها الرياح الغربيـة والجنوبيـة الغربية والتي غالباً ما تكون تحمل درجة عالية من الرطوبة، كما تهب على المدينة رياح شرقية صحراوية محملة بالغبار والرمال في فصلي الربيع والخريف، فتؤدي إلى ارتفـاع حـاد علـى درجات الحرارة التي تساهم في إلحاق الضرر بالغطاء النباتي بل وفي الإنسان نفسه أحياناً(٥).

وتسقط على دمشق الأمطار في فصل الشتاء بعد تعرضها لمنخفضات جوية قادمـة مـن الغرب، إلا أن كمياتها محدودة وتتراوح بين (٢٠٠-٣٠٠ملم)، وأمطار دمشـق غيـر منتظمـة

---

(١) انظر سوفاجيه، دمشق، ص٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣؛ صفوح خير: مدينة، ص٤٨-٤٩؛ عفيف البهنسي: المدينة، ص١٠.

(٣) صفوح خير: مدينة، ص٥٠-٥٦؛ صلاح الدين أبو صالح: المناخ، ص٤٠؛ علي حسن: دمشق، ص٢٤.

(٤) صفوح خير: مدينة، ص٦٠-٦١؛ عفيف البهنسي: المدينة، ص١٠-١١.

(٥) المرجع نفسه: ص٦٠-٦١؛ المرجع نفسه: ص١٠-١١.

السقوط فكثيراً ما تكون مبكرة أو تسقط متأخرة، وهذا يجعل الاعتماد عليها في الزراعة أمراً غير ذي جدوى، ولكن وجود نهر بردى يعوض عدم انتظام الأمطار[١].

٦- السكان:

شهدت دمشق، كغيرها من مناطق الشام، استقراراً للقبائل العربية فيها، وعلى الأخص القبائل اليمانية التي قدمت إليها قبل الإسلام بفترات طويلة[٢]، ويبدو أن السكان العرب في دمشق ازدادوا بشكل ملحوظ منذ القرن الثالث للميلاد[٣]، وكان من أبرز القبائل العربية التي هاجرت إلى دمشق واستقرت فيها في هذه الفترة قبائل غسان وبهراء وتنوخ وسليح وكلب ولخم وجذام وقضاعة[٤]، علاوة على جماعات من قبائل القين وعذرة وجرم[٥].

ومع قيام الفتوح العربية ودخولها إلى بلاد الشام فقد تتابعت القبائل العربية بالقدوم إلى الشام ودمشق، وقد تركزت منازلها خارج مدينة دمشق وذلك لعدم توافر المنازل من جهة، وعدم اعتياد المسلمين على العيش في المدن من جهة أخرى، علاوة على عدم استيعاب المدينة لكثرة الجماعات المهاجرة، ومن هنا كان نزول القبائل في ظاهر دمشق في الغوطة وحول أسوار المدينة حيث توافر المراعي[٦]، وكانت كل قبيلة تنزل في مكان يسمى باسمها، فقد سميت بعض المناطق بدمشق بأسماء بطون القبائل العربية التي سكنتها وأقامت بيوتها فيها[٧].

ففي المنطقة الشمالية من دمشق، استقرت مجموعة من القبائل اليمانية، في منطقة الأوزاع التي أخذت أسمهم، وهم مجموعات من عَنْسٍ والهَانْ ومقرى وحمير وبني وائل وخولان، وقد انظموا فيما بعد وأصبحوا في عداد قبيلة همدان[٨]، كما استقرت مجموعات من قبائل حمير في منطقة الصدف شمال غرب باب الفراديس[٩]. واستقرت مجموعة من لخم في منطقة أرزة[١٠]، بينما ذهبت جماعة أخرى منهم إلى دير مرَّان في الشمال الغربي حيث استقرت هناك[١١]،

(١) صفوح خير: مدينة، ص٦٩-٧٣؛ صلاح الدين أبو صالح: المناخ، ص٣٥.

(٢) الدوري: العرب والأرض، ص٢٥.

(٣) انظر جواد علي: المفصل، ج١ ص٢١٧، ٢٤٩؛ الدوري: العرب والأرض، ص٢٥.

(٤) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣؛ تاريخ، ج١ ص٢٠٧؛ الهمداني: صفة، ص٢٧٤؛ صلاح الدين المنجد": منازل، ص٦٢.

(٥) الهمداني: صفة، ص٢٧٤؛ الخولاني: تاريخ داريا، ص٩؛ صلاح الدين المنجد؛ منازل، ص٦٤؛ حسين عطوان: الجغرافية التاريخية، ص١٠٩.

(٦) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣؛ الهمداني: صفة، ص٢٧٤؛ الخولاني: تاريخ داريا، ص٩؛ صلاح الدين المنجد: منازل، ص٦٤؛ حسين عطوان: الجغرافية التاريخية، ص١٠٩.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٧-٣٦٨.

(٨) الهمداني: الأكليل، ج٢ ص٢٣٨؛ ابن منظور: مختصر، ج١٤ ص٣١٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٢٨٠؛ الحميري: الروض، ص٦٣.

(٩) ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٩٧؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢١.

(١٠) النعيمي: الدارس، ج٢ ص٢٧١؛ كرد علي: غوطة: ص٢١٩-٢٢٠.

(١١) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٢٤٢؛ مجهول: العيون، ج٣ ص١٣٧.

واستقرت مجموعة أخرى في منطقة سطرا إلى الشمال من بيت لهيا[١]، وفي منطقة الشمال الغربي أيضاً استقرت مجموعات من قبيلة الأشاعرة اليمانية حيث عرفت المنطقة باسم مرج الأشعريين[٢].

وكانت منطقة بيت ابيات من نصيب قبيلة السكون اليمانية التي استقرت فيها[٣] بينما استقر قسم آخر منهم إلى جنوب بيت لهيا حيث استقروا هناك إلى جانب السكاسك[٤]، وفي قرية المصيصة إلى الشمال من إقليم بيت لهيا، استقرت مجموعات من القبائل اليمانية علاوة على مجموعة من قبيلة ثقيف[٥]، واستقرت مجموعات من قبائل قيس في جوبر في المنطقة الشمالية الشرقية[٦]، وإلى الشرق منها استقرت قبيلة جرش اليمانية في قرية عربيل[٧]، وتوجهت مجموعات من قبيلة الأزد اليمانية صوب منطقة زملكا إلى الشمال الشرقي من بيت لهيا واستقرت فيها[٨]، كما توجهت جماعة أخرى من الأزد للاستقرار في منطقة حرستا إلى الشمال الشرقي[٩].

وفي المنطقة الشرقية استقرت قبيلة همذان في إقليم بيت الآبار وعدد من القرى التابعة لها ومنها منطقة عين ثرما[١٠]، كما استقر في هذا الإقليم جماعات من قبائل قيس وخاصة في منطقة كفر بطنا[١١]، وسقبا[١٢] واستقرت مجموعات من قبيلة غسان اليمانية في منطقة حرلان[١٣]، كما استقرت قبيلة خولان اليمانية الكبيرة في المنطقة الشرقية حتى عرف الإقليم الذي استقروا فيه باسمهم "اقليم خولان"[١٤].

أما المنطقة الجنوبية فقد استقرت فيها القبائل اليمانية أيضاً وكانت الغالبة عليها، ومنها مجموعات من قبيلة جرش اليمانية في منطقة البلاط[١٥]، ومنطقة الحديثة[١]،

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٢٠؛ ابن شداد: الأعلاق، ج٢ ص١٤٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨؛ ابن شداد: الأعلاق، ج٢ ص١٤٩.

(٣) كرد علي: غوطة، ص٢٤٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٤ ص٢٤١؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢٤.

(٥) ابن شداد: الأعلاق، ج٢ ص١٤٠؛ النعيمي: الدارس، ج٢ ص٢٦٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١٤٤.

(٦) ابن منظور: مختصر، ج١٥ ص٢٩٠؛ الحصني: منتخبات، ص١٠٥٨.

(٧) ابن منظور: مختصر، ج٢٢ ص٥٦.

(٨) المصدر نفسه، ج١٩ ص٣٤٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص١٥٠؛ الحصني: منخبات، ج١٠٥٩.

(٩) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٤٢؛ السمعاني: الأنساب ج٤ ص١٠٦؛ الحصني: منتخبات، ص١٠٥٨.

(١٠) ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٧٧؛ الحصني: منتخبات، ص١٠٥٩.

(١١) المصدر نفسه: ج٤ ص٤١٨؛ المرجع نفسه، ص١٠٥٩.

(١٢) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٣٠٦.

(١٣) ابن العديم: بغية، ج٨ ص٣٨٠٣؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢٩.

(١٤) السمعاني: الأنساب، ج٤ ص٢١١.

(١٥) ابن عساكر :تاريخ، ج٢٦، ص٧٢؛ ابن طولون: القلائد، ص٩٢.

وفي بيت قوفا[٢]، وفذايا[٣]، وأما منطقة عقربا فكانت مختصة بمنازل الغساسنة[٤]. بينما استقرت مجموعات من القيسية إلى الجنوب من فذايا[٥]. وكانت الرحبة القريبة من دمشق من نصيب إحدى بطون حمير اليمانية[٦]، وسكنت جماعات من القيسية في منطقة راوية (قرية الست) في الجنوب، وكذلك في المنطقة القريبة منها[٧]، كما استقرت مجموعات من قيس إلى الجنوب الشرقي من داريا[٨]، وغلب على منطقة الحرجلة قوم من بني سليم القيسية[٩]، وفي منطقة قينية وبالقرب من الراهب نزلت قبيلة القين اليمانية[١٠]، ونزلت قبائل حمير في قرية الحميريين التي نسبت إليهم[١١]، واختارت قبيلة خزاعة النزول في منطقة كفرسوسية إلى الجنوب الغربي من دمشق[١٢]، وكانت درايا في الجنوب الغربي أكبر قرى اليمانية حيث نزلتها مجموعات من قبائل عنس وخولان وبعض كلب ومذحج[١٣]. وانتشرت القبائل القيسية في المنطقة الجنوبية الغربية لدمشق في مناطق حَلْفَبَلْتَا وغيرها من القرى[١٤]، وكذلك منطقة تِلفْيَاثا[١٥]، وصكًا[١٦].

وغلبت اليمانية على المنطقة الغربية، فقد سكنت قبائل كلب في منطقة لؤلؤة الصغيرة والكبيرة إلى الغرب من باب الجابية[١٧]، وسكنت بعض قبائل همدان اليمانية في منطقة صنعاء إلى الغرب تجاه المزة[١٨].

ونسب دير بحدل إلى الغرب من إقليم بيت الآبار إلى سعيد ابن بحدل الكلبي اليماني[١٩]، وتوزعت قبائل قيس على مناطق في الجنوب منها فذايا التي سكنتها قبائل فزارة القيسية[١]،

---

(١) المصدر نفسه: ج٢٦ ص٧٢؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٣ ص٣٠٠.
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٧٢.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٨١؛ النعيمي: الدارس، ج٢ ص٢٦٢.
(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص١٣٥.
(٥) النعيمي: الدارس، ج٢ ص٢٦٢.
(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٣-٣٤.
(٧) المصدر نفسه: ج٢ ص٢٢٦، ج٣ ص٢٠-١١.
(٨) ابن عساكر، تاريخ، ج٢٦،ص٧١.
(٩) المصدر نفسه، ج٢٦،ص٦٧.
(١٠) الذهبي، سير، ج٣،ص٣٨٧؛ياقوت: معجم البلدان، ج٤،ص٤٢٥.
(١١) ياقوت: معجم البلدان، ج٣،ص٣٠٧؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢٩.
(١٢) ابن عساكر: تاريخ، مخط ١٧،ص٧٧٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٩.
(١٣) ابن الكلبي: نسب معد، ج٢،ص٣٧٦؛ الخولاني: تاريخ داريا، ص٥٧،٥٢؛ابن منظور، مختصر، ج٢، ص٥٨.
(١٤) ابن منظور: مختصر، ج٢٦، ص٢٣١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٢؛ كرد علي: غوطة ص٢٦٢.
(١٥) ابن عساكر: تاريخ، مخط١٥، ص٤٦٧.
(١٦) ياقوت: معجم البلدان، ج٣،ص٤١٩.
(١٧) المصدر نفسه: ج٥، ص٢٦؛ كردعلي: غوطة، ص٢٤٣.
(١٨) ابن شداد: الأعلاق ج٢، ص١٥٣، الحميري: الروض ص٣٣٦؛ ياقوت: معجم البلدان ج٣، ص٤٢٧.
(١٩) كرد علي: غوطة، ص٢٦٢، الحصني، منتخبات ص١٠٥٨.

وسكنت جماعة من بني أسد في منطقة السقي وهي موضع بظاهر دمشق وكان من أهلها توبة بن عامر الأسدي(٢).

وقد توزع الأمويون وغيرهم من قبائل قريش في المناطق المحيطة بدمشق حتى غلبوا على بعض المناطق التي امتلكها بعضهم فيما بعد، فقد تملك الأمويون المنطقة الواقعة إلى الشمال من أرزه من إقليم بيت لهيا(٣)، كما سكنت جماعات منهم وتملكت في المنطقة الشمالية الشرقية في منطقة الماطرون(٤)، وكانت منطقة الصفوانية من أملاك خالد بن يزيد الأموي(٥) بينما كانت طرميس من أملاك معاوية ابن أبي سفيان(٦)، وفي الشمال الشرقي كان عقب زياد بن أبيه يقيمون في منطقة جرود من أقليم معلولا(٧).

ولم يقتصر انتشار الأمويين على الشمال، فقد تملكوا في المناطق الشرقية، حيث كان لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك عقب في منطقة سقبا(٨)، وكان في ديرهند عقب يزيد بن معاوية(٩)، وفي قرحتا كان عقب خالد بن يزيد بن معاوية، وبالقرب منها عقب عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص(١٠)، ونزلت جماعة من بني أمية في منطقة داعية في المنطقة الشرقية(١١)، بينما أقامت جماعة أخرى في منطقة حرلان إلى الشرق(١٢)، وكان أبان بن مروان بن الحكم يسكن القوينصة في ظاهر دمشق وقد ترك فيها عقباً(١٣)، وكان عقب الوليد بن عبد الملك في قرية الشبعا إلى الجنوب من إقليم بيت الآبار(١٤).

وكان الحجاج بن عبد الملك يسكن في ظاهر الجابية وقد عرف ذلك المكان باسمه وهو قصر حجاج(١٥)، وبالقرب من قصر حجاج كان هناك قصر عاتكة الذي ينسب إلى عاتكة بنت

---

(١) ابن منظور، مختصر، ج٢٤، ص٣٥٣؛ ابن شداد، الأعلاق، ج٢، ص١٣٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان،ج٣، ص٢٢٩.

(٣) ابن عساكر، تاريخ، ج٢١، ص١٥٨، ابن منظور، مختصر، ج٢٣، ص٣٠؛ كرد علي: غوطة ص٢١٩.

(٤) المقدسي: البدء، ج٦، ص٤١٦،ياقوت: معجم، ج٥، ص٤٢.

(٥) ابن منظور: مختصر، ج١٩،ص٣٤٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٤.

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٣٢.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج١٧، ص٣٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٩، ص٣٤٣.

(٩) المصدر نفسه:ج٣١، ص٣٢٢؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٥٢٢.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٦، ص١٤٧؛ ج٣٥ ص٤٧٠؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٠.

(١١) كرد علي: غوطة ص٢٤٢؛ عامر ناصر: استقرار القبائل ص١٢٦.

(١٢) ابن العديم: بغية، ج٨، ص٣٨٠٣؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢٩.

(١٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٧؛ كرد علي، غوطة ص٢٤٢.

(١٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٣٣١.

(١٥) الذهبي، تاريخ: حوادث، ١٤١-٣٦٠هـ، ص١٣٨؛ كرد علي: غوطة ص٢٥٦.

يزيد زوج عبد الملك[١]، وكانت منطقة الراهب إلى الجنوب من المصلى من أملاك سعيد بن عبد الملك[٢]، وكان لــ روح بن الوليد بن عبد الملك عقب في منطقة القطيعة[٣]، وفي منطقة عالية وعويله كان هناك سوق ينسب إلى عالية أخت عمر بن عبد العزيز، وهذه إشارة لامتلاكها لبعض الدور هناك[٤].

وإلى جانب القبائل العربية التي استقرت في دمشق واعتنقت الإسلام وأصبح وجودها في دمشق مميزاً منذ العصر الراشدي والأموي وخلال العصر العباسي، فقد بقي لسكانها السابقين من النصارى حضور كبير فيها.

وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر إلى نسبة السكان النصارى في دمشق خلال فتــرة البحث، إلاّ أنه بالإمكان القول أن أعدادهم كانت كبيرة. حيث لم تكفِ مدة أقل من قرن ونصــف على انتشار الإسلام أن تحول غالبية سكان دمشق عن المسيحية إلى الإسلام. ولكن قلــة إشـــارة المصادر لأعداد النصارى حرمنا من تشكيل صورة واضحة عنهم.

وذكر البلاذري أن كثيراً منهم تصالح مع المسلمين على أداء الجزية مقابــل احتفــاظهم بأراضيهم وبيوتهم وإقامتهم في قراهم مع المسلمين[٥]. كما استمروا بممارسة أعمالهم في ظل دول الإسلام المتتابعة على دمشق والتي كانت تظهر تجاههم التسامح واللين، واحتكر عدد منهم بعض الصناعات والحرف[٦]. كما برعوا في الطب والكتابة فكان أكثر الأطباء والكتبة مــنهم، وكانــت دمشق تعج بأعداد كبيرة منهم[٧].

كما كان لليهود حضور غير قليل في دمشق استمر حتى فترة متأخرة، وكانوا يمارســون مهناً معينة، فقد ذكر المقدسي (ت ٣٨١هــ) أن أكثر الجهابذة والصباغين والصيارفة والــدباغين في إقليم الشام عامة (ودمشق خاصة) كانوا من اليهود[٨].

ومن العناصر الأخرى التي سكنت دمشق والشام الموالي (الفرس والخراسانيين)، الــذين بدءوا بالتزايد منذ العصر العباسي، حيث كانت الجيوش العباسية تحوي هذه العناصــر بكثــرة، وخلال دخولهم إلى الشام قدمت هذه العناصر برفقة الجيوش العباسية واستقرت في الشام ودمشق واشترت الدور[٩]، ويبدو أن مرابطة الجيوش العباسية في بلاد الشام بما فيها من عناصر مختلفة

---

(١) كرد علي، غوطة، ص٢٥٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص، ع٢١؛ كرد علي: غوطة ص٢٣٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، مخط ١٨، ص٣٨؛ الهمداني: صفة، ص١٦٩.

(٤) ابن العديم: بغية، ج٤، ص١٦٥٠؛ كرد علي: غوطة، ص٢٣٨.

(٦) ابن منظور: مختصر، ج٣، ص٣٦٤؛ أمينة بيطار، الحياة السياسية، ص٣٤٨.

(٧) المقدسي: أحسن، ص١٨٣؛ أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٤٨.

(٨) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٤٨.

(٩) المقدسي: أحسن، ص١٨٣.

(٩) المقدسي: أحسن، ص٣٤٩.

من موالي وغيرهم كان له أثر في تزايد الموالي في الشام، حيث حرص الموالي علـــى اســـتقدام عائلاتهم للسكن فيها حتى يكونوا على مقربة منهم خلال فترة مرابطتهم، وقد كلف العباسيون عدداً غير قليل من الموالي في إدارة الأمور في بلاد الشام عامة ودمشق خاصة ويظهر أن هذا العمـــل كان سبباً قوياً في تزايد أعدادهم هناك[١].

ويمكن القول أن المناطق المحيطة بدمشق في العصر العباسي خلال فترة البحث لم تعــد على شكل قرى أو أديرة متناثرة، تفصلها عن بعضها مساحات واسعة من الأراضي المهجـــورة، بل أصبح العمران ممتداً لها، وأصبحت وكأنها ضواحٍ من دمشق، وهذا أدى لتزايد أعداد السكان فيها، ولكن تحول العاصمة لا شك أنه أثر على دمشق وقلل من الدوافع التي كانت تـــدفع النــــاس للاستقرار فيها، ولكن هذا لا يعني أن أهلها قد هجروها وأنها لم تتطور أو تتوسع فـــي العصـــر العباسي، بل إن زيارات الخلفاء العباسيين قد ساهمت في استمرار أهميتها، حتى كادت أن تعـــود عاصمة مرة أخرى في عصر المتوكل الذي عزم على نقل العاصمة إليها[٢].

أما عن عدد سكان مدينة دمشق، فلم ترد مع الأسف في المصادر إحصـــائيات دقيقـــة أو إشارات يمكن استنتاج أعداد السكان من خلالها، ولكن علماء الآثار قدموا بعض التقديرات التـــي تشير إلى عدد سكان دمشق في أواخر القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، حيث ذكروا إن سكانها تراوح عددهم بين ٢٠-٢٥ ألف نسمة[٣]، وفي تقدير آخر غير محدد بفترة معينة يشير أن سكانها قد تراوحت أعدادهم خلال ما يزيد على الألف سنة ما بين ٢٥-٤٥ألف نسمة[٤].

ومن خلال الأعداد الكبيرة للمساجد والحمامات التي ذكرها ابن عساكر في دمشق، والتي لا بد أن كثيراً منها وجد في العصر العباسي، (خلال فترة البحث) فمن المرجح أن سكان دمشـــق قد فاقوا هذا العدد بكثير[٥]، حيث قدَّر سبط ابن الجوزي عددهم في أواخر الحكم الفاطمي (حوالي سنة ٤٦٧هـــ)، بحوالي خمسمائة ألف نسمة، وقد استنتج ذلك من خلال ما وجد في المدينة مـــن خبازين حيث ذكر وجود ٢٤٠ خبازاً وأن كل خباز كان يكفي ما يقرب من ١٥٠٠ شخص[٦].

ويبدو أن عدد سكان دمشق كان يتأثر بالأحداث التي كانت تمر بها المدينة خلال الفترات المتتالية، ومنها الثورات العنيفة التي عصفت بها، علاوة على العوامل الطبيعية كالزلازل والقحط

---

(١) انظر الفصل الخاص بالإدارة من هذه الدراسة.

(٢) انظر، اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٩١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣١، ص٢٣٤ السيوطي: تاريخ، ص٢٧٢.

(٣) احمد سبانو: مكتشفات مثيرة، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٥) انظر ابن عساكر، تاريخ، ج٢، ص٢٨٦-٣٢٢وص٣٨٦-٣٩٠.

(٦) سبط ابن الجوزي: مرآة، ج١٢ ص١٩٦؛ وانظر كرد علي: دمشق، ص٢٢.

والجفاف وما كان ينتج عنها من أوبئة وأمراض، وهذا كله كان يؤدي الى هجرات السكان إلى مناطق أخرى[١].

ب- الخطط والعمران:

١- الدور والمنازل منذ الفتح وحتى بداية الحكم الطولوني:

لا بد من القول: أن المصادر لم تذكر الترتيبات أو الإجراءات حول الأسس التي تم اعتمادها في توزيع المنازل أو الدور أو أماكن السكن، ولكن يمكن استشفاف صورة لبعض تطور وتوسع العمران في دمشق من خلال ما جاء في المصادر من إشارات مبعثرة هنا وهناك حول مناطق سكن بعض الصحابة الفاتحين والدور التي سكنت في العصر الأموي ثم العصر العباسي وتحديد أماكن تلك الدور في دمشق وما حولها من القرى المحيطة.

ويوضح الجدول التالي الأماكن التي سكنها بعض الصحابة الفاتحين، ثم أبرز مَنْ سكنوا دمشق في الفترة الأموية جدول رقم (١)، ثم في الفترة العباسية جدول رقم (٢)، والتي يمكن من خلالها أن نلمح صورة للتوسع العمراني الذي شهدته دمشق منذ فترة الفتح الأولى وحتى بداية الحكم الطولوني:

(١) ابن الأثير: الكامل ج٦، ص١٣١، الذهبي: تاريخ حوادث ٢٣١-٢٤٠ ص٣٤٩، الصفدي: تحفة، قسم ١، ص١٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٤٦٥ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٨١.

جدول رقم (١) بأسماء الذين سكنوا دمشق من الفاتحين وخلال العصر الأمور.

اسم صاحب الدار أو ساكنها	موقع الدار بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
أبو الدرداء، عويمر بن عامر الأنصاري ت(٣٢هـ)/٦٥٢م	باب البريد	ابن عساكر: تاريخ ج٢، ص٣٦٣ ج٤٧،ص٩٤؛ ابن منظور، مختصر ج٢،ص١٠؛ ابن طولون: قضاة ص١-٢	هذه الدار هبة من معاوية بن أبي سفيان وعرفت فيما بعد بدار العزى.
واثلة بن الأسقع ت ٨٣هـ-٧٠٢م	الزلاقة (داخل باب الصغير)	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٠؛ ابن كثير، البداية، ج٩، ص٦٤.	
أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي ٨٠هـ-٧٠٠م	محلة القصاعين زقاق عطاف	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٠. ابن منظور، مختصر ج١٧،ص٦٤.	
دار ابي الخلاس الصغير	زقاق أبي الخلاس موضع الفندق	ابن عساكر: تاريخ، ج١، ص٣٦٠	سكنها أبو عبيدة بن الجراح
فضالة بن عبيد الأنصاري (ت ٥٩هـ/٦٧٨م)	درب الريحان قبلى الخضراء قرب سوق القمح	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ٢٣٦٢؛ ابن شداد، الأعلاق ص٩٨؛ النعيمي: الدارس ج١، ص٣٠٩.	
أوس بن أوس الثقفي	درب القلى (سوق الدقيق شرق الطريق)	ابن عساكر: تاريخ ج١، ص٣٦٢، ص٣٩٨؛ المزي: تهذيب ج٤، ص٣٥٣.	
خالد بن سعيد بن العاص ١٤هـ/٦٣٥م	الرحبة(باب توما)	ابن كثير، البداية، ج٧، ص٢٢.	نسبت هذه الرحبة لخالد وعرفت برحبة خالد
يزيد بن نبيشة	سوق ا لريحان عند حمام طلحة	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ص٣٦٢، ٣٦٥.	كان أمير معاوية على دمشق
حبيب بن سلمة بن مالك الفهري (ت ٤٢هـ/٦٦٣م)	مشرفة على نهر بردى عند طاحونة الثقفين	المزي: تهذيب ج٤، ص١٣٢.	
أبو عبيدة بن الجراح ت ١٨هـ/ ٦٣٩م	في حجر الذهب "باب البريد"	ابن عساكر: تاريخ، ج٢،ص٣٦٤.	
خالد بن الوليد ٢١هـ-٦٤٢م	عند باب توما	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٢.	
جرير بن عبد الله البجلي	عند حمام الحمى	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ص٣٦٢	
مالك بن عوف النصري ٢٠هـ-٦٤٠م	على طريق البطيخ "سوق البطيخ"	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٠ ج٥٦،ص٤٨٠	تعرف بدار بني نصر وقد سكنها أول ما فتحت دمشق
عمرو بن مرة الجهني " شتى ٥٩هـ/٦٧٨م، في أرض الروم	ناحية باب توما زقاق درب بني طلحة	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦١ ج٤٦، ص٣٣٦؛ المزي: تهذيب ج١٤، ص٣٣٦	نسبت الدرب الى طلحة ابنة وكان معاوية بسمية أسيد.
عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ت ٧٣هـ/٦٩٢م	عند سوق الغزل العتيق	ابن عساكر: تاريخ، ج٤٧، ص٣٦؛ المزي: تهذيب ج١٤، ص٤٥١	كان صاحب راية أشجع يوم فتح مكة.
أبو ريحانة شمعون الأزدي		ابن منظور، مختصر، ج١٠،ص٣٤٤	لم يحدد موقع الدار
وائلة بن الخطاب العدوي	رحبة خالد عند باب توما	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٢ ج٦٢	صحابي من رهط عمر.

اسم صاحب الدار وساكنها	موقع الدار بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
الحجاج بن علاط السلمي	سوق الطرائف أول سوق الطير" ناحية القلانسيين	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٢ ج١٦ ص١١؛الصفدي، مراد، ص٢٩	انتقلت لابنه خالد فعرفت الدار والسوق بالخالديين
العباس بن مرداس ١٨هـ/٦٣٩م		ابن منظور، مختصر، ج١٢، ص٢٥	لم يحدد موقع الدار.
عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ت ٦٢هـ-٦٨٢م	درب الهاشميين (داخل باب الجابية)	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٥، ٣٦٤؛ أبو شامة: الروضتين، ج١، قسم٢، ص٤٣٨	كان زقاقاً ضيقاً أخذه قطيعة من معاوية.
ابن معبد الصحابي	النيبطون	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦١	صارت تعرف ببني بحشل، وكان له معها ضيعة تعرف بالوابصي، إقطاعاً له بعد الفتح.
خالد بن أسيد	رحبة خالد	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦١	نسب له الدار والحمام المعروفين بخالد.
هبَّار بن الأسود الصحابي بعد ١٥هـ/٦٣٦م	ناحية الديماس	ابن عساكر ج٢، ص٣٦٢	
عمرو بن العاص بن وائل السلمي ت ٤٣هـ-٦٦٤م	الفسطين التي تنفذ إلى حمام الهاشميين وهي من حدود الشعارين إلى زقاق الهاشمين	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٥	كان أميراً لمعاوية ويزيد على دمشق وكانت له دار في باب جيرون عند سقيفه كردوس.
الضحاك بن قيس الصحابي ت ٦٥هـ/٦٨٤م	حجر الذهب مما يلي حائط المدينة مشرفة على نهر بردى.	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٨٠.	
عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدي ت ٥٨هـ/٦٧٨م	ناحية قنطرة سنان	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦١؛ المزي: تهذيب ج٣، ص١٢٦-١٢٧	
سبرة بن فاتك الأسدي	درب الأسديين باب الجابية شمال الزقاق	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٥؛ ابن شداد، الأعلاق، ص١٢٥	عرفت درب الأسديين بهذا الاسم بعد أن سكنها بعض الأسديين.
عبد الله بن بكر بن حذلم الأسدي	درب الأسديين/ داخل باب الجابية	ابن عساكر: تاريخ، ج٢٧، ص١٦٩	اشترى من بني محصن الأزديين دارهم وبناها حماماً.
أبو عزيز الأزدي	النيبطون	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦١	وهو صحابي، سكن هذه الدار أول ما فتحت دمشق
أبو الفادية المزني	ناحية سوق الطير	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٢.	
عبد الله بن عمرو بن العاص ت ٦٥هـ/٦٨٤م	سقيفة كردوس	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٢	

اسم صاحب الدار أو ساكنها	موقع الدار بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
عبد الله بن عامر بن كريز ت ٥٩هـ/٦٧٩م	تحت باب الريح وغرب سوق القمح والفرن	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٢.	
عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب ت ٥٠هـ/٦٧٠م	شام دار سبل غربي المسجد الجامع	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٣	كانت هذه الدار ديواناً
حميد بن عمرو بن مساحق القرشي	درب السقيل داخل باب توما	ابن كثير، البداية ج٧، ص٢٢	
معاوية بن أبي سفيان ٦٠هـ/٦٨٠م	الخضراء	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٥٩؛ ابن كثير، البداية، ج٩، ص١٤٩	*ذكر ابن عساكر أنها كانت في زمانه سجن وبقيت قائمة حتى تم إحراقها سنة ٤٦١هـ.
معاوية بن أبي سفيان	الزلاقة (سوق الصاغة اليوم)	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٥٩؛ ج٥٩، ص٥٧	وهبها معاوية لابنة يزيد وكانت صداق أم خالد
صفوان بن أمية الجمحي	زقاق صفوان	أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٥٠٢؛ ابن منظور، مختصر، ج١، ص٨٩.	آلَ الزقاق إلى إبنه عبد الله من بعده.
مالك بن هبيرة السكوني ٦٥هـ/٦٨٥م	خلف باب الشرقي بالعوامين وأنت داخل من الباب الشرقي في قنطرة سنان	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦١؛ ج٥٦، ص٥٠٨.	
ابن محرز من موالي بني مازن بن فزارة	الزلاقة (داخل الباب الصغير)	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٣.	
أوسط بن عامر البجلي ٧٩هـ/٦٩٨م	عند الباب الشرقي	ابن منظور، مختصر، ج٥، ص٧٧	
حرام بن حكيم بن خالد بن سعد الأنصاري	قصبة دمشق عند سوق القمح	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٣.	
زياد بن جارية التميمي	غربي قصر الثقفيين	المزي، تهذيب ج٦، ص٣٥٩	
عبد الله بن أبي المهاجر المخزومي	ناحية باب الفراديس	ابن منظور، مختصر، ج١٥، ص٣٠٤.	
بعض الأنصار	عند باب توما نواحي السوق	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٣؛ ابن منظور: مختصر، ج٣، ص٣٣٢؛ ابن شداد، الأعلاق، ص١٢٣.	عرفت الدرب التي أقاموا فيها بدربهم الأنصار
ابن بحدل	قصر البحادلة	ابن منظور: مختصر ج٦، ص٣٠٩	عرف هذا القصر فيما بعد بقصر ابن أبي حديد وسميت المحلة التي فيها القصر بقصر البحادلة.
بني الأكشف	قنطرة سنان	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦١	كان جدهم الأزدي صحابياً وكانت له هذه الدار.

اسم صاحب الدار أو ساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
خالد بن يزيد بن معاوية ت٩٠هـ/٧٠٨م	دار الحجارة	أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٣٥٥؛ ابن كثير، البداية، ج٩ ص٨٥.	سميت هذه الدار دار الحجارة لأنه استخدم في بنائها الحجارة دون غيرها من المواد البنائية الأخرى.
هند بنت معاوية	درب القلى (تعرف اليوم بـ بني حجيجة)	ابن عساكر: تاريخ، ج٧٠ ص١٨٦؛ كرد علي، خطط الشام، ج٥ ص٢٤٧.	
رملة بنت معاوية	عقبة السمك "طرف زقاق الرمان"	ابن عساكر: تاريخ، ج٦٩، ص١٥٤.	وكان لها طاحونة خاصة بها استمر وجودها حتى أيام ابن عساكر.
عقبة بن عامر الجهني ت ٥٨هـ/٦٧٧م.	ناحية قنطرة سنان من نواحي باب توما.	ابن منظور: مختصر، ج١٧ ص٩٥، ج١٩ ص٢٠٠.	
عوف بن مالك الأشجعي ت ٧٣هـ/٦٩٢م.	سوق الغزل الضيق	ابن منظور: مختصر ج١٩ ص٢٠٠.	
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد	ناحية قيسارية الخدم	ابن عساكر ج٤٠ ص٢٨٢.	
عمر بن سعيد الأزدي	النيبطون	ياقوت، معجم البلدان، نيبطون	
بِشر بن مروان بن الحكم ت٧٥هـ/٦٩٤م.	عقبة الصوف	ابن منظور، مختصر، ج٥ ص٢١٣.	
عبد العزيز بن مروان ٨٥هـ/٧٠٤م	إلى جانب المسجد من الشمال مكان المدرسة السمسياطية اليوم.	المزي: تهذيب، ج١١ ص٥٢٩؛ النعيمي/ الدارس، ج٢، ص١٥١.	انتقلت ملكيتها إلى عمر بن عبد العزيز ثم أقيم مكانها الخانقاه السمسياطية.
عبد الملك بن مروان ٨٥هـ/٧٠٥م	الخضراء	ابن عساكر ج٢ ص٣٥٩	اشتراها من خالد بن يزيد بـ ٤٠ألف دينار.
زياد بن جارية التميمي الدمشقي	غرب قصر الثقفين	المزي، تهذيب، ج٦ ص٣٥٩؛ ابن العديم، بغية، ج٤ ص١٧٠٤.	
قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ٨٦هـ/٧٠٥م	باب البريد	ابن منظور، مختصر، ج٤ ص٣٠٨	آلت هذه الدار لابنه إسحاق فيما بعد.
بسر بن أرطأة ٨٦هـ/٧٠٥م	درب الشعارين	ابن عساكر، ج٢ ص٣٦٥؛ المزي: تهذيب، ج٣ ص٣٥-٣٦.	كان على رجّالة أهل دمشق مع معاوية في صفين.

اسم صاحب الدار وساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
عبيد الله بن زياد بن أبيه ٦٧هـ/٦٨٦م	ناحية زقاق الديماس النافذ إلى سوق الأساكفة العتيق قرب حصن جيرون.	ابن منظور، مختصر ج١٥، ص٣١٢-٣١٣.	
عمر بن حفص بن شليلة الثقفي مولى بن الحجاج بن يوسف	ناحية باب السلامة	ابن منظور، مختصر، ج١٧ ص٩٥.	
الحجاج بن يوسف الثقفي ٩٥هـ/٦٦٠م	الزاوية التي بقرب ابن أبي الحديد	ابن منظور، مختصر، ج٦ ص٢٠٠.	كان له عدة دور لم يحدد موقعها.
روح بن زنباع الجذامي	طرف البزوريين	ابن كثير، البداية، ج٩ ص٥٨	
عون بن حكيم مولى الزبير بن العوام	الزلاقة/ داخل الباب الصغير	ابن عساكر، ج٤٧ ص٥٩.	كان من أصحاب الأوزاعي كتب عنه وحج معه وكانت له دار مما يلي الجابية.
سليمان بن عبد الملك ٩٩هـ/٧١٧م	باب جيرون وداراً أخرى في درب ابن محرز	ابن منظور، مختصر، ج١٠ ص١٧٠؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٦ ص٧٦؛ ابن منظور، مختصر، ج١٠ ص١٧٠؛ ابن كثير، البداية، ج٩ ص١٨٥؛ كرد علي، خطط الشام، ج٥ ص٢٤٧.	أقيم مكانها ميضئة فيما بعد. اتخذ من هذه الدار داراً للإمارة بعد أن قام بفرشها وتجصيصها وطلائها.
اسحاق بن عمارة العقيلي	عند باب توما	ابن منظور، مختصر ج٤ ص٣١٧.	
عبد الله بن بشر الشيباني ٧٦هـ/٦٩٥م	نواحي كنيسة اليهود	ابن منظور، مختصر، ج٩ ص٨٨.	
يزيد بن عبد الملك ١٠٥هـ/٧٢٤م	قصر يزيد	ابن منظور، مختصر ج٩ ص٢٩٥.	لم يحدد الموقع
سالم بن عبد الله بن عمر أبو العلاء ١٠٦هـ/٧٢٥م	سوق أم حكيم "العلبيين"	ابن العديم، بغية، ج٩ ص٤١٤٦	كان على ديوان الرسائل لهشام بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك وهو أستاذ عبد الحميد الكاتب.
ميسرة المخزومي المدني مولى عبد الله بن عياش المحزومي	عند القلانسين	المزي، تهذيب، ج٦ ص٣٧٥.	

اسم صاحب الدار وساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
علي بن عبد الله العباسي السجَّاد ت ١١٨هـ/٧٣٦م	–	البلاذري: أنساب، ج٣ ص٤٠٧، ص٥٣.	لم يحدد موقع الدار ويبدو أنه لم يسكنها حيث ذكر البلاذري انه بنى داراً بدمشق ثم صار وولده إلى الحميمة وكداد من عمل دمشق.
مكحول الشامي ١١٨هـ/٧٣٦م	عند طرف سوق الأحد	ابن عساكر: ج٦٠ ص١٩٩.	فقيه الشام
عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي أبو يحيى الشامي	بجانب دار الحجارة قرب المسجد الجامع.	المزي: تهذيب، ج١٠ ص١٤٣–١٤٥.	كان من فقهاء (الشام) دمشق من أقران مكحول، باع داره واشترى داراً بباب شرقي رغبة منه في زيادة الخطى للمسجد.
عطية بن قيس الحمصي المعروف بالمذبوح	نواحي كنيسة اليهود	ابن منظور، مختصر، ج١٧ ص٨٨.	كان قارئ الجند.
هشام بن عبد الملك	عند باب الخواصين مكان المدرسة الجماهيرية داخل باب الحرير	ابن كثير، البداية، ج٩ ص٣٦٥؛ الذهبي: تاريخ، أحداث ١٢١–ص١٣٨؛ عبد القادر ريحاوي، دمشق، ص٦٤.	تحول جزء من هذه الدار فيما بعد في مدرسة نور الدين (المدرسة النورية الكبرى).
إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر ت ١٣١هـ/٧٤٨م	ظاهر باب الجابية	ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص٣٨٢.	
أسد بن عبد الله القسري	عند سوق القزازين بناحية دار البطيخ.	ابن منظور، مختصر، ج٤ ص٣٢٠.	
خالد بن عبد الله القسري	مربعة القز	النعيمي: الدارس ج١ ص٥٦٠؛ المزي: تهذيب، ج٥ ص٣٧٦.	تعرف اليوم بدار الشريف الزيدي.
خالد بن عبد الله القسري	حمام مقابل قنطرة سنان بباب توما	النعيمي، الدارس، ج١ ص٥٦٠؛ المزي: تهذيب، ج٥ ص٣٧٦.	
سنان بن الأبرد الكلبي	سوق الصياقلة	ابن منظور، مختصر، ج١٠ ص١٩.	كان مع عبد الملك حين حاصر عمرو بن سعيد الأشدق.
إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر	ظاهر الجابية عند طريق القنوات	ابن منظور، مختصر، ج١٥ ص٢٩٥؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٧٠٤.	كان مؤدباً لأبناء عبد الملك.
زياد بن عبيد الله بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان	ربض باب الجابية	ابن العديم: بغية، ج٩ ص٣٩٣٢.	ثار على عبد الله بن علي سنة ١٣٣ فهزمه عبد الله.

اسم صاحب الدار وساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك	الكشك قبلي دار البطيخ العتيقة (في السوق الكبير)	ابن منظور، مختصر، ج١٥ ص١٥٩؛ ابن شداد، الأعلاق، ص١١٦؛ النعيمي: الدارس، ج١ص١٧٨.	أقيم مكانها فيما بعد فندق الخشب الكبير.
بني عبد العزيز بن الوليد	باب البريد	الأصفهاني ج٧ ص٧٨.	كان لهم مصنعة.
العباس بن الوليد بن عبد الملك	قبلة زقاق العجم مما يلي درب السلم والخضراء	ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٤٣٨.	
أم حكيم بنت يحيى بن الحكم	قصور وسوق أم حكيم	ابن عساكر ج٧٠ ص٢٢٩؛ ابن شداد، الأعلاق ص١٠٠؛ ياقوت معجم البلدان "قصر أم حكيم".	سوق أم حكيم هو سوق القلائين.
أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان	قرب طاحونة الثقفيين	ابن عساكر ج٧٠ ص٢٠٤؛ ابن منظور: مختصر ج٢٨ ص٢٠.	وهي زوج الوليد بن عبد الملك.
عبده بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية	قصر شمال الجامع الأموي	ابن عساكر ج٦٩ ص٢٦٣.	
أم عمر بنت مروان بن الحكم	ناحية القلانسين موضع دار الوكالة التي ببيت قيسارية	ابن عساكر ج٧٠ ص٢٥٧.	أصبح موضعها فيما بعد دار الوكالة.
حجاج بن عبد الملك	قصر في ظاهر باب الجابية	ياقوت: معجم البلدان "قصر حجاج"	نسبت إليه محلة حجاج.
عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	قصر خارج باب الجابية.	ابن عساكر ج٦٩ ص٢٤٥؛ ياقوت: معجم البلدان "أرض عاتكة"؛ كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٢٤٧.	نسبت المحلة التي فيها القصر إليها. وفي هذه المحلة مات عبد الملك بن مروان.
عمر بن الوليد بن سعيد ابن هشام بن عبد الملك	ربض باب الجابية	ابن منظور: مختصر، ج١٩ ص١٥٥.	
عبد الله بن دراج	برج الدراجية عند باب توما من الخارج	ابن عساكر: ج٤ ص٢٩٨؛ ياقوت: معجم البلدان "الدراجية".	
الزهري محمد بن مسلم ابن عبد الله بن شهاب	محلة الراهب تجاه المصلى	أبو زرعة: تاريخ، ج٢ ص٧٠٣؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٥ ص١٢٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ١٢١- ص٢٤٧.	

جدول رقم (٢) بأسماء الذين سكنوا دمشق خلال العصر العباسي وحتى بداية الحكم الطولوني.

اسم صاحب الدار وساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
عثمان بن عبد الأعلى الأزدي	النيبطن بحضرة مسجد الحردانة مما يلي شمال الزقاق	ابن عساكر، ج٣٨ ص٤٢٩.	خرب هذه الدار المنصور ونهبها بسبب خروج عثمان.
ابن عروبة "دار ابن عروبة"	عند حمام أم أيوب ناحية باب الفراديس	ابن عساكر، ج٦٣ ص٢٩٧.	أتى إليها الوليد بن معاوية لما دخل العباسيون دمشق.
عبد الله بن عمرو بن صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي	الزقاق النافذ إلى سوق الطير (زقاق صفوان)	ابن عساكر، ج٣١ ص٢٣٧.	كان يدل على رجال بني أمية ليقتلوا يوم دخل عبد الله بن علي دمشق/ فأقطع من مستغل هشام بن عبد الملك من سوق اللؤلؤ إلى قنطرة الغرابيل.
الأوزاعي "عبد الرحمن بن عمرو"	محلة الأوزاع شمال باب الفراديس.		
أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي	نواحي باب البريد	ابن منظور،مختصر،ج٣ ص٤٥.	كانت هذه الدار تعرف بدار العقيقي وهي الآن تربة ومدرسة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وكان له حمام أيضاً في نفس الموقع.
عثمان بن حيان بن معبد ابن شداد بن نعمان بن رباح	زقاق بني مرَّة	المزي: تهذيب، ج١٢ ص٣٩٦.	يعرف الزقاق اليوم بدرب النقاشة.
هارون الرشيد	دير مرَّان	ابن طولون: القلائد، ص٤٦.	
أبو العميطر (علي بن عبد الله ابن خالد بن يزيد).	المزة، ورحبة باب البصل	ابن منظور: مختصر، ج١٨ ص١١٠.	انظر أخباره في الحركات المناوئة.
أبو سليمان الداراني	داريا	ابن عساكر، ج٣٤ ص١٢٤؛ ياقوت: معجم ج٢ ص٤٣١.	
الوليد بن مسلم الفقيه	لم يحدد موقعها	الذهبي، تاريخ الإسلام ص٢٢٥.	
المصا بن عيسى الكلابي	راوية	ياقوت، معجم البلدان، ج٣ ص٢٠-٢١.	راوية من قرى دمشق.
المأمون بن الرشيد	دير مرَّان	الذهبي: سير، ج١٠ ص٢٣٣؛ ابن عساكر: ج٢ ص٢٩١.	
المعتصم بن الرشيد	دير مرَّان	الأصفهاني، الأغاني، ج٦ ص١٥٩.	

اسم صاحب الدار وساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
المتوكل	قصر بداريا	اليعقوبي، تاريخ ج٢ ص٤٩١؛ الطبري: تاريخ ج٩ س٢١٠؛ الذهبي:تاريخ، حوادث ١٢١-ص١٩٦؛ القرماني: أخبار الدول ج٢ ص١١٥.	
عبد لله بن أحمد بن بشر بن ذكوان	نحو درب الهاشميين	المزي: تهذيب،ج١٠ص٨-٩	كان إمام المسجد الجامع بدمشق.
يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي	بيت لهيا	المزي: تهذيب، ج٢ ص٦٢.	
مروان بن محمد الطاطري	نحو قصر الثقفيين	المزي: تهذيب، ج١٨ ص١٨-٢٠.	
الوليد بن عتبة الأشجعي	زقاق الأسديين عند باب الجابية قرب مسجد ابن عطية	المصدر نفسه، ج١٩ ص٤٣١-٤٣٢.	
يزيد بن عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية.	الصفوانية (من إقليم خولان خارج باب توما).	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٤١٥.	
اسحاق بن أيوب بن خالد بن عباد بن زياد ابن أبيه	جرود (من إقليم معلولا من أعمال الغوطة)	المصدر نفسه، ج٢ ص١٣٠.	
محمد بن عمرو السكسكي	بيت لاهيا في الغوطة	ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥ ص٢٠.	كان له مجموعة من القصور مبنية بالحجارة والخشب والصنوبر والعرعر وفي كل قصر بستان وكان كل خليل يقدم إليه من الحضرة أو من مصر يريدها ينزل عنده وفي قصوره.
عبد الله بن سفيان بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان.	قرية السطح (خارج باب توما).	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٢٢٠.	
إسحاق ابن إبراهيم بن ساسان أبو سعيد الطرميسي.	طرميس من قرى دمشق.	المصدر نفسه ج٤ ص٣٢	حدّث عن هشام بن عمار
هشام بن يزيد بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية	بيت سابا من إقليم الآبار	المصدر نفسه ج١ ص٥٢٠	
أحمد بن محمد بن سهل المنبجي الشاهد	بيت لاهيا	ابن عساكر: تاريخ ج٦ ص٦١١؛ ابن العديم: بغية، ج١٠ ص٤٤٧٢.	
يحيى بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية	قرحتا	ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٣٢٠	

اسم صاحب الدار وساكنها	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
حفص بن عمر بن يعلي بن قسيم القرشي.	العبادية- ظاهر دمشق	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٤ ص٣٢.	
أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن يزيد بن دينار أبو الدحداح التميمي.	ربض باب الفراديس في الزقاق الذي شرق المقابر	ابن عساكر، ج ص	
عبد الكريم بن معاوية بن أبي سفيان.	دير هند من اقليم بيت الآبار	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٢ ص٥٤٣	
إسماعيل بن أبان بن محمد بن حوي السكسكي	بيت لاهيا	المصدر نفسه، ج٢ ص٥٤٣.	
الربيع بن عبد السلام أبو الهجم الأسدي	نواحي باب كيسان	ابن عساكر: تـــاريخ، ج١٨ ص٧٥	كان صاحب الحسبة بدمشق
جماهر بن أحمد بن محمد ابن حمزة أبو الأزهر الزملكاني.	زملكا من قرى الغوطة	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٣ ص٢٢٦	
توبة بن عمران الأسدي	السقي	المصدر نفسه، ج٣ ص٢٢٩	
الوليد بن تمام بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.	الجامع	المصدر نفسه، ج٣ ص٢٢٦	
أبو جعفر أحمد بن سيف القضاعي	سقبا	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٣ ص٢٢٦	
مروان بن أبان بن عبد العزيز ابن أبان بن مروان بن الحكم	القوينصة	المصدر نفسه ج٤ ص٤١٧	
الخطاب بن سليمان بن محمد بن الوليد بن عبد الملك	شبعا	المصدر نفسه، ج٣ ص٣٢٠	
ابن الفأفأ أحمد بن محمد بن سليمان أبو الحسن البغدادي	سوق يحيى	ابن عســاكر: تـــاريخ، ج٥ ص٣٦٤-٣٦٦	روى عن هشام بن عمار
يحيى بن محمد بن عبد الحميد السكسكي.	بيت لاهيا	ياقوت: معجم البلـــدان، ج١ ص٥٢٢.	
عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي	بجانب دار الحجارة بالقرب من المسجد الجامع	المـــزي: تهـــذيب، ج١٠، ص١٤٣-١٤٥.	باع داره واشترى داراً بباب شرقي رغبة منه في كثرة الخطا للمسجد.
زياد بن أبي زياد ميسرة المخزومي	كان له دار عند القلانسيين	المـــــزي: تهـــــذيب، ج٦ ص٣٧٥.	له بقية وعقب بدمشق.
عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو "أبو زرعة"	عند باب الجباية شرق زقاق الأسديين.	ابن عساكر: تـــاريخ، ج٣٥، ص١٤١.	

٢- امتداد العمران للمناطق والقرى المحيطة بدمشق.

ومن خلال ما ورد في المصادر من أسماء للقرى والمناطق المحيطة بدمشق وذكر ساكنيها، يمكن أن نلمح صورة لأهم المناطق التي اتجه إليها التوسع العمراني في دمشق خلال الفترات المختلفة...

والجدول التالي يوضح أهم القرى والمناطق المحيطة بدمشق والتي أصبح الكثير منها عامراً بل امتد العمران من دمشق إليها حتى صارت كأنّها أحياء من دمشق.

اسم المنطقة أو القرية	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
المنيحة	من قرى دمشق بالغوطة "ظاهر دمشق" جنوباً.	ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٢١٧؛ الحصني: منتخبات، ص١٠٥٨	فيها مشهد يقال أنه قبر سعد بن عبادة والأصح أن سعد بن عبادة مات في المدينة.
الراهب	خارج باب الجابية قبلى المصلى "جنوب غرب"	ابن عساكر: تاريخ ج٥ ص١٧٨؛ كرد علي: غوطة، ص٢٣٢.	ينسب لها أحمد بن كعب بن خريم أبو جعفر المري ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م.
البلاط	على بعد فرسخ من دمشق "جنوباً"	المزي: تهذيب، ج٤ ص٢٠٤؛ الذهبي: سير، ج٣ ص٣٨٤	ينسب لها الحسن بن يحيى الخشني أبو خالد الدمشقي البلاطي.
صنعاء	جهة المرج الأخضر قبيل الشرق الأعلى ويفصل بينهما بردى "غرباً"	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨؛ المزي: تهذيب، ج٢ ص٣٢١.	من أهلها يزيد بن السمط الصنعاني الفقيه.
ميدعا	من إقليم خولان "الشرق"	ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٢٤١.	كان يسكنها عمر بن القاسم بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
دير هند	من قرى دمشق من إقليم بيت الآبار "الشرق"	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٤٣	سكنها عبد الكريم بن معاوية بن أبي سفيان
بيت لهيا	قرية مشهورة بغوطة دمشق (الشمال ميل واحد)	ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٥٢٢؛ المزي: تهذيب، ج٢٠ ص٦٢؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢٤.	نسب لها خلق كثير من أهل العلم والرواية
السقي	موضع بظاهر دمشق	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٢٢٩.	كان يسكنها توبة بن عمران الأسدي
زملكان	قرية بغوطة دمشق "شمال شرق"	المصدر نفسه، ج٣ ص١٥٠	منها أناس كثيرون من أهل العلم
سقبا	من قرى دمشق بالغوطة "شرقاً"	المصدر نفسه، ج٣ ص٢٢٦	ينسب إليها أبو جعفر أحمد بن عبيد بن أحمد بن سيف القضاعي السقبلي ت ٣٢١هـ/٩٣٣م.

اسم المنطقة أو القرية	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
القوينصة	قرية من قرى الغوطة "ظاهر دمشق"	المصدر نفسه، ج٥ ص٤١٧؛ كرد علي: غوطة، ص٢٤٢	سكنها مروان بن أبان بن عبد العزيز بن أبان بن مروان بن الحكم
دير صليبا	مطل على الغوطة ويليه من أبوابها باب الفراديس	الشابشتي: الديارات، ص٣٣٩-٣٤٠.	ويعرف بدير خالد لأن خالد بن الوليد المخزومي نزله أيام حصار العرب دمشق وموضعه حسن كثير البساتين والمياه، وأرضه مفروشة بالبلاط الملوّن وإلى جانبه دير النساء وهما آهلان.
قرحتاء	من قرى دمشق "الشرق" تعد من قرى المرج	ابن عساكر: مخط ١٥ ص٤٧٠؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٣٢٠.	سكنها يحيى بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وغيره من أشراف بني أمية.
الشماسية	عند مسجد القدم "شمال غرب"	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨	
عالية وعويلة	قبلة مسجد القدم "جنوب"	المصدر نفسه، ج٢ ص٣٦٨؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٦٥٠؛ كرد علي: غوطة، ص٢٣٨.	
القطائع وبج حوران	قبلي الشاغور "في الجنوب"	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٨	
سطرا	شمال إقليم بيت لاهيا وبالقرب منها "شمال"	ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٦٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٢٢٠	ونزلتها قبيلة لخم اليمانية
الفراديس	شمال المدينة	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨.	
الصدف	شمال المدينة	المصدر نفسه، ج٢ ص٣٦٨.	
شعبان	شمال إقليم بيت لاهيا	المصدر نفسه، ج٢ ص٣٦٨	
مرج الأشعريين.	شمال المدينة شمال غرب القلعة الحالية بمحاذاة بردى	المصدر نفسه، ج٢ ص٣٦٨؛ ابن شداد، الأعلاق، ج٢ ص١٤٠	كان أغلب سكانها من قبيلة الأشاعرة اليمانية.
اللؤلؤتان الكبيرة والصغيرة	غرب المدينة إلى الغرب من باب الجابية على نهر بانياس	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٢٦	
قينية	غرب المدينة (جنوب غرب) قرب الراهب.	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٤٢٥	
الحميريين	غرب المدينة ظاهر دمشق على القنوات	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٨ ص٣٠٧.	ذكرت في خبر شبيب العقيلي
منازل بني رعين	غرب المدينة	ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨.	
حرلان	قرية في غوطة دمشق "الشرق"	ابن العديم: بغية، ج٨ ص٣٨٠٣؛ كرد علي: غوطة، ص٢٢٩.	
حمورية	ناحية بدمشق بالغوطة	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٣٠٦	فيها عدة قرى وبها قوم من أشراف بني أمية

اسم المنطقة أو القرية	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
برزة	قرية من غوطة دمشق آخر سفح جبل قاسيون	المصدر نفسه، ج١ ص٣٨٢-٣٨٣	
عين ثرما	قرية في غوطة دمشق "الشرق"	المصدر نفسه ج٤ ص١٧٧؛ الحصني: منتخبات ص١٠٥٩	منها أناس من أهل العلم.
حرستا	قرية من غوطة دمشق "شمال شرق".	ابن خلكان: وفيات، ج١ ص٤٥٣؛ الحصني: منتخبات، ج٢ ص٤٥٥	ومنها محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء ولي قضاء الرقة للرشيد
مقرى	في سفح قاسيون "شمالاً"	ابن طولون، القلائد، ص٥٩؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١٧٣.	وهي في الأصل اسم لمخلاف من مخاليف اليمن نزل أهله سفح قاسيون وسموا تلك الجهة باسم مخلافهم
السفليين	عند المسجد الجديد	ابن عساكر: تاريخ ج٢ ص٣٦٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٢٢٥.	سكنها العباس بن الفضل بن العباس بن الفضل ت ٣١٣هـ. ابن عساكر ج٢٦ ص٣٨٨.
جرود	اقليم معلولا من أعمال الغوطة "شمال شرق"	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص١٣٠.	من أهلها اسحاق بن أيوب بن خالد بن عباد ابن زياد بن أبيه
بَجُّ	باب دمشق جهة حوران.	ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٣٣٩	قيل أن من أهلها ابن شعيب بن ذكوان بن أمية العبدري مولى بني عبد الدار
صكا	من قرى الغوطة "الجنوب"	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣١٦	فيها عقب الصحابي جزء بن سهل السلمي
بيت سوا	شمال شرق	ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٥٢١؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٢ ص٥٦.	من أهلها أبو صالح يحيى بن محمد الكلبي البيت سواني ت ٣١٣هـ/٩٢٥م.
أرزونا	من قرى دمشق شمال قرب القابون	ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص١٥١؛ كرد علي: غوطة ص٢٢١.	
دقانية	من قرى دمشق	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٥٨	من أهلها يحيى بن عبد الرحمن بن عمارة بن ملّى بن زكريا الهمداني الدقاني ت ٣١٥هـ.
حرجلة	من قرى دمشق "جنوباً"	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٣٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠ ص٣٠٩	ذكرت أيام ثورة أبي العميطر الخارج بدمشق
تلفياثا	من قرى غوطة دمشق "الجنوب"	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٢	ذكرت أيام ثورة أبي العميطر الخارج بدمشق
حلفبلتا	من قرى دمشق "جنوب غرب"	المصدر نفسه ج١ ص٢٩٠	بقربها قبر كناز أحد الصحابة وهو أبو مرثد بن الحصين، وقيل مات بالمدينة.
بيت قوفا	جنوب دمشق	المصدر نفسه ج٢ ص٥٢١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٧٢.	
الحديثة	من قرى غوطة دمشق	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٣٢	
كفرسوسية	من قرى دمشق "جنوب غرب"	المصدر نفسه ج٤ ص٤٦٩	منها أناس من أهل العلم منهم أبو طاهر محمد بن عثمان الكفرسوسي ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م وقد أجمع أهل دمشق على صلاحه وثقته.

اسم المنطقة أو القرية	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
دير البخت	دمشق على بعد فرسخين منها.	الشابشتي: الديارات ص٢١٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٥٠٠.	وهو دير كبير حسن كان يسمى دير ميخائيل زمن عبد الملك، وكان لعلي بن عبد الله في هذا الموضع جنينه مقدارها ٤ أجربة يخرج إليها ويتنزه أيام مقدمه لدمشق.
العبادية	من قرى المرج (ظاهر دمشق)	ياقوت، معجم البلدان، ج٤ ص٧٥	كان يسكنها حفص بن عمر بن قنبر القرشي
طرميس	من قرى دمشق "شمال شرق"	ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٣٢.	سكنها الحسن بن يوسف بن اسحاق بن سعيد الطرميسي مولى الحسين بن علي ت ٣٢٣هـ.
السطح	من اقليم بيت لهيا خارج باب توما "الشمال"	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٢٢٠	سكنها بعض الأمويين
جوبر	من قرى الغوطة	المزي: تهذيب، ج١٢ ص١٤٥؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص١٧٦	ينسب لها عد الوهاب بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب ابن محر بن يزيد الأشجعي أبو عبد الله الدمشقي الجوبري ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م.
الجامع	من قرى المرج "شرقاً"	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٩٦	سكنها قوم من بني أمية
الشبعا	من قرى دمشق "جنوب شرق"	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٢٠.	لها ذكر في أخبار أبي العميطر
الميطور	سفح قاسيون "شمالاً"	ابن طولون: القلائد، ص٦١.	كانت قديما مزرعة لسليمان بن عبد الملك وكان أول من غرس فيها غرساً، وزرع فيها كثيراً من الفستق والبندق والتين. وخربت في القرن العاشر بسبب فقدان الأمن.
النيرب	على الربوة من جهة دمشق "شرقاً" نصف فرسخ وسط البساتين.	ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٣٣٠؛ ابن طولون: القلائد، ص٥٥.	والنيرب كلمة سريانية بمعنى الوادي ولكن يقصد بها هنا سفح قاسيون مما يلي الربوة.
أرزة	مكانها اليوم حي الشهداء طريق الصالحية شمال غرب	ابن طولون: القلائد، ص٥٨؛ كرد علي: غوطة، ص٢١٩.	ذكر ابن طولون أنه أدرك بعض بيوتها وجامعها بمئذنته عند قبور الشهداء.
بيت أبيات	قرية في سفح قاسيون مكانها اليوم في محلة طاحونة الاشنان أسفل حي الأكراد "شمالاً"	ابن طولون: القلائد، ص٥٩؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٥٢٢.	لهذه القرية أسطورة دينية وهي أنها كانت مسكناً لآدم أبو البشر، ولما أنشأت الصالحية سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م في سفح قاسيون صار يطلق على بيت أبيات اسم الصالحية العتيقة وذكر ابن طولون أنه لم يبق في عصره من هذه القرية إلا المسجد والطاحون.
ديرمران	الشمال الغربي منطقة السهم قرب النيرب.	الطبري: تاريخ، ج٧ ص٢٤٢، ص٣١٣؛ ابن طولون: القلائد، ص٧٠.	كان منزلاً ينزله الخلفاء الأمويون والعباسيون على السواء، وقد أجرى له المأمون قناة من نهر منين.

اسم المنطقة أو القرية	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
كسملين	ظاهر باب السلامة "الجنيق"	ابن منظور: مختصر، ج١٩ ص١٤٩	كان فيها عقب مبشر بن الوليد بن عبد الملك.
الماطرون	الشمال الشرقي بين بيت لهيا وعين ثرما	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٥ ص٤٢؛ كرد علي: غوطة، ص٢٦٧.	وترك فيها يزيد بن عبد الملك عقباً.
المصيصة	الشمال من إقليم بيت لهيا وإلى الشرق منها	النعيمـــي: الـــدارس، ج٢ ص٢٦٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١٤٤.	
عربيل	الشمال الشرقي	ابن منظور: مختصر، ج١٥ ص٢٩٠؛ الحصني: منتخبات، ص١٠٥٩.	
داعية	الشرق	كرد علي: غوطة، ص٢٤٢؛ عـــامر ناصر: استقرار، ص١٢٦.	كان فيها جماعة من بني أمية
عقربا	الجنوب	ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٢٦٢	
فذايا	الجنوب	النعيمي: الدارس، ج٢ ص٢٦٢	
قصر حجاج	الجنوب "ظاهر باب الجابية"	ابن عبد الحق: مراصد ج١ ص١٩٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٣٥٧.	
قصر عاتكة	الجنوب "ظاهر باب الجابية"	ياقوت: معجم البلدان، أرض عاتكة؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٩ ص٢٤٥؛ كرد علي: غوطة، ص٢٥٦.	
داريا	قرية بغوطة دمشق "جنوب غرب"	ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٣١؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص٨٧-٨٨.	ينسب لها الزاهد القدوة أبو سليمان الداراني
الأوزاع	خارج باب الفراديس "شمالاً"	ابن عساكر: ج٢ ص٣٦٨؛ المـــزي: تهذيب، ج١١ ص٣١١؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣ ص١٢٨؛ ياقوت: معجم، ج١ ص٢٨٠.	ينسب إليها الفقيه الأوزاعي "عبد الرحمن بن عمرو"
الرحبة	في الجنوب	الذهبي: تاريخ، ج٨ ص٢٦٤ ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٣٤.	ينسب لها محمد بن يزيد أبو بكـــر الرحبـــي الدمشقي وقد خربت هذه القرية.
راوية "قرية الست"	قرية في غوطة دمشق "في الجنوب الشرقي"	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٣ ص٢٠-٢١.	فيها قبر أم كلثوم ومدرك بن زياد الفزاري الصحابي. وسكن فيها (الزاهد) المصا بن عيسى الكلاعي
كفربطنا	من قرى دمشق "إقليم داعية" شرق	ياقوت: معجم البلـــدان، ج٤ ص٤٦٨ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠، ص٢٨؛ الحصـــــني: منتخبــــات، ص١٠٥٩	سكنتها مجموعة من قيس وكان بها عقب عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان
بيت سابا	من إقليم بيت الآبار إلى الشرق عند جرمانس.	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٥٢٠.	سكن بها هشام بن يزيد بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
الصفوانية.	خارج باب توما من إقليم خولان "شمال شرق".	ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص٤١٥.	كانت لخالد بن يزيد ابن معاوية

اسم المنطقة أو القرية	الموقع بالنسبة لدمشق	المصدر	ملاحظات
يلدان	إقليم بانياس "جنوباً"	ابن عساكر:معجم البلدان، ج٣٧ ص٦ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٤٤١.	كان يسكنها عمر بن القاسم بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.
المزة	الغرب	الطبري: تاريخ، ج٤ ص٣٦٤؛ البكري: معجم، ج٣ ص١٢٢٢؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١٢٢.	هرب إليها أبو العميطر لما ثار بدمشق أيام الأمين بعد أن انتصر عليه ابن بيهس
دير بحدل	الغرب	كرد علي: غوطة ص٢٦٢؛ الحصني: منتخبات، ص١٠٥٨	نسب إليها سعيد بن بحدل الكلبي
صهيا	جنوب غرب	ابن منظور: مختصر ج٢٨ ص١٦٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ص٤٣٦.	

ويتضح مما سبق ومما تضمنته الجداول أن مدينة دمشق بقيت عامرة منذ عهد الآراميين، ولم تتوقف عن التوسع في عمرانها، ولا حتى بعد أن فقدت مركزها السياسي والإداري كعاصمة في العصر العباسي.

فعندما آلت الخلافة لبني أمية ونقلوا العاصمة لدمشق، أخذ العمران في دمشق يتسع وذلك وفق التطورات الطبيعية الجديدة، فاستقطبت دمشق أعداداً من المهاجرين من أنحاء الدولة الإسلامية وعلى الأخص الحجاز الذين أطلق عليهم اسم الجالية[١].

ويظهر أن العمران في أواخر الدولة الأموية قد امتد إلى ظاهر دمشق، وذلك لضيق مساحة المدينة المسورة، فكان من الضروري أن تتسع إلى خارج الأسوار، فتوسعت نحو الشمال والشمال الشرقي في العقيبة وجهة باب الفراديس، كما توسعت غرباً نحو باب الجابية طريق القنوات، وإلى الجنوب الغربي تجاه قصر حجاج ومحلة الراهب وقصر عاتكة[٢].

ولا شك أن العمران والمباني الأموية قد استمر وجودها في العصر العباسي، بل زيد عليها واستحدث غيرها، وإذا كانت دمشق لا تحوي أثراً عباسياً بارزاً يعتد به على حد قول بعض المؤرخين فإن هذا الكلام لا يمكن أخذه على وجه التعميم، لأن المصادر لم تشر في أغلب الأحيان إلا إلى المباني الرسمية باعتبارها هامة كالقصور أو دور الإمارة، وهذا يعني أن دمشق قد تراجع فيها العمران على الصعيد الرسمي، أما على الصعيد الاجتماعي فقد كان لازدياد سكان دمشق أثر كبير في اتساع وامتداد العمران لاستيعاب الساكنين الجدد.

ولكن ما يعيق عملية المتابعة حول الزيادات العمرانية واتساعها في العصر العباسي، عدم وضوح الصورة في تحديد مواقع الدور والعمران بدقة، علاوة على عدم تحديد الفترة الزمنية لأغلب المرافق العمرانية.

---

(١) الزبيري: نسب قريش، ص٣١٤.

(٢) محمد خريسات: التوسع العمراني، ص٤٠٤.

ويمكن القول: أن مدينة دمشق لم تتوقف عن الاتساع العمراني زمن العباسيين، بل أن أغلب الخلفاء العباسيين قد اهتموا بدمشق وزاروها وأقاموا فيها وقد أكد ذلك ابن عساكر بقوله: "لم تزل ملوك بني العباس تؤم دمشق طلباً للراحة وحسن المنظر"[١].

ورغم حدوث العديد من الفتن والثورات في دمشق لكنها لم تحد كثيراً من التوسع العمراني لدمشق في العصر العباسي. حيث بدأ التوسع في المدينة تجاه الجنوب الغربي وذلك بمحلات المصلى والراهب والسفليين والشماسة والقطائع وعالية وعويلة والمنيع، حتى أصبحت هذه المناطق والمحال جزءاً من دمشق وأحياءً منها، وهذا لا يعني أنها لم تكن مسكونة ولكنها كانت في الفترة الأموية بعيدة عن دمشق ولم يكن العمران ممتداً من دمشق إليها، ويظهر ذلك من خلال أمر يزيد بن الوليد بن عبد الملك للوليد بن روح بن الوليد بالإقامة في محلة الراهب[٢]، وهذا الأمر يشبه النفي في الوقت الحاضر، كناية عن بعدها في ذلك الوقت عن دمشق.

أما في العصر العباسي فقد أصبحت محلة الراهب جزءاً من ضمن مدينة دمشق وحياً من أحيائها، أو ما يعرف اليوم ضاحية من ضواحيها" وكذلك الحال بالنسبة إلى المحلات السابقة كقصر حجاج وقصر عاتكة والمصلى. وفي الجنوب أصبح العمران ممتداً ظاهر الشاغور البراني وبج حوران قبلي الشاغور[٣]، وفي الغرب تظهر قينية واللؤلؤتان الكبيرة والصغيرة، علاوة على امتداد العمران إلى صنعاء والحميريين ومنازل بني زعين[٤]، وقد ذكر ياقوت: أن اللؤلؤة الكبيرة كانت محلة عامرة كبيرة خارج باب الجابية سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م وقد ولد فيها محمد بن هارون بن شعيب بن عبد الله بن عبد الواحد المحدِّث والذي كان يسكن قينية ت ٣٥٣هـ/٩٦٤م [٥].

وفي المنطقة الشمالية الغربية اتخذ خمارويه بن أحمد بن طولون قصراً للإمارة في النيرب[٦]. والمعروف أن قصر الإمارة لا يتخذ إلا في منطقة تكون عامرة، علاوة على أن وجود قصر الإمارة في أي منطقة يعتبر عاملاً مهماً في جذب السكان إليها، وحافزاً للتوسع العمراني الذي عادة ما يرافق تزايد السكان، وعلى هذا الأساس لا بد أن العمران قد توسع في منطقتي النيرب والأرزة[٧].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٩١.

(٢) المصدر نفسه: ج٣٥ ص٤٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٢ ص٣٦٨.

(٤) المصدر نفسه: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٢٦، ج٤ ص٤٢٥. وقد سكنها جماعة من الرواة منهم عبد الرحمن بن محمد بن عصام الذي حدّث عن هشام بن عمار وروى عنه أبو الحسين الرازي ت. ٣٢٧هـ/٩٣٨م.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٦٨.

أما في المنطقة الشمالية فقد امتد العمران إلى العقيبة وسطر والفراديس والعمارة والأوزاع وصاروجا والصرف ومقرى وشعبان وبيت لهيا ومرج الأشعريين[١].

٣- الكنائس والأديرة:

انتشرت النصرانية منذ البداية في دمشق وتنصر معظم أهلها، وعليه فقد بنيت فيها الكنائس والأديرة العديدة للعباد، وتوسعت أملاك مطرانية دمشق[٢]، وكان أغلب سكان دمشق من أتباع المذهب اليعقوبي، ويتعرضون للاضطهاد من قبل الكنيسة البيزنطية، وهم بذلك ساخطون على أتباع المذهب الرسمي للدولة البيزنطية، بل قاموا بمناصرة العرب المسلمين وسهلوا عملية فتح المدينة فيما بعد[٣].

ومن الواضح أن انتشار النصرانية قد أثر تأثيراً واضحاً على تخطيط المدينة، حيث ظهر طابع عمراني جديد خاص بالكنائس التي شيدت لممارسة الشعائر للديانة الجديدة[٤]، وقد تضمن كتاب الصلح للمدينة خمسة عشرة كنيسة كانت قائمة قبل الفتح[٥]، وذكر ابن عساكر ثلاث عشرة منها وأشار لموضعها وحالتها التي آلت إليها حتى عصره وقسمها لقسمين منها يقع قبلي المدينة ومنها ما يقع في شمالها.

فأما الكنائس في قبلي المدينة فكنيسة اليعقوبيين، خلف الحبس الجديد ويدخل إليها من الأكافين التي هي اليوم من سوق علي، وقد بقي من بنائها بعضه وقد خربت منذ دهر[٦]. وكنيسة المقسلاط وقد خربت، وبقي من قناطرها وعمدها بعضها، ونقلت أحجارها فجعلت في العمارات[٧]، وهناك كنيسة عند ابن أبي الحكيم، وهي في رأس درب القرشيين، وهي صغيرة وبعضها باقٍ إلى اليوم وقد تشعثت[٨]، وكنيسة سوق الفاكهة، كانت في دار البطيخ فخربت[٩]، وأخرى بحفرة دار بني الحلاج وأدرك ابن عساكر من بنائها بقايا وخربت أكثرها[١٠]، وكنيسة مريم التي ذكر ابن عساكر أنها باقية وأكبر ما بقي من الكنائس[١١]، وكانت كنيسة بولص غربي

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨.

(٢) فيليب حتي: تاريخ، ج١ ص١٠؛ نقولا زيادة: العالم، ص٢٦.

(٣) صلاح الدين المنجد: خطط، ص٧٧-٧٨؛ الريحاوي: تاريخ دمشق، ص٢٨؛ عفيف البهنسي: دمشق، ص٢٤٠، كلينكل: آثار، ص١٢٤؛ الريحاوي: تاريخ دمشق العمراني، ص١٤. Sack, Damaskus, P. 50-52

(٤) انظر البلاذري: فتوح، ص١٢٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٣-٣٥٧؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٢٦٩-٢٧٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص١٤٤

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٦.

(٧) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٦.

(٨) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٦.

(٩) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٦.

(١٠) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٦.

(١١) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٦.

القيسارية الفخرية، وقد خربت وأدرك ابن عساكر من بنائها بعض أساس الحنية[١]، أما معابد اليهود فقد كان لهم كنيسة عند الخير باقية، وكان لهم كنيسة أخرى في درب البلاغة لم تذكر في كتاب الصلح فجعلت مسجداً[٢].

وأما الكنائس في شمال المدينة فأبرزها: كنيسة القلانس، وكانت في موضع دار الوكالة فخربت[٣]، وكنيسة يوحنا التي دخلت في الجامع الأموي بعد أن أخذها الوليد بن عبد الملك من النصارى[٤]، ثم كنيسة حميد بن درة[٥]، وهي باقية إلى أيام ابن عساكر وقد خربت أكثرها وهي في درب حميد[٦]. والكنيسة التي عند دار ابن زرناق، وهي معروفة زمن ابن عساكر بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين رحبة خالد بن أسيد بن أبي العاص وبين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهني[٧]، وهناك كنيسة المصلبة، وهي باقية إلى اليوم (زمن ابن عساكر) بين باب الشرقي وباب توما قرب النيبطون عند السور وقد خرب أكثرها ثم هدمت بعد الثمانين[٨]، وقد أشار ابن عساكر إلى قيام الخليفة المنصور ببناء كنيسة في دمشق لبني قطيطا في الغورنق[٩].

٤- المساجد

*** المسجد الجامع:**

لقد حَرِصَ الوليد بن عبد الملك عند اختيار موقع المسجد الأموي - في المكان الذي بني فيه- أن يكون في منطقة متوسطة من المدينة، لأن ذلك كان أمراً مهماً لوصول المسلمين إليه من مختلف أطراف المدينة[١٠]، وقد قام الخليفة الوليد بن عبد الملك ببناء هذا الجامع سنة ٨٧هـ/٧٠٦م، وقد خرج كواحد من أعظم المساجد المعروفة في الإسلام، وجمع له أمهر الصناع والمهندسين وأصحاب الحرف المختلفة من الأقطار، ولم يبخل عليه بالمال حتى أنفق عليه ما يزيد

---

(١) ابن عساكر: تاريخ: ج٢ ص٣٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٧.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص٣٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٧.

(٥) وهو ابن عمرو بن مساحق القرشي العامري، وأمه درة بنت أبي هاشم خال معاوية بنت أبي سفيان وهو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة، وكان الدرب إقطاعاً له فنسبت الكنيسة إليه وهو مسلم؛ ابن عساكر: ج٢ ص٣٥٧.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٧.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٧.

(٨) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٧.

(٩) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥٧.

(١٠) فتحي عثمان: المدينة، ص١١٣-١١٤؛ أحمد إسماعيل، دراسات، ص٨١.

على خراج الشام لثلاث سنين[(١)]، وقد بني المسجد على جزء من أنقاض معبد وثني قديم كان قد تحول إلى كنيسة، بعد أن عوّض الوليد النصارى مقابل ذلك[(٢)].

وجاء بناء المسجد الجامع على شكل مستطيل بطول بلغ حوالي ٣٠٠ ذراع وعرض ٢٠٠ ذراع أي بواقع ١٥٦×٩٧ متراً[(٣)]، وكان للمسجد أربعة أبواب وهي باب البريد في الغرب وباب الناطفيين (الفراديس) في الشمال، وباب جيرون في الشرق، والباب القبلي الذي كان يعرف بباب الساعات، لأن عمل الساعات كان بجانبه[(٤)]، وذكر المقدسي: أنه كان على كل باب من أبواب المسجد الأربعة في القرن ٤هـ/١٠م، ميضأة وفوارات ماء[(٥)].

ولما استكمل بناء المسجد الجامع تم تزيينه بالنقوش المختلفة من الفسيفساء والرخام، وقد أخذ بعين الاعتبار أن لا يكون من ضمن مظاهر الزينة صوراً حيوانية، وقد ذكر الجغرافيون والرحالة العرب أن ما كان في جامع دمشق من الزينة والنقوش والبلور بلغ الغاية في الروعة والجمال، وصار مثلاً يحتذى به[(٦)]، وكان من بين أدوات الزينة التي احتواها المسجد ذلك الوعاء البلوري الذي كان يوضع في المحراب وهو القلة "والتي حاول صاحب شرطة دمشق زمن الأمين سرقته مما أدى لقيام فتنة كبيرة...حتى تمت إعادة هذا الوعاء في عهد المأمون[(٧)].

ويبدو أن المسجد الجامع قد حافظ على بنائه وروعة جماله في العصر العباسي، وكان محط إعجاب الخلفاء العباسيين، فخلال ولاية الفضل بن صالح على دمشق للمنصور قام بعمل أبواب المسجد كما بنى القبة التي في الصحن وهي التي عرفت بقبة المال[(٨)]، وخلال زيارة المهدي لدمشق دخل المسجد الجامع وتعجب من بنائه وفخامته وجماله وقال: أن بني أمية قد

---

(١) ابن الفقيه: البلدان، ص١٠٧؛ ابن حوقل: صورة، ص١٦١، المقدسي: أحسن، ص١٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٦٠-٢٦٥؛ ابن جبير: رحلة، ص١٣-١٤؛ ابن شداد: الأعلاق، ص٦٥؛ النعيمي: جامع بني، ص٩٤؛ الدارس، ج٢ ص٣٧٩؛ ابن الوردي: خريدة، ص٣٩٢.

(٢)ابن الفقيه: البلدان، ص١٠٦؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص؛ ابن كثير: البداية، ج٩ ص٢٤٦.

(٣) ابن جبير: رحلة، ص١٥؛ ابن بطوطة: تحفة، ص٨٨؛ عفيف البهنسي: الشام، ص١٤٧؛ حسين مؤنس: المساجد، ص٢٢.

(٤) المقدسي: أحسن ص١٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤٧-٤٨؛ ابن جبير: الجامع، ص٢٢؛ وقد سمي باب الساعات بهذا الاسم لأنه كان هناك بركار الساعات لتحديد الوقت حيث عليها عصافير وحية، وغراب من نحاس فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب فسقطت حصاة في الطست الذي أسفلها. ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٨٠؛ ابن منظور: مختصر، ج١ ص٢٧٢.

(٥) المقدسي: أحسن، ص١٥٩.

(٦) ابن حوقل: صورة، ص١٦١؛ المقدسي: أحسن، ص١٥٩؛ الإدريسي: نزهة، ج٤ ص٣٦٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٧٨-٢٨٠.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٧٨.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٨ ص٣١٨؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٠ ص٢٧٧؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٣٠٣.

سبقت بني العباس بثلاثة...منها هذا الجامع الذي قال عنه: "أنه لا يعلم على وجه الأرض مثله أبداً"[١].

وأقيم للجامع ثلاث مآذن إحداها في الزاوية الجنوبية الشرقية وهي مئذنة عيسى أو المئذنة البيضاء، وهي أكبر المآذن[٢]، والثانية في الزاوية الجنوبية الغربية[٣]، أما الثالثة فكانت في المنطقة الشمالية للجامع، وكانت تعرف بمئذنة العروس حيث أقيمت وسط الجدار الشمالي، وتعتبر من أقدم مآذن المساجد في الإسلام[٤]، وقد اعتبرت نموذجاً للمآذن في الفترات اللاحقة[٥]، ومن معالم المسجد البارزة أيضاً القبة المعمارية المتميزة بالعلو فوق المحراب بـــ ٤٥متراً، وكانت تسمى قبة النسر[٦]، وقد وصفها ابن جبير فقال: "ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو، كأنها معلّقة في الجو[٧]".

ويظهر أن المسجد الجامع قد حافظ على بنائه وزخرفته حتى ضربه زلزال سنة ٢٣٣هـــ/٨٤٧م وسقطت بعض شرفاته، وتصدعت طاقات القبة التي في وسطه مما يلي المحراب وانقطع ربع منارته[٨]. ولكن زخارفه استمرت محتفظة بجمالها حتى ضرب المسجد حريق سنة ٤٦١هـــ بعد أن وقع القتال بين المشارقة والمغاربة خلال ولاية بدر الجمالي حيث ضربت إحدى الدور الملاصقة للجامع بالنار فاحترقت وامتد الحريق ليطال الجامع، فقضى على معالمه الرئيسة، ولم يسلم منه إلا جوانب قليلة من الرواق الخارجي، وتم إعماره في فترة لاحقة[٩].

*** المساجد الأخرى:**

علاوة على المسجد الجامع، اهتم المسلمون بزيادة المساجد، التي بدأت بالانتشار في دمشق منذ الفترة الأولى للفتح وانتشار الدين الإسلامي، وقد ذكر ابن عساكر (ت ٥٧١هـــ) أن المساجد في دمشق بلغت حتى عهده، ما يزيد على الأربعمئة بين جديد وقديم[١٠]، غير أنه لم يذكر معلومات وافية عنها مما تعذر معه معرفة الفترة الحقيقية التي تم البناء فيها.

وحاول ابن عساكر تحديد مواقع العديد من المساجد، بيد أن هذا التحديد يوقع الباحث في شيء من الغموض، وذلك عائد للتغير المتكرر في أسماء المناطق بين فترة وأخرى، فهناك الكثير

---

(١) المقدسي: البدء، ج٢ ص٤٤٦-٤٤٧؛ الحصني: منتخبات، ج٢ ص٤٥٠.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٦٧.

(٣) ابن جبير: رحلة، ص١٨٧.

(٤) ابن جبير: رحلة، ص١٨٧.

(٥) ولتسينجر: الآثار، ص٢٩.

(٦) ابن جبير: رحلة، ص٢٩؛ ياقوت: معدم البلدان، ج٢ ص٤٦٧.

(٧) ابن جبير: رحلة، ص١٨٦.

(٨) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـــ ص١١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١١ ص١٨٩.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٨١؛ ابن العبري: مختصر، ص١٨٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص٢٤١.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٨٦-٣٢٢.

من المناطق التي لم تكن مأهولة في الفترات السابقة له، ولكننا نجده يحدد بعض المواقع فيها، مما يوقع الباحث في حيرة حول المكان الصحيح للمسجد، وعلاوة على ذلك فإن ابن عساكر في أغلب الأحيان لا يذكر اسم الشخص الذي بنى المسجد، أو الفترة التي بني فيها المسجد، وهذا جعل الباحث غير قادر على تحديد تاريخ بناء المساجد المشار إليها إلا ما واتفقت المصادر على مكانة وتاريخ بناءه، بل إن كثيراً من المساجد التي ذكرها ابن عساكر لم يكن لها أثر في زمنه، وهذا ما جعل التنقيبات الأثرية عن بقايا تلك المساجد في الوقت الحاضر أمر مستحيل.

ومن خلال ما ذكر ابن عساكر يمكن القول: أن تزايداً كبيراً في أعداد المساجد في دمشق قد حدث في العصر العباسي عما كانت عليه في العصر الأموي، إذ سلمنا أن دمشق قد شهدت توسعاً عمرانياً في العصر العباسي، ناجم عن الزيادة المضطردة في السكان. فلا بد أن المساجد التي كانت قائمة من قبل وحتى الفترة الأموية لم تعد تتسع للمصلين لأداء الشعائر الدينية مما جعل الأمر ملحاً لإقامة مساجد أخرى لاستيعابهم في الأحياء الجديدة.

ومن المؤكد أن القبائل التي استقرت حول دمشق قد اتخذت لنفسها مساجد للصلاة، إذ أنه من غير المعقول أن يحضر الناس من مناطق سكناهم ويقطعوا مسافات طويلة للصلاة في المساجد داخل المدينة، لذا فمن الغالب أنهم أقاموا مساجد خاصة بهم[1].

وفي الغالب فإن المساجد التي وجدت في العصر الأموي قد استمر وجودها في العصر العباسي، ولم يشر ابن عساكر أو غيره من المؤرخين إلى بناء العباسيين لمسجد بعينه في دمشق، ولكن المساجد التي ذكرها ابن عساكر كانت منتشرة في جميع أنحاء دمشق وأحيائها القديمة، أو الجديدة التي ازدهرت في العصر العباسي، مما يؤكد استحداث الكثير من المساجد في الفترة العباسية.

والباحث ليس بصدد تعداد المساجد أو ذكر مواقعها بقدر ما يحاول أن يثبت أن تزايداً كبيراً قد حصل في بناء المساجد في العصر العباسي حتى أصبحت تشمل مختلف مناطق دمشق وأحيائها وربما وجد في الحي الواحد أكثر من مسجد، وذلك استجابة مع التطور العمراني والزيادة المطردة في عدد السكان. وقد وجد الباحث أن من غير الضروري إعادة ذكر المساجد التي ذكرها ابن عساكر[2]، أو من جاء بعده من المؤرخين[3].

٥- الحمامات:

لقد كانت الحمامات من المنشآت البارزة في دمشق، فقد انتشرت منذ الفترة الرومانية، التي تميزت حمامتها بالمساحة الكبيرة المهيئة لممارسة النشاطات المتعددة مثل السباحة

---

(١) الخولاني: تاريخ، ص٢٨، ص١٢٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١٠ ص٢٣١-٢٣٢؛ ابن منظور: مختصر، ج٨ ص٢٠٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٨٦-٣٢٢.

(٣) ابن المبرد: ثمار المقاصد، ص٦٠-١٦٠.

والمصارعة وتبادل الأحاديث[١]، وقد اهتم المسلمون بعد فتح دمشق بالحمامات وحرصوا على تغيير أنظمة بنائها وغايات وجودها وذلك لتواكب الدين الجديد وتعاليمه فأصبحت أماكن خاصة بالطهارة والنظافة وليس مكاناً للهو وممارسة الرياضات المختلفة[٢].

وللحمامات أهمية خاصة لدى المسلمين، لأنها ترتبط لديهم بتعاليم الدين الإسلامي الذي كان من أبرز تعاليمه الحث على النظافة، بل إن الطهارة كانت شرطاً من شروط صحة الصلاة، ومن هنا تزايد إقبال الناس على الحمامات العامة للاغتسال والنظافة.

وقد ذكر ابن عساكر أن أبا عبيدة قد دخل إحدى حمامات دمشق بالقرب من دار أبان بن عبد الملك في زقاق العجم[٣]، وكان حبيب بن مسلمة الفهري يكثر من الدخول للحمامات، وقد أخذ على نفسه عهداً أن يعتق رقبة كلما خرج من الحمام[٤]. وقد وردت إشارات إلى قيام بعض المسلمين بإقامة الحمامات في دمشق، فقد ذكر أن عبد الله بن بكر بن حذلم الأسدي اشترى داراً في دمشق وحولها حماماً[٥]، كما كان لأبان بن مروان حمام بجانب داره[٦]، وكان لعاتكة بنت يزيد حماماً إلى جانب دارها عرف باسم حمام الذهب[٧].

ويبدو أن الحمامات في دمشق قد تطورت وزاد عددها بشكل كبير حتى صارت لنظافتها وكثرتها مما تفتخر به دمشق على غيرها من سائر المدن، وقد ظهر ذلك من خلال ما قاله الخليفة الوليد بن عبد الملك عند مخاطبته أهل دمشق عند عزمه على بناء المسجد الجامع، حيث أشار إلى افتخار دمشق عن غيرها من المدن في كثرة حماماتها ونظافتها وأنه أحب أن يضيف لهم شيئاً آخر وهو المسجد[٨].

وقد استمر اهتمام أهل دمشق بإنشاء الحمامات العامة والمحافظة على نظافتها[٩]، ويظهر أن توفر المياه بكميات كبيرة قد ساعدهم على ذلك، فقد ذكر الشيزري بعض الأعمال التي كان يقوم بها أصحاب الحمام لتنظيفه، حيث كان يتم غسله بالمياه الطاهرة أكثر من مرة، ثم كنسه أيضاً، علاوة على تبخيره[١٠]، وحفاظاً على سلامته فقد مُنِع المصابون بالأمراض المعدية من

---

(١) منير الكيالي: الحمامات، ص٥-٦؛ محمد عثمان: المدينة، ص٢٤٨.

(٢) محمد عثمان: المدينة، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص١٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢ ص٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ج٢٧ ص٢٦٢.

(٦) المصدر نفسه: تاريخ، ج٦ ص١٤٦.

(٧) العدوي: الإشارات، ص٦١.

(٨) البدري: نزهة الأنام، ص٤٤.

(٩) متز: الحضارة، ج٢ ص٢٢٥.

(١٠) الشيزري: نهاية، ص٨٧.

دخولــه[١]، كما أن أصحاب الحمام كانوا يوفرون لزبائنهم في الحمام ما يحتاجونه من مناشف ومآزر بأجر أو بدون أجر أحياناً[٢]، وكان بعض الأشخاص يحملون صابونهم ومآزرهم وأشيائهم الخاصة معهم[٣].

أما الحمام نفسه فكان يقوم على خدمته خمسة أشخاص على الأقل، وهم الحمامي والقيم والزبال والوقاد والسقاء[٤]، وكانت الحمامات تفتح في المعتاد وقت السحر لكي يستطيع الناس التطهر فيها قبل أداء الصلاة في المسجد[٥]. وعند دخول الحمام كان الناس يودعون أشياءهم الخاصة لدى شخص معين- ربما يكون صاحب الحمام- لحفظها لهم[٦]. وكان لكل حمام مزين خاص يقوم بحلاقة الشعر للزبائن، كما وجد أشخاص يختصون بالتدليك للزبائن، وكانوا يفركون أكفهم بقشور الرمان لتغدو خشنة وتساعدهم في إزالة ما علق من أوساخ بجسد الزبون[٧].

ومن المفيد القول: أن أغلب البيوت الشامية إذا استثنينا قصور الحكام وبيوت الأمراء لم تكن تضم في تخطيطها حمامات خاصة، بالرغم من توفر المياه الكافية، ويمكن أن يكون سبب ذلك عائداً إلى التكاليف الباهظة لتوفير المواد اللازمة، علاوة على أن بناء الحمام نفسه كان مكلفاً حيث كان يبنى بالحجر، بينما أهل دمشق كانوا يبنون بيوتهم بالقش والطين[٨]، كما أن انتشار الحمامات بكثرة في دمشق بين الأحياء، ونظافة تلك الحمامات وحسن خدمتها، عوض الدمشقيين بناء حمامات خاصة في دورهم.

ويظهر أن الحمامات كان يستخدمها الرجال والنساء على السواء، ومن أجل ذلك كان الحمام يعمل طوال النهار، حيث تخصص فترة زمنية للرجال، وأخرى للنساء، وكانت فترة استعمال الرجال للحمامات تمتد من الفجر وحتى الظهر، أما الفترة النسائية، فتمتد من العصر وحتى العشاء[٩]، ومن المؤكد أن الفترة من الظهر إلى العصر كانت تستغل لتنظيف الحمام وإعادة كنسه لتجهيزه للاستعمال مرة أخرى.

وقد ارتبطت بالحمام بعض العادات الاجتماعية التي ما تزال شائعة في بعض مناطق دمشق حتى الآن، حيث كان دخول المريض للحمام بمثابة الإعلان عن شفائه من المرض[١٠]، كما

---

(١) الشيزري: نهاية، ص٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٤) متز: الحضارة، ج٢ ص٢٢٥.

(٥) الشيزري: نهاية، ص٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٨) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٦٢.

(٩) إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية، ص١٧٢.

(١٠) المرجع نفسه: الحياة الاجتماعية، ص١٧٢.

أن العريس كان يدخل إلى الحمام بصحبة أصدقائه الذين يزفونه بالأهازيج الخاصة لذلك، وكذلك الحال بالنسبة للعروس التي تدخل الحمام للتزين والتجمل والاغتسال(١).

ومع أن اقدم الحمامات الدمشقية في عصرنا هذا، يعود إلى العصر الأيوبي(٢)، إلا أن تصميم الحمام وتكوينه الأساسي لم يختلف عما كان سابقاً له(٣)، حيث كان الحمام في الغالب يتكون من عدة قاعات، أولها: القاعة الخارجية التي تحتوي على بركة خارجية يصب فيها الماء من مجموعة قنوات أو أنابيب، وفي هذه القاعة كان يتم خلع الزبائن لثيابهم حيث يضعونها على مصاطب تحيط بجدران القاعة، ثم يقوم العاملون في الحمام بتقديم المآزر اللازمة لهم قبل الاستحمام(٤)، ثم ينتقل الزبائن إلى داخل الحمام الذي غالباً ما يتكون من قاعتين، الأولى ذات حرارة متوسطة يتوقف عندها الشخص لوقت قصير قبل انتقاله للقاعة الداخلية (قاعة الاستحمام) التي تتميز بارتفاع درجة حرارة مياهها، وتحوي عدداً من الأجران المخصصة للاغتسال ولكل منهما أنبوبان أحدهما حار والآخر بارد(٥)، وتحتوي هذه القاعة أيضاً بعض الحجرات الصغيرة التي ربما استخدمها من يريد الاغتسال بمعزل عن الآخرين(٦).

أما سقف الحمام فكان عبارة عن قبة مرتفعة مليئة بالفتحات الصغيرة المستديرة، التي يغطيها الزجاج الملوّن لإعطاء الضوء على أماكن الاستحمام(٧)، وغالباً ما كانت جدران الحمامات تزين بصور تشير إلى طائر العنقاء أحد الطيور الخيالية(٨)، ويبدو أن الحمامات في دمشق حافظت على نظافتها وحسنها حتى وصف المقدسي (ت ٣٨١هـ) دمشق بقوله: "ولا تجد أحسن من حماماتها"(٩)، وقد أورد ابن عساكر ما يزيد على خمسة وسبعين حماماً كانت منتشرة في مختلف مناطق دمشق وكان يرتادها أهل دمشق في فترات مختلفة(١٠).

٦- المقابر:

لقد حرص أهل دمشق في اختيار المقابر التي يدفنون بها موتاهم أن تكون خارج أسوار المدينة بعيدة عن تزاحم المباني والناس، وذلك حفاظاً على كرامة القبور وحرمة الأموات، ومن هنا فقد وجد في دمشق ثلاث مقابر كانت تقع خارج أسوار المدينة، وقد جاءت تسميتها نسبة

---

(١) محمد عثمان: المدينة، ص٣٥٤.

(٢) إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية ، ص١٧١.

(٣) نعمان القساطلي: الروضة الغناء، ص١٠٨.

(٤) المرجع نفسه، ص١٠٨.

(٥) نعمان القساطلي: الروضة الغناء، ص١٠٨.

(٦) إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية، ص٧١.

(٧) نعمان القساطلي: الروضة الغناء، ص١٠٨.

(٨) المسعودي: مروج، ج٣ ص٢٩.

(٩) المقدسي: أحسن، ص١٥٦.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٨٦-٣٨٩.

لأسماء الأبواب التي تقابلها[١]، وكانت أولى هذه المقابر، مقبرة باب توما- التي دفن بها بعض الصحابة الذين استشهدوا في فترة الفتح الأولى، وهذه المقبرة هي أول مقبرة للمسلمين في دمشق[٢]، وتسمى هذه المقبرة الآن بمقبرة الشيخ رسلان[٣].

أما المقبرة الثانية فهي مقبرة باب الفراديس، وكانت تعرف بمقبرة الشهداء وذلك لكثرة ما بها من قبور الصحابة الذين سقطوا خلال حصار دمشق[٤]، وقد ذكر أن كعب الأحبار قال فيها: يبعث منها سبعون ألف شهيد يشفع كل إنسان منهم بسبعين[٥]، وتعرف هذه المقبرة الآن باسم مقبرة "الدحداح"[٦]، أما المقبرة الثالثة فهي مقبرة باب الصغير، التي تقع في المنطقة الجنوبية في ميدان الحصى- مقابل باب الصغير، وهي من أشهر المقابر الإسلامية وأكبرها[٧]، ومن الملاحظ أن الطاقة الاستيعابية لهذه المقبرة كانت أكبر من المقبرتين السابقتين، إذ أن المقبرتين السابقتين كانتا تقعان في مناطق زراعية خصبة من السهل أن تصلها المياه، ويبدو أن أهل دمشق استغلوا تلك المناطق للزراعة، وتحولوا إلى دفن موتاهم في مقبرة باب الصغير، لأن هذه المنطقة كانت شبه خالية وغير مزروعة ولم تصلها مياه الري بسبب ارتفاعها النسبي عن الأرض التي تقوم عليها المدينة نفسها[٨].

وكان لأهل الذمة مقابر خاصة بهم، وكانت مقابرهم تقع إلى الشرق من مقبرة باب الصغير ومقابل باب كيسان[٩].

ومن المؤكد أن القبائل التي استقرت بالمناطق المحيطة بدمشق لم تكن تأتي بموتاها لتدفنهم في مقبرة باب الصغير أو غيرها من المقابر البعيدة، ومن هنا اتخذت أغلب القبائل مقابر خاصة بها واستعملتها لدفن موتاها[١٠].

٧- اهتمام العباسيين بدمشق:

بعد أن آلت الخلافة للعباسيين، استمروا بالعناية بدمشق، فبدأ عمرانها يزداد عما كانت عليه أيام الأمويين[١١]. وكان لذلك أثر في الزيادة السكانية المتتابعة للمدينة، والتي نتج عنها أيضاً

---

(١) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤١٠-٤١٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ ج٢ ص٤١٧.

(٣) صلاح الدين المنجد: خطط، ص١١٦؛ الريحاوي: تاريخ دمشق، ص٣٤.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ص٤١٠.

(٦) صلاح الدين المنجد: خطط، ص١١٦.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤١٨-٤١٩.

(٨) ولتسينجر: الآثار، ص٦٥؛ صفوح خير: مدينة، ص٣٦٠,

(٩) صلاح الدين المنجد: خطط، ص١١٧.

(١٠) انظر الخولاني: تاريخ، ص٢٨؛ ابن عساكر:؛ تاريخ، ج٢ ص٤٢٠.

(١١) محمد خريسات: التوسع العمراني، ص٤٤.

الامتداد في السكن والتوسع في عمران المدينة.

وعلى الرغم من أن العباسيين ابتدءوا حكمهم كما ذكر المقدسي بهدم سور دمشق حجراً حجراً، وتخريب قبور الأمويين ونبشها(١)، إلا أن ذلك لم يعقهم عن الاهتمام والعناية بدمشق وإعادة بناء سورها(٢)، واتخاذ الدور والقصور فيها(٣)، وما الزيارات المتكررة التي قام بها الخلفاء العباسيون لدمشق طلباً للراحة وحسن المنظر(٤)، إلا تأكيدُ على عنايتهم المستمرة بهذه المدينة، فلما تسلم المنصور الخلافة أرسل إلى دمشق بقية بن الوليد ليقوم بمساحتها(٥)، كما عين المنصور الربيع بن حظيان على دار الضرب فيها(٦)، وهذا يعني أن دمشق التي فقدت مركزها كعاصمة لم تفقد كثيراً من الأدوار التي كانت تؤديها، وعلى سبيل المثال الدور الاقتصادي المتمثل في سك العملة والتجارة والصناعة والزراعة إضافة إلى أن أسواقها ظلت عامرة على مختلف الفترات.

وأشار ابن عساكر إلى قيام المنصور ببناء كنيسة في دمشق في منطقة الغورنق لبني قطيطا(٧)، وعندما شخص إلى بيت المقدس زائراً، زار دمشق في ذهابه ومجيئه وأعجب بجمالها(٨)، ولم تقف اهتمامات المنصور بدمشق عند هذا الحد بل أنه فكر بالانتقال إليها خلال ثورة إبراهيم بن عبد الله أخي النفس الزكية "١٤٥هـ/٧٦٢م التي قامت في البصرة(٩)، وهذا يدل على المكانة التي كانت تتمتع بها دمشق لديه، وأنه كان يعتبرها ملاذاً له في وقت الشدائد والصعاب. وذكر ابن عساكر أن المنصور زار دمشق أكثر من مرة كانت إحداها سنة ١٤١هـ/٧٥٨م(١٠)، والثانية سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م(١١)، وخلال ولاية الفضل بن صالح ت ١٧٢هـ/٧٨٨م على دمشق أمر بعمل أبواب للمسجد وبناء القبة التي في الصحن، وهي التي عرفت بقبة المال(١٢).

---

(١) المقدسي: البدء، ج١ ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) ابن شداد: الأعلاق، ص٣٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٩١؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢ ص١١٥.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٩١.

(٥) ابن منظور: مختصر، ج٥ ص٢٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٨ ص٢٩٤.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٦.

(٨) البسوي: المعرفة، ج١ ص١٤١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٢ ص٢٩٩.

(٩) المقدسي: البدء، ج١ ص٢٨٢.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٢ ص٢٩٩.

(١١) المصدر نفسه، ج٣٢ ص٢٩٩.

(١٢) المصدر نفسه، ج٤٨ ص٣١٨؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٠ ص٢٧٧؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٣٠٣؛ الحنبلي: شذرات، ج١ ص٤٤٩.

ولما تولى المهدي الخلافة زار دمشق، وقد تعجَّب من الجامع الأموي وجماله وترتيبه وزخرفته، حتى قال لكاتبه أبي عبيد الله الأشعري: يا أبا عبد الله: سبقتنا بنو أمية بثلاث...وذكر منها المسجد وقال: لا أعلم على الأرض مثله أبداً[١]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الجامع الأموي قد حافظ على جماله ورونقه وزخرفته في العصر العباسي، ولم يتعرض للخراب أو العبث خلال دخول العباسيين، وذكر ابن كثير: أن المهدي أضاف على المسجد قبة صغيرة جديدة في الناحية الغربية من صحنه سميت بقبة عائشة، وذلك بحدود سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م، وقد جعلها لحواصل الجامع وكتب أوقافه[٢].

وأشارت المصادر أيام الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) إلى هدم سور دمشق على يد السندي بن شاهك أمير دمشق من قبل موسى بن عيسى خلال العصبية بين النزارية واليمانية، كما تم نهب قرى اليمانية بنواحي دمشق[٣]، في حين ذكر البلاذري وابن عساكر والمقدسي وابن العبري: أن الذي هدم سور دمشق هو عبد الله بن علي العباسي، ويظهر أن اختلاف المصادر في هدم السور، ومن الذي هدمه؟ أمر يثير الشك، فمن المؤكد أن سور دمشق لم يهدم حجراً حجراً على الرغم من تعرضه لمحاولات الهدم المتكررة، فهو لم يهدم كاملاً لا في زمن عبد الله بن علي ولا في زمن الرشيد[٤].

ويبدو أن بعض أجزائه قد هدمت في عهد عبد الله بن علي خلال حصاره دمشق وبعد السيطرة عليها، ولكنه لم يهدم كاملاً، ومن المؤكد انه خلال الثورات التي حدثت في دمشق زمن الرشيد قد هدمت بعض أجزائه أيضاً، وهذا يعني أن السور قد تهدم جزء منه في بداية الدولة العباسية وجزء آخر في عهد الرشيد على يد الوالي السندي بن شاهك، والمؤكد أن السور لم يتهدم كله في أيٍ من الفترتين بل إن بعض أجزائه لا تزال ماثلة للعيان حتى الآن، وذكر المقدسي أن الأجزاء التي تهدمت من سور دمشق قد أعيد بناؤها وقد تم بناؤها من الطين[٥].

وأورد التنوخي في حكاية تعود إلى عهد الرشيد وبطلها أحد الأمويين الموسرين من أهل دمشق، وكان الرشيد بعث مندوباً من قبله ليحضره من دمشق- فلما وصلها وكان الوقت ليلاً وجد أبوابها مغلقة، فانتظر حتى الصباح بظاهر دمشق[٦]، مما يعني أن سور دمشق كان آنذاك- أي زمن الرشيد- مبنياً ولم يكن لدمشق مداخل أخرى غير الأبواب. وإن صحت هذه الرواية فهذا

---

(١) المقدسي: البدء، ج٢ ص٤٤٦-٤٤٧؛ الحصني: منتخبات، ص٤٥٠.

(٢) ابن كثير: البداية، ج٩ ص١٦٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٨ ص١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٦؛ الذهبي: تاريخ، ج١٤ ص١٨٥؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢٣٥-٢٣٦.

(٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ، ص٥٢-٥٣.

(٥) المقدسي: أحسن، ص١٥٦.

(٦) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ ص٦٣.

يعني أن الأجزاء التي هدمت من السور مع بداية الدولة العباسية قد أعيد بنائها، واستمرت كذلك حتى عهد الرشيد، وأشار ابن طولون إلى قيام الرشيد بزيارة دمشق ونزوله "دير مرَّان" دون أن يحدد وقت الزيارة(١).

وفي عهد الأمين قامت الثورات والفتن في دمشق، ومنها الفتنة الشهيرة التي كان سببها قيام صاحب الشرطة داود بن عيسى بأخذ الوعاء البلوري من المسجد وإرساله إلى الأمين، الذي كان معجباً بالبلور فلما علم إمام الجامع الأموي قال للمصلين: **لا صلاة بعد القلَّة**، فصارت مثلاً واستمرت الفتن حتى عادت زمن المأمون(٢)، وعلى الرغم من الفتن والثورات الدمشقية زمن الأمين إلا أنه يظهر أن دمشق كانت لها مكانتها ومناعتها، ويبدو ذلك من خلال الاقتراح الذي أبداه قُوَّاد الأمين خلال الفتنة مع المأمون، وحثوا فيه الأمين على التوجه إلى الشام، حيث سيصبح في مملكة واسعة وملك جديد(٣)، وقد قام عبد الملك بن صالح العباسي- الذي كان يلي الشام للأمين (١٩٦هـ/٨١١م) بمحاولة كبيرة لإقناع الأمين بتلك الفكرة، وكان عبد الملك بن صالح يتمتع باحترام ومحبة أهل الشام(٤).

وأدرك طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون خطورة وصول الأمين إلى الشام لذا فقد أظهر حرصاً شديداً على عدم تمكينه من الوصول إليها، وبذل في سبيل ذلك جهوداً كبيرة للاتصال بقادة الأمين وهددهم بمصادرة أراضيهم وضياعهم إن هم ساعدوا الأمين بما عزم عليه، ونجح فعلاً في مهمته(٥).

وحظيت دمشق باهتمام كبير من قبل المأمون، فقد أشارت المصادر إلى شخوص المأمون عدة مرات لزيارة دمشق(٦)، وأنه اتخذ قصراً له بدير مرَّان فيها، وقام ببناء القبة فوق جبل دير مران (قاسيون)، وكان بالليل يأمر بجمر عظيم فيوقد، ويجعل في طسوت كبار تُدلَّى من عند القبيبة بسلاسل وحبال فتضيئ لها الغوطة فيبصرها في الليل(٧)، وتابع المأمون اهتماماته بدمشق فقام بإرسال "حرب بن محمد بن حيان الطائي" إليها للقيام بمساحتها، فعدَّلها سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، وفرَّق المعدلين في أجناد الشام لهذا الغرض(٨)، ويبدو أن هذا التعديل جاء من قبل المأمون محاولةً

---

(١) ابن طولون: القلائد، ص٤٦.

(٢) ابن منظور: مختصر، ج٢٥ ص٢٦٨-٢٩٦. وحول الفتنة انظر ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩.

(٣) مسكوية، تجارب، ج٤ ص٩٨-٩٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٥٤.

(٤) انظر الطبري: تاريخ، ج٨، ص٤٢٤؛ مسكويه: تجارب، ج٤، ص٩٨-٩٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢٩١-٢٠٠هـ، ص٥٤.

(٥) مسكويه: تجارب، ج٤ ص٩٩؛ المصدر نفسه: حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٥٤.

(٦) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٩١؛ اليعقوبي:تاريخ، ج٢ص٤٦٥؛ الطبري: تاريخ، ج٨ ص٦٢٤؛ الأزدي:تاريخ الموصل، ص٤٢٩.

(٧) الذهبي: سير، ج١ ص٢٣٣؛ تاريخ، حوادث ٢١١-٢٢٠هـ ص٨، ١٤؛ ابن خلدون: تاريخ،ج٣ ص٥٤٤.

(٨) ابن منظور: مختصر، ج٦ ص٢٦٦-٢٦٧.

منه للنهوض بالأوضاع الاقتصادية السيئة التي كانت تعاني منها الشام عامة والمتمثلة بارتفاع الضرائب وثقلها على كاهل السكان. كما بنى المأمون مكاناً للرصد فوق جبل قاسيون[١]، وخلال مقامه بدير مرّان أجرى المأمون إلى معسكره هناك قناة من نهر منين[٢]، وذكر كرد علي أن هذا العمل مهم جداً، لأن الطريق من منين إلى قاسيون يحتوي على أودية وشعاب ونجاد كثيرة[٣]، وخلال مقامه بدمشق أضاق المأمون إضاقة كبيرة وقلَّ المال عنده، فشكا ذلك إلى أخيه المعتصم وكان له بيده أعمال: فقال المعتصم: "كأنك بالمال وقد وافاك بعد أسبوع، فوصل في تلك الأيام من الأعمال التي كان المعتصم يتولاها ثلاثون ألف ألف درهم فقال المأمون ليحيى بن أكثم: أخرج نرى هذا المال فخرج وخرج الناس واستعظم المأمون ذلك واستبشر خيراً، ففرق أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب، ثم حول الباقي على عارض الجيش برسم مصالح الجند"[٤]، فإذا ما صحت هذه الرواية فلا بد أن رخاءً عاماً أصاب أهل دمشق وأسواقها بعد صرف وتفريق المأمون لهذا المبلغ الكبير فيهم.

ولما آلت الخلافة إلى المعتصم، اتخذ قصراً بدير مرّان[٥]، ويبدو أن العمران في دمشق خلال هذه الفترة بدأ بالتوسع وبشكل ملحوظ وعلى الأخص باتجاه المنطقة الشمالية (باب الفراديس) وتزايد اهتمام السكان بأعمال الزراعة وغرس الأشجار، وجر المياه إلى مناطقهم التي يسكنون فيها خارج السور، وساعد ذلك على التسارع في التوسع العمراني وامتداده خارج السور[٦]، ويظهر أن دمشق قد شهدت تزايداً ملحوظاً على السكن فيها خلال فترة المعتصم، وربما كان لتوافر احتياجات الناس ومستلزماتهم الخاصة والعامة أثر كبير في ذلك التزايد، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال ما قاله والي دمشق للمعتصم[٧] عندما سئل عن السبب الذي يجعله مقيماً بدمشق، فقال: "لا يطيق نزولها إلا الملوك! قيل له وكيف ذلك؟! قال: ما ظنك ببلدة يأكل فيها الصغار ما يأكل في غيرها الكبار"[٨].

وبعد وفاة المعتصم اجتاحت دمشق موجة من الاضطرابات حيث ثارت القيسية وعاثت فساداً، وحاصروا أميرها، فأرسل الواثق "رجاء الحضاري" لمواجهة الفتنة، فهزمهم وقتل كثير منهم وهرب مقدمهم ابن بيهس، وصلح أمر دمشق بعد ذلك[٩].

---

(١) الذهبي: سير، ج١ ص٢٧٣؛ ابن طولون: القلائد، ص١٤٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٩١؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢١١-٢٢٠ص ٨، ١٤.

(٣) خطط الشام، ج٥ ص٢٦٦.

(٤) ابن طباطبا: الفخري:ص٢١٦.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج٦ ص١٥٩.

(٦) محمد خريسات: التوسع العمراني، ص٤٠٦.

(٧) وهو اسحاق بن يحيى بن معاذ بن مسلم ت ٢٣٧هـ؛ انظر ابن منظور: مختصر، ج٤ ص٣١٧.

(٨) ابن منظور: مختصر، ج٤ ص٣١٧.

(٩) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٥٢٨-٥٢٩؛ محمد دهمان: في رحاب دمشق، ج١ ص١٨.

ولما تولى المتوكل الخلافة أرسل أحمد بن محمد بن عبد الله أبا الحسن المدبر ليقوم بمساحة دمشق سنة ٢٣١هـ/٨٥٥م[١]، وكادت دمشق أن تعود مرة أخرى عاصمة للخلافة الإسلامية سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م، حيث قرر المتوكل المسير إليها والعدول عن العراق، فقد ذكر اليعقوبي: عزم المتوكل على المسير إلى دمشق، حيث وصف له برد هوائها وكان محروراً، فكتب إلى أحمد بن محمد بن مدبر يأمره باتخاذ القصور وإعداد المنازل، وكتب في إصلاح الطريق وإقامة المنازل والمرافد، وسار من "سرمن رأى" يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م ونزل دمشق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م فنزل تلك القصور واقام فيها ثمانية وثلاثين يوماً[٢].

وأكد الطبري ذلك فذكر "أن المتوكل عزم على البقاء بدمشق ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء فيها. فتحرك الأتراك في أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم فأمر لهم بما أرضاهم به"[٣]، في حين ذكر الطبري أن المدة التي مكثها المتوكل في دمشق كانت شهرين وأياماً ثم رجع بعدها إلى سر من رأى[٤]، وأكد صاحب العيون والحدائق[٥] والذهبي[٦] والكتبي[٧] وأبو الفداء[٨] والقرماني[٩] ما جاء به الطبري، أما المسعودي أن المتوكل لما نزل دمشق رفض أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة، وفي أعلى الأرض، وهذا الموضع في دمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة وهو يعرف بهذا الاسم إلى وقتنا هذا[١٠].

والمهم في الأمر أن المتوكل قد عزم فعلاً على المقام بدمشق، وليس مجرد حركة مؤقتة للضغط على خصومه ومناوئيه فقد نقل إليها الدواوين بالفعل وأمر باتخاذ القصور، ولكن المصادر تختلف في السبب الذي جعل المتوكل يعدل عن رأيه ويعود إلى سامراء، فقد ذكر اليعقوبي: أن المتوكل بلغه عن بعض الموالي من الأتراك أمر كرهه فشخص عن دمشق إلى العراق[١١]، وذكر

---

(١) ابن منظور: مختصر، ج٣ ص٢٩٦؛ ابن شداد: الأعلاق، ج١ ص٣٣٥.

(٢) اليعقوبي:تاريخ، ج٢ ص٤٩١؛ انظر ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص٢٣٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٢؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٦٩.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٢١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٩ ص٢١٠.

(٥) مجهول: ج٣ ص٥٥٢.

(٦) تاريخ، حوادث ١٧١-١٨٠ ص١٦٢؛ حوادث ٢٤١-٢٥٠ ص١٩٦.

(٧) فوات الوفيات: ج١ ص٢٩١.

(٨) المختصر: ج٢ ص٤٠.

(٩) أخبار الدول: ج٢ ص١١٥.

(١٠) المسعودي: مروج الذهب، ج٤ ص١٢٦-١٢٧.

(١١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٩١.

الطبري تحرك الأتراك في طلب أرزاقهم فأمر لهم المتوكل بما أرضاهم من الأموال[١]، وأشار الطبري إلى سبب آخر لعودة المتوكل وعدوله عن دمشق وهو أنه استوبأ البلد وذلك أن الهواء فيها بارد ندي والماء ثقيل والريح تهب مع العصر، فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل، وهي كثيرة البراغيث، وغلت فيها الأسعار، وحال الثلج بين السابلة والميرة[٢]، ويبدو هذا السبب ضعيفاً، فقد ذكر المسعودي أن المتوكل لم ينزل المدينة بل نزل في منطقة قريبة منها[٣] (الضواحي) وهذا يعني أنه كان إلى حد ما بعيداً عن الإزعاج، وتلوث الهواء والماء وتقلبات الأحداث، وأكد الذهبي والقرماني ضعف السبب الذي ذكره الطبري حيث ذكرا أن المتوكل عزم المقام بدمشق بعد أن أعجبته[٤]، ومن غير المعقول أن تغيب عن المتوكل تلك المواصفات السيئة التي ذكرها الطبري وأن تعجبه المدينة في الوقت ذاته.

وأشار الطبري والذهبي وابن كثير إلى عزم المتوكل المقام بدمشق وبنائه قصراً في داريا، وقد عمل يزيد بن محمد المهلبي في ذلك شعراً، وزعموا أن هذا الشعر كان السبب في عدول المتوكل عن رأيه وعزمه العودة إلى العراق، والشعر هو:

أَظُنُّ الشّامَ تَشْمَتُ بالعِرَاقِ　　　إذا عَزَمَ الإمَامُ عَلَى انْطلاقِ

فإنْ تَدعُ العِرَاقَ وسَاكِنيْهِ　　　فَقَدْ تُبْلى الْمَليحَةَ بالطّلاقِ[٥]

ويبدو ومن قول الذهبي أن هذا الشعر قد أعاد الأمر إلى نصابه لدى المتوكل بعد أن وزن الأمور: "فبدا له، ورجع بعد شهرين"[٦]

ولعل السبب الذي ذكره اليعقوبي وهو أن المتوكل قد سمع عن بعض الموالي أمراً كرهه فشخص عن دمشق إلى العراق- أقوى الأسباب، وكان الأتراك قد تحركوا في أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم فأعطاهم المتوكل ما أرضاهم من الأموال، وهذا يعني أن المتوكل كان عازماً بالفعل على المضي في مشروعه في نقل العاصمة إلى دمشق، غير أنه سمع ما يضره ويكرهه من بعض الموالي، ومن المحتمل أن الذي سمعه المتوكل كان شيئاً خطيراً يحتم عليه أن يكون في معترك الأحداث وليس بعيداً عنها، لأن الأمر ربما تعلق بمنصب الخليفة، فمن المحتمل أن يكون الأتراك وبعد عجزهم عن إثناء المتوكل عن رأيه في التحول إلى دمشق وترك العراق، شعروا أن مركزهم أصبح في خطر، ففكروا في تحويل الخلافة عن شخص المتوكل إلى شخص آخر يكون أكثر طواعية لهم.

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٢١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٩ ص٢١٠.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٤ ص١٢٦-١٢٧.

(٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ ص١٠؛ القرماني: أخبار الدول، ج٢ ص١٥.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٢٠٩؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص١٠؛ ابن كثير: البداية، ج١٠ ص٣٤٤.

(٦) تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص١٠.

ولم ينس الأتراك للمتوكل هذه الفعلة التي جعلت مركزهم محرجاً، ففور عودته إلى العراق بدأوا يعدون العدة للقضاء عليه والتخلص منه وهو ما تم لهم فعلاً. وبموت المتوكل تنتهي عملية جريئة كادت أن تعيد إلى دمشق مكانتها الأولى كعاصمة سياسية.

وفي زمن الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦هـ/٢٦٤هـ) بنى والي دمشق أماجور فندقاً في الخواصين[١]، ولما خرج أبو الجيش خمارويه لقتال المعتضد- قبل أن يلي الخلافة- نزل قرية "الراهب" على مقربة من دمشق ثم خرج المعتضد لقتال أبي الجيش عند طواحين الرملة[٢]، وبعد سيطرة الطولونيين على دمشق قام خمارويه بن أحمد بن طولون ببناء قصر في دير مرّان على نهر ثورا وهو القصر الذي قتل فيه سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م[٣].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: أن دمشق قد توسعت كثيراً في العصر العباسي وهذا يخالف ما ذهب إليه سوفاجيه[٤] "أن عهد الدولة العباسية كان عهد انحطاط في دمشق وأن العباسيين بدءوا عهدهم بتخريب القصور ونبش القبور الأموية، وليس ظهور بعض الضواحي الجديدة كالعقيبة في الشمال أو الشاغور في الجنوب أو قصر حجاج في الجنوب الغربي إلاّ من قبيل البداهة وليس من جانب التخطيط، وأن المنازل كانت تتابع على عمق قليل طول الطريق الموصلة إلى أبواب السور، وهي في أغلبها لا تعدو أن تكون ضواحي زراعية يقيم فيها باعة الخضروات، وعليه فلا يمكن الاستنتاج منها على ازدهار المدينة وتوسعها العمراني".

وإذا كان سوفاجيه محقاً في قوله: أن امتداد العمران كان من الطرق الموصلة إلى أسوار المدينة، فإنه يبالغ كثيراً حين يصف العصر العباسي بأنه عصر انحطاط لمدينة دمشق، فمن الراجح أن الامتداد العمراني إلى الجنوب الغربي نابع من سهولة إيصال الماء إلى تلك المنطقة عبر القنوات المختلفة وهذا أمر مهم في ازدهار العمران[٥].

وإذا كان سوفاجيه يستدل على عدم أهمية المناطق الجديدة في العصر العباسي، ويصفها بأنها مناطق زراعية، فمن المؤكد أن جميع الأراضي التي كانت خارج الأسوار هي في أصلها مروج وميادين وما امتداد العمران إليها إلا تأكيد على التوسع العمراني الذي حصل في هذه الفترة، ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن شداد في الفترة اللاحقة: "أن بساتين الغوطة بلغت ما يزيد على خمسة آلاف وثلثمائة وخمسة وأربعين بستاناً، وخمسمائة وخمسين كرماً، وأن ضياع الغوطة صارت كالمدن، وهي المزة وداريا وحرستا وبلاس ودمر وبيت لاهيا وعقربا في الجنوب الشرقي

---

(١) ابن منظور: مختصر، ج٥ ص٣١-٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣ ص١١٤.
(٣) ابن البطريق: التاريخ المجموع، مطبعة الآباء اليسوعيين ج٣، ص٦؛ الأصفهاني: الأغاني، ج٦ ص١٧٦.
(٤) سوفاجيه: دمشق، ص٣٣.
(٥) انظر محمد خريسات: التوسع العمراني، ص٤٠٩.

وبها كلها جوامع"[١]، ومن المؤكد أن وجود البساتين المنظمة والكثيرة في عهد ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ما هو إلا نتاج عملية تطور واسعة وشاملة استمرت طويلاً حتى أتت أكلها في أيام ابن شداد ووصلت إلى ما وصلت عليه من التنظيم والكثرة ولا بد أن ذلك رافقه اتساع في العمران بعد تزايد عدد السكان حتى أن الأمر تطلب وجود مساجد جامعة في هذه المناطق.

والمؤكد أن العباسيين حافظوا على الطابع العمراني لدمشق، حيث بقيت دمشق على ما كانت عليه ماثلة للطول وطرقاتها ضيقة ومظلمة وبناؤها من قصب وطين أو خشب وطين، علاوة على أن الدور كانت فيها تبنى أكثر من طابق وكانت على الغالب ثلاث طبقات[٢].

وقد أوقعت المصادر على العباسيين ظلماً كبيراً في إهمال دمشق وتخريبها وليس أدل على ذلك من زعم ابن بطوطة المتأخر ت ٧٧٩م: بان العباسيين هدموا الخضراء وأقاموا مكانها سوقاً[٣]، والمؤكد أن الخضراء بقيت قائمة طوال فترة الدراسة ١٣٢-٢٦٤هـ، وكانت موجودة سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، بل أنها كانت مركزاً للشرطة وسجناً سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م[٤]، وقد ذكر المهلبي المتوفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، أن الخضراء "دار معاوية" هي الآن مجلس للشرطة ودارٌ للضرب[٥].

العوامل المؤثرة في عمران دمشق:

أولاً: أعمال النهب والتدمير التي رافقت سقوط دمشق:

لا شك أن نصيب حاضرة الأمويين دمشق كان كبيراً من عمليات النهب والتدمير التي رافقت الزحف العباسي على الشام خلال المرحلة الأولى لتأسيس الدولة العباسية، وقد أكد أغلب المؤرخين حدوث عمليات النهب في دمشق والذي اعترف العباسيون أنفسهم به صراحة. فقد أكدت المصادر المقتلة العظيمة التي مارسها العباسيون تجاه الأمويين وغيرهم من أهل دمشق[٦]. وعلاوة على ذلك فقد قام عبد الله بن علي عم الخليفة "أبو العباس" بهدم سور دمشق حجراً حجراً على حد قول المقدسي[٧]. بل أن عبد الله بن علي أباح القتل والنهب في دمشق ثلاث ساعات كما ورد في أقل الروايات[٨]، ولم يقف الأمر عند هذا الحال بل أن العباسيين قد تعرضوا لقبور بني أمية فقاموا بنبشها وتسويتها بالأرض بعد حرق ما تحويه من جثث[٩].

---

(١) ابن شداد: الأعلاق، ص١٣-١٤.

(٢) أمينة البيطار: الحياة السياسية، ص٣٦٢.

(٣) ابن بطوطة: تحفة، ص١٠٦، طبعة بيروت ١٩٨٥م.

(٤) ابن منظور: مختصر، ج٣ ص٤٨، ص٨٩.

(٥) انظر محمد خريسات: التوسع العمراني، ص٤١٠.

(٦) انظر الفصل الخاص بالحياة السياسية من هذه الدراسة.

(٧) البدء: ج١ ص٢٧٥.

(٨) خليفة: تاريخ، قسم ٢ ص٦١-٦١٢؛ تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ الذهبي: سير، ج٦ ص٥٧.

(٩) المقدسي: البدء، ج٥ ص٧٢.

ومن المؤكد أن هذه الإجراءات العباسية القاسية قد أثرت في عمران دمشق سلباً. فقد قتل عدد كبير من أهل دمشق الأمر الذي أدى لحرمان دمشق من نشاط تلك الثلة من الناس، كما أدت الأعمال التي قام بها العباسيون إلى سوء في الحالة الاقتصادية لدى أهل دمشق الأمر الذي جعلهم يصرفون نظرهم واهتمامهم عن العمران كما كانوا عليه أيام الأمويين، لأنهم كانوا ما يزالون يخشون البطش العباسي بهم وببيوتهم، لذلك غادر الكثير من أهل دمشق إلى خارجها ناجياً بنفسه وتاركاً وراءه أرضه وبيته ولكن إلى حين.

وإذا كانت المصادر قد أشارت إلى قيام العباسيين بعمليات النهب والقتل والتدمير في دمشق، فإن هذه المصادر نفسها التي أشارت إلى اهتمامات الخلفاء العباسيين بدمشق وزياراتهم المتكررة لها واتخاذهم القصور فيها والبنيان بل إن أكثر من واحد منهم فكر بنقل العاصمة إليها[١]، ولا شك أن هذه العمليات والإجراءات التي قام بها العباسيون كانت تساهم في اتساع العمران وتطوره، لأنه كان يرافقها نهضة عمرانية شاملة لمختلف الأنحاء والمجالات، ودليل ذلك ما قام به المأمون[٢] والمتوكل[٣] وغيرهم من الخلفاء كما أسلفنا.

ثانياً: نقل العاصمة من دمشق إلى العراق

فلم يحبذ العباسيون- بعد انتصارهم على منافسيهم من بني أمية وانتزاعهم الملك منهم بالقهر والغلب أن يسيروا على خطاهم في شيء من مراسم الملك، اللهم إلا في الضروري الذي لا بد منه، فكان أول ما خالفوهم فيه: "هجر دمشق وعدم اتخاذها كرسي ملك وقرارة دولة، على الرغم من الشروط الطبيعية التي تجمعها وتهيئها أن تكون مركز دولة"[٤].

واستقر السفاح أول خليفة عباسي بالكوفة، ولما أفضت الخلافة إلى المنصور أمر باختطاط مدينة بغداد، ليصطفيها لسكناه وكان ذلك سنة ١٤٥هـ-٧٦٢م[٥]، ولما استقر المنصور ببغداد صارت بغداد مدينة الإسلام الأولى وعاصمتها، وتسارع تطورها لتصبح محجاً ومقصداً لكل من يبحث عن الغاية في مختلف مجالات العلم والفن والأدب والتجارة، وأدى هذا إلى تراجع دمشق، فبعد أن كانت مقر دولة الأمويين ومصدر الأوامر والنواهي، ومحط الرحال والترحال، صارت مركز عمال لما يقرب منها من المناطق، ففقدت قسطاً كبيراً من عوامل التطور والجذب السكاني، الذي أفقدها بالطبع قسماً من الجمال الذي تتمتع به[٦].

---

(١) انظر ابن قتيبة: المعارف، ص٣٩١؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٦٥+٤٩١؛ الأصفهاني: الأغاني: ج٦ ص١٥٩؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص٢٣٤؛ الطبري: تاريخ، ج٨ ص٦٢٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٩١؛ الذهبي: سير، ج١٠ ص٢٧٣؛ ابن طولون: القلائد، ص٤٦.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٩١؛ الطبري: تاريخ، ج٩ ص٢١٠.

(٤) انظر الحصني: منتخبات، ج٢ ص١١٨.

(٥) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٦١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٥٥٧.

(٦) انظر الحصني: منتخبات، ج٢ ص١١٩.

ثالثاً: فقدان الأمن بسبب الثورات والفتن

إذا كان استتباب الأمن، والموقع الاستراتيجي الهام، وتوفر المياه اللازمة للزراعة والشرب، علاوة على صلاحية الأرض للزراعة عوامل تمنح المنطقة الرخاء والازدهار، فإن بُعْد دمشق عن مركز الخلافة الجديد في بغداد، سمح بقيام الفتن والاضطرابات سواء أكانت موجهة ضد الدولة الجديدة أم داخلية أشعلتها العصبية القبلية الني لم تنطفئ نارها(١).

ومن المؤكد أن الفتن أثرت في الحركة العمرانية كثيراً، سواء أكان ذلك في العمران القائم أم في العمران المستقبلي، فخلال الثورات فقدت دمشق العديد من أصحاب الصناعات والخبرات العاملين في البناء من حيث هجرهم من المنطقة عن طريق الهرب خوفاً أو من حيث تعرضهم للقتل. بل إن الفتن كثيراً ما كانت تؤثر في العمران القائم من حيث دمار القرى والبيوت القائمة التي كانت تتعرض للتدمير والخراب والحرق والنهب(٢).

رابعاً: السياسة القاسية التي اتبعها الولاة

كان للسياسة القاسية التي اتبعها عدد من ولاة دمشق أثر كبير في التراجع العمراني في دمشق، فكثيراً ما كان الولاة قساة ظلمة، يتضجر منهم الناس بسبب جمعهم الأموال على حساب الاهتمام بالنواحي الأخرى، فلما استدعى الرشيد واليه على دمشق الحسين بن عمار أغلظ له في القول بسبب سوء الأوضاع في دمشق، وقال له: "وليتك دمشق وهي جنّة خضراء تحيط بها غدر تتكفأ أمواجها على رياض كالدراري، فما برح بك التعدي لأرفاقهم أن جعلتها أجرد من الصخر وأوحش من القفر"(٣). وتشير هذه الرواية أن دمشق كانت مزدهرة حتى عهد الرشيد وأنها شهدت تراجعاً في عهد الرشيد، وربما كان للفتن التي شهدتها دمشق في تلك الفترة علاوة على سياسة الولاة أثر في هذا التراجع.

وكثيراً ما كان الولاة سبباً في قيام الثورات والفتن التي ينجم عنها الدمار والخراب، عن طريق تعسفهم في بعض الإجراءات أو تعديهم على حقوق الناس جشعاً وطمعاً في جمع المال وكسب رضا الخليفة(٤)، وفي مرات كثيرة كان بعض الولاة ينحازون إلى فريق ضد آخر في النزاع القيسي اليمني، مما يؤدي إلى فتن وثورات عارمة وعنيفة بين الطرفين الأمر الذي يقود إلى الدمار والخراب الذي كان يعصف أحياناً بقرى كاملة(٥).

خامساً: العوامل الطبيعية

تعتبر العوامل الطبيعية وعلى رأسها الزلازل والحرائق من العوامل الهامة المؤثرة في العمران، فقد تعرضت منطقة بلاد الشام وعلى الأخص مدينة دمشق لسلسلة من الزلازل المدمرة،

---

(١) الحصني: منتخبات، ج٢ ص١١٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣١؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص٣٤٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص١٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥.

(٣) ابن الفقيه: البلدان، ص١٠٤.

(٤) انظر ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٦؛ الحصني: منتخبات، ص١٢٠.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨، ج٨ ص١٠٦؛ الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢.

والتي كان لها أثر كبير على العمران وتدميره، ففي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م كان بفارس وخراسان والشام زلازل وأصوات منكرة[١]، وفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م كانت الزلازل كثيرة بدمشق وسقطت بعض الدور في دمشق ومات جماعة تحت الردم[٢].

وفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الضحى وانتقضت فيها البيوت وتزايلت الحجارة العظيمة وسقطت عدة منازل وطاقات في الأسواق على من فيها، فقتلت خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان، وسقطت بعض شرفات المسجد الجامع وتصدعت طاقات القبة التي في وسط الجامع مما يلي المحراب، وانقطع ربع منارة المسجد الجامع، فهرب الناس بالنساء والصبيان، وهرب أهل الأسواق إلى مصلى العيد، يبكون ويتضرعون ويصلون ويستغفرون إلى وقت المغرب، ثم سكن ذلك، فرجعوا فأخذوا في إخراج الموتى من تحت الردم[٣]، وذكر الذهبي في زلزلة ٢٣٣هـ/٨٤٧م أن بعض أهالي دير مران رأى دمشق تنخفض وترتفع مراراً، فمات تحت الردم معظم أهلها، وانكفأت قرية بالغوطة على أهلها فلم ينج منها إلا رجل واحد، وكانت الحيطان تنفصل حجارتها مع كون الحائط عرضه سبعة أذرع، وامتدت الزلزلة إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأخربتها[٤]، وفي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير[٥]، كما زلزلت دمشق زلزالاً مهولاً في سنة ٢٤٥هـ[٦].

وشبت في دمشق العديد من الحرائق كان أكبرها وأشهرها الحريق الذي شب بعد دخول ابن طولون لدمشق عند كنسية مريم، حيث أمر ابن طولون بسبعين ألف دينار من ماله وأن يعطى كل من احترق له شيء ويقبل قوله ولا يستحلف، فأعطوا وفضل من المال ١٤ ألف دينار، ثم أمر ابن طولون بمال عظيم ففرق في فقراء أهل دمشق والغوطة، وأقل من أصابه من المستورين دينار[٧].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٢٠٧.

(٢) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١١ ص١٨٩؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص١١.

(٤) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص١١؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج٢ ص٨١.

(٥) القرماني: أخبار الدول، ج٢ ص١١٤.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج١١ ص٣٢٩.

(٧) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٦١-٢٧٠هـ، ص٤٨-٤٩.

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية

١- الأوضاع أواخر الدولة الأموية

ب- المواجهة الأموية العباسية في الزاب

ج- حصار دمشق وسقوطها

د- النهب والتدمير الذي رافق سقوط دمشق

هـ-الحركات المناوئة للعباسيين في دمشق

ا-حركات أموية اتخذت من شعار السفياني عقيدة لها:

- حركة أبو العميطر ١٩٥هـ

٢- حركات قام بها الأمويون ومؤيدوهم:

- حركة عثمان الأزدي ، ١٣٢هـ، ١٣٧هـ.

- حركة هاشم بن يزيد السفياني ١٣٦هـ.

- حركة مسلمة بن يعقوب المرواني ١٩٦هـ.

- حركة سعيد بن خالد الفديني ١٩٨هـ.

٣- حركة عبد الله بن علي العباسي ١٣٦هـ

٤- ثورة القلة ١٩٤هـ.

٥- حركة ابن بيهس ٢٢٦هـ.

٦- حركة أهل دمشق في عهد الواثق ٢٣٠هـ.

٧- حركة أهل دمشق في عهد المتوكل ٢٣٦هـ.

٨- حركة عيسى بن الشيخ ٢٥٥هـ.

٩- الثورات والفتن القبلية:

- فتنة أبو الهيذام ١٧٦هـ.
- تجدد العصبية والفتنة في دمشق سنة ١٨٠هـ.
- الفتنة بين المضرية واليمانية سنة ١٨٧هـ.

١٠- سيطرة ابن طولون على دمشق.

١١- مشاركة ودعم أهل دمشق للحركات خارج دمشق.

١٢- أسباب قيام الثورات وعوامل فشلها.

أ- الأوضاع أواخر الدولة الأموية:

شهدت الدولة الأموية في الفترة التي سبقت انهيارها وقيام الدولة العباسية، العديد من الاضطرابات والفتن التي كان لها الدور البارز في تسريع عجلة الانهيار، فمنذ الانقلاب الذي قام به "يزيد الناقص" على الوليد بن يزيد، وتغلبه على مقاليد الأمور بحجة خلع الخليفة الماجن (الوليد)، ثم قتله، بدأت الأحداث تؤثر في الدولة الأموية، وتنهش في جسمها. وتطفو إلى السطح مشاكل كبيرة[1].

وأدى مقتل الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٣-٧٤٤م) إلى نتائج كبيرة أثرت في الدولة، فضعفت الخلافة وذهبت هيبتها، مما أدى إلى انهيار سلطانها على العامة والخاصة في مختلف الأمصار، وعلاوة على ذلك فقد اختلفت القبائل الشامية في آرائها وأهوائها السياسية، بل أنها انقسمت إلى فريقين متحاربين يحارب كل منهما الآخر، وهذا بالطبع أدى إلى تفكك الجيش المكوَّن من هذه القبائل أصلاً، ثم انشغال الدولة بهذه المشاكل المعقدة بدلاً من الانصراف نحو الإصلاح[2]، ويظهر أن نار الخلاف والعداء قد سرى شررها لتطال أفراد البيت الأموي أنفسهم، حيث تناحروا وتنافسوا للفوز في الحكم والملك[3].

أما الخليفة الجديد يزيد بن الوليد (الناقص) (١٢٦هـ/٧٤٤م) فلم يكد يلتقط أنفاسه، ويباشر مهامه كخليفة، حتى قامت ضده العديد من الثورات، بدءاً من ثورة أهل حمص المطالبين بالثأر لدم الوليد بن يزيد، ثم ثورة أهل الأردن وأهل فلسطين، ولكن الخليفة الجديد تمكن من إخماد هذه الثورات جميعها[4]، ولكن الظروف لم تسعف الخليفة الجديد لإحداث التغيير الذي أراده أو إجراء الإصلاحات التي خطط لها حيث مات في نفس السنة[5].

ويظهر أن وفاة الخليفة الجديد (يزيد بن الوليد) (١٢٦هـ/٧٤٤م) قد شكلت ضربة كبيرة تضاف لسلسة الضربات التي أصابت جسم الخلافة الأموية- وخاصة بعد أن عجز أفراد الأسرة الأموية ومعهم أهل الشام في اختيار خليفة مجمع عليه، إذ أن المرشحين للخلافة بعد الخليفة يزيد كانوا ضعافاً ولم يرتقوا إلى مستوى جسامة الأحداث التي تمر بالدولة، وكان على رأس هؤلاء إبراهيم بن الوليد (١٢٦-١٢٧هـ/٧٤٤-٧٤٥م) [6]، وقد مهد هذا الأمر لدخول عناصر جديدة ميدان التنافس للاستيلاء على الحكم وكان على رأس هؤلاء مروان بن محمد

---

(١) انظر: عبد الحليم عويس، بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، ص٤٦.

(٢) المرجع نفسه ص٤٧-٤٨؛ حسين عطوان، سيرة الوليد، ص٣٣٠ وما يليها.
Paul M. Cobb white Banners, P.P 71-72.

(٣) حسين عطوان، سيرة الوليد، ص٣٣٠ وما يليها.

(٤) انظر خليفة: تاريخ، ص٣٧٤؛ الدينوري، الأخبار، ص٣٥٠-٣٥١؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١١-٣١٢. Paul M. Cobb. White Banners. P.P. 72-74.

(٥) انظر خليفة: تاريخ، ص٣٧٤؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص٥٨.

(٦) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، بويع له بالخلافة سنة ١٢٦هـ، خلع من الخلافة سنة ١٢٧هـ. وتوفي سنة ١٣٢هـ؛ انظر ابن عساكر: ج٧ ص٢٤٦-٢٥٢.

(١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٤٩م)، الذي استغل ضعف إبراهيم بن الوليد للاستيلاء على الشام وفرض خلافته وسطوته، وقد تمكن من تحقيق هذا الأمر بمساندة ومباركة من القيسية[١].

وبعد مقتل الوليد بن يزيد، تمت مبايعة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٤٩م)[٢]، وشهدت الفترة التي تلت مبايعة مروان بن محمد بالخلافة سلسلة من أحداث الفوضى والاضطرابات التي عمت بلاد الشام عامة ودمشق خاصة[٣].

ويبدو أن سياسة مروان في تعامله مع القبائل كانت السبب الأبرز في قيام تلك الاضطرابات والحركات، فقد اتبع مروان بن محمد سياسة- أو بالأحرى استمر على نهج مَنْ قبله مِن الخلفاء في اتباع سياسة تقريب فريق دون آخر[٤]، وتطبيقاً لهذه القاعدة السياسية، مال مروان بن محمد إلى القبائل القيسية التي ساندته، وأغمض عينيه عن النظر إلى القبائل اليمانية التي غضبت لهذه السياسة وقامت بالعديد من الحركات والثورات ضد مروان ابن محمد لإعادة الأمور إلى نصابها[٥]. ويتضح أن مروان بن محمد لم تكن سياسته واضحة حتى مع حلفائه، فلم تحظ المدن التي دعمت مروان وساعدته في الحصول على الخلافة بموقف ثابت منه تجاهها، فهو كان قد وعدها بالانتقام لها من قتلة الخليفة الوليد بن يزيد، وعلى هذا الأساس حصل على دعمها وكان على رأس تلك المدن حمص وتدمر.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن السخط على سياسة مروان قد وصل إلى القبائل القيسية التي ساعدت مروان على الوصول للخلافة، والتي بدأ موقفها يتغير تجاه مروان وذلك في أعقاب ما قام به مروان بن محمد في العفو عن الثائرين عليه خلال سعيه للخلافة[٦].

(١) خليفة: تاريخ، ص٣٦٨؛ الدينوري: الأخبار، ص٣٥١؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٨؛ الدينوري: الأخبار، ص٣٥٠-٣٥١؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢.

(٣) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٣٢٩.

(٤) انظر فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ص٤١، ٤٩، ٥٩؛ ثابت الراوي: تاريخ الدولة العربية، ص٢٢٦.

(٥) أغلب الثورات التي قامت ضد مروان بن محمد كانت يمانية. انظر خليفة: تاريخ ص٣٧٤؛ الطبري: تاريخ ج٧، ص٣١٢-٣١٦.

(٦) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢؛ المسعودي: التنبيه، ٢٨١-٢٨٢.

Paul M. Cbb. White Banners. P.p 73-74.

وكان مروان قد منح لأجناد الشام الفرصة لاختيار ولاتهم وقادتهم والذين جــاء أغلــبهم مــن العناصر اليمانية[١]، ويظهر أن مروان كان يهدف من وراء ذلك إلى التوفيق في نظرته للقبائــل لعلَّــه يحصل على تأييد القبائل في تلك الأجناد، خاصة وأن تلك القبائل كانت تؤيد بني أمية فيما سبق، فيكون بذلك قد حصل على تأييد القيسية واليمانية معاً وأصبح خليفة مجمعاً عليه من الطرفين[٢]. ولكن ما حدث أن القيسية قد حقدت عليه لأنه تسامح مع أعدائها وقربهم، ومن هنا واجه مروان بن محمد العديــد مــن الثورات، فقد ثار عليه أهل حمص، وأهل الأردن سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م. ولكــن مــروان تمكــن مــن الانتصار على هذه الثورة وقمعها بعد معارك عنيفة، خلفت آثاراً وخسائر جسيمة في الدولــة، واحــتقن الكُره لدى القبائل اليمانية التي تزعمت الثورة ضد مروان[٣].

ولم تكن القبائل اليمانية هي المشكلة الوحيدة التي واجهت مروان وثارت ضده، بــل تحركــت المعارضة من جميع الأطراف حتى من البيت الأموي نفسه، فقد تحرك أبناء عم مروان ضده بزعامــة سليمان بن هشام سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م فجمع عساكره وأعوانه وكتب لأهل الشام بإطاعته فأتوه من كــل المناطق[٤]، وكان أكثر مؤيديه من اليمانية الذين كانوا يرون في تأييده نوع من العقاب لمروان بن محمد الذي أبعدهم عن السلطة وقرَّب القيسية وتحيّز لها[٥]، وتمكن مروان بن محمد من التصدي لهذه الثــورة والانتصار عليها والتعامل معها بقسوة، حيث أمر بقتل كل من أسر في المعركة من مؤيــدي ســليمان الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفاً[٦]. وعلى الرغم من نجاح مروان بن محمد في القضاء على حركة ســليمان بن هشام إلا أن الجرح الأموي كان غائراً إلى العمق الذي لم يُمكِّنه من الالتئام فيمــا بعــد[٧]، وواجــه مروان بن محمد الخوارج، وكانت أعنف الحركات التي قام بها الخوارج في عهد مروان بــن محمــد، حركة الضحاك بن قيس الخارجي سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، الذي تمكن من السيطرة على العراق والجزيرة الفراتية، ثم زحف إلى الشام للقضاء على الأمويين، ولكن مروان تصدى له بقوة، وتمكن من الانتصــار عليه وقتله في المعركة التي دارت بين الطرفين والتي تشتت على أثرها قوات الضحاك[٨]، ثم ما لبثــت قوات الخوارج أن عاودت التجمع من جديد تحت قيادة أخرى لقيت نفس المصير الذي لقيه الضحاك[٩].

وفي دمشق استجاب أهل الغوطة لدعوة "ثابت الجذامي" الذي كان ثار فــي فلســطين والأردن، فخرجوا عن طاعة مروان بن محمد[١٠]، وكان قائد الثورة في دمشق يزيد بن خالد القسري[١]. وحاولت

---

(١) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢؛ فلهازون: تاريخ الدولة العربية، ص٣٦١.

(٢) انظر جاسم صكبان: دراسات في التاريخ العربي، ص٢٣٧؛ فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ص٥٩.

(٣) خليفة: تاريخ، ص٣٧٤؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢-٣١٦.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٢٤.

(٥) ثابت الراوي: تاريخ الدول العربية، ص٢٢٦.

(٦)الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٢٥؛ مجهول: العيون، ج٣ ص١٥٨.

(٧) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٢٣-٣٢٦.

(٨) خليفة: تاريخ، ص٣٧٥-٣٧٩؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٤٧.

(٩) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٩؛ المسعودي: مروج، ج٤ ص٨٠؛ المنبجي: المنتخب من تاريخ، ص١٠٥.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ،ج١١ ص١٤٤؛ الذهبي: تاريخ حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص١٧.

وحاولت الثورة تشتيت القوات الأموية، فعملت على الاتصال بأهل مصر ودعوتهم لخلع مروان[٢]، ولم يلبث أهل الغوطة أن اتجهوا إلى دمشق فحاصروا عاملها زامل بن عمرو السكسكي بعد أن أعلنوا عزله وتعيين يزيد بن خالد بن عبد الله القسري[٣]، ولكن أهل دمشق ثبتوا مع واليهم زامل حتى قدوم قوات مروان بن محمد، الذين هجموا على يزيد وأعوانه وقتلوهم، كما أحرقوا قرية المزة[٤] اليمانية، وذلك سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م[٥].

ويظهر أن الثورات التي قامت في بلاد الشام ضد الأمويين عامة ومروان بن محمد خاصة كان أغلبها يمانياً، وأن المدن التي كانت تخرج على مروان كان أغلب سكانها يمانية، فقد رأت اليمانية في ثورتها على مروان انتقاماً لها ورداً على سياسة مروان المتعصبة تجاهها، والمتمثلة بالميل إلى القيسية والإعلاء من شانها وعدم النظر إلى اليمانية.

وإلى جانب هذه الاضطرابات والفتن كان على مروان بن محمد أن يواجه اضطراباً آخر كبيراً في خراسان، حيث احتدم الصراع بين القبائل المضرية بزعامة والي خراسان الأموي نصر بن سيَّار، وبين اليمنية بزعامة جديع الكرماني[٦]، الذي استطاع أن يستقطب إلى جانبه أحد زعماء القيسية وهو الحارث بن سريج[٧] الذي لم يلبث أن عاد إلى حظيرة المضرية، ودار بينه وبين الكرماني صراع عنيف بعد دخولهما مرو[٨] وانتهى الأمر بمقتل الحارث[٩].

وبعد مقتل الحارث بن سريج حاول نصر بن سيَّار إعادة توحيد القبائل المضرية، ونجح في ذلك، ثم سار لاستعادة مرو وإخراج الكرماني منها، وفي هذا الوقت أعلن أبو مسلم الخراساني[١٠] الثورة العباسية في الأول من شهر رمضان سنة ١٢٩هـ/ أيار ٧٤٧م[١١].

ويظهر أن إعلان أبو مسلم الثورة العباسية قد خفف من حدة الصراع بين نصر والكرماني، وحاولا توحيد جهودهما لمقاومة الثورة العباسية، وحتى يضمن نصر عدم حدوث أي انشقاق بعث إلى

---

(١) المصدر نفسه، ج١١ ص١٤٤؛ المصدر نفسه، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص١٧.

(٢) الكندي: الولاة، ص٨٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٥ ص١٦٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص١٧.

(٤) المزَّة: قرية كثيرة الماء وسط بساتين دمشق، انظر ياقوت، معجم البلدان ج٥ ص١٢٢.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٥ ص١٦٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص١٧.

(٦) الكرماني: جديع بن علي بن شبيب بن عامر الأزدي، قتل سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م؛ خليفة: تاريخ، ص٣٨٨؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٧٠؛ ابن حزم: جمهرة، ص٣٨١.

(٧) الحارث بن سريج بن زيد المجاشعي التميمي، قتل سنة ١٢٨هـ؛ خليفة: تاريخ، ص٣٨٣.

(٨) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص١١٣.

(٩) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٤٢.

(١٠) أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن مسلم، من كبار قادة الدولة العباسية، وله دور كبير في قيامها قتله المنصور سنة ١٣٧هـ. بعدما رأى منه ما يخيف أن يطمع به؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٩؛ ابن الأثير، ج٥ ص١٧٥؛ الزركلي: الإعلام، ج٣ ص٣٣٧.

(١١) انظر خليفة: تاريخ، ص٣٨٧؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٩.

الكرماني من قام بقتله[١]، وبدلاً من أن يؤدي هذا العمل لتوحيد الجهود كما أراد نصر، فقد أدى إلى وقوف اليمانية إلى جانب العباسيين[٢]، وهذا بالطبع ساعد العباسيين في تحقيق الانتصارات السهلة على قوات نصر، ثم السيطرة على خراسان بكاملها في أعقاب انتصارها على الجيوش التي بعث بها ابن هبيرة عامل العراق وهي جيش نباته بن حنظلة ١٣٠هـ/٧٤٨م[٣]، وجيش عامر بن ضبارة ١٣١هـ/٧٤٩م[٤].

ويمكن استنتاج حالة الفوضى والضعف والتفرق والانقسام التي عاشتها الدولة الأموية من خلال الكتاب الذي بعث به نصر بن سيار عامل مروان على خراسان، عندما أحس أن أمور العباسيين قد قويت وبدأوا بسحب البساط من تحت أقدامه، وقد حاول من خلال هذا الكتاب أن ينبه مروان إلى ذلك الخطر الجسيم في خراسان وإلى القوة التي بلغها والتي عجز نصر نفسه عن التصدي له، وقد أطلق نصر كلماته معتبراً أن الأمويين نيام ولعل هذه الكلمات توقظهم قبل فوات الأوان. حيث قال[٥]:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وأن الشر نتيجته الكلام

أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

ولم يكن رد مروان إلا تعبيراً وشهادةً على مدى الضعف الذي استفحل في الدولة الأموية، حيث وكل لنصر الأمور ومنحه التصرف فيها بما يراه مناسباً، متعذراً أنه ليس لديه ما عنده ليقدمه له[٦].

ب- المواجهة الأموية العباسية في الزاب:

استطاعت الثورة العباسية بزعامة أبو مسلم الخراساني وخلال وقت قصير أن تحقق انتصارات كبيرة في خراسان، حيث سيطرت على خراسان رغم المقاومة التي بذلها عرب خراسان وأهل الشام في بعض المناطق مثل جرجان ونهاوند[٧][٨].

---

(١) الدينوري: الأخبار، ص٣٦٢؛ الطبري: تاريخ ج٧ ص٣٦٧-٣٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٩١.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٩١.

(٤) خليفة: تاريخ، ص٣٩٦.

(٥) انظر خليفة: تاريخ، ص٣٩٦؛ ابن قتيبة: الإمامة، ج٢ ص١١٥؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١ ص١٢٨؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٦٩؛ المسعودي: مروج، ج٤ ص٧٩؛ المقدسي: البدء، ج٦ ص٦٣؛ الأربلي: خلاصة الذهب، ص٤٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج١ ص٢٠٨.

(٦) انظر خليفة: تاريخ، ص٣٩٦؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢ ص١١٥؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١ ص١٢٨؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٦٩؛ المسعودي: مروج، ج٤ ص٧٩؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج٦ ص٦٣؛ الأربلي: خلاصة الذهب، ص٤٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج١ ص٢٠٨. Paul M. Cobb. White Banners. P.p 75-76.

(٧) جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١١٩؛ نهاوند: مدينة عظيمة قبلة همذان بمنطقة الجبل؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٣١٣.

(٨) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٧٠؛ مجهول: العيون، ج٣ ص١٨٦.

وبعد سيطرة الجيش العباسي على خراسان اتجه صوب العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي حيث حدثت مواجهات كبيرة بين أعوان الأمويين وأهل الشام من جهة والقوات العباسية من جهة ثانية، واستمرت تلك المواجهات لوقت متأخر حتى بعد سقوط الدولة الأموية[١]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن أهل الشام ومؤيدي بني أمية قد دافعوا عن دولتهم دفاعاً مستميتاً، ولكن يظهر أن الوقت قد فات ولم يعد يسعفهم، ثم دخلت القوات العباسية مدينة الكوفة، وهناك أعلن قادتها قيام الخلافة العباسية في الكوفة وتنصيب أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي العباسي الحارثيه الملقب بالسفَّاح[٢] خليفة للمسلمين ١٣٢هـ-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٤م، وهو الذي أوصى له أخوه إبراهيم الإمام[٣] بالخلافة من بعده عندما ألقى مروان بن محمد القبض عليه[٤].

وبعد مبايعة أبي العباس بالخلافة، كان عليه أن يجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد، وقام بتجهيز ذلك الجيش، وقد حرص كل الحرص أن تكون قيادته عباسية، حيث جعل عمه عبد الله بن علي قائداً لذلك الجيش[٥]، ويبدو أن أبا العباس هدف من خلال جعل القيادة هاشمية عباسية إلى رفع الروح المعنوية لدى الجند وزيادة قوته، علاوة على صبغ النصر على الأمويين بصبغة عباسية خالصة مقرونة بأحد أفراد الأسرة العباسية.

وسار الجيش العباسي بقيادة عبد الله بن علي عم الخليفة أبو العباس تجاه مروان بن محمد في الشام، وكان مروان في مئة وخمسين ألفاً من أهل الشام والجزيرة، وحشدت معه بنو أمية بأنفسهم وأتباعهم وقد سار مروان حتى الزاب الأعلى دون الموصل، وسار عبد الله بن علي تجاه مروان، فالتقى الفريقان صبيحة الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فانهزم مروان، ولم يزل عبد الله يطارد فلول قواته حتى أخرجه إلى الجزيرة، فجاءها مروان وأخذ بيوت الأموال والكنوز فيها، ثم خرج قاصداً دمشق[٦].

واستمر عبد الله بن علي بملاحقة مروان، ويظهر أن حالة عامة من السخط ضد مروان كانت قد عمت في أغلب مدن الشام، وذلك واضح من خلال الموقف الذي وقفه أهل الشام من مروان بن محمد بعد هزيمته في الزاب. فلم يكن مروان يمر بمدينة من مدن الشام إلا قام أهل تلك المدينة باعتراض جيشه ونهبه، أو إغلاق المدينة دونه، حتى حرَّان[٧] التي اختارها لتكون مركزاً لكرسي

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢ ص١٢٥؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٨ ص٢٠٢.

(٢) وهو لقب أطلقه المؤرخون المحدثون على الخليفة العباسي الأول عبد الله بن محمد.انظر فاروق عمر: بحوث، ص٢٠١-٢٠٦.

(٣) وهو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس، قتل ١٣١هـ/٧٤٩م؛ انظر خليفة: تاريخ، ص٣٨٤؛ البلاذري: أنساب، قسم ٣ ص١١٤-١٤٧؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٣٥.

(٤) خليفة: تاريخ، ص٣٩٩-٤٠٠؛ مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٥) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٥٠١-٥٠٢؛ الذهبي: سير، ج٦ ص١٦١-١٦٢.

(٦) خليفة: تاريخ، قسم ٢ ص٦١١؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٧ ص٣٣٣؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٤٥-٣٤٦.

(٧) حرَّان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٣٥.

الخلافة[١]، وكذلك الحال بالنسبة لأهل حمص ودمشق التي كان مروان ينوي أن يتحصن فيهـا، ولكـن أهل دمشق نهبوه، ووثبت عليه القيسية التي كان من المفترض أن تقف إلى جانبه[٢]، ولما انتصر عبـد الله بن علي على مروان بن محمد، كتب إلى أبي العباس بالفتح وهروب مروان، وأنه قد حوى عسـكره بما فيه، فلما وصل الخبر إلى أبي العباس كانت فرحته غامرة لا توصف، فصلى ركعتين، واعتبر هـذا النصر أهم من فتح دمشق نفسها، ويظهر ذلك من خلال أمره لمن شهد الوقعة بخمسمائة درهـم ورفـع أرزاقهم إلى الثمانين[٣].

ج- حصار دمشق وسقوطها:

لما فرغ عبد الله بن علي من الزاب سار قاصداً دمشق، وفي طريقه دخل حمص، وهناك وافاه أخوه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من أهل خراسان وغيرهم، فاتصل الخبر بمروان، فخرج عن دمشق، وخلف عليها عامله الوليد بن معاوية، فحصّنها ونصب المجانيق[٤] والعرادات[٥] والخطّـارات[٦] على أبرجة السور، وأعد فيها الميرة والعلوفة والسلاح الكثير وتوثق من كل شيء يريده[٧]، أما عبد الله بن علي فاستمر في مسيره حتى وصل دمشق، فنزل مزَّة (إحدى قرى الغوطة) وهناك قدم عليه أخـوه صالح بن علي مدداً فنزل مرج عذرا في ثمانية آلاف[٨].

وبعد أن تكاملت صفوف الجيش العباسي، زحف عبد الله بن علي قاصداً دمشق، فلما وصـلها تقسم الجيش إلى فئات نزل كل منها على باب، فنزل عبد الله بن علي على الباب الشرقي، ونزل صالح بـن علي على باب الجابية، وعبد الصمد بن علي ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفـراديس، وحميد بن قحطبة على باب توما، وحاصرت العساكر دمشق من مختلف جهاتها[٩]، واستمر عبد الله بن علي محاصراً دمشق من مختلف الجهات، وفي كل لحظة كان يلح على المحاصـرين ويحـثهم علـى المناجزة لعل ذلك يساهم في سرعة اسقاط المدينة والتي استمر حصارها على أقـل الروايـات شـهراً

---

(١) انظر البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣-١٠٤.

(٢) خليفة: تاريخ، ص٦١١؛ البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣-١٠٤؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٤٥؛ الطبري: تـاريخ، ج٧ ص٤٣٤؛ ابن العمراني: الأنباء، ص٥٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٣٤-٤٣٥؛ ابن الأثير، ج٥ ص٤١٨-٤٢١.

(٤) المجانيق: جميع منجنيق بمعنى الميزان، وهو آله ترمى بها الأشياء فتبعد، وكان يستخدم لقذف الحجارة الضخمة لهدم الأسوار، انظر ابن منظور: لسان، مادة قذف ج١١ ص٧٥.

(٥) العرَّادات: جمع عرَّادة وهي شبه المنجنيق صغيرة؛ ابن منظور: لسان، مادة عرد ج٩ ص١٢٣.

(٦) الخطَّارات: جمع خطَّارة وهي نوع من الأسلحة التي تقذف بها الحجارة الصغيرة (المقلاع)؛ ابن منظور: لسـان ج٤ (خطر) ص١٣٧.

(٧) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣-١٠٤؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ المسـعودي: مـروج، ج٣ ص٢٧٢؛ ابـن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٦.

(٨) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٧ ص٣٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٥-٤٢٦.

(٩)الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٧ ص٣٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٥-٤٢٦.

ونصف شهر[١]، ومهما يكن من أمر الحصار فقد سقطت دمشق، ودخلها الجيش العباسي عنوة يوم الأربعاء الخامس من رمضان سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م[٢]، وكان أول من صعد السور من الجانب الشرقي عبد الله الطائي ومن باب الصغير بسام بن إبراهيم، ثم تقاتلوا ثلاث ساعات وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل[٣].

ولا بد من القول أن فترة الحصار حتى وإن كانت شهراً ونصف شهر على أقل الاحتمالات، فهي تدل على أن المدينة كانت محصَّنة تحصيناً جيداً عجز العباسيون عن اقتحامه، وعلاوة على ذلك فهي تحوي من الطعام الكثير الذي يكفي للحصار[٤]، وبما أن حال دمشق على هذا الشكل، فهذا يقودنا للتساؤل عن السبب الذي جعل سقوط دمشق أمراً سهلاً بعد أن وقفت القوات العباسية أمامها عاجزة فترة من الزمن، فبعد هزيمة مروان بن محمد الزاب، وخلال مروره قاصداً دمشق انتهبه أهل دمشق ووثب عليه من بها[٥]، وهذا أمر يستحق التوقف عنده، فالقيسية هي التي ساعدت مروان في الوصول إلى الخلافة، فما بالها تغير نظرتها تجاه مروان وتقوم بنهب جيشه.

ويظهر أن هجر مروان بن محمد لدمشق واتخاذه حرَّان مركزاً للخلافة قد غيَّر كثيراً من الأمور، فأهل دمشق قيسهم ويمنهم لم يكونوا راضين عن ذلك العمل الذي قام به مروان، وكانوا يأملون أن تبقى دمشق مقراً للحكم، وهذا ربما يفسر التأييد الذي لاقته الثورة التي قام بها سليمان بن هشام والتي قضى عليها مروان بعنف[٦].

والأمر الآخر الذي لا بد من أخذه بعين الاعتبار، كعامل أساس سهّل من مهمة الجيوش العباسية المحاصرة لدمشق في إسقاطها هو: نشوب العصبية داخل المدينة من جديد بين القيسية واليمانية وبلوغها ذروتها، حيث وصل الأمر إلى الحد الذي أصبح معه كل طرف مستعد للتحالف مع أي طرف ثالث للإطاحة بخصمه والقضاء عليه وهذا ما تم بالفعل[٧]، فقد تعصب الناس في المدينة في فضل كل منهما على الآخر ووثب بعضهم إلى بعض وجعلوا يقتتلون، عصبة لبني العباس وعصبة لبني أمية، فكانت الغالبة سيوف بني العباس، الذين وثبوا على عامل دمشق- الوليد بن معاوية- وقتلوه، وفتحت الأبواب كلها، فدخل عبد الله بن علي[٨].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٣-٤٢٤، وذكر رواية أخرى ان الحصار استمر مئة يوم، وروايه ثالثة أنه استمر خمسة أشهر.

(٢) خليفة: تاريخ، ص٦١١؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٥-٤٢٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٥.

(٥) خليفة: تاريخ، ص٦١١؛ البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣-١٠٤؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٤٥؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٣٤؛ ابن العمراني: الأنباء، ص٥٢.

(٦) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣٢٥؛ مجهول: العيون، ج٣ ص١٥٨.

(٧) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٥-٤٢٦.

(٨) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ج٧ ص٣٣٤؛ المسعودي: مروج ج٣ ص٢٧٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ٣٧، ص٤٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٢٥-٤٢٦.

وقد صرَّح عبد الله بن علي بالدور الذي قام به اليمانيون في تسهيل مهمة العباسيين لأخذ دمشق، عندما خاطبهم خلال ذهابه لقمع ثورة حبيب بن مرة المري، بقوله: "...إنكم وأخوتكم ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم دفعتم إلينا مدينة دمشق، وقتلتم الوليد بن معاوية، وأنتم منا وبكم قِوام أمرنا"(١).

ووصف رجل من أهل خراسان حضر حصار دمشق مع عبد الله بن علي شكل الحصار، وماذا دار خلاله؟ وما حدث من خلاف بين سكان المدينة ساهم في التقاعس عن القتال لجانب مروان...حيث ذكر...أن أعداد المحاصرين كانوا قليلاً مقارنة مع أعداد جيش عبد الله بن علي ومع ذلك كانوا صامدين(٢). وذكر أن شيئاً غريباً قد حدث خلال الحصار فاجأ جيش عبد الله نفسه، حيث قام مَنْ في الداخل ببناء منارة، وأحس جيش عبد الله أن أمرا ما موجه إليهم فإذا هذا الأمر جاء لصالحهم(٣)، فقد صعد المنارة رجل صيِّت(٤) ونادى بأعلى صوته مخذلاً أهل دمشق عن مساعدة مروان بن محمد أو القتال معه، وكان يذكرهم بما فعل بهم مروان بن محمد من أفعال سيئة فيما سبق، وقتله لبعض زعمائهم وتعذيبه لآخرين، فكان لما قال أثر كبير في نكوص فئة غير قليلة وتراجعها بعد ان كانت في أول الصفوف(٥)، ولم يكتف المنادي بذلك، بل صار ينادي بأهل كل مدينة مذكراً إياهم بما فعل بهم مروان من قتل أو تشريد أو حبس فيفعلون ما فعل مَنْ قبلهم وأشد(٦).

ولم يقف الأمر عند ذلك فقد اختلف الناس في دمشق وعادوا للمشاحنة والعصبية من جديد، وبلغ من شدة اختلافهم أن كرهوا بعضهم بعضاً، إلى الحد الذي جعلهم يتلاعنون في المسجد، وأقاموا في المسجد منبرين، وجمعتين بإمامين(٧). وكان يصلي هؤلاء بإمام وخطبة وهؤلاء بإمام وخطبة، ثم حثهم شيخ خطب بهم على الألفة بدل الفرقة والخصام(٨).

فإذا كان هذا هو حال أهل دمشق خلال الحصار، مختلفين ومتخاصمين، بل إن خلافهم قادهم إلى المواجهة الفعلية والتي راح ضحيتها الآلاف من كلا الجانبين(٩). وفي ظل هذه الظروف مَنْ سيدافع عن دمشق ضد الجيش الذي يحاصرها؟.

ومن هنا وفي ظل اشتداد الحصار على دمشق من الخارج، وغياب وحدة الصف الدمشقي، ونزوع أهل دمشق إلى التشرذم والخلاف كان لا بد من موقف يتخذه أهل دمشق، الذين قرروا طلب الأمان من عبد الله بن علي، وقد استعانوا بيحيى بن بحر الغساني وألحوا عليه أن يطلب لهم الأمان من

---

(١) الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٤٤، وانظر فاروق عمر: بحوث، ص٥٠-٥١.
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٥.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٤.
(٤) صيِّت- شديد الصوت عاليه، ابن منظور: لسان العرب، ج٥ ص٤٣٥.
(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٤.
(٦) المصدر نفسه، ج٣٧ ص٤٢٤.
(٧) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٥؛ ابن كثير: البداية، ج١٠ ص٤٥.
(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧ ص٤٢٥.
(٩) انظر كرد علي: خطط الشام، ج١ ص١٧٣-١٧٤.

عبد الله بن علي، فخرج إلى عبد الله وسأله الأمان، فأجابه عبد الله بن علي لطلبه، فـدخل فنـادى فـي الناس الأمان، فأجابه خلق كثير، ثم طلب منه يحيى ان يكتب في ذلك كتاباً، فلما طلب عبد الله بن علـي دواة ليكتب الأمان، نظر فرأى السور قد غشيته المسوِّده فقال له: لقد دخلتها قسراً. فقال يحيـى: لا والله ولكن غدراً...فغضب منه عبد الله، ولكنه ما لبث أن سامحه، لمودته لآل البيت، ثم كافأه بأن منح كل من يدخله بيته الأمان، فتزاحم الناس إلى بيته والبيوت التي تليه"[١].

(١) انظر اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٥٦؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص٣٣٩.

د- النهب والتدمير والقتل الذي رافق سقوط دمشق:

استمر العباسيون في عمليات النهب والقتل أثناء دخولهم إلى بلاد الشام، وقد شملت أعمالهم مختلف مناطق الشام، ولا شك أن نصيب دمشق من النهب والقتل كان كبيراً، وكيف لا؟ وهي حاضرة الدولة الأموية التي يحقد عليها العباسيون كثيراً، وأشار أغلب المؤرخين إلى حدوث عمليات النهب والتدمير والقتل الغير عادي في دمشق، والذي عبر عنه العباسيون بصراحة الفعل والقول معاً، فصار من الصعب أن تسكت عنه المصادر.

فقد ذكر خليفة بن خياط: أن عبد الله بن علي لما دخل دمشق أخذ الوليد بن معاوية بن مروان وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن مروان فبعث بهما إلى أبي العباس فصلبهما(١)، في حين ذكر البلاذري أن عبد الله بن علي قتل الوليد بن معاوية بعد دخوله دمشق، وهدم سور المدينة(٢)، وذكر المقدسي: ان عبد الله بن علي بعد دخوله لدمشق قتل مَنْ بها من بني أمية، وهدم سورها حجراً حجراً(٣). وهذا يعني أن عبد الله بن علي قام بمذبحة ضد الأمويين في دمشق تضاف لسلسلة المذابح ضدهم وهو ما لم يرد ذكره في المصادر الأخرى.

ولم يسلم أهل دمشق من غير بني أمية من بطش العباسيين، فقد ذكرت المصادر أن عبد الله بن علي أمر بعد دخوله إلى دمشق بوضع السيف في أهلها، وأباح القتل فيها ثلاث ساعات، على أقل الروايات(٤).

وصوَّر ابن عساكر ما رافق دخول العباسيين لدمشق من مجازر بقوله:" أن أصحاب عبد الله بن علي لم يزالوا يجزون الرؤوس في الطرق والمنازل ويأخذون الأموال، حتى أمر عبد الله بن علي بإيقاف النهب ورفع السيف(٥)، وكان من بين القتلى الوليد بن معاوية بن مروان عامل مروان بن محمد على دمشق(٦).

ولم تسلم النساء من بطش العباسيين، فقد روى البلاذري: أن عبد الله بن علي لما صار إلى الشام، خطب عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، فأبت عليه التزويج، فأمر بها فبقر بطنها، فكان المنصور كلما ذكر فعله بها لعنه(٧)، ودفع عبد الله بن علي بامرأة هشام بن عبد الملك إلى قوم من الخراسانية، فسيروها حافية حاسرة في البرية ثم قتلوها(٨)، ولما دخل عبد الله بن علي الخضراء، جلس

---

(١) تاريخ: ص٦١١.
(٢) أنساب: ج٣ ص١٠٣-١٠٤.
(٣) البدء: ج١ ص٢٧٥.
(٤) خليفة: تاريخ، قسم٢ ص٦١١-٦١٢؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ الذهبي: سير، ج٦ ص٥٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١ ص١٩١، المطبعة الوهيمية؛ كرد علي: خطط الشام، ج١ ص١٧٣.
(٥) تاريخ، ج٨ ص٢٥٨.
(٦) الذهبي: سير، ج٦ ص٥٧؛ الصفدي: تحفة، ص١٩٥.
(٧) أنساب: ج٣ ص٢٠١.
(٨) ابن كثير: البداية، ج١٠ ص٤٥.

مع ابنة مروان بن محمد على فراشها فأحزألت[١] عنه حتى ألقت على نفسها الجدار، فقال لها: يا بنت مروان: أين ابن الصناجة- يعني زوجها الوليد بن معاوية- فقالت له: الرجال أعلم بالرجال[٢].

وعم القتل والنهب والبطش العباسي في دمشق حتى شمل العلماء والفقهاء، حيث قتل عبد الله بن علي مجموعة منهم يونس بن ميسرة بن حليس- المقرئ الضرير- وكان وقت مقتله يصلي في المسجد[٣] كما قتل مسهر بن عبد الأعلى- والد أبي مسهر الغساني فقيه الشام- في داره[٤] وعلاوة على ذلك فقد قتل خلق كثير من النصارى واليهود من أهل دمشق[٥].

ولم يسلم الأمويون الأموات من البطش العباسي، فقد قام عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية وإحراقهم، وإحراق عظامهم بالنار، فلما حفر قبر معاوية لم يجد فيه إلا خطاً واحداً أسوداً كأنه رماد...ولم يجد في قبر يزيد إلا فقارة ظهره فأحرقها[٦]، وذكر الأزدي أن عبد الله بن علي وكّل عمرو بن تمام في نبش قبور بني أمية[٧].

ويظهر أن ما قام به عبد الله بن علي لم يشبع رغبته بالانتقام، بل كان يسعى لأكثر من ذلك، وتظهر هذه الرغبة من خلال النقاش الذي جرى بينه وبين أحد حاشيته، الذي وصف له ما جرى من فضائع وأهوال وقتل في دمشق، فرد عليه عبد الله بن علي "هذا والله جهد البلاء[٨]"، وقلل عبد الله بن علي مما حدث بقوله: "ما هذا وشرطة الحجام إلاّ سواء"[٩]. فشبه ما حدث لعدم أهميته بأنه لم يحدث أثراً بالغاً إلا كما يحدث الحجام من شلب في ظهر المريض.

أما عن السبب الذي جعل عبد الله بن علي يفعل ما يفعل بالأمويين فقد ذكر اليعقوبي أن السبب هو الكتاب الذي بعث به أبو العباس إلى عبد الله يقول فيه: "خذ بثأرك من بني أمية"... ففعل بهم ما فعل، ثم وجه فنبش قبورهم، فأخرجهم وأحرقهم بالنار فما ترك منهم أحداً[١٠]، وأشار اليعقوبي أن هناك أسباباً خاصة بعبد الله بن علي وراء قيامه بما قام من أعمال القتل، فقد ذكر أن عبد الله لما صار إلى الرصافة، أخرج هشام بن عبد الملك، ووجده في مغارة سريره قد طلي بما يبقيه، فأخرجه فضرب وجهه بالعمود وأقام بين العقابين، فضربه مائة وعشرين سوطاً وهو يتناثر ثم جمعه وحرقه بالنار[١١].

---

(١) حزأ الإبل ونحوها حزءاً: جمعها وساقها واحزوزأ الطائر: ضم جناحيه وتجافى عن بيضه، لسان العرب: ابن منظور، مادة حزأ، ج٣ ص١٤٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣ ص٢٦٧.

(٣) ابن منظور: مختصر، ج٨ ص١١٧..

(٤) المصدر نفسه، ج٢٨ ص١١٧.

(٥) ابن كثير: البداية، ج١ ص٤٥؛ الحنبلي: شذرات، ج١ ص١٨٨.

(٦) المقدسي: البدء، ج٥ ص٧٢.

(٧) الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٣٨.

(٩) الجاحظ: البيان، ج٣، ص٨٤.

(٩) المصدر نفسه: ج٣ ص٨٤.

(١٠) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٥٦.

(١١) اليعقوبي: تار يخ، ج٢ ص٣٥٦.

وذكر اليعقوبي سبب هذا التصرف من عبد الله تجاه هشام حيث قال: أن أبا عبد الله بن علي كان ذات مرة يصلي، وعليه إزار ورداء فسقط الرداء عنه فرأ عبد الله في ظهره آثار السياط، فلما فرغ من صلاته سأله: جعلت فداك يا أبتي ما هذا؟ فقال: إن الأحول (يعني هشاماً) أخذني ظلماً فضربني ستين سوطاً، فعاهدت الله أن أضربه في كل سوط سوطين(١).

وذكر صاحب الأخبار الطوال أن الذي قام بقتل الأمويين والتدمير بدمشق هو (أبا عون) عامر بن عبد الله بن يزيد، صاحب قحطبة، وذلك من خلال متابعته لمروان، حيث مر بدمشق فقتل أهلها مقتلة عظيمة وكان من بينهم ثمانون رجلاً من ولد مروان بن الحكم(٢).

وإذا كان في الأخبار التي جاءت حول ما قام به العباسيون تجاه أهل الشام عامة ودمشق خاصة مبالغة، فإن ذلك راجع إلى أن هذه الأخبار كتبت في العصر العباسي، وقد بدلت هذه الأخبار وزيد فيها، من أجل التشفي بالأمويين وإظهار النصر العباسي بأكمل صوره(٣).

وعلل المؤرخون المحدثون "العرب" قيام العباسيين بأعمال العنف والقسوة والشدة، إلى أن الدولة كانت في مرحلة تأسيسها، وأن هذه المرحلة تتطلب إظهار الحزم حتى تحقق الدولة الأمان من خصومها(٤)، والسبب بذلك يكون أمنياً بحتاً، وهذا الرأي يفسر ما قام به العباسيون من أعمال القتل والنهب قبل أن تقوم ضدهم حركات المقاومة.

أما ما قام به العباسيون من أعمال القتل التي جاءت فيما بعد فقد كانت كردة فعل من السلطة الرسمية (الدولة الجديدة) على حركات المقاومة التي قامت ضدها، رغبة منها في إثبات سيطرتها وكيانها. ومثال ذلك محاصرة العباسيين لدمشق والبلقاء بسبب مقاومتهما للدخول العباسي(٥).

أما المؤرخون الغربيون، فتظهر لديهم نظرة اقتصادية لتحليل الأحداث في الشام، فمنهم من يرى أن العامل الاقتصادي كان دافعاً هاماً وراء ما قام به العباسيون من قتل لأهل الشام، فقد أرادوا من وراء ذلك أخذ الأموال والأراضي الخاصة بأهل الشام(٦). وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين إلصاق التهمة بالعباسيين أنفسهم وأنهم هم الذين قاموا بأعمال القتل، وأن الجنود الخراسانيين كانوا بمثابة الآلة التي تنفذ الأوامر لقيادتها العباسية، وأنهم كانوا رهن إشارة قادتهم العباسيين(٧).

وإذا كانت المصادر التاريخية قد أطنبت في ذكر النهب والقتل والتمثيل بالأموات وصلبهم من قبل العباسيين وتشفيهم بذلك، مما أعطى صورة سلبية قاسية إلى حد كبير عن معاملة العباسيين لأهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة فإذا كان في ما ذكرته المصادر صحة فإن فيها أيضاً مبالغة، ولكن على

---

(١) المصدر نفسه: ج٢ ص٣٥٦.

(٢) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار، ص٣٦٦.

(٣) حسين عطوان: الدعوة العباسية، ص٤٩٦.

(٤) أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة، ج٣ ص١٥٣؛ محمد طلس: تاريخ الأمة العربية، ص٤٣؛ مصطفى مجاهد، أوهام وشبهات، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م٥ عدد ٥، ١٩٨٥م، ص١٩٧.

(٥) انظر الحصار العباسي لدمشق.

(٦) Kennedy: The Early Abbasid Caliphate. P, 49.

(٧) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص٥٢٣؛ فان فلوتن: السيادة العربية، ص١٦٥.

الجانب الآخر فإن هذه المصادر نفسها، أشارت وبحذر،عن طريق أخبار قليلة وحوادث متفرقة إلى العفو والأمان الذي منحه العباسيون لأهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة. وتجلت أبرز مظاهر ذلك عندما أصدر الخليفة أبو العباس عفواً عن شيوخ أهل الشام الذين قدموا إليه معتذرين في بداية خلافته(١)، وكذلك العفو الذي صدر بحق- الذين استمروا بمقاومة العباسيين- بعد سقوط دمشق وحتى مقتل مروان بن محمد ١٣٢هـ/٧٥٠م(٢).

كما أن المنصور أصدر عفواً عن الذين شاركوا في أعنف ثورة ضد الدولة وهي الثورة التي قام بها عمه عبد الله بن علي والتي كادت أن تنقل الخلافة من العراق إلى الشام من جديد(٣)، ومن جوانب التسامح التي أبداها العباسيون تجاه أهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة، ما ذكرته المصادر حول الأمان الذي كان يمنحه العباسيون لبعض الحالات، من أفراد الأسرة الأموية(٤) أو من أفراد بيت مروان بن محمد(٥) أو من مختلف أهل الشام(٦).

ولا بد من القول أن الأحداث التي قام بها العباسيون بعد دخولهم دمشق، ساهمت في زيادة الحقد لدى أهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة على العباسيين، وقد ظهر هذا الحقد من خلال الثورات المتتالية التي قاموا بها والتي استمرت طوال العصر العباسي الأول، وليس هذا فحسب بل ساهم أهل دمشق في مساعدة الثورات الأخرى، حنقاً منهم وحقداً على العباسيين الذين جردوهم من الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في ظل الدولة الأموية، وأملاً منهم في تغيير الوضع الجديد والعودة إلى ما كانوا عليه.

الحركات المناوئة للعباسيين في دمشق:

لقد ذهل الأمويون وأتباعهم ومؤيدوهم، كما ذهل أهل الشام جميعهم من هول سقوط الدولة الأموية واستيقظوا على واقع جديد ما تعودوا عليه، سواء أكان ذلك في سيطرة غيرهم عليهم أم من تناقص الدور الذي كان يقوم به هذا الإقليم، فبعد أن كانت له المرتبة الأولى في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، إذا به يقف على شاطئ الأحداث بعيداً عن الخوض فيها، وهذا ما لم يكن يرق للأمويين خاصة ولأهل الشام عامة. وكنوع من رد الفعل على سقوط الدولة الأموية، فقد قامت العديد من الثورات من أجل القضاء على الدولة العباسية (الجديدة)، وبدأت هذه الحركات فور السيطرة العباسية على دمشق سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.

وكانت دمشق أكثر المدن الإسلامية تأثراً في قيام الدولة العباسية من الناحية السياسية والإدارية، بعد أن أصبحت مدينة تقع ضمن ولاية تابعة للدولة العباسية، بعد أن كانت مركز الدولة

---

(١) العسكري: الأوائل، ص٩٨-٩٩.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ج٨ ص١٩٥؛ الصابيء: الهفوات النادرة، ص٣٧١.
(٣) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٨٤؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٦٧.
(٤) الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٣٤.
(٥) المصدر نفسه، ص١٣٤؛ المسعودي: مروج، ج٣ ص٢٧٤.
(٦) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٨٤؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ص١٦٨.

الإسلامية ويتبعها باقي المناطق في العصر الأموي. وعليه فإن الامتيازات التي كان يتمتع بهـا أبنـاء العاصمة (دمشق) لم تعد لهم، ومن هنا حاول أهل دمشق تغيير الحكم العباسي بـالقوة وإعـادة الحكـم الأموي الذي منح مدينتهم ومنحهم تلك الامتيازات، ومن خلال ملاحظة الثورات الأموية التي قامت في دمشق ضد الدولة العباسية يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام كما يلي:

١- حركات دمشقية أموية اتخذت من عقيدة السفياني شعاراً لها:

ولمعرفة هذه الحركات ودوافعها وأبعادها لا بد من العودة لجذور الفكرة السـفيانية وتطورهـا حتى أصبحت عقيدة تتبناها العديد من الثورات وتستقي منها الأهداف لتحقيق النجاحات.

ويظهر أن حركة السفياني ما هي إلاّ حركة أموية سياسية كانت مصبوغة بصبغة دينية تقـوم على أساس انتظار ظهور رجل من ولد أبي سفيان بن حرب، يقوم بإعادة دولة بني أمية ويقضي علـى الدولة العباسية، ثم يعيد الملك إلى الشام ويجعل دمشق قاعدة لملكه[١]. وأصول هذه الفكرة تعـود إلـى الفترة الانتقالية للخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني في الدولة الأموية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م[٢]، فمن المؤكد أن استبعاد خالد بن يزيد بن معاوية[٣]-عن الخلافة أثر عليه كثيـراً، فلجـأ لوضـع فكـرة السفياني التي أراد من خلالها إبقاء أهل الشام ينظرون بعين الأمل إلى الفرع السفياني كمرشح أساسـي للخلافة[٤]. ويبدو أن فكرة السفياني تطورت على يد جماعة من علماء الشام بعد سقوط الدولة الأمويـة، لتتحول من وسيلة معارضة أموية لحكم بني مروان إلى عقيدة توحد أهل الشام ضد العباسيين (الحكـام الجدد) [٥].

وتطورت هذه الفكرة تطوراً آخر جعل منها عقيدة ذات تأثير في صنع الأحداث في بلاد الشام، من حيث التبشير بظهور أموي من آل أبي سفيان يستغل فترة الخلاف والصراع العباسي، فيسيطر على بلاد الشام، ثم يتوجه منها إلى العراق فيدمر الكوفة- مركز أعداء الأمـويين مـن الشـيعة العباسـية والعلوية[٦].

---

(١) انظر كلودكاهن: تاريخ العرب، ص٥٨؛ جوزي، السفياني: مجلة المقتطف، م٨٣ ج١ ١٩٣٣ ص٤٩؛ عصام عقلـة: الأمويون، ص٧٥.

(٢) الزبيري: نسب قريش، ص١٢٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ح١٧ ص٣٤١.

(٣) وهو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ت ٩٠هـ/٧٠٩م وكان من أشهر بني أمية من غير الخلفـاء، وترشـح للخلافة لكن مروان بن الحكم فاز بالمنصب دونه.

انظر الزبيري: نسب قريش، ص١٢٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٧ ص٣٤١؛ البلاذري: أنساب، قسم ٤ ج١ ص٣٥٩؛ ابن حزم: جمهرة النسب، ص١١٢.

(٤) الزبيري: نسب قريش ص١٢٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٧ ص٣٤١؛ ابن عساكر، تاريخ ج٢٦ ص٣٠٣.

(٥) السلّمي: عقد الدرر، ص٧٧؛ Medelung: The sufyani, P. 6.

(٦) السلمي: عقد الدرر، ص٧٧.

وبعدما أصاب الثورات التي قامت باسم هذه العقيدة من نكسات، تطورت هذه العقيدة، فأصبحت تبشر بقيام تحالف بين السفياني المنتظر الذي سيظهر في بلاد الشام وبين الدولة المروانية في الأندلس– التي سترسل جيوشها إلى الشام– فيتعاون معها أهل الشام للقضاء على الدولة العباسية[١].

ومن الواضح أن هذه الحركة لقيت تأييداً واضحاً وواسعاً من قبل القبائل العربية الشامية، وعلى الأخص قبائل قضاعة، التي وصف المأمون موقفها..."بأنها تنتظر ظهور السفياني حتى تقوم معه، وتقاتل إلى جانبه...."[٢] وكذلك الحال بالنسبة لقبيلة تنوخ التي أيَّدت حركات السفياني، ويبرز ذلك من خلال ما ذكره ابن العديم من أنهم كانوا يحتفظون بسيوف أجدادهم التي قاتلوا بها مع معاوية علياً في صفين، ليقاتلوا بها مع السفياني عند ظهوره[٣].

ومن الجدير قوله أن عقيدة السفياني بلغت من القوة والتأثير إلى الحد الذي جعل أي طامح بالثورة يسعى للوصول إلى الحكم، يتبنى عقيدة السفياني، أو يدعي أنه السفياني..لما يعلمه من الدعم الذي سوف يلاقيه بسبب ذلك التبني أو الادعاء، وخير مثال على ذلك المبرقع اليماني الذي ثار في فلسطين سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م حيث ادّعى أنه السفياني المنتظر، وهذا الادعاء أكسبه تأييداً لم يكن ليلقاه دونه[٤].

وعلاوة على ذلك لاقت الحركة تأييداً واضحاً من قبل كبار علماء الشام، وعلى رأسهم الوليد بن مسلم مولى الأمويين ت ١٩٥هـ/٨١١م وبقّية بن الوليد الكلاعي، ت ١٩٧هـ/٨١٣م، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ت ٢١٨هـ/٨٣٣م[٥]، ولم يشارك العلماء في دعم هذه الحركة بالقول فقط بل وبالفعل حيث بلغ الأمر من حماستهم لهذه الحركة أن انظموا إلى صفوف الثورات التي تبنت عقيدة السفياني[٦].

ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أن عقيدة السفياني (قد أثرت في الثورات الأموية) التي قامت في العصر العباسي، والتي استلهمت أفكارها وسارت على خطاها، وهذا دفع بني العباس إلى أن يكونوا قساة في الرد على مثل هذه الحركات[٧]، أما أبرز هذه الحركات فهي:

أبرز الحركات التي اتخذت من عقيدة السفياني شعاراً لها في دمشق:

حركة أبي العميطر ١٩٥هـ/٨١١م: وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية[١]، وأمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يفتخر بهذا النسب بقوله: أنا ابن شيخي صفين[٢]،

---

(١) المسعودي: التنبيه، ص٢٩٢.

(٢) انظر طيفور: تاريخ بغداد، ص١٤٩؛ الطبري: تاريخ ج٨ ص٦٥٢؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص٤٠٩.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج١ ص٥٦٤؛ عصام عقلة: الأمويون، ص٧٦.

(٤) الطبري: تاريخ ج٩ ص١١٦؛ مجهول: العيون، ج٣ ص٤٠٨؛ صالح الحمارنة: ثورة الفلاحين، ص٧٨؛ عصام عقلة: الأمويون، ص٧٧.

(٥) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٢٧؛ أحمد بدر: فقهاء، ص٨٧-١٠٢.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٩ ص٣٩٤؛ عصام عقلة: الأمويون، ص٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ج١٩ ص٣٥٣-٣٥٤.

وأبو العميطر لَقَبٌ لقِّب به لأنه سأل جلساءه ذات يوم عن كنية الحرذون، فلم يجبه أحد! فقال: هو أبو العميطر: فلقبوه بذلك[٣]. وقد خرج في سنة ١٩٥هـ/٨١١م وبويع بالخلافة بدمشق خلال فترة خلافة الأمين، وكان المأمون يومئذٍ بخراسان[٤]، وكان سن أبى العميطر يوم خروجه تسعين سنةً[٥].

ولا بد من القول: أن حركة أبي العميطر كانت من أقوى الحركات التي شهدتها الشام كلها في العصر العباسي، ويبدو أنه تم الإعداد لها بتروٍ وحكمة قبل إعلانها. فقد سبق إعلانها مرحلة هامة من الدعاية لها، وكانت تلك الدعاية قوية لأنها جاءت من قبل علماء يحظون بالاحترام والتقدير والتأييد من أهل دمشق خاصة والشام عامة، حيث تزعم هذه الحملة الدعائية فقيه الشام وعالمها الوليد بن مسلم، الذي كان يقول: "لو لم يبق من سنة خمس وتسعين ومائة إلا يوماً واحداً لخرج فيه السفياني"[٦]. ولم تقتصر الدعاية لثورة أبي العميطر على العلماء وحدهم، بل أن الأمويين أنفسهم نشروا دعاية واسعة النطاق لصالح أبي العميطر، حيث كانوا يروون فيه الروايات الكثيرة التي يذكرون فيها علامات السفياني[٧].

كما أن أصحابه لقبوه بالمهدي (مهدي الله) [٨]، وقد روى أن إسحاق بن قضاعة التنوخي دعا بسيوف، فجعل يقلبها ويقول: "هذه سيوف آبائنا التي قاتلوا بها يوم صفين وهي عندنا مدّخرة حتى يقوم القائم من آل أبي سفيان فنقاتل بها معه"[٩]. وهذا يعني أن الدعاية لأبي العميطر قد لاقت تجاوباً وتغلغلاً لدى القبائل. وكان أصحاب أبي العميطر يدورون على الناس ويقولون: "قوموا بايعوا الرضا من آل محمد"[١٠]، ويظهر أن الدعاية لأبي العميطر قد استمرت حتى بعد إعلان الحركة، وقد هدفت تحقيق الإجماع على أبي العميطر من قِبَل أهل دمشق، وكانت الدعاية تمارس في مختلف الأماكن لكنها كانت أكثر نشاطاً وتأثيراً في المساجد.

أما عن كيفية خروج أبي العميطر، فقد سأل الإمام أحمد الهيثم بن خارجة عن كيفية خروج السفياني بدمشق أيام ابن زبيدة بعد سليمان بن أبي جعفر؟ فوصفه بهيئة جميلة، واعتزال الشر قبل

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٤١٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ح٤٣ ص٢٤-٢٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٥٠٢؛ الذهبي: سير ج٩ ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص٤٩٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٢٤-٢٥؛ ابن الأثير: الكامل ج٦ ص٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٥٠٤؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٩٩.

(٣) المصدر نفسه ج٤٣ ص٢٥؛ المصدر نفسه ج٦ ص٢٤٩؛ المصدر نفسه، حوادث ١٩١-٢٠٠ ص٥٠٤؛ المصدر نفسه ج٩ ص٢٨٥؛ المصدر نفسه مج٥ ص٤٩٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٤٣ ص٢٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٢٨٥.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩؛ الذهبي: سير ج٩ ص٢٨٥.

(٧) ابن عساكر: تاريخ: ج٤٣ ص٢٨، ٢٩.

(٨) المصدر نفسه: ج٥٥ ص٩٨، ٩٩.

(٩) المصدر نفسه: ج٤٣ ص٣١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٤٣ ص٣١.

خروجه، ثم وصفه حين خرج بالظلم، قال: أرادوه على الخروج مراراً فأبى، فحفر له خطَّاب الدمشقي- المعروف بابن وجه الفلس- وأصحابه تحت بيته سرداباً ثم دخلوه في الليل ونادوه أخرج فقد آن لك، فقال: هذا شيطان، ثم أتوه في الليلة الثانية، فوقع في نفسه، ثم أتوه في الليلة الثالثة، فلما أصبح خرج. فقال ابن حنبل: أفسدوه[١].

وهذه الرواية تصف أبا العميطر أنه إنسان ساذج، تمكنت مجموعة من أصحاب المصالح الخاصة من التغرير به حتى يعلن الثورة لعلها تحقق لهم مصالحهم التي يطمعون فيها، ولكن الحقيقة غير ذاك، فهذه الثورة تم الإعداد لها قبل إعلانها كما أسلفنا، عن طريق الدعاية المنظمة من قبل العلماء ورجال الدين علاوة على الأمويين أنفسهم، وإذا سلَّمنا أن الثورة معدّ لها إعداداً محكماً، فإن من الصعب أن نقنع أنفسنا أن أبا العميطر قد تم التغرير به وأن خروجه جاء من باب الدروشة.

ومن الأمور التي ساعدت أبا العميطر على إعلان ثورته "خروجه" ما قام به الخطاب بن وجه الفلس من تمرد، حيث قام بخلع والي الأمين سليمان بن جعفر عن دمشق، ومبايعة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد "أبو العميطر"[٢]، وهذا بالطبع يؤكد قوة الدعاية التي أثيرت حول علي ابن عبد الله ومميزاته، علاوة على أنه كان يتمتع بشخصية فذّة جعلت أحد الثوار بعد تمكنه من التغلب على قوات الوالي يبايع لعلي بن عبد الله لا لنفسه، وهذا تأكيد على أن علي بن عبد الله كان يتمتع بشعبية واسعة حاول "الخطاب" أن يستغلها لتثبيت أوضاعه.

ولما اشتدت الثورة، تمكن أصحاب أبي العميطر من محاصرة والي الأمين، فوجه إليهم الأمين الحسينَ بن علي بن ماهان لكنه لم ينفذ إليهم، حيث صار إلى الرقة وأقام فيها[٣]، وفي هذه الفترة صار الأمين عاجزاً عن تسيير جيش آخر لمحاربة الثورة، لانشغاله بالفتنة التي نشبت بينه وبين أخيه المأمون الأمر الذي وجدت الثورة من خلاله تربة ملائمة لتقوية نفسها.

ويظهر أن عوامل كثيرة ساهمت في تعطيل الثورة عن المضي قدماً نحو أهدافها، وكان على رأس تلك العوامل، المعارضة الشديدة التي لاقتها من جانب القيسية كون أبي العميطر قد صرح بأنه سيعتمد على القبائل اليمانية في ثورته[٤]، بل أن الأمر وصل إلى حد أبعد من ذلك، حيث ذكر المبشرون بالسفياني أن أموره لا تتم إلا بقبيلة كلب وأنهم أنصاره، فمالوا إليه[٥]، وإذا كان الغرض من ذلك استمالة القبائل اليمانية فقد تم تحقيقه على أكمل وجه، ولم يكن الأمر بحاجة إلى التمادي به وأنه موجه ضد القيسية، فقد كان أبو العميطر وأتباعه في غنىً عن إثارة القيسية ضدهم، ولكنهم أثاروهم، ووصلت العلاقة بين الطرفين إلى حد المواجهة الفعلية، وهنا ضاعت الجهود التي كان من المفترض أن توجه ضد الدولة العباسية لتوجه إلى أهل دمشق أنفسهم بأنفسهم.

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٥٠٣؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٢٨٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣ ص٢٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠ ص٥٠٢.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٣٩.

(٤) ابن الأثير: ج٦ ص٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠ ص٥٠٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠. Paul M. Cobb. White Banners, P.p 59-60.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤ ص٢٩.

وبدأ أنصار أبي العميطر بإثارة الفتنة والقلاقل حول القيسية وزعيمهم ابن بيهس عند الوالي سليمان بن أبي جعفر، وأخبروه أن ضعف عمله وفساد أموره وتعطيل تطبيق قوانين الدولة سببه جميعاً الزواقيل(١)، وأن هذه الفئة تلاقي الدعم والتأييد من قِبَل عشيرة وأقارب ابن بيهس، وقد اقنعوا الوالي بهذه الأمور فقام وحبس ابن بيهس(٢)، ولما تخلص مؤيدو أبي العميطر من خصم عنيد، أصبح أمر انتشار ثورتهم والتبشير بزعيمهم أمراً سهلاً، فبايع أصحاب أبي العميطر وبعثوا إلى زواقيلهم، ولم يشعر الوالي سليمان بن جعفر وهو في قصر الحجاج خارج دمشق حتى أحاطت به الرجالة فحصروه(٣).

ولما استقامت الأمور لأبي العميطر في دمشق قليلاً، سعى جاهداً ليبايع بخلافة المسلمين، ويظهر أنه حاول من وراء ذلك أن يضفي صفة الشرعية على وجوده حتى يتمكن من مواجهة الدولة العباسية، التي تتمتع بالخلافة الرسمية على المسلمين آنذاك.

وقد كان أبو العميطر حريصاً كل الحرص على أن يبايعه أهل دمشق والشام غير ملتفت لمن يعارض بل ومجبراً له على المبايعة بعد أن يهدده بأساليب عديدة، فقد ذكر ابن عساكر: "أن (الركبي) كان يأخذ البيعة على الناس في دمشق لأبي العميطر في الأسواق، وكان يدور على منازل أهل دمشق، فمن خرج عليه أخذ عليه البيعة، ومن لم يخرج أمر غلامه بتسمير بابه، ليشمت به جاره"(٤)، ومن ذلك يظهر أن أبا العميطر أصبح يمثل السلطة الرسمية في دمشق وأن اتباعه كان مرضياً عنهم، ولعلَّ هذا شجع كثيراً من عامة أهل دمشق أن لا يقفوا في وجهه بل ويبايعوه ليحظوا بالامتيازات التي يبدو أن أتباعه كانوا يتمتعون بها، وهم وإن لم يحظوا بالامتيازات فلا شك بأنهم قد ابتعدوا عن العقاب أو الإضرار بمصالحهم في حال عدم مبايعتهم.

وعلى ما يبدو فالبيعة لأبي العميطر كانت على شكل الإجبار فقد ذكر أن أصحاب أبي العميطر أخذوا رجلاً فأدخلوه إلى أبي العميطر وقالوا له: بايع، فذكر لهم أنه قد عاهد الله أن لا يقبض ديواناً من أيام هارون الرشيد، فقالوا له ذلك ديوان أهل بيت اللعنة(٥).

وبعد أن تلقى البيعة بإمرة المؤمنين، بدأ أبو العميطر جهوداً حثيثة لتأسيس دولة يكون هو على رأسها تقوم على أسس قوية في دمشق حتى تكون مركزاً للانطلاق إلى المناطق الأخرى في بلاد الشام، ثم العراق مركز الخلافة العباسية(٦)، فمن أول ما قام به أبو العميطر من أعمال أنه أسس جيشاً خاصاً به (حرس) كان يقوم بمهمات متعددة كأن يقف بين يدي "الخليفة" إذا خرج، حيث ذكر ابن عساكر" "أنّ أبا العميطر كان إذا خرج من الخضراء وهو راكب يمشي بين يديه خمس مائة رجل على رؤوسهم

---

(١) الزَّواقيل: اشتق من الزَّقْل، الزواقيل قوم بناحية الجزيرة وما ولاها؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة زقل، ج٦ ص٦٠
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ص٤٣ ص٢٩.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٢٩، ٣٠.
(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٣٠.
(٥) المصدر نفسه: ج٤٣ ص٣٠.
(٦) المصدر نفسه: ج٤٣ ص٤٢.

القلانس الشاميات وفي أيديهم المقارع"[١]، وكان هذا الحرس يقوم بمهمة أخرى وهي حراسة سور مدينة دمشق، حيث كانوا ينادون بالليل يا علي يا مختار، يا من اختاره الجبار على بني هاشم الأشرار[٢]، ويبدو أن أبا العميطر مارس أبهة الخلافة، لإظهار الرهبة في نفوس منافسيه وخصومه، ومن هنا نجده يحرص على الحصول على المبايعة من قبل أغلب الناس حتى اضطر إلى إجبارهم، ووقف موقف العداء من الرافضين ليجبرهم على المبايعة، وعلاوة على ذلك فهو حريص جداً على إظهار الهيبة والمكانة التي يتمتع بها من خلال الأبهة التي كان يخرج فيها من قصره والمتمثلة بخروج الحراس الكثيرون الذين يرتدون الملابس الفخمة وفي أيديهم الأسلحة ليقفوا بين يديه[٣]. وربما أراد بذلك إدخال الإعجاب والثقة في نفوس مؤيديه وإثارة الرعب في نفوس أعدائه.

ويلمح ابن عساكر أن أهل دمشق لم يكونوا جميعهم واقفين إلى جانب أبي العميطر وأن هناك عناصر كثيرة كانت تعارضه سواء أكان ذلك من اتباعه أم من أعداءه القيسية، ويظهر ذلك من خلال ما قاله رجل "وصف بأنه مجنون" خلال صعود أبي العميطر المنبر في دمشق، حيث قام إليه ذلك الرجل وقال له: "أسحق الله عينك يا أبا العميطر، فقد ألقيت نفسك وألقيتنا معك في حفرة سوداء"[٤]، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن هناك معارضة شديدة لأبي العميطر من قبل فئة كانت ترى أن هناك نتائج سيئة ستلحق بها إذا فشلت ثورة أبي العميطر[٥].

وحاول أبو العميطر تنظيم أمور دولته تنظيماً دقيقاً، فاتخذ من الخضراء التي بناها معاوية مقراً لممارسة مهامه كحاكم للدولة الجديدة[٦]، كما قام بإنشاء ديوان خاص بدولته[٧]، وجعل أبا مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني الفقيه قاضياً في دولته[٨]، واتخذ كاتباً له وهو مروان بن عنبسة الأموي، الذي كان يقف مع سعيد بن حميد بن أبي العجائز بين يديه وبيد كل منهما سيف مسلول[٩].

ويبدو أن أبا العميطر بعد أن استقرت أمور حركته، حاول أن يعطيها قوة إضافية، وكانت فكرته تتمثل بمحاولة التأليف بين القيسية واليمانية في دمشق ضد عدو واحد مشترك وهو الدولة العباسية، والهدف بالطبع إعادة المكانة التي كانت تتمتع بها الشام عامة ودمشق خاصة- إلى ما كانت عليه أيام الأمويين، علاوة على أن أبا العميطر حاول في خطته هذه أن يحيِّد القيسية وزعيمهم ابن

---

(١) المصدر نفسه: ج٤٣ ص٤٢.

القلانس: جمع قلنسوة، وهي من الملابس الخاصة بالرأس؛ ابن منظور: لسان العرب، قلس ج١١ ص٢٧٩.

المقارع: بـــ جمع مقراع وهو آله كالفأس يكسر بها الحجارة؛ ابن منظور: لسان العرب، قرع ج١١ ص١٢٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٣١؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٢٨٦.

(٣) ابن عساكر: ج٤٣ ص٣٠، ٣١، ٣٢.

(٤) المصدر نفسه: تاريخ، ج٤٣ ص٣٢، ج٢٩ ص٣٤١.

(٥) Paul M. Cobb. White Banners, P.p 60-62.

(٦) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٣٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٤٣ ص٣١.

(٨) المصدر نفسه، ج٥٧ ص٣١٣؛ الذهبي: سير، ج١ ص٢٣٢.

(٩) الذهبي: سير، ج١ ص٢٣٢.

بيهس من التدخل في الأحداث، فيكون إن لم يكسبهم لجانبه قد كسب عدم وقوفهم مع أعدائه، وعلى الأقل مؤقتاً حتى يتفرغ لهم، ومن هنا أرسل أبو العميطر إلى زعيم القيسية ابن بيهس–الذي لم يدخل في طاعته– كتاباً ذكَّره فيه بالمعاملة الحسنة التي كان يحظى بها أسلافه، وليس هذا فحسب بل أنه عرض عليه أن يوليه ما خلف بابه إن هو بايعه[١]، وبالمقابل فقد استخدم أبو العميطر أسلوب التهديد إلى جانب أسلوب الترغيب فقد توعد ابن بيهس بالحرب إن هو رفض البيعة[٢]، واختار ابن بيهس عدم المبايعة لأبي العميطر، فكانت إجراءات أبي العميطر سريعة حيث بدأ بمهاجمة قرى القيسية في الغوطة، فسارع ابن بيهس لنجدتهم، وهذا ما دفع أبا العميطر لإرسال جيش لعله يستطيع القضاء على المقاومة بسرعة[٣].

وفي هذه الفترة كانت الحرب ما تزال مشتعلة بين الأخوين الأمين والمأمون، ويبدو أن ابن بيهس كان يتابع الأحداث عن كثب، ويرى أن كفّة المأمون هي الراجحة، فما كان من ابن بيهس إلا أن أرسل إلى المأمون كتاباً يخبره فيه بأمر أبي العميطر ويستأذنه بغازيته فأذن له[٤]، وهذا العمل مهم من ابن بيهس فهو اعتبر أن السلطة الرسمية هي سلطة المأمون، وأن تكليف المأمون له بالوقوف في وجه أبي العميطر ما هو إلا مكسب له حيث أصبح يمثل السلطة الرسمية المستقبلية وهو ما تم بالفعل.

وتمكن ابن بيهس من هزيمة جيش أبي العميطر وقتل أعداد كبيرة منه[٥]، وقد أعطى الانتصار لابن بيهس ثقة كبيرة حيث توجه بعدها لحصار دمشق، وهذا ما دفع أبا العميطر لطلب المساعدة من أعوانه في خارج دمشق وحمص وقنسرين، فقدم عليه عدد كبير منهم[٦]، ثم شكل أبو العميطر جيشاً ضخماً وجعل عليه ابنه القاسم وكان يساعده في القيادة المعتمر بن موسى، ووجهه لقتال ابن بيهس[٧]، وعلى ما يبدو أن أبا العميطر كان يعول على هذا الجيش كثيراً في حسم المعركة والانتصار على ابن بيهس ودليل ذلك أنه جعل من ابنه الوحيد (القاسم) قائداً للجيش، ويظهر أن معركة حامية الوطيس قد جرت بين جيش أبي العميطر بقيادة ابنه القاسم وبين ابن بيهس، أسفرت عن هزيمة ومقتل القاسم بن أبي العميطر ومساعده المعتمر بن موسى[٨].

ومن المؤكد أن الهزيمة التي تلقتها قوات أبي العميطر ومقتل ابنه القاسم كانت حداً فاصلاً لمشاريعه الهادفة لتوسيع رقعة دولته، فقد كان أبو العميطر يسعى لبسط نفوذه على مساحات واسعة من الشام والجزيرة ويبدو ذلك من خلال رده على من جاء يخبره عندما ملك اتباعه قرية المصيصة بباب

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧ ص٣١٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧ ص٣١٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٣ ص٢٥٨؛ المصدر نفسه، ج٦ ص١٤٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ: ج٥٥ ص٣١، ٣٢، ج٦٨ ص٢٥٤.

(٥) المصدر نفسه: ج٥٣ ص٢٥٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٥٥.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦٠.

(٧) المصدر نفسه، ج٥٣ ص٢٦٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ: ج١٧ ص٢١٧.

دمشق، "فخر ساجداً وقال: الحمد لله الذي ملكنا الثغر توهم أنها المصيصة التـــي عنـــد طرســـوس[١]"، وعلاوة على ذلك فقد كان القاسم بمثابة اليد التي يحكم فيها أبو العميطر خاصة وأن سِـنَّة قـد تجـاوز التسعين، وكان يطمح أن يشكل دولة قوية واسعة يورثها لابنه من بعده، ولكن أحلامه أنهارت بمقتلـــه، مما أفقده الحماس للثورة.

وبعد أن كانت "دولة" أبي العميطر في طريقها إلى الانهيار جاء مرض ابن بيهس في هذه الفترة الحرجة ليؤخر من سقوط دولة أبي العميطر بعض الوقت، حيث تراجع ابن بيهس أمام دمشق بعد أن كان ينوي القيام بهجوم شامل عليها[٢]، ولكنه قبل انسحابه كان قد أعد الأمور حتى لا يعطي أبا العميطر الفرصة في التقاط أنفاسه، فهو إذا كان قد انسحب من أمام دمشق هو وجيشه ولم يواجه أبا العميطر وجهاً لوجه، فقد اختار أن يواجه أبا العميطر من الداخل، وذلك عن طريق إثارة الفتنة داخل معسكره، وتشجيع أحد الأمويين الطامحين على طرح نفسه كمنافس حقيقي لأبي العميطر[٣]، وقد أراد ابن بيهس من ذلك أن يشق الجبهة الموحدة حول أبي العميطر، عن طريق التشكيك في صحة ما يدعيه أبي العميطر فيلجأ الناس لتأييد شخص آخر من بني مروان[٤]، وهذا ما تم بالفعل، حيث جمع ابن بيهس رؤوساء بني نمير وأوهمهم أنه حريص على آل مروان وأن المرض منعه من أن يطلب لهم بحقوقهم، فحثهم على الرفق ببني مروان، وشجعهم على اختيار مسلمة بن يعقوب أحد أحفاد مسلمة بن عبد الملك وجاء اختياره لصلة القرابة التي تربطه ببني نمير، علاوة على ركاكة شخصيته[٥]، وهو ما يؤدي لنجاح خطة ابن بيهس.

وحثَّ ابن بيهس بني نمير أن يخبروا مسلمة انهم معه وليسوا مع أبي العميطر (بني أبي سفيان)، وقد أراد ابن بيهس من ذلك أن يكيد السفياني بـــ مسلمة صراحة[٦]، وبعد أن أتم ابن بيهس إعداد خطته، عاد إلى حوران ليأخذ قسطاً من الراحة لعلة يتماثل للشفاء، في الوقت الذي اجتمعت فيه بنو نمير على مسلمة وبذلوا له البيعة بناءً على خطة أعدها ابن بيهس، ويظهر ذلك من خلال قوله[٧]:

كِيْدُوا العَدُوَ بِأَنْ تُبْدُو مُبَاعَدَتِي   ولا تَنُوا في الذِي فِيْهِ لَهُمَ تَلَفٌ
وَكَاتِبُونِي بِمَا تأتونَ مِنْ هَنَةٍ   حتى تَكُونَ إِلِيَّ الرُسُلُ تَخْتَلِفُ

ولما بايع بنو نمير مسلمة قَبِلَ منهم وجمع مواليه وأهل بيته، فدخل إلى أبي العميطر في الخضراء كعادته للسلام عليه فقبض على أبي العميطر وشده بالحديد، ثم بعث إلى زعماء بني أمية على

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج١٧ ص٢١٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٥٣ ص٢٦٣؛ المصدر نفسه، ج٦ ص٢٥٠؛ المصدر نفسه، ج٥ ص٥٠٠.

(٥) المصدر نفسه: ج٥٣، ص٢٦٣؛ المصدر نفسه، ج٦، ص٢٥٠؛ المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠٠.

(٦) ابن عساكر: تاريخ: ج٥٣، ص٢٦٢؛ ج٥٨ ص٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ ابـــن خلـــدون: العبـــر، ج٥ ص٥٠٠.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠.

لسان أبي العميطر يأمرهم بالحضور، فلما حضروا أجبرهم على المبايعة قسراً واحداً تلو الآخر[١]، ولما كان مسلمة قد وصل إلى السلطة عن طريق القيسية، فقد أدنى القيسية إلى جانبه، ولبس الثياب الحمراء وجعل الحمرة شعاراً له[٢]، وحاول مسلمة أن يكافأ بني نمير على مساعدتهم له، فقام بإقطاعهم ضياع المرج، وقربهم إليه واستمالهم، وجعل لكل رجل من وجوه قيس بدمشق منزلاً[٣].

وعندما خرج ابن بيهس من علته جمع جماعة وأقبل يريد دمشق، فطلب مسلمة ممن معه مواجهة ابن بيهس، فوعدوه خيراً، وخرج مسلمة وخرجت معه القيسية فقاتلوا ذلك اليوم مع مسلمة قتالاً شديداً وكثرت الجراحات بين الفريقين[٤]، ويظهر أن ابن بيهس أساء الظن بالقيسية الذين كان قد اتفق معهم على مبايعة مسلمة لكيد أبي العميطر، وصار يشك بأنهم فعلاً يقفون مع مسلمة، ويظهر ذلك من خلال ما قاله ابن بيهس:

سَيَكْفي اللهَ وَهْوَ أَعَزُ كافٍ أَمَيْرَ المؤْمنينَ ذَوِيْ الخِلافِ
وكلُ مقدَّر في اللَّوْحِ يَأْتِي وكلُ ضَبَابَةٍ فَإلى انْكِشَافِ
وعن حقٍ أُدَافِع أهْلَ جَوْرٍ وشَتَّى بَيْنَ قَصْدٍ وانْحِرافِ[٥]

ويبدو أن القيسية عادوا لاتفاقهم مع ابن بيهس، حيث تعذروا من مسلمة لعدم القتال معه، وأنهم يرغبون في إقناع ابن بيهس بالصلح، ثم تخذيل أصحابهم عنه ولكنهم كانوا قد أضمروا الغدر، فاتفقوا مع ابن بيهس وبيتوا الأمر لمسلمة، فصبح ابن بيهس دمشق بالخيل والرجالة والسلالم، ونشب القتال ناحية باب كيسان[٦]، وسارع مسلمة إلى الهرب، حيث أخرج أبا العميطر من حبسه ولبسا لبس النساء وخرجا من باب الجابية إلى المزة، ثم دخل ابن بيهس مدينة دمشق سنة ١٩٨هـ/٨١٣م وغلب عليها[٧]، وعلى الرغم من دخول ابن بيهس دمشق وغلبته عليها، إلا أن مقاومة أبي العميطر ومسلمة لم تنتهِ، حيث بقيت جيوب المقاومة في المزة وداريا وبيت لهيا، حتى صالح ابن بيهس أهل بيت لهيا ثم حارب المزة وداريا وهو مقيم بدمشق أميراً عليها، واستمر كذلك حتى قدم عبد الله بن طاهر دمشق سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م، حيث ذهب ابن بيهس مع عبد الله بن طاهر للعراق فمات هناك[٨].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ ، ج٥٨ ص٦٩؛ ج٥٣ ص٢٦١-٢٦٢.
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨ ص٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨ ص٦٩، ج٥٣ ص٢٦٢؛ المصدر نفسه، ج٥ ص٥٠٠.
(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦٤، ج٥٨ ص٧٠.
(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨ ص٧٠؛ ج٥٣ ص٢٦٤.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨ ص٧٠؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٣٣٨.
(٧) ابن عساكر: ج٥٣ ص٢٦٤-٢٦٥؛ ج٥٨ ص٧٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث،١٩١-٢٠٠ ص٥٠٢؛ سير ج٩ ص٣٣٨؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص٦.
(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦٥، ج٥٥ ص٣١-٣٢، ج٥٨ ص٧٠، ابن الأثير: ج٦ ص٢٥٠، الحنبلي: شذرات، ج٢ ص٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠١.

وانتهت ثورة من أقوى الثورات إن لم تكن أقواها، والدارس لهذه الثورة يمكن أن يلحظ مجموعة من الأسباب التي كان لها الأثر الأكبر في عدم نجاحها على الرغم من الدعاية التي سبقتها ومنها:

أن أبا العميطر لم يستطع أن يحتوي خصومه، وعلى الأخص القيسية وزعيمها ابن بيهس، وهذا بالطبع أدى إلى انشغال الثورة بقتال القيسية بدلاً من التوجه للسيطرة على باقي مناطق الشام، وهي بذلك خسرت مجهوداً مادياً كان الأولى بها أن توجهه نحو الدولة العباسية.

وعلاوة على ذلك فإن صاحب الثورة رجل طاعن في السِّن، فقد بلغ عمره عند قيامه بالثورة تسعين عاماً، وهذا بالطبع قلل من قدرته على ممارسة قيادة الثورة بحيوية ونشاط. كما كان لمقتل ابنه القاسم أثر كبير في تناقص حماسته للثورة، فقد كان يطمح بتكوين دولة قوية ثم نقلها إلى ابنه، الذي شكل مقتله ضربة موجعة له ولثورته. وهناك سبب آخر من الأسباب العميقة، فعلى الرغم من أن الثورة اعتمدت في غايتها على الدعوة للبيت الأموي وعلى الأخص لآل أبي سفيان وهو عامل من عوامل قوتها- إلا أنها شهدت انقساماً بين الأمويين أنفسهم، حيث انقسموا إلى سفيانيين يؤيدون أبا العميطر باعتباره السفياني المنتظر...وفئة تؤيد مسلمة باعتباره من آل مروان أصحاب الحق المباشر بالخلافة، وكان هذا من الأسباب التي ساهمت في نهاية الثورة، حيث تمت مهاجمة أبي العميطر من مكان آمن لم يكن يتوقع منه الهجوم مما أدى إلى سقوطه[١].

<u>٢- الحركات التي قام بها الأمويون أو مؤيدوهم:</u>

<u>- حركة عثمان الأزدي ١٣٢-١٣٧هـ / ٧٥٠-٧٥٤م.</u>

قام عثمان الأزدي بالوقوف في وجه الدولة العباسية مرتين، وكانت الأولى بعد خروج عبد الله بن علي لمحاربة أبي محمد السفياني[٢] وأبي الورد (مجزأة الكلابي) سنة ١٣٢هـ، حيث استغل أهل دمشق قيام ثورة أبي محمد السفياني وتجهيز عبد الله بن علي الجيوش لحربه، فانتفضوا وبيضوا ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي[٣]، وقد تمكنت هذه الحركة من الظفر بقائد عبد الله بن علي ومن معه حيث هزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، ثم انتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلَّف وراءه من ثقل ومتاع، ولكنهم لم يعرضوا لأهله[٤].

ولم يعر عبد الله بن علي هذه الحركة كثيراً من الاهتمام والجهد في تلك الفترة، لأنه كان قد وجّه جل اهتمامه للثورة التي قام بها أبو محمد السفياني ومجزأة بن الكوثر في قنسرين، والتي كانت من

---

(١) انظر: Paul M. Cobb. White Banners, P.p 62-64

(١) وهو زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وقتل في بداية خلافة المنصور. البلاذري: أنساب، قسم ٤ ج١ ص٣٦٨؛ الطبري: تاريخ، ج٧، ص٣١١.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٧ ص٤٤٣-٤٤٤؛ Paul M. Cobb. White Banners. P.p 76-77.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٣-٤٤٤؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤ ص١٨٩، ج٣٨ ص٤٢٨؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٠٧.

وذكر أبو الفداء أنهم نهبوا أهل عبد الله، المختصر ج١ ص٢١٣. ولو كانوا نهبوا أهل عبد الله لما سامحهم وعفا عنهم بسهولة فيما بعد.

القوة بحيث لا تحتمل التأجيل[١]. ويظهر أن انشغال عبد الله بن علي بمحاربة السفياني وأبي الورد، جعل هذه الثورة تستمر أكثر مما ينبغي لها، حيث استمرت حتى فرغ عبد الله بن علي من حرب السفياني[٢].

وفور قضائه على ثورة أبي محمد السفياني أمَّن عبد الله بن علي أهل قنسرين، فسوَّدوا وبايعوه ودخلوا في طاعته، ثم انصرف راجعاً بعد أن تفرغ لمواجهة أهل دمشق لما كان من تبييضهم وهزيمتهم أبا غانم (قائد عبد الله بن علي)[٣]، ولما اقترب عبد الله بن علي من دمشق، خاف أهلها الثائرون فهربوا وتفرقوا، ثم طلبوا الأمان فأمنهم عبد الله بن علي فبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم[٤].

ويبدو أن أهل دمشق قد عاد إلى أذهانهم ما قام به عبد الله بن علي يوم دخل دمشق من نهب وتدمير، فخافوا أن يحدث بهم ما حدث في السابق فآثروا الهروب على الاستمرار في الثورة، ثم سارعوا لطلب الأمان كنوع من الاحتراز من انتقام عبد الله بن علي.

ومن الواضح أن هذه الحركة جاءت امتداداً لسلسلة من موجات المعارضة للعباسيين، والتي شملت أغلب مناطق الشام– ضد سياسة القتل التي مارسها العباسيون تجاه الأمويين وقادتهم.

وكانت هذه الحركة ضعيفة، وتكمن أبرز عوامل ضعفها في غياب التخطيط المنظم والمشترك، فهي إن قامت في فترة مليئة بالثورات، فإنما يدل ذلك على أن هناك تنسيقاً ما قد تم حول وقت إعلان الثورة لتتزامن مع ثورات أخرى لعلها تشتت الجهد العباسي في التصدي لها، غير أن هذا التنسيق لم يرق إلى المستوى المناسب، فهذه الثورة إن اشتركت مع غيرها في الفترة الزمنية فهي قد اختلفت مع غيرها في غياب الجهد المشترك الموحد ضد السلطة العباسية، وهذا ما مكَّن عبد الله بن علي من الانفراد بالثورات والقضاء عليها الواحدة تلو الأخرى.

ونلاحظ أن عبد الله بن علي قد تعامل مع هذه الثورة التي قامت بكل لين وتساهل، ولم يبد تجاه "أهل دمشق" أي قوة أو عنف، بل سامحهم وأمَّنهم وعفا عنهم، ويمكن رد ذلك إلى أنه لم يحصل بينها وبين قوات عبد الله بن علي أي اشتباك وأن عناصرها تفرقوا قبل وصول عبد الله بن علي، فلم يعد الأمر محتاجاً لعقابهم[٥].

ويمكن تفسير هذا التصرف من عبد الله بن علي وما أبداه من لين تجاه هذه الثورة في أن عبد الله بن علي ربما قد جعل الشام ولاية خالصة له، وربما قد استفاد كثيراً من تجربة معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام وتمكن أهل الشام من إيصاله إلى الخلافة فلعلّ عبد الله كان يرنوا للخلافة، فحاول أن يعيد الثقة لأهل الشام وعلى الأخص أهل دمشق، بعدما اقترفه خلال عملية الاستيلاء على دمشق، لعله بذلك يجد الأرض الخصبة لتحقيق طموحاته.

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٤.

(٢) المصدر نفسه ج٧ ص٤٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ج٤ ص٤٤٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٤؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٣٣.

(٥) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٤.

ومهما يكن من أمر فقد هرب عثمان بن عبد الأعلى من دمشق قبل وصول عبد الله بن علي، وبقي مختفياً حتى وفاة السفاح وإعلان عبد الله بن علي ثورته على المنصور[١]. واستغل عثمان بن عبد الأعلى النزاع داخل البيت العباسي ليعلن خروجه الثاني على الدولة العباسية سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م [٢]، حيث أعلن الخروج عن بيعة المنصور، وقام بسب بني العباس على منبر دمشق[٣]. وقد فكر عثمان بن عبد الأعلى بكسب التأييد والمؤازرة لثورته فما كان منه إلا أن قام بالمبايعة بالخلافة لأحد أحفاد معاوية وهو هاشم بن يزيد[٤]. وقد استجاب له أهل دمشق- المتحفزون للوقوف إلى جانب أي شخص يعيد إليهم ما فُقِد من حقوقهم وامتيازاتهم- وبايعوا هشاماً لكن الأمر لم يتم لهم، حيث عاجلهم المنصور وأرسل لهم جيشاً بقيادة عمه صالح ابن علي تمكن من القضاء على عثمان وقتله[٥].

---

(١) الذهبي: تاريخ حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص٣٥٣؛ أبو المحاسن: النجوم، ج١ ص٣٣٢.

(٢) الذهبي: تاريخ حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص٣٥٣؛ العبر: ج١ ص٤٤٤؛ سير أعلام، ج٦ ص١٦٠. اليافعي: مرآة الجنان، ج١ ص٣١٣.

(٣) أبو المحاسن: النجوم، ج١ ص٣٣٢؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص١٨٥.

(٤) الذهبي، تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص٣٥٣؛ سير، ج٦ ص١٦٠؛ العبر، ج١ ص٤٤٤؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١ ص٣١٣؛ أبو المحاسن: النجوم، ج١ ص٣٣٢؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص١٨٥.

(٥) الذهبي: سير، ج٦ ص١٦١؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢٠٨؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج١ ص٣١٣.

- **حركة هاشم بن يزيد السفياني: ١٣٦هـ/٧٥٣م:**

قامت هذه الثورة خلال الفترة التي تلت وفاة السفاح وقيام عبد الله بن علي بالتمرد على المنصور والدعوة لنفسه بالخلافة[١]، ويبدو أن هاشم بن يزيد حاول استغلال تمرد عبد الله بن علي ضد المنصور وانشغال المنصور بحربه، فأعلن ثورته، بترتيب وإعداد من عثمان بن سراقة الأزدي[٢]، وجاءت الثورة في وقتٍ حرج انشغل فيه المنصور بحرب عمه المتمرد، وقد هدف هاشم من اختيار هذا الوقت للثورة إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب في ظل اختلاف الكلمة العباسية وتشتت جهودها، وبالفعل تمكن هاشم بن يزيد من تحقيق بعض الانتصارات حيث استطاع السيطرة على دمشق، والتي سارع أهلها لمبايعته بالخلافة[٣].

ويظهر أن أهل دمشق قد حلموا بعودة مدينتهم إلى مجدها الغابر، وحلموا أن هذه هي الفرصة التي يستلم فيها الحكم أموي لعله يعيد الهيبة والمكانة التي سلبت من دمشق، خاصة في ظل انشغال العباسيين بالتناحر فيما بينهم على السلطة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن أهل دمشق كانوا كثيري "الولاءات"، هدفهم واضح يتمثل في إعادة الهيبة والمجد لدمشق. وهم مستعدون للتحالف مع أي طرف مقابل تحقيق هذا الهدف، فقبل قيام ثورة هاشم بن يزيد كان الدمشقيون يقفون موقفاً مؤيداً من حركة عبد الله بن علي[٤]، وقد أملوا من ذلك تحقيق حلمهم في إعادة مجد الشام ودمشق لسابق عهده، ولكن يظهر أن أهل دمشق قد كُشفت نواياهم الحقيقية والمتمثلة في أنهم أصحاب ولاء أموي، فهم يرغبون بإعادة مجد دمشق ولكن إن كان هذا الإنجاز سيتحقق على يد أموي كان أفضل، لذا نجدهم يبايعون هاشماً مع أنهم وقفوا موقفاً لصالح عبد الله بن علي قبل ثورة هاشم هذا، ويبدو أن هذه الثورة شكلت عبئاً كبيراً على قوات عبد الله بن علي الخارج على الدولة في تلك الفترة، وأضعفت من قوته، فحاول أن يقضي عليها ولكنه فشل في مسعاه[٥].

- **حركة مسلمة بن يعقوب المرواني ١٩٦هـ/٨١٢م:**

قام مسلمة- كما ذكرنا سابقاً خلال ثورة أبي العميطر- بالقبض على أبي العميطر وبمساندة من بني نمير القيسيين الذين رفضوا كباقي قبائل قيس- الوقوف في صف أبي العميطر خلال ثورته لأنه اعتمد على اليمنيين أعداء القيسية[٦].

ومع أن مسلمة بن يعقوب المرواني، خرج بعد ان قام ابن بيهس بتحريض بني نمير القيسية على مبايعة شخص آخر من بني أمية محاولة منه في شرخ الصف الأموي عن أبي العميطر وقد نجح

---

(١) انظر الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص٣٥٣؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٠٨.

(٢) انظر حركة عثمان الأزدي من هذا الفصل.

(٣) انظر الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص٣٥٣؛ الصفدي: تحفة قسم١ ص٢٠٨.

(٤) انظر حركة عبد الله بن على العباسي من هذا الفصل.

(٥) انظر الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص٢٦١ و ج٥٨ ص٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠.

فعلاً[١]، فقد مارس مسلمة سلطاته كحاكم ثائر...حيث أجبر رؤوساء بني أمية في دمشق على مبايعته[٢]، واتخذ مسلمة بن يعقوب من الحمرة شعاراً له[٣]، كما حاول أن يرضي من وقفوا لجانبه وهم بنو نمير حيث كافأهم وقام بتوزيع الضياع عليهم، بل إنّ مكافأته لم تقتصر على بني نمير بل طالت القيسية جميعاً، فقد جعل لكل قيسي منزلاً في دمشق[٤].

وقد جاءت ثورة مسلمة بن يعقوب في الفترة التي مرض فيها ابن بيهس[٥]، فلما تعافى ابن بيهس من مرضه عاود الهجوم على دمشق وتمكن من دخولها بعد أن إنحاز إليه بني نمير سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[٦]. مما اضطر مسلمة إلى الخروج من دمشق بعد أن أخرج أبا العميطر من سجنه وهربا معاً خارج دمشق في زي النساء، حيث توفيا وهما متواريان في قرى دمشق[٧].

- **<u>حركة سعيد بن خالد الفديني ١٩٨-٢٠٨هـ/ ٨١٣-٨٢٣م:</u>**

خرج بدمشق خلال فترة خلافة المأمون مباشرة بعد القضاء على ثورة أبي العميطر، وادَّعى الخلافة[٨]، وقام بمهاجمة ضياع القيسية وقتل من قدر عليه منهم، وتعصب لليمينة[٩]، ويظهر أن سعيد بن خالد الفديني كان يحمل حقداً على القيسية كونهم خذلوا أبا العميطر ووقفوا في وجهه، فأراد الانتقام منهم ثأراً لما حدث له.

وتجاه هذا الوضع المتمثل بتوجيه الفديني حملته ضد القيسية، وجد ابن بيهس نفسه في مواجهة هذا الثائر وسرعان ما وجه قوات لمواجهته، وبالفعل تمكنت قوات ابن بيهس (القيسية) من تحقيق الانتصار عليه، ومن ثم تدمير الحصن الذي كان يقيم به في الفدَّين[١٠].

وبعد هزيمته وجد الفديني نفسه أمام خيار الاستعانة بمن تبقى من أنصار أبي العميطر- الذين جلوا عن دمشق بعد هزيمة أبي العميطر- حيث سارعوا للالتفاف حوله لمواجهة القيسية ولكن القيسية تمكنت من هزيمتهم مرة أخرى، وأجبرت الفديني على الفرار والتواري عن الأنظار بعد أن تفرق عنه أصحابه[١١].

<u>٣- حركة عبد الله بن علي العباسي ١٣٦-١٣٧هـ/٧٥٤-٧٥٩م:</u>

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨ ص٦٩؛ المصدر نفسه ج٦ ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨ ص٦٩.

(٣) المصدر نفسه: ج٥٨ ص٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.

(٤) المصدر نفسه: ج٥٨ ص٦٩؛ المصدر نفسه ج٥ ص٥٠٠.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص٦١.

(٦) المصدر نفسه: تاريخ، ج٥٨ ص٧٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ الذهبي: سير ج٩ ص٣٣٨.

(٧) المصدر نفسه ج٥٢ ص٢٦٥؛ ج٥٥ ص٣١-٣٢، ج٥٨ ص٧٠؛ ابن الأثير، ج٦ ص٢٥٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١ ص٥٦؛ ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص٢٤٠؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٦٨.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١ ص٥٦؛ حسن عثمان: الحدود الإسلامية، ج٢ ص١٦٧.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١ ص٥٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٢٤٠.

والفدين: من أرض حوران جنوب دمشق؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٢٤٠.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١ ص٥٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص٢٤٠؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢٦٨.

كانت حركة عبد الله بن علي حركة هامة لأنها حركة من نوع جديد فهي تمرد عباسي ضد الدولة العباسية، جاء من خلالها أحد أفراد البيت العباسي الطامعين بالخلافة أن يستغل وضعه في بلاد الشام وعدم استقرار الدولة بعد، لعله يستطيع تحقيق ما يدور في خلده.

فلما توفي أبو العباس ١٣٦هـ، كتب عيسى بن علي وعيسى بن موسى بن محمد إلى عبد الله بن علي بوفاته، وتولية عهده أبا جعفر"عبد الله بن محمد" وعيسى بن موسى بن محمد، فشخص إليه بالكتاب بذلك أبو غسان حاجب أبي العباس ومولاه والهيثم بن زياد الخزاعي(١)، وعندما قرأ عبد الله بن علي الكتاب قال: "إن أمير المؤمنين كان ندب الناس إلى مروان فتثاقلوا عنه فقال: من انتدب من أهل بيتي فهو الخليفة بعدي فانتدبت له، فصدّقه أبو غسان وسلم عليه بالخلافة، ووعظه الهيثم الخزاعي قائلاً له: نشدتك بالله أن تهيج الفتنة وتعرض نفسك وأهل بيتك للهلكة وزوال النعمة، ثم خطب عبد الله بن علي فقال: إن أمير المؤمنين رحمه الله استخلفني، فصدقه أبو غسان وكذبه الهيثم فأمر بضرب عنقه"(٢).

وبعد أن بايع الناس عبد الله بن علي بالخلافة، وكان من ضمن من بايعوه قادة كبار كان لهم دور في الدعوة العباسية أمثال حميد بن قحطبة الطائي، سار عبد الله بن علي حتى نزل قنسرين فاستعمل عليها زفر بن عاصم، كما ولى عثمان بن عبد الأعلى على دمشق، وولى الحكم بن ضبعان على فلسطين(٣)، وكتب عبد الله بن علي إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينيه، وإلى مالك بن الهيثم وهو باذربيجان وإلى محمد بن صول وهو بشمشاط مقيم في خمسة آلاف يدعوهم فلم يجيبوه(٤). ثم سار عبد الله بن علي إلى حرّان وكان عليها مقاتل بن حكيم العكي، فحصره فطلب مقاتل الأمان فصالحه ودخل حرَّان سنة ١٣٧هـ، ثم استعمل أخاه عبد الصمد على الجزيرة بعد أن ولاّه عهده، ووضع على شرطته منصور بن جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن ربيعة، ثم بعث بالعكي إلى عثمان بن عبد الأعلى واليه على دمشق وأمره أن يقتله لكنه لم يفعل وحبسه(٥).

ويبدو أن عبد الله بن علي لم يكن مطمئناً لجميع رجاله الذين بايعوه، لذا حاول أن يتخلص ممن لم يتأكد من ولائهم، ولكن بطريقة لا تثير الضجة من حوله، وفي نفس الوقت تكفيه مؤونة تمردهم إن علموا، وأول ما حاول أن يتبع هذا الأسلوب مع حميد بن قحطبة الطائي، أحد
الشيوخ الكبار والزعماء الأفذاذ، فقد تظاهر بعزل زفر بن عاصم عن قنسرين، وتعيين حميد بن قحطبة والياً عليها، لكنه في الخفاء كتب إلى زفر يأمره بقتل حميد والتخلص منه(٦)، وكان حميد أكثر ذكاءً من

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٦؛ المقدسي: البدء، ج١ ص٢٧٧؛ ابن طباطبا: تاريخ، ص١٦٧-١٦٨.

(٢) البلاذري: أنساب، ج٣، ص١٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ج٣ ص١٠٦؛ المقدسي: البدء، ج١ ص٧٧؛ ابن طباطبا: تاريخ، ص١٦٧-١٦٨.

(٤) البلاذري: أنساب: ج٣ ص١٠٦.

(٥) المصدر نفسه:، ج٣ ص١٠٦.

(٦) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٦؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٥؛ الدوري: العصر العباسي، ص٥٨.

أن يقع فريسة سهلة لمثل هذا الأمر، فعلم بما دبر له عبد الله بن علي، فسار إلى المنصور– الذي أمره أن يلتحق بجيش أبي مسلم الذاهب لقتال عبد الله بن علي[١].

ولنتصور حجم الخسارة التي خسرها عبد الله بن علي لفقدانه لهذا القائد الفذ والزعيم المحبوب صاحب الحنكة والخبرة (ابن أحد شيوخ الدعوة العباسية قحطبة بن شبيب)، وكان الأجدر بعبد الله بن علي أن يحتوي هذا القائد وغيره، ويغفر لهم زلاتهم إن هو أراد أن يحقق النصر، وهو ما لم يفعله عبد الله بن علي.

وسارع المنصور(أبو جعفر) للقضاء على حركة عبد الله بن علي بسرعة وبأقل الخسائر، ففكر باغتيال زعيمها، حيث دسَّ له المنصور بـــ محمد بن صول ليفتك به إن تمكن من ذلك لعل الثورة تخمد في مهدها، وإن لم يقدر يكتب بأخباره إليه فأتاه فصار معه[٢]، ولكن عبد الله بن علي كان له من العيون الكثيرة عند المنصور، فكتب له بعض عيونه في عسكر المنصور رسالة مفادها:"صل بابن صول قبل أن يصول بك" فقتله ابن علي وابنين له[٣].

وعندما عجز المنصور عن القضاء على حركة عمه عبد الله بن علي، عهد إلى أبي مسلم الخراساني قتاله[٤]، فتحرك أبو مسلم في اثني عشر ألفاً من جند خراسان[٥]، وجعل المنصور مقره في دير الجاثليق[٦] على دجلة، ولشدة حرص المنصور فقد وزع العديد من الكتائب على المناطق الاستراتيجية على طول الطريق المؤدي إلى الكوفة وخاصة في مناطق هيت[٧] وتكريت[٨]، وكانت وصيته لهم أن لا يتركوا أماكنهم حتى ولو سمعوا بانكسار أبي مسلم وجيشه[٩].

ويظهر أن المنصور ربما كان يخشى أن يقوم عمه عبد الله وهو الذي يعرف عنه بحنكته العسكرية، بهجوم مفاجئ وسريع على مقر الخلافة نفسها في العراق فيقضي على الدولة من أساسها فاتخذ هذه الإجراءات الاحتياطية منعاً لمثل هذه الحركة.

أما عن استعدادت عبد الله بن علي لملاقاة أبي مسلم، فقد توقع عبد الله حصاراً طويلاً لذا قام باتخاذ خطوة جريئة وكبيرة عندما قام بقتل ما يزيد عن سبعة عشر ألفاً من الجند الخراسانيين، بعد أن شك في ولائهم له وأنهم سوف يكونون عبئاً عليه إذا حدث الحصار الطويل الذي توقعه من قوات أبي

---

(١) المصدر نفسه، ج٣ ص١٠٦؛ الدوري: العصر العباسي، ص٥٨.

(٢) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص٣٧٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣١ ص٧١.

(٥) الدينوري: الأخبار، ص٣٧٨؛ ابن طباطبا: تاريخ، ص١٦٨.

(٦) دير الجاثليق: وهو دير قديم قرب بغداد غرب دجلة وهو رأس الحد بين السواد وأرض تكريت انظر(ياقوت، معجم البلدان، ج٢ ص٥٠٣).

(٧) هِيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير، ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٤٢١.

(٨) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٣٩.

(٩) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٥–٤٧٦؛ فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج١ ص١٤٢.

مسلم[١]، ثم قام عبد الله بحفر خندق وجمع فيه من الأطعمة والعدد وآلات الحصار من منجنيقات وعرادات، وبث الحسك[٢] وسد الطريق على من يقصده من العراق، وجعل الخصب والقرى وراءه[٣].

ويبدو أن أبا مسلم– الرجل الذي صقلته الحروب ومرسته المواجهات مع الخصوم– قد أدرك بحسه الحربي أن المكان الذي يتحصن به عبد الله بن علي وجنده هو أكثر الأماكن تحصيناً وأقربها لخطوط الامدادت من الميرة والماء والعلوفات، ففكر ملياً ثم عقد عزمه على استعمال الحيلة وأنواع الخداع لإخراج عبد الله بن علي من موقعه الحصين الذي هو فيه، فبدأ بمحاولة لاقناع عبد الله بن علي أنه لم يأتِ لقتاله وإنما جاء لتنفيذ إرادة المنصور الذي ولاّه دمشق[٤]. وكانت هذه الحيلة أول نجاحات أبي مسلم إذ سرعان ما دبَّ الخلاف في صفوف جيش عبد الله بن علي، فبدأت الأصوات المعارضة تتعالى وتقول: كيف نقيم معك وهذا أبو مسلم يأتي بلادنا وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا[٥]، وكانت وجهة نظرهم ان يخرجوا لبلادهم فيمنعون أبا مسلم من الحرم ويقاتلونه إن حاول أن يقاتلهم[٦]، ولكن عبد الله بن علي بعقليته الحربية أدرك مراد أبا مسلم، وحاول جاهداً أن ينصح أصحابه بعدم مغادرة مكانهم، وأن أبا مسلم ما وجه إلا لقتالهم والخلاص منهم، ولكنهم أبو التصديق وساروا تجاه دمشق[٧]، ولما رأى أبو مسلم ما حدث، تحول بسرعة حتى نزل في معسكر عبد الله وفي الموضع الذي كان يتحصن به، ولم يكتف بذلك بل عوَّرما حوله من المياه وألقى فيها الجيف[٨]، وبلغ عبد الله بن علي نزول أبو مسلم معسكره، فقال لأهل الشام: ألم أقل لكم، فندموا في وقت لا ينفع فيه الندم، ثم نزل عبد الله مكان المعسكر الذي كان ينزل به عسكر أبي مسلم من قبل[٩].

وبدأ القتال بين الفريقين، حيث اقتتلا خمسة أو ستة أشهر، وكان أهل الشام أكثر عدداً وعدة، ولكن أصحاب أبو مسلم كانوا في تزايد مستمر نظراً لقدوم الإمدادات بين اللحظة والأخرى، بينما أصحاب عبد الله بن علي في تناقص، فتارة يقتل أهل خراسان، وتارة تضيق عليه المؤن[١٠]، وأسفر القتال بين الفريقين عن هزيمة أصحاب عبد الله بن علي واستيلاء أبي مسلم على خزائن عبد الله وأمواله[١١]، ولما انهزم عبد الله بن علي هرب واختفى عند أخيه سليمان بن علي وكان والياً على

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٦٢؛ الدوري: العصر العباسي، ص٥٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة حسك ج٣ ص١٧٥؛ الحسك: حسك السعدان، وهو ما يعمل على مثاله من الحديد وهو من آلات الحرب يلقي حول المعسكر.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧؛ الطبري: تاريخ ج٧ ص٤٧٥؛ المقدسي: البدء ج١ ص٢٧٨.

(٤) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٦.

(٥) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٦–٤٧٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٣ ص١٠٧؛ المصدر نفسه، ج٧ ص٤٧٦–٤٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٣ ص١٠٧؛ المصدر نفسه، ج٧ ص٤٧٦–٤٧٧.

(٨) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٧.

(٩) المصدر نفسه، ج٣ ص١٠٧؛ المصدر نفسه، ج٧ ص٤٧٧.

(١٠) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٥.

(١١) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٨؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٨.

البصرة، فخرج سليمان من البصرة، قاصداً ابن أخيه أبي جعفر ليطلب الأمان لأخيه عبد الله، فطلب له الأمان فأمنه أبو جعفر[١]، وكتب نص الأمان الكاتب الشهير ابن المقفع، وكان هذا الأمان سبباً في نهاية ابن المقفع[٢]، ولما علم المنصور بمخبأ عبد الله بن علي أحضره فحبسه في بيت رفع أركانه على أساسات من الملح، ثم أطلق عليه الماء فسقط البيت على عبد الله فمات[٣].

وبذلك انتهت حركة تمرد عباسية اتخذت من الشام مقراً لها، وكانت من أخطر الحركات التي قامت ضد الدولة العباسية إن لم تكن أخطرها على الإطلاق، لاعتبارات كثيرة تتمثل في قيادتها العباسية علاوة على المكان الذي انطلقت منه.

ولا بد من القول أن موقف غالبية الزعماء والقادة العباسيين المعارضة لخروج عبد الله بن علي كانت سبباً هاماً من أسباب فشل حركته، فإذا كان عبد الصمد بن صالح قد أيده، فإن زوجته أم البنين بنت محمد بن عبد المطلب بن ربيعة قد انتقدت تصرفه مظهرة معارضتها لهذه الثورة التي قام بها زوجها وذلك من خلال قولهاله: قتلت أهل الشام فأسرفت ثم قتلت أهل خراسان وكانوا أنصاركم وأولياء دعوتكم ثم انتحلت الخلافة وقاتلت ابن أخيك وهو الخليفة فلم تبقِ غاية ولم تدع جهداً ثم هربت إلى غير ملجأ ولا حرز فهلا مُتَّ كريماً أما والله لنقاسين ذلاً طويلاً، فغضب فطلقها[٤]" كما أن أخاه صالح بن علي كان أبرز من وقف في وجهه وعارضه، فلما بلغ صالح بن علي خروج عبد الله بن علي وخلعه لأبي جعفر المنصور وعزمه على حربه، أقبل صالح بن علي بمن معه من أهل خراسان منكراً لفعل عبد الله، وسار حتى لقي الحكم بن ضبعان الجذامي، وكان مع الحكم خلق كثير من أهل الشام في طاعة عبد الله بن علي، فهزمهم صالح في اللجون[٥]، وقتل منهم أناساً كثيرون[٦]، أما الحكم فإن كان أفلت من هذه الموقعة فقد لقيه يزيد بن روح اللخمي بأرض بعلبك، فضرب عنق الحكم، وبعث برأسه إلى صالح بن علي الذي بعث بدوره الرأس إلى أبي جعفر المنصور، وتقديراً من المنصور لجهود يزيد في القبض على الحكم وقتله قام بنقله إلى دمشق[٧].

- موقف أهل دمشق من ثورة عبد الله بن علي:

من المؤكد ان مصلحة مشتركة قد جمعت بين أهل الشام من جهة وعبد الله بن علي من جهة أخرى لقتال الجيش العباسي والثورة على الدولة، فقد أراد أهل الشام من ذلك أن يثأروا لأنفسهم من

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١١١.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٦٨.

(٣) المصدر نفسه: تاريخ، ج٢ ص٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٨-٤٧٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١٠ ص٩.

(٨) البلاذري: أنساب، فقسم ٣، ص١٠٩.

(٥) اللُّجُّون: بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده، وسكون الواو، بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً. يــاقوت: معجــم البلدان، ج٥ ص١٣.

(٦) ابن عساكر: تاريخ ج٦٥ ص١٧٧؛ Paul M. Cobb.White Banners. P.p 27-28.

(٧) ابن عساكر: تاريخ ج٦٥ ص١٧٧.

الخراسانية، ويستعيدوا نفوذهم وامتيازاتهم المفقودة، علاوة على رغبتهم القوية في استعادة مكانة سوريا التي فقدتها لصالح العراق[١].

وكان عبد الله بن علي صاحب سجل حافل بالأعمال الكبيرة التي ثبتت سلطان الدولة الجديدة (العباسية)، فهو الذي تابع مروان بن محمد بعد هزيمته من الزاب حتى اضطره للهروب إلى مصر، وهو الذي ضبط الأمور في بلاد الشام في السنوات الأولى من الحكم العباسي، وعبد الله بما قام به من الإنجازات كان من الطبيعي أن يكون طموحاً، فهو من أقدر الشخصيات العباسية إن لم يكن أقدرها، فقد كان يحمل من المواصفات القيادية والطموح الشيء الكثير، إلى الحد الذي أرعب أبو جعفر المنصور وجعله يبذل قصارى جهده للقضاء على الحركة التي قام بها عمه عبد الله بن علي، وزج للقضاء عليه بأعظم القادة والزعماء، بل أنه لم يهدأ للمنصور بال حتى بعد هزيمة عمه المتمرد- إلا بعد أن هلك عمه عبد الله بعد أن سقط عليه البيت[٢].

وقد وقف أهل الشام موقفاً متأرجحاً غير ثابت من حركة عبد الله بن علي، أو على الأصح كان موقفهم يسير وراء مصالحهم، فمن المؤكد أنهم كانوا مستعدين للتحالف مع أي شيء كان مقابل أن تعود لدمشق الشام المكانة التي كانت تتمتع بها كعاصمة لدولة الخلافة، ومن هنا فقد تناسى أهل الشام ودمشق خلافهم مع عبد الله بن علي ذلك العباسي الذي أثخن فيهم الجراح واستباح دماءهم وخرب دورهم- ودعموا حركته التي وجهت ضد الدولة العباسية، والتي بدا واضحاً أنها نقلت مركز الثقل الإسلامي صوب عاصمة جديدة في العراق وبعيداً عن دمشق، فوقف أهل دمشق خاصة وأهل الشام عامة إلى جانب عبد الله بن علي في ثورته وحدث ما حدث.

ولكن أهل الشام كانوا يسيرون خلف عبد الله بن علي طالما أنه يشترك معهم في مصالحهم، أما بعد أن أحس أهل الشام بفشل ثورة عبد لله بن علي، وجدوا أن من مصلحتهم أن لا يستمروا في دعم ثورة عبد الله بن علي وذلك خوفاً من انتقام المنصور المحتمل، الذي أعاد لأذهانهم ما فعله بهم عبد الله بن علي عند سقوط دمشق[٣]، ومن هنا وجد أهل الشام وحفاظاً على مصالحهم أن يهادنوا المنصور ويعتذروا له، لعلَّه يسامحهم أو ينسى فعلتهم في وقوفهم لجانب عبد الله بن علي، وحاولوا أن يظهروا أنهم قد غُلب على أمرهم وأنهم شاركوا في الثورة التي قام بها عبد الله بن علي رغماً عنهم وليس بمحض إرادتهم[٤].

ويظهر ذلك من خلال ما قاله الوفد الشامي الذي زار المنصور بعد انتهاء ثورة عبد الله بن علي، فقد ذكر البلاذري: أنه قدم على المنصور قوم من أهل الشام بعد هزيمة عبد الله ابن علي وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الحرشي، فقام عدة منهم فتكلموا ثم قام الحارث فقال: "يا أمير المؤمنين: لسنا وفد مباهاة...ولكن وفد توبه...ابتلينا بفتنة استفزت شريفنا واستخفت حليمنا، فكنا بما قدمنا معترفين ومما

---

(١) انظر فاورق عمر: العباسيون الأوائل، ج١ ص١٣٩؛ الدوري: العصر العباسي، ص٥٧.

(٢) انظر اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٥٠١-٥٠٢؛ الخطيب: البغدادي، تاريخ، ج١٠ ص٩.

(٣) Paul M. Cobb. White Banners, P. 26

(٤) انظر البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٩٣.

فرط منا معذورين، فإن تعاقبنا فبجرمنا، وإن تعفو عنا فبفضلك علينا، فاصفح يا أمير المؤمنين إذا ملكت، وامنن إذا قدرت وأحسن فطالما أحسنت"[١]، فقد خشي أهل الشام غضب الخليفة عليهم وتجريده السيف ضدهم، فوجدوا أن من مصلحتهم مهادنة الخلافة بعد فشل حركة عبد الله بن علي، ثم التربص والاستعداد لثورة أخرى ربما تكون أشد.

أما عن تفسير وقوف أهل الشام إلى جانب ثورة عبد الله بن علي على الرغم مما فعله وقام به من أعمال تجاه أهل الشام عامة ودمشق خاصة، فقد كان للمصلحة المشتركة بين كلا الطرفين عبد الله بن علي من جهة وأهل دمشق والشام من جهة أخرى، فعبد الله مصلحته أن يستأثر بالخلافة لنفسه وهو بحاجة لدعم أهل الشام لذلك، وأهل الشام ترنوا أعينهم لإعادة المجد لدمشق والشام كما كانت أيام الأمويين وهم بحاجة لشخص يساعدهم في ذلك، وعلى هذا التقت مصلحة الطرفين على قاعدة أن عدو عدوي هو صديقي.

وعلاوة على المصلحة المشتركة بين أهل الشام وعبد الله بن علي في تفسير وقوف أهل الشام لجانب عبد الله في ثورته، يمكن أن نذكر ما نقله ابن أبي أصيبعة..."أن المتطبب اليهودي فرات بن شبحاثا، نصح عيسى بن موسى– الذي كان يشاوره في كل أمر ينويه– أن يطلب من المنصور أن يوليه الجزيرتين أو الشام خوفاً من انتقام أهل الكوفة من أهل عيسى بعد قضائه على ثورة إبراهيم بن عبد الله بن حسن أخو النفس الزكية، فقال له عيسى: تكره لي ولاية الكوفة وأهلها من شيعة بني هاشم وترغب لي في ولاية الشام أو الجزيرتين وأهلهما من شيعة بني أمية، فقال له: "إنّ تشيع أهل الشام والجزيرتين ليس عن طريق الديانة وإنما عن طريق إحسان بني أمية لهم، وإن أنت أظهرت لهم مودة متى وليتهم فأحسنت إليهم كانوا لك شيعة، ويدل على ذلك ويؤكده محاربتهم إلى جانب عبد الله بن علي على ما نال من دمائهم، لما تألفهم وتضمن الإحسان عنهم"[٢].

ويمكن القول: أن تمرد عبد الله بن علي وإن كان مصيره الإخفاق فإنه كان في الواقع من أخطر الثورات التي قام بها أهل الشام وأعنفها ضد الحكم العباسي في العراق. إذ تجلت أهمية هذه الثورة أنها قامت بزعامة عباسي مرموق نادى بنفسه خليفة مستنداً إلى دعم أهل الشام الذين أملوا أن تعود العاصمة إليهم إن كتب للثورة النجاح، وجاءت ثورة عبد الله بن علي مداعبة لعواطف أهل الشام ودمشق وأحساسيهم، وما تأييدهم لها إلا تعبيراً عن أملهم في عودة المكاسب السياسية إلى حاضرة بني أمية، وتسليط الأضواء عليها من جديد بعد أن كادت تنسحب إلى عالم النسيان والإهمال.

وما ضخامة الجيش الذي شَكَّله عبد الله بن علي إلا دليلاً كافياً على ما لاقته تلك الثورة من دعم أهل الشام، فقد ذكر المقدسي أن عبد الله حظي بمبايعة أهل الشام والجزيرة[٣]، وذكر كرد علي أن جيش عبد الله بن علي وصل تعداده إلى مئة ألف مقاتل ومثلهم من الفَعَلَة[٤]، ويؤكد ذلك الإجراء الذي

(١) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٩٣.

(٢) أبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢ ص١٠٢.

(٣) المقدسي: البدء، ج٦ ص٧٧.

(٤) كرد علي: خطط الشام (دون مصدر)، ج١ ص١٧٨.

والفَعَلَه: صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوهما، ابن منظور: لسان، ج١٠ ص٢٩٢.

قام به عبد الله بن علي حينما أقدم على إعدام ثمانية عشر ألفاً من الجند الخراسانيين، دون أن يؤثر ذلك على كفاءة أو كثرة وقوة جيشه[١].

٤- حركة القُلة ١٩٤هـ/٨٠٩م[٢]:

حدثت هذه الحركة خلال ولاية منصور بن محمد المهدي على دمشق في خلافة الأمين، حيث اكتشف إمام المسجد الجامع بدمشق شعيب بن إسحاق القرشي الأموي ت١٨٩هـ/٨٠٥م[٣] أن القلة ليست في المكان الذي أعتاد أن يراها فيه، فعمل على إثارة الناس بسبب فقدانها، حيث حضر إلى وسط القبة الكبيرة بحذاء المحراب وأخذ يصيح بأعلى صوته: "سرقت قلتكم، فصاح الناس: لا صلاة بعد القلة"، حتى صارت مثلاً[٤]، وانتشر بين أهل دمشق أن داود بين عيسى صاحب شرطة الوالي منصور بن محمد هو الذي أخذها، وكان يقصد من أخذها تقديمها هدية إلى الأمين المعجب بالبلور[٥].

وكان إجراء أهل دمشق سريعاً على ما حدث، حيث هاجموا الشرطة وهزموا قائدها الذي هرب إلى القصر، فلحق به أهل دمشق وحاصروا القصر وفيه قائد الشرطة والوالي[٦]، ورأى الوالي أن يتصرف بسرعة قبل أن يستفحل الأمر، فجمع أهل الرأي والمشورة وعلى رأسهم القاضي، واستشارهم بما ينبغي فعله، فأشار عليه القاضي تسليمهم قائد الشرطة، فأبى[٧].

واقترح القاضي اقتراحاً آخر يتضمن ان يتنازل الوالي عن الحكم وأن يعهد به لأحد أهل دمشق، فما كان من الوالي إلا أن قدم القاضي وخلع عليه، ثم لاذ بالفرار ليلاً من المدينة وبصحبته قائد شرطته[٨]، ويظهر أن الأمين كره أن تفرض إرادة الثوار على الدولة فرضاً فعين على المدينة سليمان بن جعفر، وأمره بحل المشكلة سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م[٩].

ويبدو أن ثورة أهل دمشق جاءت لتعبر عن سخطهم من الأوضاع التي يعيشونها والمتمثلة في تجرأ الولاة عليهم، حتى وصل الأمر بالولاة إلى التدخل في أمتعتهم، فحاول أهل دمشق عدم الاستهانة بما يحدث، لأن ذلك يؤدي لزيادة التجرؤ الذي ربما يصل إلى حد التدخل في بيوت أهل دمشق أنفسهم، وقد وضح أهل دمشق في هذه الثورة انهم لن يسمحوا لأي كان أن تمتد يده إلى تراثهم الخاص.

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٥٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٤٦٥.

(٢) كانت تعلق في مسجد دمشق قناديل بلورية مرتبطة بسلاسل مذهبة وجعل فيها المسك، وكان فيها ثريا ثمينة نادرة تسمى القلة. والقلة جوهرة كبيرة على شكل جرَّة. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١١ ص٢٨٧؛ انظر عفيف البهنسي: الشام والحضارة، ص١٤٨.

(٣) الذهبي: سير، ج٩ ص١٠٣.

(٤) الذهبي: سير، ج٩ ص١٠٣.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٩ ص١٠٣.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٩ ص١٠٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٩ ص١٠٣.

(٨) المصدر نفسه: ج٩ ص١٠٣.

(٩) المصدر نفسه، ج٩ ص١٠٣.

ولما استقامت الأمور للمأمون أراد أن يقر أعين أهل دمشق ويطمئنهم فأعاد لهم الإناء المسروق (القلة) عن طريق واليه على الشام عبد الله بن طاهر[١]. ويظهر أن المأمون حاول أن يكافئ أهل دمشق على ما قاموا به خلال ثورة أبي العميطر ومساعدتهم ابن بيهس في التصدي لها بعد أخذه الإذن من المأمون بمقاومتها، وتمكنه من القضاء عليها، في الوقت الذي كانت فيه نار الحرب مشتعلة بين الأخوين[٢].

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج١ ص٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٥٥ ص٣١-٣٢.

٥- حركة ابن بيهس (٢٢٦-٢٢٧هـ/ ٨٤٠-٨٤١م):

قامت بهذه الحركة القيسية بزعامة محمد بن بيهس الكلابي[١]، وقد وجهت هذه الحركة ضد الوالي العباسي أبو المغيث الرافقي[٢]، وكان الخليفة المعتصم هو الذي عينه والياً على دمشق[٣]، ويظهر أن هذا الوالي كان ظالماً متعسفاً، وقد مارس سياسة ضد أهل دمشق وعلى الأخص ضد القيسية، وكانت آخر الأعمال الوحشية التي قام بها، أنه أخذ من القيسية خمس عشرة نفساً فصلبهم، فثارت عليه القيسية بزعامة ابن بيهس[٤].

وقد هجمت القيسية على الوالي ونهبوا أملاك الدولة بدمشق، وذلك رداً على ما قام به الوالي أبو المغيث من صلب رجال القيسية[٥]. ويظهر أن هذه الحركة قد حظيت بتأييد واسع النطاق من أهل دمشق بما في ذلك القبائل اليمانية[٦]. ومن المؤكد أن التعاطف الذي حظيت به هذه الحركة راجع إلى السبب الذي قامت من أجله وهو ردة فعل على سياسة الوالي القاسية ومن هنا لم تتعصب اليمانية ضد القيسية وتقف في صف الوالي بل تعاطفت مع القيسية لقمع تلك السياسة الظالمة.

وحاصر الثائرون أبا المغيث حصاراً شديداً، وأثناء الحصار مات المعتصم وخلفه الواثق والأمر على ما هو عليه[٧]، فما كان من الواثق إلا اتخاذ إجراءات سريعة ضد تلك الثورة محاولة منه لإخمادها، حيث طلب من رجاء الحضاري- أحد قواده- أن يتوجه إلى دمشق ليوقف تلك الحركة[٨]، فلما وصل رجاء الحضاري نزل بدير مرَّان وكانت القيسية معسكرة بمكانها بمرج راهط، فأقام رجاء ثلاثاً ثم وجَّه إلى أهل دمشق من يسألهم الرجوع إلى طاعة السلطان فامتنعوا عن ذلك، واشترطوا عزل أبي المغيث عن دمشق[٩]، وهنا ظهرت شخصية رجاء الحضاري الذي رفض أن يملي هؤلاء الثائرون شروطهم عليه وعلى هيبة الدولة، فما كان منه إلا أن واعدهم القتال[١٠]. واتبع معهم أسلوب الحيلة في الحرب والقتال فواعدهم القتال "بدومة" يوم الاثنين وأشاع هذا الأمر في العسكر حتى تعرفه عيونهم وتنقله إليهم كما هو[١١]. ولكن رجاء كان يفكر غير ذلك وأنه أراد أن يأتيهم على حين غرَّة.

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٨٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٧-٢٨، وسير ج١ ص٣٧٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥؛ الذهبي: حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٧-٢٨.

(٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٧-٢٨؛ الذهبي: سير ج١٠ ص٣٧٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٧-٢٨.

(٧) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨؛ الذهبي: سير، ج١٠ ص٣٧٤.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥؛ أبو الفداء: المختصر ج٢ ص٣٥.

(٩) المصدر نفسه، ج١٨ ص٩٥؛ المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥.

(١٠) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥.

(١١) الذهبي: تاريخ، حوادث، ص٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥.

فلما كان يوم الأحد خرج إليهم في مجمع عسكرهم في كفر بطنا وهي لقيس، وكان جمهور عسكرهم قد خرج إلى دومة[١] كما كانوا يتوقعون أن المواجهة ستكون هناك، فوافاهم حلوف قد تفرقوا فوضع فيهم السيف ولكنهم لم يستسلموا بسهولة، حيث ناوشوه القتال، فقتل منهم ألفاً وخمسمائة رجل[٢]. كما قتل عدداً من الأطفال والنساء في دمشق، وهذا الأمر أدى إلى انتفاض الناس من جميع النواحي، فقاموا بقتل عدد من رجال العباسيين الذين مع رجاء، وكان من بينهم ابن عم لرجاء قتله شخص اسمه مزيد[٣].

ولكن القوات العباسية تمكنت من السيطرة على الوضع وإعادة الأمور إلى نصابها من جديد[٤]. وكان مصير "مزيد" و"ابن بيهس" أن هربا ودخلا البرية، أما مزيد فأخذه قوم من اليمن فأتوا به رجاء الذي ضرب عنقه بابن عمه[٥]، وأما ابن بيهس فلحق بقومه بحوران[٦].

ولا بد من القول أن هذه الحركة كانت من أكبر الحركات التي قام بها أهل دمشق، حيث وقفت القبائل اليمانية إلى جانب القبائل القيسية ضد والي الدولة العباسية أبي المغيث الذي كان ظالماً متعسفاً، وبلغت هذه الحركة من القوة أن عجز أمير دمشق عن مقاومتها وإخمادها، مما اضطره إلى طلب النجدة من الدولة العباسية خاصة بعد وقوف أهل دمشق إلى جانب القيسية[٧].

وفي الفترة التي قامت فيها هذه الحركة كانت تدور في الشام حركة أخرى قوية وهي حركة المبرقع اليماني في فلسطين، وبما أن هاتين الحركتين قامتا في نفس الفترة فيظهر أن هناك نوعاً من التنسيق قام بين ابن بيهس والمبرقع ويؤيد ذلك ما قام به ابن بيهس من دعوة وتأييد للمبرقع في دمشق[٨]، ولكن يظهر أن التنسيق الذي كان بين هاتين الحركتين كان ضعيفاً ولم يصل لمستوى التكتيك والاستفادة منه، علاوة على وجود قائد ماهر ومحنك ساهم في القضاء على هاتين الحركتين ومنعهما من تحقيق أهدافهما بعد أن اتبع معهما أسلوباً تمثل في الانفراد بهما الواحدة تلو الأخرى، فهو بعد القضاء على حركة ابن بيهس، توجه مباشرة للإطاحة بحركة المبرقع وبالفعل تمكن من إخماد هاتين الثورتين في أقل من سنة.

ويبدو أن رجاء الحضاري قد تمكن بعد إخماد ثورة القيسية في دمشق من السيطرة على الأمور وإعادتها إلى نصابها في دمشق وتصفية المشاكل بين الدولة وأهل دمشق، ويظهر ذلك من خلال فرضه على أهل دمشق ثلاثمائة رجل جعلهم في عسكره بدلاً من الذين قتلوا على يد أهل دمشق خلال

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث، ص٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥

(٣) المصدر نفسه: ج١٨ ص٩٥؛ المصدر نفسه، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ، ص٢٨؛ المصدر نفسه، ج٢ ص٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ج١٨ ص٩٥؛ المصدر نفسه، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ، ص٢٨؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص١٦٦.

(٥) المصدر نفسه: ج١٨ ص٩٥.

(٦) المصدر نفسه: ج١٨ ص٩٥.

(٧) المصدر نفسه: ج١٨ ص٩٥؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨.

(٨) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص١١٧؛ مجهول: العيون، ج٣ ص٤٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٦ ص١٣٧؛ الذهبي: سير، ج١٠ ص٣٠٢.

الثورة[١]، ثم توجه جيشه وفيه هؤلاء إلى المبرقع اليماني فهزمه وقتل أصحابه وأخذه أسيراً[٢]، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على حل المشاكل تماماً في دمشق فمن غير المعقول، أن يضم قائد لجيشه ثلاثمائة عنصر مملوئين بالحقد على جيش الدولة لولا أنهم قد تخلصوا من هذه الأحقاد وصفيت نفوسهم تجاه رجاء الحضاري وجيشه ليقاتلوا إلى جانبهم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فربما خشي هؤلاء عند رفضهم أن ينتقم رجاء الحضاري منهم، وليس ببعيد عنهم ما فعل بهم من قسوة خلال الثورة، حيث قتل منهم ما يزيد على ١٥٠٠ من أهل الفتنة[٣]. وهو احتمال أقرب إلى الصواب.

<u>٦- حركة أهل دمشق في عهد الواثق ٢٣٠هـ/٨٤٠م:</u>

فقد أعلن أهل دمشق الخروج عن طاعة العباسيين بعد أن ثاروا على عاملهم عبد الرحمن القرشي، الذي أظهر العصبية في دمشق فغضبوا من تصرفاته[٤].

ويظهر أن أهل دمشق في هذه الفترة قد تلاشت العصبية فيما بينهم واتجهوا نحو تحسين أحوالهم بعد أن أضرت بهم العصبية كثيراً وتركت خلفها دماراً شمل مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والعمرانية. ورأى أهل دمشق أن نبذ العصبية هو أكثر تحقيقاً للفائدة لهم ولبلدهم، ومن هنا أصبح أهل دمشق بدلاً من أن يشجعوا الوالي للميل إلى إحدى العصبيتين القيسية أو اليمانية يثورون على كل والٍ تسول له نفسه أن يميل لطرف على حساب الآخر، وتستمر ثورتهم حتى يصار إلى عزل ذلك الوالي واستبداله بوالٍ جديد. وهذا ما تم مع الوالي عبد الرحمن القرشي الذي أظهر العصبية في دمشق فما كان من أهلها إلا الثورة عليه، فلبى الواثق رغبتهم وقام بعزل عبد الرحمن القرشي عن ولاية دمشق وولى عليها مالك بن طوق التغلبي.[٥]

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦ ص٤٦٢؛ ج٣٤ ص٢٨٧.

(٥) المصدر نفسه: ج٥٦ ص٤٦٢؛ ج٣٤ ص٢٨٧.

٧- حركة دمشق في عهد الخليفة المتوكل سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م:

جاءت حركة أهل دمشق هذه بسبب سياسة العنف والقسوة التي انتهجها والي دمشق سالم بن حامد تجاه أهلها[١]، حيث أذلَّ قوماً بدمشق من السكون والسكاسك لهم وجاهه ومَنَعَةُ فثاروا به وقتلوه بباب دار الإمارة يوم الجمعة سنة بضع وثلاثين ومئتين[٢]، ولما بلغ الخبر للمتوكل انزعج وتضايق، ثم طلب أن يخرج أحد القادة لدمشق ليؤدب أهلها على ما فعلوا بالوالي، وقال: "من لي بالشام وليكن في صولة الحجاج"[٣]، فندب أفريدون التركي[٤] الذي سار في سبعة آلاف فارس[٥]، وكان المتوكل قد رخص له في بذل السيف ضحوتين وفي نهب البلد[٦]. وسار أفريدون حتى وصل بيت لهيا، ولما أصبح قال: أيش يحل بك اليوم مني يا دمشق"[٧]، ولكن منيته عاجلته ولم تسمح له بتطبيق ما كان يدور في ذهنه، حيث قدِّمت له بغلة ليركبها فلما هم بالركوب ضربته بالزوج على فؤاده فقتلته، وقبر ببيت لهيا، ورد عسكره إلى العراق[٨]، وبعد مدة حضر المتوكل إلى دمشق وأنشأ قصراً بداريا وصلح الحال[٩]، وإذا كان المتوكل فكَّر في القدوم لدمشق ونقل العاصمة إليها وهو ما تم بالفعل، فإن تسريحه وترخيصه لافريدون ببذل السيف مثير للشك وبعيد عن الواقع، فمن غير المعقول أن ينقل عاصمته ويتحصن في بلد كان قبل فترة قد أمر بإذلال وقتل أهلها!!

٨- حركة عيسى بن الشيخ[١٠] سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م:

كان المعتز عقد لعيسى بن الشيخ على الرملة سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م[١١]، فما كان من عيسى بن الشيخ إلا أن بعث نائباً عنه على الرملة وهو ابن المعتز[١٢]، ويظهر أن عيسى بن الشيخ استغل ما حصل من فتنة الأتراك في العراق فتغلب على دمشق وأعمالها سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، وقطع ما كان يحمل من الشام، وأظهر الخلاف والخروج على الطاعة[١٣]، وكان إبراهيم بن المدبر على خراج مصر

---

(١) الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢.

(٢) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص١٨؛ سير، ج١١ ص١٦٢.

(٣) الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢.

(٤) أفريدون التركي: قائد تركي يتميز بالشدة والقسوة ت ٢٣٦هـ؛ الذهبي: سير ج١١ ص١٨.

(٥) الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ج١١ ص١٦٢.

(٧) المصدر نفسه، ج١١ ص١٦٢.

(٨) المصدر نفسه، ج١١ ص١٦٢.

(٩) المصدر نفسه، ج١١ ص١٦٢؛ انظر فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، ج٢ ص٢١٤.

(١٠) وهو عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني من ولد جسّاس بن مرة، ت ٢٦٩هـ؛ انظر ابن عساكر: تاريخ، ج٤٧ ص٣٠٩-٣١٠؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ ص١٤٧.

(١١) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٦٣٥.

(١٢) أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٤٤.

(١٣) أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٤٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٦٣٥.

فبعث إلى بغداد من المال سبعمائة ألف دينار، فاعترضها عيسى وأخذها، ولما طولب بالمال أعلن الخروج على السلطان[١].

ولما تسلم المعتمد الخلافة ٢٥٦هـ/٨٩٦ عيّن على دمشق أماجور التركي وقلده الشام جميعه وبعث معه جيشاً وطلب منه مواجهة عيسى بن الشيخ[٢]، حيث دارت موقعة بين عيسى بن الشيخ وأماجور التركي على باب دمشق[٣]، وكان أماجور خرج من معسكره ليرتاد لنفسه ولجنده مكاناً، وكان ابن عيسى وقائداً له يقال له: أبو الصهباء في عسكر لهما بالقرب من دمشق، فاتصل بهما خبر خروج أماجور وأنه خرج في نفر من أصحابه يسير، فطمعا فيه، فزحفا بمن معهما إليه، ولا يعلم أماجور بزحفهما إليه حتى لقياه، والتحمت الحرب بين الفريقين، فقتل أبو الصهباء، وهزم الجمع الذي كان معه ومع ابن عيسى[٤]، وذكر الذهبي أن ابن عيسى قتل في المعركة بينما أسر وزيره ولم يقتل في المعركة وإنما صلب في ظاهر البلد[٥]، وقد ذكر الطبري أن جيش عيسى كان ضخماً جداً حيث وصل عدده ما يزيد على العشرين ألفاً، بينما كان أماجور على مئتين إلى أربعمائة[٦].

ويبدو أن جند عيسى قد تخلوا عنه خلال المعركة لأنهم خشوا من انتقام الدولة، وكان هذا سبباً في انتصار أماجور على جيش عيسى على الرغم من قلة عدد جند أماجور في المعركة. ولما انهزم جند عيسى هرب بعدها إلى أرمينية على طريق الساحل، حيث تمكن من الاستيلاء على آمد وديار بكر مدة من الزمن[٧]. وبذلك انتهت ثورة حاولت أن تستغل ما يمر بالدولة من أحداث لتحقيق بعض المكاسب، ولكنها كانت محصورة وضيقة ولم تستطع الانتشار وكانت هزيمة جيوشها في المعركة التي جرت على باب دمشق ومقتل وزير ابن الشيخ وابنه سبباً كافياً لإنهاء هذه الثورة.

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٦٣٥؛ Paul M. Cobb. White Banners. P.p 37-38.

(٢) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ، ص١٤٧؛ ابن العديم: بغية، ج١ ص٣٠٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٤٧٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٤٧٤-٤٧٥؛ وأبو الصهباء كان وزيراً لعيسى واسمه ظفر بن اليمان، أما ابن عيسى بن الشيخ فاسمه منصور، انظر الذهبي: تاريخ، ج٢٠ ص١٤٧.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ، ص١٤٧.

(٦) الطبري: تاريخ، ج٩ ص٤٧٥.

(٧) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ ص١٤٧؛ ابن العديم: بغية، ج١ ص٣٠٧؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص٣١٤.

<u>٩– ثورات وفتن بدافع العصبية:</u>

<u>فتنة أبو الهيذام[(١)] ١٧٦هـ/٧٩٢م.</u>

فقد هاجت العصبية بين القيسية من جهة واليمانية من جهة أخرى في زمن الرشيد، وكان على رأس القيسية يومئذٍ أبو الهيذام، وعامل السلطان على (دمشق) موسى بن عيسى، واقتتل الطرفان فقتلوا من بعضهم خلقاً كثيراً[(٢)].

وكان سبب هذه الفتنة التي عصفت بدمشق، أن عاملاً للرشيد بسجستان قتل أخاً لأبي الهيذام، فخرج أبو الهيذام بالشام وجمع جمعاً عظيماً[(٣)]، وذكر ابن الأثير أن سبب هياج هذه العصبية أن رجلاً من بني القين جاء بطعام ليطحنه في الرحى بالبلقاء، فمر ببستان رجل من لخم (اليمانية) وفيه بطيخ، فتناول منه واحدة، فشتمه صاحب البطيخ، فتضاربا فسار القيني بعد أن توعد بالانتقام، فجمع اللخمي قوماً من أهل اليمن ليدافعوا عنه عند عودة خصمه، فلما عاد ضربوه، وأعانه قوم آخرون فقتل رجل من اليمانية، وطلبوا بدمه فاجتمعوا لذلك[(٤)]، وكان على دمشق في ذلك الوقت عبد الصمد بن علي[(٥)]، ويبدو أن الناس قد خشوا من تفاقم الأمور، ولذلك اجتمع أهل الفضل والمكانة والرؤساء ليصلحوا بين الحيين، فأتوا بني القين فكلموهم فأجابوهم إلى ما طلبوا، ثم أتوا اليمانية فكلموهم، فقالوا: انصرفوا عنا حتى ننظر ثم ساروا فبيتوا بني القين، فقتلوا منهم ستمائة، وقيل ثلاثمائة[(٦)]، ولما حدث ببني القين ما حدث استنجدوا بقضاعة وسليماً فلم ينجدوهم فاستنجدت قيساً فأجابوهم، وساروا معهم إلى الصواليك من أرض البلقاء، فقتلوا من اليمانية ثمانمائة، وكثر القتال بين الطرفين، والتقوا عدة مرات وراح ضحيتها الكثير[(٧)]، ويظهر أن هذا الخلاف الذي نشب بين القيسية واليمنية كان على درجة كبيرة من الأهمية وينذر بخطر قادم، وهذا ما حدا بالرشيد إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات للتغلب عليه قبل أن يستفحل خطره، فقام بعزل والي دمشق العباسي عبد الصمد بن علي بعد ان عجز عن اتخاذ موقف حازم أو عاجل للمسألة، ثم عين والياً عباسياً آخر على دمشق وهو إبراهيم بن صالح بن علي[(٨)]، وعلى الرغم من تغيير الولاة، إلا أن الخلاف بين الطرفين لم ينتهِ بل دام ما يزيد على السنتين، وكان الطرفان التقوا بالبثنية وقتل من اليمانية نحواً من ثماني مئة ثم اصطلح الطرفان بعد شر طويل[(٩)].

---

(١) وهو عامر بن عمارة بن خزيم ت ١٨٢هـ؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٦٢، ص٨٧.

(٢) انظر: الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٥١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦١ ص١٩٠، ج٣٦ ص٢٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٧؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص١٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٧؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٧١–١٨٠هـ ص٤٩٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص١٣؛ Paul. M. Cobb. White Banners, P.83.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٨؛ ذكر أبو الفداء أنه قتل منهم ثمانمائة: المختصر، ج٢ ص١٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٤.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٤؛ انظر الجومرد: هارون، ص٣٢٥.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص٤٤٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٢٦٤.

(٩) المصدر نفسه، ج٦ ص١٢٨.

ووصلت أخبار الفتنة إلى بغداد وأقلقتها، وحاول إبراهيم بن صالح بن علي والي دمشق الذي كان موجوداً في بغداد في تلك الفترة أن يلقي اللّوم على القبائل القيسية عند الرشيد، فدافع عنهم عبد الواحد بن بشر النصري من بني نصر فقبل عذرهم ثم رجعوا[١].

وكان إبراهيم بن صالح لما ذهب إلى بغداد خلَّف مكانه ابنه إسحاق وضم إليه رجل من كنانة وهو الهيثم بن عوف، فقام هذا فأخذ جماعة من قيس فحبسهم وأهانهم، فنفر أعوانهم وحلفائهم، فتجددت الفتنة بعد أن كادت تنطفأ نهائياً، وتداعى الناس في دمشق إلى العصبية[٢].

ولا بد من ملاحظة أن سبب هذه الفتنة بلا شك سياسة الولاة المتمثلة في التحيز إلى فئة على حساب فئة أخرى، فإسحاق بن إبراهيم تحيز إلى جانب اليمانية ووقف معهم ضد خصومهم القيسية، وهذا ما أثار حفيظة القيسية. وكانت الفتنة الجديدة أشد من سابقتها وأكبر، حيث جرت بين الفريقين عدة حوادث كان منها، أن ثارت اليمانية بكليب بن عمرو بن الجنيد، وكان عنده ضيف له فقتلوه، فجاءت أم الغلام بثيابه إلى أبي الهيذام فألقتها بين يديه، وكان أبو الهيذام عاقلاً متريثاً فقال لها: "انصرفي حتى ننظر فإنني لا أخبط خبط العشواء"[٣].

ويظهر أن أبا الهيذام كان يريد انتظار الأمير إبراهيم بن صالح حتى يعرض عليه أمر الدماء فإن نظر فيها كان، وإن لم ينظر فيها فإنه سيصل إلى الخليفة لينظر في مطالبه[٤]. ولما عرض أبو الهيذام الأمر على الأمير إسحاق بن إبراهيم كان هوى الأمير مع اليمانية فلم يأذن لأبي الهيذام بالدخول، وعاوده أبو الهيذام مرة أخرى، وبدلاً من أن يدخله الأمير ويرى ما عنده، حرَّض اليمانية على قتله، فثار أبو الهيذام وتمكن من السيطرة على دمشق وأخرج من في السجون، ودارت بينه وبين القبائل اليمانية معارك دامية على أبواب دمشق[٥]، وتمكن أبو الهيذام من تحقيق الانتصارات المتتالية على القبائل اليمانية، التي حاولت أن تستجمع قواها، واستنجدت كلباً وغيرهم فأمدوهم، وبلغ الخبر أبا الهيذام، فأرسل إلى المضرية فأتته الأمداد وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فانهزمت اليمانية[٦].

وتتابعت أحداث القتل والتدمير من قبل الجانبين مع أنها كانت تميل لصالح أبي الهيذام، ولكنها كانت تنشر الخراب والدمار في معظم مناطق دمشق وما حولها، واستجمعت اليمانية قواها ثم جاءت قرية لقيس عند دمشق فأرسل أبو الهيذام لهم الزواقيل، فانهزمت اليمانية أيضاً ثم لقيهم جمع آخر فانهزموا أيضاً، ثم "أتاهم الصريخ": أدركوا باب توما، فأتوه فقاتلو اليمانية فانهزمت أيضاً، وكانت هزائم اليمانية أربع مرات في يوم واحد[٧].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٩؛ انظر: الجومرد: هارون الرشيد، ص٣٢٤-٣٢٧؛ ابن خلدون: العبر،ج٥ ص٤٦٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص١٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥.

(٤) المصدر نفسه: ج٦ ص١٢٩؛ المصدر نفسه: ج٥ ص٤٦٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٩.

وخلال هذه الأحداث أرسل الأمير إسحاق إلى أبي الهيذام يأمره بالكف، ففعل ثم أرسل إلى اليمانية أني قد كففته عنكم، فدونكم الرجل فهو غار[١]، فأتوه من باب شرقي متسللين، فأتى "الصريخ" أبا الهيذام، فركب في فوارس من أهله فقاتلهم فهزمهم[٢]، ثم بلغ أبا الهيذام جمع آخر لهم على باب توما فأتاهم فهزمهم أيضاً، فجمعت اليمانية أهل الأردن والجولان وكلباً وغيرهم، وجاء الخبر إلى أبي الهيذام، فأرسل من يأتيه بخبرهم فلم يقف لهم على خبر، فجاءوا من جهة كان آمناً منها لبناء فيها[٣]، ولكن أصحاب أبي الهيذام سرعان ما التفوا حولهم من الخلف وهزموهم[٤].

وفي صفر من نفس العام جمع اسحاق جنوداً وعسكروا عند قصر الحجاج، وأعلم أبو الهيذام أصحابه بذلك فجاءته القين وغيرهم، واجتمعت اليمن إلى اسحاق، فالتقى بعض العسكر فاقتتلوا فانهزمت اليمانية وقتل خلق منهم، ونهب أصحاب أبي الهيذام بعض داريا وأحرقوا فيها ورجعوا ثم اقتتلوا غير مرّة فانهزمت اليمانية[٥]، وبعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حقّقها أبو الهيذام أرسل له مجموعة من الأشخاص يطلبون منه الأمان فأمنهم[٦].

ولم يكتف أبو الهيذام بالانتصارات التي حققها على اليمانية، بل قام بإجراءات صارمة بحق اليمانية، حيث أمر بنهب قرى اليمانية بنواحي دمشق وأحرقها[٧]، وكان هذا الإجراء المرعب من قبل أبي الهيذام كفيل بأن تسارع اليمانية في المناطق القريبة لطلب الأمان والعفو، فأمنهم جميعاً فسكن الناس وأمنوا[٨]، ولما أمن الناس فرَّق أبو الهيذام أصحابه، وبقي في نفر يسير من أهل دمشق، فطمع فيه الأمير اسحاق، وبذل الأموال للجنود ليواقع أبا الهيذام، فأرسل "العذافر السكسكي" في جمع إلى أبي الهيذام فقاتلوهم، فانهزم العذافر بعد أن دامت الحرب من الظهر وحتى المساء[٩].

وعجيب أمر الأمير إسحاق، فبدلاً من أن يحاول تهدئة الأمور بين القيسية واليمانية، يحول الأمر إلى مسألة شخصية وعداء مدعم بالكراهية والحقد على شخص أبي الهيذام، فقام بقيادة الجيوش بنفسه وحاول الهجوم على أصحاب أبي الهيذام في الليل، فاستمد أبو الهيذام أصحابه وأصبحوا من الغد، فاقتتلوا مع الجند وكان الجند في اثني عشر ألفاً وجاءتهم اليمانية، لكن أبي الهيذام أصر بمن معه من عدد قليل على القتال، فقاتل أصحاب إسحاق من اليمانية حتى أزالوهم عن باب الجابية[١٠].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥.
(٢) المصدر نفسه: ج٦ ص١٣٠؛ المصدر نفسه: ج٥ ص٤٦٥.
(٣) المصدر نفسه: ج٦ ص١٣٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٦ ص١٣٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥.
(٥) المصدر نفسه، ج٦ ص١٣١.
(٦) المصدر نفسه، ج٦ ص١٣١.
(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٥-٤٦٦.
(٨) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٦.
(٩) المصدر نفسه: ج٦ ص١٣١؛ المصدر نفسه: ج٥ ص٤٦٦.
(١٠) المصدر نفسه، ج٦ ص١٣٢؛ المصدر نفسه، ج٥ ص٤٦٦.

وخلال هذه الفترة حاول الأمير إسحاق أن يشتت جهود أبي الهيذام ويصرف نظره خارج دمشق، فحرض جمع من أهل حمص على الإغارة على قرية لأبي الهيذام، فأرسل أبو الهيذام طائفة من أصحابه إليهم فقاتلوهم فانهزم أهل حمص، وقتل منهم بشراً كثيراً، وأحرقوا قرى في الغوطة لليمانية، كما أحرقوا "داريا"[١].

ويظهر أن هذه الفتنة أزعجت الرشيد فحاول ان يخمدها بمختلف الوسائل، فما كان منه إلا أن أرسل السندي بن شاهك[٢] في جنود من عنده، وقبل أن يصل السندي لدمشق، بادرت إليه اليمانية تغريه بأبي الهيذام الذي سارع إلى إرسال رسالة للسندي يخبره فيها أنه على الطاعة[٣]، ولما دخل السندي دمشق، كان اسحق في دار الحجاج، فلما كان الغد أرسل السندي قائداً له في ثلاثة آلاف لمواجهة أبي الهيذام، فأخرج له أبو الهيذام ألفاً، ولما رأى قائد السندي أصحاب أبي الهيذام رجع إلى السندي وطلب منه أن يعطي أبي الهيذام وأصحابه ما يريدون[٤]، ويبدو أن قائد السندي قد سمع عن أصحاب أبي الهيذام ولمس منهم شجاعة منقطعة النظير وتفانياً في الدفاع عن أنفسهم حتى أنه وصفهم في أنهم، "قومٌ الموتُ أحبُ إليهم من الحياة[٥]".

وحاول السندي ان يحل الأمور دون حرب فصالح أبا الهيذام فأمَّن أهل دمشق[٦]. ولما عقد الصلح سار أبو الهيذام إلى حوران وأقام السندي في دمشق ثلاثة أيام، ثم قدم موسى بن عيسى العباسي والياً على دمشق، فأقام فيها عشرين يوماً، ثم حاول أن يغتنم غرة أبي الهيذام وهو في جماعة قليلة من أصحابه بعد الصلح، فأرسل من يأتيه به، فكبسوا داره، لكن أبا الهيذام بحسه الحربي نجا منهم، وليس هذا فحسب بل انهزم الجند الذين قدموا للإيقاع به[٧]، ولما سمعت خيل أبي الهيذام بما جرى جاءته من كل ناحية، فقصد بصرى، وفي طريقة قاتل جنود موسى عند طرف اللجاة فقتل منهم وانهزموا ومضى أبو الهيذام[٨].

أما عن نهاية الفتنة فقد ذكر ابن الأثير: "أن أبا الهيذام بعد أن هزم جند موسى، حضر إليه في الصباح خمسة فوارس فكلموه فأوصى أصحابه بما أراد وتركهم ومضى، وكان هؤلاء النفر جاءوه من عند أخيه يأمره بالكف ففعل ومضى معهم، وأمر أصحابه بالتفرق فانتهت الفتنة"[٩].

---

(١) المصدر نفسه: ج٦ ص١٣٢؛ المصدر نفسه، ج٥ ص٤٦٦.

(٢) السندي بن شاهك، أبو نصر، مولى المنصور، ذكر أنه هدم سور دمشق سنة ١٧٦هـ، ت سنة ٢٠٤هـ؛ ابن منظور: مختصر، ج١٠ ص٢١٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٦؛ الجومرد: هارون، ص٣٢٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٤٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٦ ص١٣٢؛ المصدر نفسه، ج٥ ص٤٤٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣٢؛ Paul. M. cobb. White Banners, P. 86

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٣٢-١٣٣؛ ابن خلدون: العبر: ج٥ ص٤٦٦.

(٨) المصدر نفسه: ج٦ ص١٣٢-١٣٣؛ تالمصدر نفسه: ج٥ ص٤٦٦.

(٩) المصدر نفسه، ج٦ ص١٣٣؛ المصدر نفسه، ج٥ ص٤٦٦.

ويبدو أن اليمانية لم يقوموا بدورهم على أكمل وجه في حرب أبي الهيذام وهذا ما جعل أحد الشعراء اليمانيين يلوم قومه اليمانية على التقصير في حرب أبي الهيذام بقوله[١]:

أَلومُ على الخُذْلانِ قَوْمِي ... وأنا أَخُصُّ بِلَوْمِي القَيْنَ والحَيَّ مِنْ كَلْبِ

فَلَما دَعَونَا الحَيَّ كَلْباً لِنَصرْنَا ... تَوَلُّوا وقَالُوا أَنْتُمْ إِخْوَةُ الذِئْبِ

وكان للشعراء دور كبير في إثارة الفتنة وتشجيع من يتفانى في الدفاع عن قومه، فيمدحونه ويمجدونه، ومثال ذلك ما ذكر في بلاء محمد الكناني الليثي[٢]:

قَد عَلِمَتْ قَيْسُ بَنِي عَيْلانَ أَنَنَيْ ... حَمَلْتُ على الْعَنْسِيِّ لَمْ أَتَحَرَّفِ

وَطَاعَنْتُ يَوْمَ السَكْسَكَيْنِ مُعلِماً ... فَأَبَت بِرُمْحٍ فِي يَدي مُتَقَصِّفِ

وليس هذا فحسب بل أن الشعراء كانوا يحرضون قومهم على عدم المصالحة والتفاني في القتال حتى الموت ويبدو ذلك من خلال ما قاله المعتصم بن عصمة الكلبي[٣]:

خُوضوا إِلَى الْمَوْتِ بَنِي قَحْطَانِ ... بالرَمْيِ وبِالسَّيْفِ وبِالطّعانِ

جُزْوا الرِقابَ مِنْ بَنِي عَيْلانِ ... فَأَمْسِي مَا قَطَعْتُم لِسَانِي

ولا بد من القول: أنه كان للشعراء دور كبير في إثارة الفتنة من جديد وانتشارها وذلك من خلال ما نظموه من شعر يرثون فيه قتلاهم، ويحرضون أقوامهم على الأخذ بثأرهم[٤]. ويظهر أن الكثير من المساجلات الشعرية التي قامت بين الطرفين، أعادت للعصبية قوتها وعنفوانها، من حيث التفاخر بالأنساب، والهجاء وإثارة النعرات القديمة، فقد قال أحد المريين في يوم داريا مفاخراً بقومه[٥]:

كَأَنَّا يَوْمَ دَارِيا أُسُودٌ ... تُدافِعُ عَنْ مَسَاكِنِها أُسُوْدَا

تَرَكْنَا أَهْلَ دَارِيا رَمِيْماً ... حُطَاماً فِي مَنَازِلِهم هُمُوداَ

إِذَ غَضَبَ الإلهُ عَلَى أُنَاسٍ ... دَعَا قَيْساً فَصَيَّرَهُم خمُوْدَا

ورد عليه عثمان بن مرة الخولاني بقوله[٦]:

كَذَبْتَ لَقَدْ ثَنَيْتَ بِكُلِّ أَمْرٍ ... يَسُوءكَ فَاسْتَمِعْ مِنْي الَوعِيْدَا

سَأَجْلُبُ نَحْوَكُم خْيلاً جِيَاداً ... وَفِتْيَاناً تَخَالُهُمُ الأُسُودَا

مَتَى طَمِعَتْ بَنُو غِيْلاَنَ فِيْنَا ... فَنَطْمَعُ أَوْ نُرجَّي أَنْ نَسُودا

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦ ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦ ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٦ ص٣٣٧.

(٤) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج٩ ص١٠٥، ج٢٢ ص٤٣٣؛ ج٦٢ ص٢٨، ج٢١٢ ص٢٣٥-٢٣٨، ج٢٩ ص٦٤، ج٢٥ ص٢٩١، ج١٦ ص٣٣٥، ج٣٦ ص٢٣٢، ج٣٢ ص١٨٠-١٨١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩ ص٤٩٩.

(٦) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج٩ ص١٠٥، ج٢٢ ص٤٣٣، ج٦٢ ص٢٨.

ومهما يكن من أمر فقد انتهت فتنة من أعنف الفتن التي عصفت بدمشق والشام كله، وقد أقلقت هذه الفتنة وأرقت مضجع الرشيد، وقد بلغ من اشتداد أمرها وإزعاجها الرشيد، أنه سار بنفسه قاصداً الشام، ولما سمع بانتهائها، مضى إلى الثغر[(١)].

- تجدد العصبية والفتنة في دمشق والشام سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م.

يظهر أن العصبية في الشام وعلى الأخص في دمشق- بين النزارية واليمانية قد عادت لما كانت عليه سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م وذلك بعد أقل من أربع سنوات على شبوبها لأول مرَّة، واتسع نطاقها لتشمل مناطق أوسع، حيث ضمت علاوة على دمشق كلاً من حمص والأردن وفلسطين[(٢)]. ويرى الدوري أن تكرار الاضطرابات القبلية وبروزها من جديد وبقوة ربما كان بسبب إهمال الرشيد لها وعدم تعامله معها بجدية وقد هدف الرشيد من ذلك إضعاف قوة خصومه[(٣)].

ولكن يظهر أن الأمور كادت أن تخرج عن السيطرة فقد كانت هذه الفتنة أقوى من كل الفتن التي سبقتها حيث أقلقت الرشيد أكثر من أي ثورة أخرى ويبدو ذلك واضحاً من خلال إصراره على المسير إليها بنفسه، أو يسير لها وزيره وسهمه الثاقب جعفر بن يحيى البرمكي، فأختار "جعفر" أن يخرج لفض الفتنة بدلاً من خروج الخليفة بعد أن قال له الخليفة: "إمّا أن تخرج أنت أو أخرج أنا، فقال جعفر بل أقيك بنفسي"[(٤)].

فشخص جعفر إلى دمشق بعد أن عقد له الرشيد على الشام[(٥)]، وكان بصحبته جلة قواده والكراع والسلاح، وجعل على شُرَطِة العباس بن محمد بن المسيب بن زهير، وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة[(٦)]، فلما أتى أهل الفتنة أصلح بينهم، وقتل زواقيلهم والمتلصصة منهم، ولم يدع بها رمحاً ولا فرساً، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة، وأطفأ تلك الثائرة[(٧)]، ويظهر أن جعفر أعد خطة لإنهاء تلك العصبية، تمثلت في محاولته التضييق على جذور الفتنة وأصحابها ومثيريها، فما كان منه إلا أن قام بمصادرة الأسلحة من الطرفين تخفيفاً لحدة الأزمة، وكان قبل ذلك قد قام بقتل أصحاب الفتن والمشاكل، ونجح جعفر في سياسته بإطفاء نار الفتنة والإصلاح بين أطرافها، ثم خطب في الطرفين خطبة جامعة شملت معاني الوحدة والألفة، ومخاطر التشرذم والخصام والفتنة والتنفير منها، والحث على الجماعة[(٨)].

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤١٠.

(٢) الجهشياري: الوزراء، ص٢٠٨؛ الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢.

(٣) الدوري: العصر العباسي، ص١١٣.

(٤) الجهشياري: الوزراء، ص٢٠٨؛ الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ج٨ ص٢٦٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٨ ص٢٦٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧.

(٨) الجهشياري: الوزراء، ص٢٠٩.

ومدح الشعراء جعفر لنجاحه في إطفاء الفتنة ونظموا فيه الشعر كثيراً، وكان من أبرز من مدحه، الشاعر منصور النمري الذي وصف خروجه وتمكنه من القضاء على الفتنة وتحقيق الأمن والطمأنينة[١]، وكذلك الشاعر مسلم بن الوليد الذي وصف ما فعله جعفر بقوله[٢]:

تَعَارَفْت الأَحْيَاءُ وأُتلَفَتْ إذَا آلفَتَهُم إلى مَعْرُوفهِ السُّبُلُ[٣]

ولم يعد جعفر بن يحيى لبغداد حتى خمدت الثورة وعادت الطمأنينة إلى النفوس، واستخلف عليها عيسى العكي[٤]، وحاول جعفر تأكيد الصلح بين الطرفين، فما كان منه إلا اصطحاب رؤساء القبائل من الطرفين إلى بغداد بعد أن عفا عنهم، وهناك استقبله الرشيد بفرح غامر[٥]، ويبدو أن جعفر اصطحب معه رؤساء القبائل، ليؤكد الصلح أمام الخليفة وبمباركة منه، وحتى يتمكن من اصطناع هؤلاء الرؤساء لخدمة الدولة.

- **الفتنة بين المضرية واليمانية سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م:**

فقد ذكرت المصادر أن سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م شهدت هياج العصبية في دمشق بين المضرية واليمانية وجرت بين الطرفين وقعة مهولة ظهرت فيها اليمانية، وقتل نحواً من خمسمائة نفس من المضرية[٦]، وكان الوالي يومئذٍ شعيب بن خازم بن خزيمة الذي عزل بعد الفتنة واستبدل بـــ محمد بن منصور الذي أرسله الرشيد لإصلاح الفتنة[٧].

وذكر ابن عساكر أن سبب هذه الفتنة هو تحيز الوالي شعيب بن خازم وميله إلى جانب اليمانية ودعمهم ضد المضرية، وكان أهل دمشق يشكون من سياسة هذا الوالي الواضحة التعصب فما كان منهم إلا أن شكوه إلى الخليفة هارون الرشيد، الذي بعث من قبله بـــ محمد بن منصور بن زياد، وأوصاه بحل المشكلة بين الطرفين[٨].

ويظهر أن الرشيد كان جاداً في فك عقد الفتنة وحل المشكلة بين الطرفين، فوضع خطة لحل الفتنة أوصى مبعوثه بتطبيقها وتتضمن أن يدفع دية من قتلوا في الفتنة من بيت المال، وأن يعفو عن الفريقين ويسترضيهم[٩]، وربما حاول الرشيد من خلال ذلك أن يبدأ أهل دمشق صفحة جديدة خالية من المشاكل والفتن التي لم تهدأ، وكانت أخبارها تصل إلى مسامع الخليفة بين اللحظة والأخرى فتؤرق مضجعه.

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢.

(٢) الجهشياري: الوزراء، ص٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٠٩.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٣.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٣-٢٦٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٨٨، ج٥٦ ص٣٤-٣٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٨١-١٩٠هـ ص٣٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص١٣٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٥٦ ص٣٤ وج٢٣ ص٨٨؛ المصدر نفسه، حوادث ١٨١-١٩٠هـ ص٣٦ وص١٨٥.

(٨) المصدر نفسه: ج٢٣ ص٨٨.

(٩) المصدر نفسه، ج٢٣ ص٨٨.

وكان الرشيد أرسل مع مبعوثه، مجموعة من الأشخاص لمساعدته وهم جماعة من خدم الخليفة وحرسه وقواده من أهل الشام من أهل الفريقين بعد أن استخلفهم على المناصحة والاجتهاد والسعي لإطفاء نار الفتنة[١]، وفور وصول محمد بن منصور، قام باتخاذ الإجراءات الملائمة التي تتناسب مع كونه مبعوث من الخليفة، فقام بعزل شعيب بن خازم ولم يول أحداً بل طلب من الفريقين أن يختاروا لأنفسهم من يحبون ويرضون[٢]، كما أمر وحسب وصايا الخليفة بدفع فداء من قتل في الفتنة من الطرفين من بيت المال[٣].

وبالفعل تمكن محمد بن منصور من إصلاح الأمر ثم عاد إلى بغداد واصطحب معه خلال عودته من وجوه دمشق من كلا الطرفين نحواً من عشرين رجلاً[٤]، ولعلَّ هؤلاء الأشخاص أحضرهم محمد بن منصور ليؤكدوا الصلح أمام الخليفة هارون الذي تابع بنفسه أخبار الفتنة وحرص على إخماد نيرانها، أو لعلهم أحضروا كرهائن لضمان استمرار الصلح وهذا أقرب للواقع.

وكان نصيب والي دمشق المتعصب بعد قيام هذه الثورة العزل، واستبداله بـــ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الذي ضم إليه رجلاً لمساعدته في إدارة أمور دمشق وهو ابن أبي خالد المروزيادي، وتم وصله بـــ خمسة آلاف دينار[٥].

ومع انتهاء هذه الفتنة لا بد من القول أن التعصب أو الميل إلى فريق ضد الآخر لم يكن سبباً في الفتن فحسب بل كان السبب الأساس لقيام العديد من الفتن والثورات ومنها هذه الثورة، كما أن التعصب أو الميل إلى فريق ضد الآخر لم يكن محموداً حتى من قبل الدولة التي غالباً ما كانت تلجأ لخلع ذلك الوالي المتعصب، واستبداله بوالٍ أكثر إتزاناً على سبيل الإصلاح وإطفاء نار الغضب التي تجتاح الفريق الذي يتعصب الوالي ضده.

ولم تخمد العصبية القبلية في الشام بعد سقوط الأمويين، وعلى الرغم من أنّه ربما كان في وجودها فائدة للعباسيين لأنها تضعف كيان أعدائهم أهل الشام، ولكنهم في الوقت نفسه لم يرتاحوا إليها تماماً لأنها كانت تخل بسلطة وأمن الدولة وتهدد المواصلات والتجارة[٦]. وهو ما جعل الخلفاء العباسيون يفكرون جدياً بإيجاد حل جذري لهذه العصبية[٧].

١٠- سيطرة ابن طولون على دمشق:

يبدو أن ابن طولون استغل فترة انشغال أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل بقتال صاحب الزنج[٨]، وخرج في عساكر كثيرة من مصر تجاه الشام مظهراً الغزو[١]، وصادف قبل وصول ابن

---

(١) المصدر نفسه، ج٢٣ ص٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢٣ ص٨٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٢٣ ص٨٨.
(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٨٨.
(٥) المصدر نفسه: ج٢٣ ص٨٩.
(٦) الدوري: العصر العباسي، ص١١٢-١١٣.
(٧) المصدر نفسه: ص١١٢-١١٣.
(٨) انظر الطبري: تاريخ، ج٩، ص٤٨٨، ٥٣٤، ٥٢٧-٥٢٩.

طولون إلى دمشق أن مات أماجور التركي الذي كان على دمشق[٢]، فدخلها ابن طولون واحتوى على جميع ما حوته من الخزائن وغيرها وسار منها إلى حمص وانطاكية[٣].

وكان تملك ابن طولون لدمشق سنة ٢٦٥هـ/٥٩٥م[٤]. وكرد فعل على ما قام به ابن طولون أمر الخليفة العباسي المعتمد بلعن ابن طولون على منابر بغداد[٥]، فرد ابن طولون بالمثل على هذا الإجراء المتخذ ضده، فقام بلعن المعتمد على المنابر في جميع أعمال مصر وغيرها[٦]، ولما دخل ابن طولون دمشق خلع أهل دمشق الموفق أبا أحمد[٧]. وكان من بين من خلعوا عالم دمشق أبا زرعة[٨].

ولكن ملحمة دارت بين ابن طولون من جهة وأحمد بن الموفق (المعتضد) من جهة أخرى، وكان النصر فيها حليف المعتضد الذي استطاع أن يسيطر على دمشق من جديد[٩].

ولما دخل المعتضد دمشق، حاول أن يعاقب أهل دمشق على ما كان منهم من خلع لأبيه "الموفق" وطاعة لابن طولون، فأحضر الفقيه أبا زرعة ومن معه ليتحقق من خلعهم، وقد برر أبو زرعة خلعه بقوله: "أنه ما خلع بل أنه قال يومها أنه خلع أبا أحمق ولم يخلع أبا أحمد"[١٠]، وبعد عدة مداولات وتحقق من الموضوع عفا المعتضد عن الذين خلعوا لأنهم زعموا أن خلعهم جاء بالإكراه من ابن طولون ولم يكن لهم خيار فيه[١١].

ويبدو أن أهل دمشق حتى هذه الفترة المتأخرة كان ما يزال الألم يعتصر في داخلهم على ضياع هيبة دمشق وفقدانها لمركزها السياسي الأول، وكانت قلوبهم لا تزال مليئة بكره من كان السبب في ذلك وهم العباسيون لذا كان أهل دمشق يتحينون الفرص للتخلص من السيطرة العباسية، بل أنهم كانوا مستعدين أن يكونوا تابعين لأي سيطرة غير السيطرة العباسية، ويبدو ذلك واضحاً من خلال وقوفهم إلى جانب ابن طولون ضد السلطة العباسية وإسراعهم لخلع الخليفة العباسي ومبايعة ابن طولون علاوة على لعنهم "الموفق" على منابر دمشق[١٢].

---

(١) المسعودي: مروج، ج٤ ص٢٢٥؛ ابن خلكان: وفيات، ج١ ص١٧٣.

(٢) المسعودي: مروج، ج٤ ص٢٢٥؛ ابن خلكان: وفيات، ج١ ص١٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٤ ص٢٢٥؛ المصدر نفسه، ج١ ص١٧٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص١٩١؛ ابن العبري: مختصر الدول، ص٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٨؛ المصدر نفسه ج٥٢ ص١٩١.

(٦) ابن العبري: المختصر، ص٤٨ ؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص١٩١.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج١٥ ص٣٣٨، ج٥٢ ص١٩١؛ الذهبي: سير، ج١٤ ص٢٣١.

(٨) المصدر نفسه، ج٥٢ ص١٩١؛ المصدر نفسه، ج١٤ ص٢٣١.

(٩) المصدر نفسه: ج٥٢ ص١٩١؛ المصدر نفسه، ج١٤ ص٢٣١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٥٢ ص١٩١؛ المصدر نفسه، ج١٤ ص٢٣١.

(١١) المصدر نفسه، ج٥٢ ص١٩١؛ المصدر نفسه، ج١٤ ص٢٣١.

(١٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص١٩١؛ ابن العبري: المختصر، ص١٤٨؛ ؛ الذهبي: سير، ج١٤ ص٢٣١.

<u>١١- مشاركة ودعم أهل دمشق للحركات خارج دمشق:</u>

فبعد أن خرجت الخلافة من حاضرة الشام "دمشق" وانتقلت بعيداً إلى العراق، تراجع الدور السياسي لإقليم الشام، وهذا بالطبع ولّد لدى الشاميين شعوراً بالأسى على ضياع الامتيازات التي كانت ممنوحة لهم بسبب اضطلاعهم بتلك المسؤوليات الجسام.

وبعد أن استيقظ أهل دمشق على واقع جديد مزعج، انتفضوا وحاولوا التعبير عن رفضهم له، ورغبتهم المليئة بالأمل في إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل قيام الدولة العباسية، فما كان منهم إلا أن قاموا بالثورات المتعددة لتحقيق أحلامهم وأمانيهم، ولم يكتفوا بالقيام بالثورات بأنفسهم بل إنهم حرضوا الأماكن الأخرى على القيام بالثورات ودعموهم، وكانوا يؤيدون كل من تسول له نفسه أن يثور، وكثيراً ما قدموا الدعم المادي بالأسلحة والجنود للثوار في الأماكن الأخرى.

فقد ساند أهل دمشق الحركة التي قام بها حبيب بن مرة المري ١٣٢هـ/٧٥٠م في منطقة البلقاء والبثنية وحوران خوفاً على نفسه وقومه، لأن العباسيين كانوا يلاحقون القيسيين الذين قاوموهم عند دخولهم، وحظيت هذه الحركة بمساندة من أهل دمشق، انتقاماً من العباسيين الذين قربوا القبائل اليمانية، وابعدوا القبائل القيسية[١]، ولكن هذه الحركة فشلت وقتل قائدها، وكان من الممكن أن تحقق نتائج أفضل لو استمرت لمدة أطول خاصة إذا علمنا أن هناك عدة ثورات كانت قد نشبت ضد العباسيين في هذه الفترة وعلى رأسها ثورة أبي محمد السفياني[٢].

ولما قامت ثورة المبرقع اليماني (أبو حرب) في فلسطين خلال فترة المعتصم ٢٢٧هـ/٧٤١م، وكان أغلب عناصر هذه الثورة من الفلاحين، الذين وجدوا في الثورة تعبيراً عن الأحوال الاقتصادية السيئة التي يعانون منها[٣]، ولاقت تأييداً واستجابة من قبل مجموعة من رؤساء وزرعماء دمشق وعلى رأسهم رجل يقال له ابن بيهس الكلابي الذي كان مطاعاً في أهل اليمن كما أيدها عدد آخر من زعماء دمشق من قبائل مختلفة.

ويبدو أن دمشق وأهلها تأثروا بهذا الموقف وانعكست آثاره سلباً على دمشق، فقد وجَّه المعتصم لهم رجاء الحضاري في جماعة كبيرة فَوَاقَعَهُمْ في دمشق وَقَتَلَ من اصحاب ابن بيهس وصاحبيه خلق كثير[٤]، وبالتالي انفضَّ تأييد أهل دمشق للمبرقع وانكمشت دائرة تأثيره، حيث سار رجاء الحضاري بعد ذلك إلى أبي حرب فهاجمه في الرملة وهزمه بعد أن قتل من أصحابه ٢٠ ألفاً، ثم أسره وحمله معه إلى سامراء حيث جعل إلى جانب ابن بيهس في المطبق[٥].

<u>مشاركة أهل دمشق في قمع الثورات التي قامت ضد العباسيين:</u>

---

(١) انظر الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٤٤.

(٢) انظر البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٦٩-١٧٠؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٣؛ ابن العديم: زبدة، ج١ ص٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٧ ص١١٧؛ مجهول: العيون، ج٣ ص٤٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٦ ص١٣٧؛ الذهبي: سير، ج١٠ ص٣٠٢؛ صالح الحمارنة: ثورة الفلاحين، ص٧٨ وما بعدها.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٧ ص١١٧؛ مجهول: العيون، ج٣ ص٤٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٦ ص١٣٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٧ ص١١٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٦ ص١٣٧.

على الرغم من أن العباسيين كانوا حذرين من أهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة، في أنهم أصحاب ولاء أموي، لكن هذا لا يعني أن العباسيين فقدوا الثقة بكفاءة وبراعة أهل الشام القتالية "وأصالة نسبهم العربي"، واستطاع بعض القادة العباسيين الذين تولوا ولاية دمشق أن يحصلوا على ثقة كبيرة من أهل الشام عامة ودمشق خاصة. بل أصبح لهم مكانة رفيعة في نفوس أهل الشام، وهذا ينطبق على الفضل بن صالح– الذي كان والياً على الشام في عهد المنصور[١] وكذلك الحال بالنسبة لـــ عبد الملك بن صالح[٢]. وأمام هذا الوضع كان أهل الشام مستعدين لمساعدته في تقديم الخدمات اللازمة أو تنفيذ ما يكلفون به، عند الاستعانة بهم.

فعندما وثبت الثورة في صعيد مصر بقيادة دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز ابن مروان الذي ثار انتقاماً لما قام به العباسيون من مذابح بحق أقاربه الأمويين[٣]، وتمكن من التغلب على صعيد مصر، وعجز والي مصر أنذاك إبراهيم بن صالح، عن إخماد فتنته[٤]، فصرفه المهدي وعين بدلاً عنه موسى بن مصعب الخثعمي الذي لم يتمكن بدوره من القضاء على ثورة دحية بل إن أصحاب دحية قتلوا الوالي موسى بن مصعب[٥]. فما كان من المهدي إلا أن ولى الفضل بن صالح مصر، فقدمها الفضل وهي تضطرم من الفتن، وكان بصحبته لما قدم عسكر من الجند عظيم. أتى بهم من الشام، وكان منهم عدد كبير من أهل دمشق عليهم عاصم بن محمد بن سعيد[٦]. وكان المهدي قد توفي سنة ١٦٩هـ/ وبويع موسى بن المهدي الذي أقر بدوره الفضل على ولاية مصر[٧]، وتمكن الفضل من القضاء على ثورة دحيه بن مصعب بعد أن أرهقت مصر وأقلقت الخلافة في بغداد[٨].(وكان لمساهمة أهل الشام ودمشق الأثر الأكبر في القضاء على هذه الثورة).

ولما وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي بسبب قتله لبعض رؤوسائهم[٩]، فأخرجوه وقتلوا عدداً من أصحابه، فولَّي مكانه محمد بن عبدوية الأنباري فأساء إليهم وعسف بهم فوثبوا به أيضاً[١٠]. فأمّره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وادخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره[١١]. ويظهر أن المتوكل استعان بأهل دمشق لتنفيذ إرادة الدولة على أهل حمص وإجبارهم على الخضوع لما ترغب به الدولة

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٨ ص٣١٨؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٠ ص٢٧٧.
(٢) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٤٢٤.
(٣) الكندي: ولاة، ص١٤٧.
(٤) المصدر نفسه، ص١٤٧.
(٥) المصدر نفسه، ص١٥١.
(٦) الكندي: ولاة، ص١٥٢.
(٧) المصدر نفسه، ص١٥٣؛ انظر ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص١١٣.
(٨) ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٨٥–٥٨٦.
(٩) الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٩٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٧٦.
(١٠) المصدر نفسه، ج٩ ص١٩٩؛ المصدر نفسه، ج٧ ص٧٦.
(١١) ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٨٥–٥٨٦.

وعدم تمكينهم من أن يملوا على الدولة ما يريدون، ويبدو أن المتوكل كانت لديه ثقة ما بدمشق وأهلها ولذلك جعل لهم دوراً في إخماد هذه الفتنة.

١٢- أسباب قيام الثورات وعوامل فشلها:

وبعد استعراض أهم الثورات التي قام بها أهل دمشق والتي يظهر من خلالها أن دوافع تلك الثورات مختلفة ومتعددة، وأن لكل ثورة ظروفها الخاصة بها- ولكن من الممكن تحديد أسباب تلك الثورات بما يلي:

أولاً: الولاة العباسيون وقسوتهم وسوء سياستهم:

لم يتورع العباسيون عند دخولهم دمشق عن القيام بأعمال كثيرة ضد أهل دمشق، وتعاملوا مع مناطق المعارضة وساكنيها بقسوة، ومثال ذلك عندما دخل عبد الله بن علي دمشق، حيث تعامل مع أهلها بقسوة، وربما هذا حال المنتصر دوماً، ولكن عبد الله بن علي بالغ كثيراً إلى الحد الذي بلغ فيه التعدي ليس على البشر الأحياء فقط بل والأموات والعبث بقبورهم[1].

ولم يكن ولاة العباسيين لدمشق في كثير من الأحيان أرحم على أهل دمشق من العباسيين أنفسهم، فكثيراً ما قام بعض الولاة بقتل وتعذيب مجموعات وأشخاص من أهل دمشق مما كان يؤدي إلى غضبهم وثورتهم على الوالي، وغالباً ما كانت تلك الثورة تنتهي بعزل أو قتل ذلك الوالي القاسي والمتعدي[2].

ولم يكتف الولاة بممارستهم للقسوة والعنف تجاه أهل دمشق بل إن أغلب الولاة انتهج سياسة سيئة تمثلت في الميل إلى عنصر دون الآخر، ومحاباة قبيلة ودعمها ضد قبيلة أخرى. فقد أخذ ولاة الشام أيام خلفاء بني العباس الأوائل يناصرون القبائل اليمينة في الشام كلما نشب نزاع بين الفريقين القبليين قيس ويمن[3]، دون تمحيص في الأمر أو اهتمام بإحقاق الحق وإنصاف المظلوم وتهدئة النزاع وإطفاء نار الفتن، اللهم إلا الوالي إبراهيم بن المهدي الهاشمي أخو الرشيد الذي اتبع سياسة متوازنة وحكيمه تجاه الطرفين تمكن من خلالها من الإمساك بزمام الأمور والقضاء على الفتن بين الطرفين[4].

ويظهر أن ميل الولاة لطرف على حساب الآخر، وممارستهم القاسية والعنيفة تجاه السكان في دمشق ساهم بصورة كبيرة في سوء الأحوال الاقتصادية في مختلف المجالات، والذي كان له دور مميز في شعور الناس بالإحباط والسعي المتكرر لتغيير الأوضاع التي يعانون منها كلما سنحت لهم الظروف بذلك، ووصل الحد بدمشق أن أصبحت أقرب إلى الفقر في فترة من الفترات، بعد أن كانت جنة خضراء، وهذا بسبب سياسة الولاة في التعدي على مقدرات دمشق ومواردها، ويؤيد ذلك ما ذكره هارون الرشيد بعد أن عزل واليه على دمشق الحسين بن عمار حيث قال له مؤنباً: "وليتك دمشق وهي

---

(١) انظر: المقدسي: البدء، ج٥ ص٧٢؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٣٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨؛ ج٨ ص١٠٦؛ الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٥١-٥٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص١٠٦؛ ج٢٣ ص٨٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ، ج٧ ص١٥٩-١٦٢؛ امينة بيطار: الحياة السياسية، ص٥١-٥٢.

جنة تحيط بها غدر تتكفأ أمواجها على رياض كالدراري فما برح بك التعدي لا رفاقهم أن جعلتها أجرد من الصخر وأوحش من القفر"[١].

ومن خلال رد الوالي وتبريره للخليفة بحقيقة ما جرى يظهر من حديثة شيء يستحق الاهتمام، فقد قال الوالي للخليفة: "والله يا أمير المؤمنين ما قصدت لغير التوفيق من جهته، ولكني رأيت أقواماً، ثقل الحق على أعناقهم فتفرقوا في ميادين التعدي، ورأوا المراغمة بترك العمارة، أوقع بإضرار السلطان، وأرادوا بذلك المشقة على الولاة"[٢]. ويظهر من ذلك أن أهل دمشق اتبعوا أسلوباً في المقاومة الاقتصادية، وهو عدم الاهتمام بالزراعة والأرض، ومع أن هذا الأسلوب كان يضر بهم، ولكنهم كانوا يعلمون أنه أكثر ضرراً بالدولة، طالما أنه يقلل الخراج ويساهم في شح المنتوجات، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن أهل دمشق قاوموا الدولة بمختلف الأساليب المتاحة لهم لعلهم يضعفون الدولة العباسية وتعود لدمشق مكانتها الرفيعة التي طالما تمتعت بها.

وإذا كان أغلب ولاة دمشق مالوا إلى سياسة القسوة والعنف مع أهل دمشق، فيظهر أن تلك السياسة كانت نابعة من نظرة السخط التي ينظرها خلفاء بني العباس للشام عموماً ولدمشق خصوصاً، وما يكنونه لأهل الشام من كره في أنهم دعموا وأحبوا الأمويين ووقفوا إلى جانبهم، وربطوا مصلحتهم بهم، ويبدو ذلك واضحاً من خلال النظرة التي ذكرها المأمون لأهل الشام حين اعترضه رجل منهم مراراً وطلب منه أن ينظر لعرب الشام كما ينظر لعجم خراسان[٣]. ولكن المأمون رد عليه موضحاً ما يختمر في صدره تجاه أهل الشام بمختلف فئاتهم. حيث قال: "أكثرت علي يا أخا أهل الشام، والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني، وأما قضاعة فسادة حرمها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث الله نبيه محمد من مضر ولم يخرج اثنان إلا خرج شارياً..أغرب فعل الله بك[٤]، ويظهر من ذلك مدى السخط الذي كان في نفس المأمون على أهل الشام وأنه لا يثق بولائهم، ولذلك فهو يعاملهم ويفضل غيرهم عليهم.

ثانياً: الاستفادة من الأوضاع المضطربة في الأماكن الأخرى.

فقد حاول أهل دمشق مراراً الاستفادة من الظروف التي ترافق قيام حركة أخرى في منطقة من مناطق الشام لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، فكان أهل دمشق يستغلون فترة قيام ثورة في مكان ما ثم يسارعون لإعلان خروجهم على الدولة، لتحقيق مكاسب مادية في كثير من الأحيان، فقد خرج من بدمشق عن الطاعة بعد أن خرج عبد الله إلى قنسرين لإخماد حركة أبي الورد بن الكوثر[٥]، ويظهر أن

(١) ابن الفقيه: البلدان، ص١٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ص١٠٤.

(٣) الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢١٦-٢١٧ و ص٣٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص١٧٦.

(٤) الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢١٦-٢١٧.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤ ص٦٦؛ أبو الفداء: مختصر، ج١ ص٢٣.

أهل دمشق قد استغلوا ذلك وخرجوا على السلطة العباسية مستغلين انشغال عبد الله بن علي بتلك الحركة.

وعلى ما يبدو فإن إقليم الشام عامة ودمشق خاصة ربط مصلحته في المعارضة بمختلف أشكالها، وذلك بعد خروج الخلافة منه وسقوط دوره السياسي، وهذا ما جعله ينخرط في أية حركة تعلن التمرد على الحكم الجديد...سواء أكانت لها بعداً جذرياً أم اقتصرت على أهداف مرحلية محدودة، وقد أمل أهل الشام عامة ودمشق خاصة من سياسة معارضتهم أن يعود لهم ذلك الاهتمام والدور الذي كانوا يقومون به في الفترة الأموية.

- عوامل فشل الثورات:

وبعد استعراض لأهم الثورات التي قام بها أهل دمشق، أو التي شاركوا فيها، والتي كان مصيرها جميعاً الإخفاق وذلك لعدة أسباب:

أولاً:

إن أغلب الثورات التي قامت كانت تفتقد إلى الحد الأدنى من الوحدة والتنسيق بين الثوار الذين كانوا يتحركون في ظل وحدات قبلية متفرقة وليس في إطار شعبي واحد، مما جعل القادة العباسيين الأوائل خلال فترة عنفوان الدولة- متأهبين لإخماد هذه الثورات والقضاء عليها بالسرعة القصوى، وبذلك يكون الشاميون قد خسروا إحدى أهم السوانح المتاحة لهم لتحقيق الثورة الشاملة على العباسيين[١].

(١) انظر إبراهيم بيضون: تاريخ بلاد الشام، ص٢٣٤؛ عصام عقلة، الأمويون، ص٩٠.

ثانياً:

كان لعودة الصراع بين القيسية واليمانية، وعدم تمكن أحد الأطراف من استيعاب الآخر دور كبير في فشل الثورات العديدة، فقد أدى هذا الصراع إلى تشتيت وحدة الصف الشامي وإضعافه، بل وتوجه الجهود التي كان يفترض أن توجه إلى الدولة العباسية. كل طرف ضد الاخر، القيسية ضد اليمانية واليمانية ضد القيسية، وبذلك وفر هذا الخلاف بين العصبيتين على الدولة العباسية الكثير من الوقت والجهد في إخماد الحركات الثائرة، حيث مكنها من التفرغ لثورات في أماكن أخرى طالما أن الطرفين يقومان كل ضد الآخر بنفس الدور الذي كان يجب أن تقوم به الدولة تجاههما[١].

ثالثاً:

إن الكثير من الثورات التي قامت كان ينقصها القيادة الخبيرة والمجمع عليها من أغلب سكان الشام، (أو دمشق على الأقل). فمن المؤكد أن العباسيين لما دخلوا دمشق قاموا بقتل الكثير من القادة الأمويين ومؤيديهم من أصحاب الحكمة والتجربة، والذين كان لديهم من الصفات الكثيرة التي من شانها توحيد الشام تحت قيادتها[٢].

وفي الجانب الآخر فإن أغلب الثورات التي قامت في بلاد الشام ودمشق خاصة، قامت على يد زعماء تنقصهم الخبرة والحنكة، علاوة على أنهم لا يحظون بالتأييد من جميع الأطراف لأن هناك شكوك كثيرة حول قيادتهم.

ومن مظاهر عدم الخبرة والحنكة لدى قادة الثورات، ما ظهر من ترددهم المستمر من مواجهة العباسيين او التصادم معهم، ثم هروبهم غير المبرر من أمام الجيش العباسي، او سرعتهم في طلب الأمان، ربما خوفاً من التنكيل الذي قد يعود عليهم بعد فشل الثورة.

رابعاً:

إنّ أغلب الثورات التي قامت في دمشق والشام جاءت في فترة كانت فيها الدولة العباسية في أوج قوتها وعطائها، وهي بالتالي مستعدة للقضاء عليها وإخمادها قبل انتشارها وامتدادها إلى مكان آخر، وعلاوة على ذلك فإن أغلب الثورات لم تخرج عن الطابع المحلي ولم تخرج عن إطار السيطرة العباسية.

---

(١) انظر الطبري: تاريخ، ج٨ ص٤١٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٤٩.

(٢) عصام عقلة: الأمويون، ص٩١.

الفصل الثالث

الإدارة العباسية

١- الولاة

دار الإمارة

٢- الدواوين

٣- القضاء

٤- المظالم

٥- الحسبة

٦- الشرطة

٧- صاحب الخراج

٨- البريد

٩- ديوان الرسائل

١٠- صاحب المعونة

١- الولاة:

لقد أفرزت الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية، إفرازاً هاماً تمثل في وصول معاوية بن أبي سفيان إلى الخلافة بعد أن كان والياً على دمشق، وترتب على هذا الأمر نتيجة هامة بالنسبة لدمشق وهي: تحول عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق التي كانت مدينـــة ضـــمن ولاية تابعة للخلافة[١].

ومن المؤكد أن هذا التحول قد ساهم مساهمة فاعلة في تزايد الأهمية التي تتمتـــع بهـــا دمشق، علاوة على مساهمته في تسارع تطورها وبشكل شمل جميع مناحي الحياة فيها، ســـواء أكانت اقتصادية أم ثقافية أم عمرانية وإدارية.

فمع وجود الخلافة في دمشق صارت دمشق واقعة تحت الإدارة المباشرة لمعظم خلفـــاء بني أمية، الذين اتخذوها مقراً دائماً لهم، وهذا ما جعل دمشق تخضع لإشراف الخليفـــة نفســـه، الأمر الذي جعل الإدارة فيها مستتبة إلى حد كبير[٢].

ولكن دمشق لم تعد عاصمة للدولة الإسلامية، بعد سقوط دولة بني أمية سنة ١٣٢هـــ، وربما قبل هذا التاريخ عندما قام الخليفة مروان بن محمد بنقل مقر حكمه إلى حرّان[٣]. وهـــذا يفسِّر الموقف الذي وقفه ضده أهل دمشق خلال مطاردة جيوش العباسيين له، حيث قـــام أهـــل دمشق بإغلاق أبواب المدينة في وجه مروان بن محمد وليس هذا فحسب بل قاموا بنهب مؤخرة جيشه بدلاً من أن يكونوا عوناً له[٤].

ومن المؤكد أن هذا التطور الذي شهدته مدينة دمشق قد ساهم مساهمة فاعلة في إحداث نقلة كبيرة في إدارتها، فبعد أن كانت دمشق تبعث الولاة إلى مختلف المناطق باعتبارها مركـــز الخلافة ومقر الحكم، صارت تستقبل والياً عليها، كمدينة عادية ضمن الولاية.

وما أن أفاق أهل دمشق من غفوتهم بعد سقوط المدينة وانتقالها إلى واقع جديد، حتـــى وجدوا أن المكانة التي كانوا يتمتعون بها لم تَعُد لهم، ولم يعد لهم أيٍ من الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها عندما كانت دمشق مقر الحكم وعاصمة الخلافة، وهذا يفسِّر قيام العديـــد مـــن الثورات في دمشق التي حاول أصحابها أن يعبروا من خلالها عن رفضهم لهذا الواقع الجديـــد

---

(١) خليفة، تاريخ، ص١٩٩؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص٢١٢؛ الطبري، تاريخ، ج٥ ص١٤٣-١٤٩؛ المسعودي، مـــروج، ج٢، ص٤١١.

(٢) انظر، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٦٨، المسعودي، مـــروج، ج٣ ص١٥٣، ٨٩، ٩٠؛ القلقشـــندي؛ مـــآثر، ج١، ص١١١، ص١١٧.

(٣) البلاذري: أنساب، ج٣، ص١٠٣-١٠٤.

(٤) خليفة: تاريخ، قسم٢، ص٦١١؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٤٥؛ البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣-١٠٤؛ الطبـــري: تاريخ، ج٧ ص٣٣٤؛ ابن العمراني: الأنباء، ص٥٢.

الذي فرض عليهم، كما أملوا من تلك الثورات استعادة المكانة أو تعويض النفوذ الــذي كــانوا يتمتعون به في ظل الوضع السابق[1].

والجدول التالي يبين أسماء الولاة الذين تعاقبوا على إدارة دمشق منــذ أواخــر الفتــرة الأموية وحتى نهاية فترة البحث، وأسماء القبائل والجماعات التي ينتمي لهــا هــؤلاء الــولاة، وأسماء الخلفاء الذين كانت في عهدهم الولاية، ومن خلال هذا الجدول من الممكــن أن نلمــح صورة الإدارة العباسية لدمشق من خلال قمة الهرم الإداري للولاية وهو الوالي.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م	الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب الأشعري	الأشاعرة "يمانية"	كان والياً منذ عهد يزيد ومن قبله[٢].
	كلثوم بن عياض بن وحوح القشيري	القشيرية[٣] "يمانية"	
	محمد بن الضحاك بن قيس الفهري	فهر[٤] "قريش"	
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥-١٢٦ هـ/٧٤٢-٧٤٣م	عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي	الأزد "يمانية"	كان يجمع بين ولاية المدينة والقضاء فيها[٥].
	محمد بن سعيد بن عقبة المرادي	مراد "يمانية"	كان فيما سبق عاملاً على خراج مصر[٦].
	عبد الملك بن محمد بن الحجاج الثقفي	ثقيف " يمانية"	كان غائباً عن دمشق خلال ثورة يزيد بن الوليد وربما ساهم ذلك في إنجاح الثورة[٧].
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦هـ/٧٤٣م	الوليد بن تليد المري	بني مرّة[٨] "قيس"	

(١) البلاذري: أنساب، ج٣، ص١٩٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص٤٣٩؛ الطبري، تاريخ، ج٧ ص٤٤٣، ج٨ ص٤١٥؛ ابن الأثير: الكامل ج٦ ص١٣٠.

(٢) ابن عساكر، تاريخ، ج٢٤ ص٢٧٣؛ ابن منظور، مختصر، ج١٦ ص٩١؛ الذهبي، سير، ج٤ ص٦٠٣؛ الصفدي، أمراء، ص٤٤.

(٣) ابن عساكر، تاريخ ج٥ ص٢١٨؛ الصفدي، أمراء، ص٧١.

(٤) المصدر نفسه، ج١٥، ص٤٨٠؛ المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.

(٥) الخولاني، تاريخ، ص٧١؛ ابن منظور، مختصر، ج١٦ ص١٠٥؛ الصفدي، أمراء، ص٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٧١؛ المصدر نفسه، ج١٩ ص١٣٠.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص٣٣٣-٣٣٤؛ الطبري، تاريخ، ج٧ ص٢٧٥-٢٧٦؛ مجهول، العيــون، ج٣ ص١٣٦؛ ابــن منظور، مختصر، ج١٩ ص١٣٠.

(٨) ابن عساكر، تاريخ ج٦٣ ص١١٥؛ الصفدي، تحفة، قسم١، ص٢٥٧.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
إبراهيم بن الوليد ١٢٧هـ/٧٤٤م	عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك	أموي قريش	وهو أخو أبي العباس لأمه، وهزمه مروان بن محمد، ودخل في طاعة مروان، وحين غلب مروان على دمشق ثار موالي الوليد إلى دار عبد العزيز وقتلوه[١].
مروان بن محمد ١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م	زامل بن عمرو السكسكي	السكاسك "يمانية"	خير مروان أهل دمشق بالوالي الذي سيعين عليهم فاختاروه[٢].
	الوليد بن معاوية بن عبد الملك	بني أمية	بقي والياً على دمشق حتى قيام الثورة العباسية ودخولها دمشق حيث قتل بعد ذلك[٣].
أبو العباس ١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م	عبد الله بن علي	عباسي	كان والياً على الشام جميعه[٤].
	عمر بن شريح الحضرمي	الحضارمة "يمانية"	استخلفه عبد الله بن علي[٥].
	عبد الحميد بن ربعي بن خالد الطائي	طي	استخلفه عبد الله بن علي[٦].
	الحكم بن ضبعان الجذامي ١٣٨هـ/٧٥٣م	جذام	كان موالياً لخلع عبد الله بن علي وثورته وتم ضرب عنقه من قبل والي بعلبك[٧].
	عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي ١٣٧هـ/٧٥٤م.	الأزد "يمانية"	ولاه عبد الله بن علي خلال خروجه[٨].

(١) خليفة، تاريخ، ص٣٧٣؛ الصفدي، تحفة، قسم١ ص١٧٧.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٧ ص٣١٢؛ ابن عساكر، تاريخ، ج١٨ ص٢٩٣؛ ابن منظور، مختصر، ج٢٧ ص٣٣٨؛ ابن العديم، بغية، ج٨ ص٣٧٣١؛ الصفدي، تحفة، قسم١، ص٢٠٧.

(٣)الطبري، تاريخ، ج٧ ص٣١٢؛ ابن عساكر، تاريخ، ج١٨ ص٢٩٣؛ ابن منظور، مختصر، ج٢٧ ص٣٣٨؛ ابن العديم، بغية، ج٨ ص٣٧٣١؛ الصفدي، تحفة، قسم١، ص٢٠٧.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص١٦٣؛ الطبري، تاريخ، ج٧ ص٤٥٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧ ص٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٦؛ القلقشندي: مآثر، ج١، ص١٨١-١٨٢.

(٥) ابن عساكر، تاريخ، ج٤٥ ص٧٩؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٠٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٤٥ ص٧٩؛ المصدر نفسه، قسم ١ ص٢٠٦.

(٧) الصفدي، تحفة، قسم ١، ص٢٥٥.

(٨) البلاذري، أنساب، ج٣ ص١٠٦.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
أبو جعفر المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م	صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس ١٣٧-١٤٠هـ/٧٥٤-٧٧٤م	عباسي	ولاه المنصور الشام وفلسطين ومصر(١).
	يزيد بن رياح اللخمي	لخم	كان والياً على بعلبك وهو الذي قبض على الحكم بن ضبعان بعد هروبه وضرب عنقه خلال ثورة عبد الله بن علي، وعين بدلاًعنه على دمشق(٢).
	زياد بن أبي الورد المشجعي الكاتب.	أشجع	عمل لمروان بن محمد وأبي جعفر المنصور(٣).
	رياح بن عثمان بن حيان ابن معبد بن شداد.	-	استخلفه صالح بن علي(٤).
	العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس "أبو الفضل الهاشمي" ١٤٠-١٤١هـ ٧٥٧-٧٥٨م	عباسي	قدم والياً على دمشق والشام كله(٥).
	صالح بن علي بن عبد الله ١٤١-١٤٨هـ ٧٥٨-٧٦٥م	عباسي	كان على دمشق وقنسرين وحمص(٦).
	محمد بن الأشعث بن يحيى الخراساني الخزاعي.	خزاعة	ولاه المنصور دمشق بعد صالح بن علي وكان ممن حضر حصار دمشق(٧).
	عمرو بن محمد الهاشمي	عباسي(٨)	
	الفضل بن صالح ١٤٩-١٥٧هـ/٧٦٦-٧٧٣م	عباسي(٩)	

(١) ابن عساكر، تاريخ، ج٣، ص٣٥٧؛ الذهبي، سير، ج٧ ص١٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص٣١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ ج٦٥، ص١٧٧؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١٩ ص٢٤٦؛ ابن العديم: بغية، ج٩ ص٣٩٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١٨ ص٢٦٥؛ ابن منظور: مختصر، ج٥ ص٣٦٨؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص١٩٦-١٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢٦، ص٣٩٤-٣٩٥؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢١١.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج٣، ص١٣٢؛ الطبري: تاريخ، ج٧، ص٥١١؛ ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٧٧؛ الصفدي: أمراء، ص٤٢.

(٧) ابن عساكر: ج٥٧، الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٤١-١٦٠هـ، ص٢٦٣+حوادث ١٨١-١٩٠هـ، ص٢٠٥؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢١٣.

(٨) الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٠٧.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٨، ص٣١٧-٣١٨.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ١٥٧هـ/٧٧٣م.	عباسي	عينه المنصور على دمشق وفلسطين ثم عزله عن فلسطين وبقي على دمشق، وكان المنصور يخشاه وقد دعا الله أن يكفيه إياه[١].
	إبراهيم بن عبد الوهاب ابن إبراهيم الأمام ١٥٨هـ/ ٧٧٤م إلى ما بعد وفاة المنصور.	عباسي[٢]	
المهدي ١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م	إبراهيم بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام حتى ١٥٩هـ/٧٧٥م	عباسي	تولى المهدي الخلافة والأمير على دمشق إبراهيم بن عبد الوهاب[٣].
	محمد بن إبراهيم الإمام ١٥٩-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م	عباسي	جمع له علاوة على ولاية دمشق مكة والموسم[٤].
	إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله.	عباسي	ولي إمرة دمشق للمهدي[٥].
	هارون بن المهدي "الرشيد" ١٦٣هـ/٧٧٩م	عباسي	ولاه المهدي حلب والشام جميعه وأمر كاتبه يحيى بن خالد أن يتولى ذلك بتدبيره[٦].
الهادي ١٦٩-١٧٠هـ ٧٨٥-٧٨٦م	هارون بن المهدي "الرشيد"حتى ١٦٩هـ/٧٨٥م	عباسي	أقر الهادي بعد توليه أخاه هارون ويحيى على حالهما[٧].
	إبراهيم بن صالح بن علي ١٦٩هـ/٧٨٥م	عباسي	أضاف له الهادي الأردن والرملة وفلسطين وقبرص والجزيرة واستمر بعد وفاة الهادي[٨].
الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م	إبراهيم بن صالح بن علي حتى ١٧٠هـ/٧٨٦م	عباسي	ولي الرشيد وكان إبراهيم على كور دمشق فعزله سنة ١٧٠هـ[٩].

(١) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٢٧؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣ ص٤٦٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢١٦.

(٢)ابن عساكر: تاريخ، ج٧ ص٤٤ و ج٥١ ص٢٢٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٧ ص٤٤ و ج٥١ ص ٢٢٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص٤٤٥، ج٣٦ ص٢٤٤؛ الذهبي: تاريخ، أحداث١٨١-١٩٠هـ- ص٣٥٥؛ سير، ج٩ ص٨٨-٨٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٦ ص٤٤٥، ج٣٦ ص٢٤٤؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ١٧١-١٨٠ ص٣٠.

(٦) أبو الفداء، اليواقيت ص٥١.

(٧) المصدر نفسه: ص٥١.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص٤٤٥؛ ج٣٦ ص٢٤٤؛ ج٩ ص١٣٠؛ أبو الفداء، المختصر ج٢ ص١٣؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٤٢.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٥١، ص٢٢٧؛ ج٦ ص٤٤٥؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٨٨.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	محمد بن إبراهيم الإمام ١٧٠-١٧٢هـ/٧٨٦-٧٨٨م.	عباسي	جمع له الرشيد دمشق والأردن[٢].
	إبراهيم بن صالح بن علي ١٧٢-١٧٤هـ/٧٨٨-٧٩٠م	عباسي[٣]	
	عبد الصمد بن علي ١٧٦هـ	عباسي[٤]	
	إبراهيم بن صالح ١٧٦هـ/٧٩٢م	عباسي[٥]	
	اسحاق بن إبراهيم بن صالح ١٧٦هـ/٧٩٢م	عباسي	جمع له الشام[٦].
	موسى بن عيسى ١٧٦هـ/٧٩٢م	عباسي[٧]	
	موسى بن يحيى ١٧٦-١٧٧هـ/٧٩٢-٧٩٣م	برمكي (فارسي)	ولاه الرشيد دمشق والشام بأسره[٨].
	سندي بن شاهك ١٧٧هـ/٧٩٣م		استخلفه موسى بن يحيى[٩].
	عبد الملك بن صالح ١٧٧-١٧٩هـ ٧٩٣-٧٩٥م	عباسي[١٠]	ذكر اليعقوبي أن الرشيد جمع له الشام والجزيرة سنة ١٧٩هـ تاريخ، ج٣، ص١٤٧-١٤٨.
	اسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ١٧٩-١٨٠هـ/٧٩٥-٧٩٦م.	عباسي[١١]	
	العباس بن محمد بن إبراهيم	عباسي[١٢]	
	محمد بن علي بن عبد الله	عباسي	ولي دمشق للمهدي والهادي والرشيد وكان كبير القدر معظماً[١٣].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥١، ص٢٢٧؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٨٨.

(٢) ابن عساكر، ج٨ ص١٠٦؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٣٩؛ ابن العديم، بغية ج٤ ص١٣٧٥-١٣٧٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٦١ ص١٩٠، أبو المحاسن: النجوم، ج٢ ص٨٦.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٥٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦١ ص١٩٠؛ الذهبي: تاريخ حوادث ١٧١-١٨٠هـ ص٤١٧؛ أبو الفداء، اليواقيت ص٥٢.

(٥) الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢٣٥-٢٣٧.

(٦) ابن عساكر، تاريخ ج٣٧ ص٢٣؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٣٧؛ أبو الفداء: اليواقيت، ص٥٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٣٧ ص٢٣، المصدر نفسه، قسم ١ ص٢٣٧؛ الصفدي، الوافي ج٨ ص٤٢.

(٨) ابن عساكر، تاريخ، ج٢١، ص٢٥٣.

(٩) الذهبي، تاريخ، حوادث- ١٨١-١٩٠هـ ص٣٥٥.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	الحسن بن عمار	-	عزله الرشيد بعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية في خلافته على دمشق[١].
	جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ١٨٠هـ/٧٩٦م	برمكي (فارسي)	ولاه الرشيد دمشق وحمص والأردن وفلسطين، وكان الرشيد ولاه سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م فقدمها ١٨٠هـ/٧٩٦م[٢].
	عيسى بن العكي ١٨٠هـ/٧٩٦م	-	عينه جعفر بن يحيى نائباً له على دمشق[٣].
	إبراهيم بن المهدي ١٨١-١٨٢هـ ٧٩٧-٧٩٨م	عباسي[٤]	
	العباس بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله ١٨٢هـ/٧٩٨م	عباسي	استخلفه الرشيد بدل إبراهيم بن المهدي حتى يقوم إبراهيم بالحج. (وكان يجمع له الموسم ومكة ودمشق) [٥].
	إبراهيم بن المهدي ١٨٤-١٨٦هـ/٨٠٠-٨٠٢م	عباسي[٦]	
	شعيب بن خازم بن خزيمة ١٨٧-١٨٨هـ ٨٠٢-٨٠٣م.		عزل بعد أن ذكر منه تعصباً[٧].
	محمد بن منصور بن زياد ١٨٨هـ/٨٠٣م		كلفه الرشيد أن يصلح أمر العصبية التي ثارت بسبب تعصب شعيب بن خازم[٨].
	إسماعيل بن صالح بن علي ١٨٢هـ/٧٩٨م	عباسي	ولاه الرشيد دمشق وأقطعه ما كان له في سوق حلب، وكان قبل ذلك على ولاية مصر[٩].

(١) ابن الفقيه، البلدان، بريل ص١٠٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٢٦٢؛ ابن عساكر، تاريخ، ج٢٦ ص٤٠٢+ج٢٣ ص٣٣٤؛ الذهبي: سير ج١٢ ص٩٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧؛ أبو الفداء: اليواقيت ص٥٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٢٦٢؛ ابن عساكر، تاريخ، ج٢٦ ص٤٠٢+ج٢٣ ص٣٣٤؛ الذهبي: سير ج١٢ ص٩٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧؛ أبو الفداء: اليواقيت ص٥٢.

(٤) ابن عساكر، تاريخ، ج٢٦، ص٣٩٤؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢١١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦، ص٣٩٤؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢١١.

(٦) المصدر نفسه: ج٢٦، ص٣٩٤؛ المصدر نفسه: قسم ١ ص٢١١.

(٧) المصدر نفسه، ج٢٣، ص٣٩٤؛ المصدر نفسه: قسم ١ ص٢٤٣.

(٨) المصدر نفسه، ج٥٦ ص٣٤-٣٥.

(٩) الذهبي، سير، ج١٢ ص٩٩؛ أبو الفداء، اليواقيت، ص٥٢.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	عبد الملك بن صالح ١٨٧هـ/٨٠٢م	عباسي	عزله الرشيد بعد أن سعى به ولده عبد الرحمن واتهم بأنه يسعى للخلافة(١).
	القاسم بن هارون ١٨٧هـ/٨٠٢م	عباسي	ولاه الرشيد إمرة الشام وقنسرين والثغور، وبقي حتى عزله الأمين(٢).
	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإمام ١٨٨-١٨٩هـ/٨٠٣-٨٠٤م	عباسي(٣)	
	سليمان بن عبد الله بن منصور ١٨٩هـ	عباسي	تولى بعد عزل إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإمام(٤).
	يحيى بن معاذ ١٩١-١٩٢هـ ٨٠٦-٨٠٧م	-	عقد له الرشيد على الشام كله لإخماد ثورة أبي الفداء(٥).
	علي بن الحسن بن قحطبة ١٩٢-١٩٣هـ/٨٠٧-٨٠٨م	طائي	كان على مصر الشام(٦).
الأمين ١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٣هـ	القاسم بن هارون ١٩٤هـ/٨٠٩م	عباسي(٧)	
	خزيمة بن خازم ١٩٤هـ/٨٠٩م	-	ولاه الأمين بعد عزل القاسم بن هارون، وأمره أن يقيم في مدينة السلام(٨).
	منصور بن محمد المهدي ١٩٤هـ/٨٠٩م	عباسي	وهو الوالي الذي حدثت في ولايته ثورة القلة(٩).
	أحمد بن سعيد الحرشي ١٩٤هـ/٨٠٩م	خزاعة	

---

(١) أبو الفداء، اليواقيت، ص٥٢.

(٢) الطبري، تاريخ ج٨ ص٣٧٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص١٩، أبو الفداء، اليواقيت، ص٥٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ ج٧ ص١٣+ج٢٣ ص٨٨؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢٢ ص٣٣٥-٣٣٦؛ المصدر نفسه، قسم ١، ص٢٢٠.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٣٢٣.

(٦) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٣٩.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٣٧٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ، ص١٩؛ أبو الفداء، اليواقيت ص٥٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٨ ص٣٧٤؛ المصدر نفسه، حوادث، ١٩١-٢٠٠هـ، ص١٩.

(٩) الذهبي: سير، ج٩ ص١٠٣+ ج١١ ص٤٤٨-٤٤٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٢٠.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	سليمان بن منصور بن محمد المهدي ١٩٤-١٩٥هـ/٨٠٩-٨١٠م	عباسي	تولى مع دمشق حمص[١].
	إبراهيم بن المهدي	عباسي	لم يختلف على ولايته أحد[٢].
	أبو العميطر علي بن عبد الله ١٩٥هـ/٨١٠م	أموي	تغلب على دمشق تغلباً[٣].
	مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد ١٩٥هـ/٨١٠م	أموي	تغلب على دمشق من أبي العميطر[٤].
	عبد الملك بن صالح ١٩٦هـ/٨١١م	عباسي	كان على الشام كله، وكان محبوباً من أهل الشام[٥].
	محمد بن صالح بن بيهس ١٩٨هـ٨١٣م	قيس	أقره المأمون على دمشق قبل خلافته، بعدما أظهر من تفانٍ في التصدي لأبي العميطر ومسلمة بن يعقوب[٦].
المأمون ١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م	محمد بن صالح بن بيهس ١٩٨-٢٠١هـ/٨١٣-٨١٦م	قيس	أقره المأمون على دمشق قبل أن يتولى الخلافة خلال الفتنة بين الأمين والمأمون[٧].
	طاهر بن الحسين ١٩٨-٢٠٥هـ/٨١٦-٨٢٠م	خزاعة	ولي الشام والموصل والجزيرة والمغرب وجعل له حرب نصر بن شبث[٨].
	عبد الله بن طاهر بن الحسين ٢٠٦-٢١٣هـ/٨٢١-٨٢٨م	خزاعة	ولاه المأمون من الرقة حتى مصر بما في ذلك الشام[٩].
	صدقة بن عثمان المري ٢١٠-٢١١هـ/٨٢٥-٨٢٦م	قيس	استخلفه عبد الله بن طاهر على دمشق خلال مروره قاصداً مصر[١٠].
	نصر بن حمزة ٢١١-٢١٣هـ/٨٢٦-٨٢٨م	-	عينه عبد الله بن طاهر على دمشق بعد عزله لـ صدقة بن عثمان، خلال عودته من مصر إلى بغداد[١١].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ، ج٢٢ ص٣٣٦؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٥٠.

(٢) ابن عساكر، تاريخ، ج٧ ص١٦٢-١٦٣؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٢٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٧ ص١٦٣،١٦٢.

(٤) الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٥٢، ٢٥٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٤٢٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ، ص٣٦؛ أبو الفداء، اليواقيت ص٥٢.

(٦) الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٦٤.

(٧) الذهبي، تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٦٦-٦٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٦٤.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٥٢٧؛ ابن العديم، زبدة، ج١ ص٧٤.

(٩) مسكويه، تجارب، ج٤ ص١٥١، ابن العديم، زبدة، ج١ ص٧٤.

(١٠) ابن عساكر، تاريخ، ج٢٢ ص٣٤، ج٢٤، ص٢٨؛ الصفدي، تحفة قسم ١ ص٢٧٣.

(١١) المصدر نفسه، ج٢٢ ص٣٤؛ المصدر نفسه قسم ١ ص٢٧٤.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	العباس بن المأمون ٢١٣هـ/٨٢٨م	عباسي	ولي بعد أن عزل المأمون عبد الله ابن طاهر[١].
	محمد بن هارون (المعتصم) ٢١٣-٢١٨هـ/٨٢٨-٨٣٣م	عباسي	جعل له المأمون ولاية الشام جميعاً ومصر[٢].
	إسحاق بن يحيى بن معاذ ٢١٣هـ/٨٢٨م	-	كان نائباً عن المعتصم، واستمر كذلك إلى ما بعد وفاة المأمون[٣].
	معيوف بن يحيى بن معيوف	يماني	عزله المأمون بعدما شهدت دمشق ترد في الأوضاع الاقتصادية وبؤساً وفقراً[٤].
المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م	اسحاق بن يحيى بن معاذ	-	كان نائباً عن المعتصم عندما كان والياً على الشام سنة ٢١٣هـ[٥].
	أشناس التركي ٢٢٥-٢٣٠هـ/٨٣٩-٨٤٤م	تركي	ولاه المعتصم الشام فبعث عنه نواباً وأقام في سامراء[٦].
	دينار بن عبد الله بن زاذا ٢٢٥هـ/٨٣٩م	فارسي	ابن عم الفضل بن سهل، استخلفه أشناس على دمشق ثم عزله بعد أيام[٧].
	محمد بن الجهم الشامي ٢٢٥هـ/٨٣٩م	-	استخلفه أشناس علىالشام[٨].
	رجاء بن أبي الضحاك ٢٢٦هـ/٨٤٠م	-	وثب عليه إسحاق بن يحيى فقتله[٩].
	صول أرتكين ٢٢٦هـ/٨٤٠م	تركي	استخلفه أشناس[١٠].
	موسى بن إبراهيم بن سابق أبو المغيث الرافقي ٢٢٦-٢٢٧هـ/٨٤٠-٨٤١م.	-	عينه المعتصم وكلفه بالتحقيق بمقتل رجاء بن أبي الضحاك[١١].

(١) ابن العديم، زبدة، ج١ ص٧٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨ ص٦٢٠.

(٣) الصفدي، تحفة قسم ١، ص٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه، قسم ١، ص٢٦٧.

(٥) الصفدي، تحفة، قسم ١ ص٢٧٥.

(٦) ابن العديم، بغية ج١ ص٧٧؛ الصفدي، تحفة، قسم١ ص٢٨٩.

(٧) ابن عساكر، تاريخ، ج١٧ ص٧٥؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٢؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٧٦

(٨) ابن عساكر، تاريخ، ج١٧ ص٧٥؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٢؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٧٦.

(٩) المصدر نفسه، ج١٣ ص٨٤.

(١٠) لم يرد في أغلب المصادر أن صول ارتكين تولى ولاية دمشق ولكن الطبري أشار في تاريخه لذلك وكذلك ابن الأثير، حيث ذكرا: أن علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ كان يتولى المعونة من قبل صول أرتكين؛ الطبري: تاريخ، ج٩، ص١١١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦ ص٥١٧.

(١١) الذهبي ، تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠ ص٢٧-٢٨؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٨٥.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي (أبودلف)[١]		
	مسلم بن محمد أبو صالح "أبو الصالحات[٢]"	–	
الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م	أشناس التركي حتى ٢٣٢هـ/٨٤٦م	تركي[٣]	
	اسحاق بن يحيى بن معاذ الختلي ٢٢٧هـ/٨٤١م[٤].		
	عبد الرحمن بن حبيب القرشي ٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م	قريش	استخلفه أشناس[٥]
	مالك بن طوق التغلبي	تغلب	جمع له الواثق الأردن ودمشق[٦].
المتوكل ٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م	مالك بن طوق التغلبي	تغلب[٧]	
	سالم بن حامد ٢٣٢-٢٤٠هـ/٨٤٦-٨٥٤م		ظهرت منه عصبية فقتله أهل دمشق[٨]
	أفريذون التركي	تركي	مات قبل أن يصل إلى دمشق[٩].
	المؤيد بن المتوكل ٢٣٥هـ/٨٤٩م.	عباسي	جمع له المتوكل دمشق وحمص والأردن وفلسطين[١٠].

(١) ابن عساكر، تاريخ، ج٤٩ ص١٣٠؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص٥٦٣؛ تاريخ، حوادث ٢١١-٢٣٠هـ، ص٢٣٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٧٨؛ الحنبلي: شذرات، ج٢ ص١٣٠.

(٢) ابن العديم، بغية، ج١ ص٧٧؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٨٩.

(٣) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٩٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤ ص٢٨٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٨٦.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦، ص٤٦٠+ج٣٤ ص٢٨٧؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٥١-٢٦٠، ص٣٤٧؛ الكتبي: فوات، ج٣، ص٢٣١؛ الصفدي، تحفة، قسم١، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٥٦، ص٤٦٠؛ المصدر نفسه، حوادث ٢٥١-٢٦٠، ص٢٤٧؛ المصدر نفسه ج٣، ص٢٣١؛ المصدر نفسه، قسم١ ص٢٨٧-٢٨٨.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٨؛ الذهبي: سير، ج١١، ص١٦٢؛ تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص١٦٨؛ الصفدي: تحفة، قسم١، ص٢٩١.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨؛ الذهبي: تاريخ ج١١، ص١٦٢؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٩١.

(٩) الطبري: تاريخ، ج٩، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٧.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣، ص٤٠٥؛ الذهبي، تاريخ، حوادث، ٢٤١-٢٥٠هـ ص٥؛ ابن العديم، بغية،ج١ص٢٩٠؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص٢٨٢.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	صالح العباسي التركي ٢٤٠-٢٤٣هـ/٨٥٤-٨٥٧م	تركي[١]	
	بغا التركي ٢٤٣هـ/٨٥٧م	تركي	استخلفه المتوكل على دمشق وانصرف عائداً إلى سامراء[٢].
	الفتح بن خاقان ٢٤٤-٢٤٧هـ/٨٥٨-٨٦١م	تركي	بقي في سامراء واستخلف على دمشق[٣]
	كلباكتكين ٢٤٤هـ/٨٥٨م	تركي	استخلفه الفتح بن خاقان على دمشق[٤].
	يونس بن طارجة ٢٤٧هـ/٨٦١م		استخلفه الفتح، واستمر عليها إلى ما بعد المتوكل[٥].
محمد المنتصر ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م	يونس بن طارجة حتى ٢٤٧هـ/٨٦١م		قتل المتوكل وهو متول على دمشق[٦].
	عيسى بن محمد النوشري[٧] ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م	تركي	
	يمكجور حتى ٢٤٩هـ/٨٦٣م	تركي	استمر لما بعد وفاة المنتصر[٨].
أحمد المستعين ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م	يمكجور حتى ٢٤٩هـ/٨٦٣م[٩]	تركي	
	صالح العباسي (التركي) ٢٤٩هـ/٨٦٣م	تركي	أضاف له المستعين الأردن مع دمشق[١٠].

(١) المسعودي: مروج، ج٤ ص١٢٩.

(٢)ابن عساكر، تاريخ، ج٢٣، ص٤٠٥؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص٥؛ ابن العديم، بغية ج١، ص٢٩٠؛ الصفدي، تحفة، قسم ١ ص٢٩٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٨٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ: ج٢٣، ص٤٠٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠، ص٥؛ ابن العديم: بغية، ج١، ص٢٩٠؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص٢٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢٣ ص٤٠٥؛ المصدر نفسه، حوادث ٢٤١-٢٥٠ ص٥؛ المصدر نفسه ج١ ص٢٩٠؛ المصدر نفسه، قسم١ ص٢٩٧؛ المصدر نفسه، ج١١، ص٢٨٢.

(٥) الصفدي: تحفة، قسم١ ص٣٠٤.

(٦) المصدر نفسه: قسم ١ ص٣٠٤.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٧، ص٣٤٦؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩٠.

(٨) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٣٠٦.

(٩) المصدر نفسه: قسم ١ ص٣٠٦.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٤٠٥؛ ابن العديم: بغية ج١ ص٢٩٠؛ الكتبي: فوات ج٣ ص١٧٧.

اسم الخليفة (فترة الولاية)	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	النوشري بن طاجيك[١] ٢٤٩هـ/٨٦٣م	تركي	
	عيسى بن محمد النوشري[٢] ٢٤٩-٢٥٢هـ/٨٦٣-٨٦٦م		
المعتز ٢٥٢-٢٥٥هـ ٨٦٦-٨٦٨م	أحمد بن خالد بن مزيد الشيباني ٢٥٢هـ/٨٦٦م	بنو شيبان[٣]	
	يمكجور ٢٥٢هـ/٨٦٦م	تركي[٤]	
المهتدي ٢٥٥-٢٥٦هـ ٨٦٨-٨٦٩م	يمكجور- حتى ٢٥٥هـ/٨٦٨م	تركي	تم قتله على يد الأتراك[٥]
	أصرم ٢٥٥هـ/٨٦٨م	تركي[٦]	
	عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني ٢٥٥هـ/٨٦٨م	بنو شيبان	تغلب على دمشق أيام المهتدي وأول أيام المعتمد[٧].
المعتمد	عيسى بن الشيخ[٨] حتى ٢٥٦هـ/٨٦٩م	بنو شيبان	
	أماجور ٢٥٦-٢٦٤هـ ٨٦٩-٨٧٧م	تركي	بعثه المعتمد على دمشق بعد فتنة عيسى بن الشيخ[٩]
	جعفر بن المعتمد	عباسي	ولي الشام وجعلت له ولاية العهد وهو صبي وجعل الأمر بعده لأخيه أبي أحمد الموفق[١٠].
	علي بن أماجور ٢٦٤هـ/٨٧٧م	تركي	وليها بعد موت أبيه في خلافة المعتمد وكان يدير أمرها أحمد بن يدغباش[١١].

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٩٦؛ ابن الأثير" الكامل ج٧، ص١٣٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٧، ص٣٤٦، الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٩٠.

(٣) الصفدي: أمراء، ص١٠١، تحفة قسم ١ ص٣٠٦.

(٤) الصفدي: تحفة قسم١ ص٣٠٦.

(٥) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٣٠٦.

(٦) المصدر نفسه" قسم ١ ص٣٠٦.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٧ ص٣٠٩-٣١٠+ج٩ ص١٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ قسم ١ ص٦٣٥.

(٨) المصدر نفسه: ج٤٧ ص٣٠٩-٣١٠+ج٩ ص١٧٤؛ المصدر نفسه: ج٥ قسم ١ ص٦٣٥.

(٩) الصفدي: تحفة قسم ١ ص٣٠٦و ٣٠٨-٣٠٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٥، قسم ١ ص٦٣٥-٦٦٣.

(١٠) ابن العديم: زبدة، ج٢ ص٨٣.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦، ص٩٣+ ج٤١ ص٢٦٦، ابن العديم: بغية، ج٣ ص١٢٤١.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم الوالي	قبيلته (نسبه)	ملاحظات
	أحمد بن طولون ٢٦٤هـ/٨٧٧م	تركي	استولى على بلاد الشام واستقل بها عن العباسيين[١].
	أحمد بن يدغباش ٢٦٤هـ		وليها خلافة لأحمد بن طولون، ولما مات ابن طولون أظهر الخلاف على ابي الجيش بن أحمد بن طولون ووافق أبا أحمد الموفق[٤]

ومن خلال الجدول السابق يمكن القول أن:

الدولة الأموية شهدت ومنذ عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) وحتى عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) نوعاً من الثبات في ولاة دمشق، فقد كان الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب "اليماني" والياً على دمشق منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م، وكان يجمع بين ولاية القضاء وولاية المدينة[٢]، واستمر على هذا الحال طوال خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) [٣] وبداية خلافة هشام بن عبد الملك[٤]. ولما توفي الضحاك ١٠٥هـ/٧٢٣م، ولّى هشام على دمشق كلثوم بن عياض القشيري اليماني[٥]، ثم محمد بن الضحاك الفهري[٦]، ثم ولى عثمان بن عبد الأعلى الأزدي الذي جمع بين ولاية المدينة وولاية القضاء[٧]، واستمر في ولايته في عهد الخليفة الوليد ين يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) [٨]، ثم عين الوليد على دمشق محمد بن سعيد بن عقبة المرادي (اليماني)، ثم عبد الملك بن محمد بن الحجاج الثقفي[٩].

---

(١) المسعودي: مروج، ج٤ ص٢٢٥؛ ابن خلكان: وفيات ج١، ص١٧٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١٦ ص١٠٥+ ج٢٤ ص٢٧٣؛ العسقلاني: الإصابة ج٣ ص٥٠٢؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص١٥٦.

(٣) المصدر نفسه: ج١٦٥ ص١٠٥؛ المصدر نفسه: ج٣ ص٥٠٢؛ المصدر نفسه: قسم ١ ص١٥٦.

(٤) المصدر نفسه: ج٢٤ ص٢٧٣، المصدر نفسه: ج٣ ص٥٠٢، المصدر نفسه: قسم١ ص١٥٦.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٠ ص١٨؛ الصفدي، أمراء، ص٧١.

(٦) المصدر نفسه: ج١٥ ص٤٨٠، المصدر نفسه: ص٧١-٧٢.

(٧) الخولاني: تاريخ، ص٧١؛ ابن منظور: مختصر، ج١٦ ص١٠٥؛ الصفدي: أمراء، ص٥٢.

(٨) المصدر نفسه: ص٧١؛ المصدر نفسه: ج١٦ ص١٠٥؛ المصدر نفسه: ص٥٢.

(٩) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٣٣-٣٣٤؛ الطبري: تاريخ ج٧ ص٢٧٥؛ مجهول: العيون، ج٣ ص١٣٦.

وبعد "ثورة" يزيد بن الوليد بن عبد الملك ونجاحه في السيطرة على دمشق ١٢٦هـ/٧٤٣م، ولّى إمرتها للوليد بن تليد المري "القيسي[١]". وخلال إعلان خلافة إبراهيم بن الوليد ١٢٧هـ/٧٤٤م، شهدت دمشق حالة من الاضطراب، وكان عليها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[٢]. ولما تدخل مروان بن محمد حسم الأمور وأنهى خلافة إبراهيم وتسلم الخلافة (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) [٣]، وخيَّر مروان بن محمد أهل دمشق بالوالي الذي سيعين عليهم، فاختاروا زامل بن عمرو السكسكي "اليماني"، ولكنهم سرعان ما ثاروا عليه وطردوه من دمشق[٤]، ثم ولُّوا عليهم يزيد بن خالد بن عبد الله القسري[٥]، وإذا كان مروان قد منح أهل دمشق الحق في اختيار من يلي أمرهم، فإنه لم يسمح لهم بالثورة على واليه وفرض من يريدونه، لذا لم يوافق مروان بن محمد على ما قام به أهل دمشق في هذه المرة، فما كان منه إلا معاودة السيطرة على دمشق مرة أخرى، وعين عليها والياً من أفراد الأسرة الأموية وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك، الذي بقي والياً عليها حتى قيام الثورة العباسية ودخول العباسيين دمشق ١٣٢هـ/٧٤٩م حيث قتل في دمشق[٦].

ومما سبق يظهر أن أغلب خلفاء بني أمية قد استعانوا بولاة من القبائل اليمانية، ما عدا والٍ واحد وهو الوليد بن تليد المري، ووالٍ آخر من قريش وهو محمد بن الضحاك الفهري واستعان مروان بن محمد بوالٍ من بني أمية وهو الوليد بن معاوية.

ويظهر أن العباسيين تنبهوا للمكانة الكبرى التي كانت تتمتع بها دمشق في العصر الأموي كونها حاضرة الدولة الأموية، وقد توقع العباسيون أن تدافع تلك المدينة عن ما كان لها من الأمجاد والامتيازات، لذا تعامل معها العباسيون على هذا القدر من الأهمية، فقد حرص العباسيون أن يكون قائد الجيوش المتوجهة لفتح دمشق من أفراد الأسرة العباسية كنوع من الثقة وإضفاء الشرعية على الفتوح، فكان عبد الله ابن علي عم الخليفة الأول هو قائد تلك الجيوش[٧].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٣ ص١١٥؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٥٧.

(٢) خليفة: تاريخ، قسم١، ص٣٧٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٧ ص٣٠٠-٣٠٢.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٣١٢؛ ابن عساكر، تاريخ، ج١٨ ص٢٩٣؛ ابن منظور: مختصر ج٢٧ ص٣٣٨؛ ابن العديم: بغية، ج٨ ص٣٧٣١؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٠٧.

(٥) المصدر نفسه ج٧ ص٣١٢؛ المصدر نفسه: ج١٨ ص٢٩٣؛ المصدر نفسه: ج٢٧ ص٣٣٨؛ المصدر نفسه: ج٨ ص٣٧٣١؛ المصدر نفسه: قسم ١ ص٢٠٧.

(٦)المصدر نفسه ج٧ ص٣١٢؛ المصدر نفسه: ج١٨ ص٢٩٣؛ المصدر نفسه: ج٢٧ ص٣٣٨؛ المصدر نفسه: ج٨ ص٣٧٣١؛ المصدر نفسه: قسم ١ ص٢٠٧.

(٧) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٣؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٥١-٥٢؛ الذهبي: سير، ج٦ ص١٦١-١٦٢؛ ابن كثير: البداية، ج١٠ ص١٠٧.

وكان عبد الله بن علي أول والٍ للدولة العباسية على الشام كله[١]، ويظهر أن الوالي على دمشق صار يُعيَّن من قِبَل والي الشام مباشرة دون العودة إلى الخليفة، فقد ولَّى عبد الله بن علي على دمشق عمر بن شريح الحضرمي بعد أن خلع عليه في أول أيام بنـــي العبـــاس[٢]. ولكـــن دمشق يبدو أنها عادت للإشراف المباشر من قِبَل عبد الله بن علي بعد فترة وجيزة، ويتضح ذلك من خلال استخلاف عبد الله بن علي لــ عبد الحميد بن ربعي الطائي عنــدما خــرج عبــد الله لمواجهة ثورة أبو الورد الكلابي– ١٣٢هــ/٧٤٩م[٣]، ولما توفي الخليفة أبو العباس، استغل عبد الله بن علي وفاة الخليفة، ليعلن لدمشق تمرده على الدولة ومطالبته بالخلافة معتبراً نفسه أحــق بالخلافة من ابن أخيه أبو جعفر "الخليفة الجديد[٤]".

ويبدو أن ولاية عبد الله بن علي على الشام عامة وإشرافه على دمشق خاصة، أثار في نفسه أحلاماً جميلة، وزيَّن له الخلع، خاصة بعد أن أدرك أن أحلامه ومطالبه تلك ستلامس نفوساً وعقولاً متعطشة لتلك الأفكار، وقلوباً مليئة بعدم الرضا على هذه الدولة الجديدة، التـــي ســـلبتهم امتيازاتهم وحرمتهم مكانتهم التي كانوا يتمتعون بها فيما سبق[٥]، ومن هنا وقف أهـــالي الشـــام عامة وأهالي دمشق خاصة إلى جانب عبد الله بن علي في حركته المطالبة بالخلافة. وقد وجدوا في هذه الحركة الفرصة السانحة لهم لتحقيق أحلامهم من جديد، وقد أملوا أن ينجح عبد الله بـــن علي في حركته لعلّه يعيد المجد المسلوب من الشام ودمشق إليهما[٦]، ولكـــن الثـــورة فشـــلت، وانتهت مرحلة هامة من تاريخ مدينة دمشق، جعلت العباسيين يعيدون الحسابات بالنســـبة لهـــذه المنطقة، ويستعملون القسوة لمواجهتها وترويضها.

فلما انتهت الثورة التي قام بها عبد الله بن علي، كان والي دمشق لعبد الله "الحكـــم بـــن ضبعان الجذامي"، والذي كان موالياً لخلع عبد الله بن عليإلا أنه لم يلبث أن قتل على يد والـــي بعلبك يزيد بن رباح اللخمي[٧]، فما كان من صالح بن علي أمير الشام من قبل المنصور إلا أن قام بـــ تولية يزيد بن رياح اللخمي إمرة دمشق تكريماً له[٨]، ويبدو أن دمشق كانت تتمتع بمكانة كبيرة، إذ اعتبر نقل يزيد بن رياح اللخمي من بعلبك إلى دمشق نوع من المكافأة له على ولاءه

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص١٦٣؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٥٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧ ص٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٥ ص٧٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٤٥، ص٧٩؛ المصدر نفسه، قسم ١ ص٢٠٦.

(٤) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٦؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٥؛ المقدسي: البدء ج١ ص٢٧٧؛ ابن طباطبا: تـــاريخ الدولة الإسلامية، ص١٦٧–١٦٨.

(٥) فاروق عمر، العباسيون الأوائل، ج١ ص١٣٩.

(٦) المرجع نفسه، ج١ ص١٣٩.

(٧) ابن عساكر: تاريخ ج٦٥ ص١٧٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٥٥.

(٨) المصدر نفسه ج٦٥ ص١٧٧؛ المصدر نفسه، قسم١ ص٢٥٥. انظر حركة عبد الله بن علي الفصل الثاني.

وخدماته للدولة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن دمشق كانت ما تزال تتمتع بمكانة إدارية رفيعة.

ومن الواضح أنه غلب على ولاة الشام عامة ودمشق خاصة في الفترة الأولى من الدولة العباسية أنهم من أفراد البيت العباسي، فقد بلغ عدد الولاة على دمشق حتى عهد المعتصم، ما يزيد على الستين والياً، وكان منهم ما يزيد على الأربعة والثلاثين من أفراد الأسرة العباسية(١)، وكان بعضهم يحصل على الصلات عند توليه، فقد وصل الرشيد إبراهيم بن محمد ثم ولاه دمشق(٢) كما أمر المأمون للمعتصم بخمسمائة ألف عندما ولاه الشام ومصر(٣)، وهذا يؤكد الحرص الكبير لدى الخلفاء العباسيين الأوائل على جعل إدارة دمشق تحت عيون أفراد الأسرة الحاكمة أنفسهم مباشرة. ويظهر أن الخلفاء العباسين تنبهوا للمكانة التي يمكن أن تلعبها دمشق في تزعم حركات المعارضة الشامية لإعادة أمجادها كونها أكثر المدن المتضررة من تحويل العاصمة عنها، وتحولها إلى مدينة تابعة بعد أن كانت مركزاً تتبعه باقي المدن(٤).

ومن الجدير قوله أن اثنين من الولاة العباسيين الذين تولوا إدارة الشام، قد وصلوا إلى الخلافة فيما بعد، فقد كان الرشيد والياً على الشام في عهد أبيه المهدي(٥)، كما كان المعتصم والياً عليها في عهد أخيه المأمون(٦). وحاولت الدولة العباسية أن تحل مشكلة النزاع القيسي اليمني (في بلاد الشام) بشكل جدي وذلك من خلال ولاتها، وقد اتبعت في ذلك أسلوبين، أما الأسلوب الأول فقد تمثل في تعيين الدولة لولاة على قدر كبير من الدراية الإدارية والحكمة والتعامل مع تلك الفتن من خلال خطط محكمة ومناسبة قاموا بإعدادها للتغلب على تلك الفتن، وهذا ينطبق على موسى بن يحيى البرمكي-أحد أبرز قادة الدولة العباسية، الذي بعثه الرشيد لحل الفتنة التي نشبت بين القيسية واليمانية، وكان رأس القيسية يومئذٍ أبو الهيذام المري(٧). وكان الرشيد قد ولاه دمشق والشام بأسره، فقدم إلى دمشق سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م، وتمكن من الإصلاح بين المضرية واليمانية(٨).

---

(١) انظر الجدول السابق.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٧، ص١٣ج٢٣، ص٨٨؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢٤٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٨، ص٦٢٠.

(٤) فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج١، ص١٣٩.

(٥) أبو الفداء: اليواقيت، ص٥١.

(٦) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٦٢٠.

(٧) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٥٠؛ البن عساكر: تاريخ، ج٦١ ص١٩٠؛ الذهبي: تاريخ،حوادث، ١٧١-١٨٠، ص٤١٧؛ أبو الفداء؛ اليواقيت، ص٥٢.

(٨) الطبري: تاريخ ج٨، ص٢٥٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦١، ص١٩٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٧١-١٨٠، ص٤١٧؛ أبو الفداء: اليواقيت، ص٥٢.

ويظهر أن العصبية قد تجددت بين الطرفين، وعادت لما كانت عليه وأشد، وذلك سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م أي بعد أقل من أربع سنوات على شبوبها لأول مرة[١]. وكانت في هذه المرة أكثر شدة لأنها شملت مناطق أوسع حيث ضمت إليها علاوة على دمشق كلاً من حمص والأردن وفلسطين[٢]، ويبدو أن هذه الثورة كانت قوية إلى الحد الذي أقلق الخليفة الرشيد نفسه، والذي حاول على أثرها أن يخرج بنفسه للقضاء عليها وإخمادها كما سبق ذكره[٣]. ولكنه عدل عن رأيه بعد أن وعده وزيره جعفر بن خالد البرمكي- بأن يكفيه مؤنة الخروج[٤]، فشخص جعفر إلى دمشق بعد أن عقد له الرشيد على الشام كله[٥]، وقد اتبع جعفر خطة محكمة في إصلاحهم تمثلت في تجريدهم من سلاحهم، وقتل لصوصهم[٦]، وتأكيداً لتثبيت الصلح بين الطرفين حمل جعفر معه إلى بغداد خلال عودته رؤساء القبائل من الطرفين، حيث استقبله الرشيد هناك بفرح غامر[٧].

ولكن يبدو أن تلك النار المتقدة في النفوس، والتي كانت تغذيها الأيام، وتزيد وميضها في القلب اشتعالاً كانت أقوى من تلك الحلول المؤقتة، إذ سرعان ما تعود الأزمة بعد فترة إلى الإطلال برأسها المتهيج للاشتعال من جديد.

وفي عهد الخليفة الأمين، حاول والي دمشق إبراهيم بن المهدي حل تلك المشكلة بين الطرفين، حيث اتبع خطة تقوم على المساواة والعدل بين الطرفين، وعدم تغليب وتفضيل أحد من الطرفين على الآخر، حتى في الجلوس بحضرته حيث كانت أماكن جلوسهم تتغير كل يوم[٨]. وقد نجحت تلك المحاولة في الحد من الفتن إلى حد ما.

أما الأسلوب الثاني الذي اتبعه الخلفاء العباسيون للحد من تلك العصبية الجارفة، فكان يتمثل في: حثهم المستمر لولاة دمشق على عدم التعصب أو تقريب فريق على حساب الآخر لأن ذلك كان يؤدي في أغلب حالاته إلى إثارة الفتن العارمة من قبل الطرف الذي يقف ضده الوالي، ولم يتهاون الخلفاء العباسيون بحق الولاة الذين يثبت عليهم التحيز لأي من الحيين ضد الآخر، وكان أقل ما يقوم به الخلفاء بحق ذلك الوالي، هو عزله عن الولاية درءاً للشر والفتنة. فلما قامت الفتنة بين المضرية واليمانية في عهد الرشيد سنة ١٨٧هـ، والتي كان سببها كما ذكر ابن

---

(١) الجهشياري: الوزراء، ص٢٠٨؛ الطبري: تاريخ، ج٨، ص٢٦٢.

(٢) الجهشياري: الوزراء، ص٢٠٨، الطبري: تاريخ، ج٨، ص٢٦٢.

(٣) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة، فتنة أبو الهيذام.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٨، ص٢٦٢.

(٥) المصدر نفسه: ج٨، ص٢٦٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧.

(٦) المصدر نفسه: ج٨، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٧) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٥٢.

(٨) المصدر نفسه: ص٥٢.

عساكر تحيز الوالي شعيب بن خازم وميله لجانب اليمانية ودعمهم ضد المضرية، حيث قتل من المضرية نحواً من خمسمائة نفس[١]، فما كان من أهل دمشق إلا أن شكوا هذا الوالي للخليفة الرشيد الذي قام بإرسال مبعوث خاص من قبله وهو محمد بن منصور، وأوصاه بحل المشكلة بين الطرفين[٢]، فما كان من محمد بن منصور إلا خلع الوالي شعيب بن خازم[٣]، وحتى تطيب نفوس أهل دمشق فقد خيرهم محمد بن منصور بالوالي الذي يرغبون بتوليته عليهم، فاختاروا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإمام[٤]، كما قام بدفع دية من قتلوا خلال الفتنة من بيت مال المسلمين بناءً على توجيهات من الرشيد[٥].

وفي أواخر خلافة المعتصم ٢٢٦-٢٢٧هـ/٨٤٠-٨٤١م شهدت دمشق حركة قوية كان سببها قيام الوالي أبي المغيث الرافقي بصلب خمسة عشر نفساً من القيسية، فثاروا عليه بزعامة محمد بن بيهس[٦]، وحظيت هذه الحركة بتأييد واسع من قبل أهل دمشق بسبب قسوة الوالي[٧]، وقام الثائرون بمحاصرة الوالي، وتوفي المعتصم والأمر على ذلك[٨]. ولما تسلم الواثق الخلافة ٢٢٧هـ/٨٤١م طلب من أحد قواده وهو رجاء الحضاري التوجه إلى دمشق لوقف تلك الحركة، وعندما حاول أن يفاوضهم اشترطوا عليه عزل الوالي أبو المغيث عن دمشق[٩].

وبعد مواجهات كثيرة بين رجاء الحضاري وأهل دمشق تمكن رجاء من السيطرة على الأمور في دمشق وإعادتها إلى نصابها، وتم عزل أبي المغيث الرافقي عن ولاية دمشق وتعيين عبد الرحمن بن حبيب القرشي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م[١٠] ويبدو أن عبد الرحمن القرشي سار على نفس سياسة من سبقه في إظهار العصبية فما كان من أهل دمشق إلا الثورة عليه ومطالبتهم للواثق بعزله وهو ما تم لهم بالفعل، حيث تم عزله وتولية مالك بن طوق بدلاً عنه[١١].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٨٨؛ ج٥٦ ص٣٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٨١-١٩٠ ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه ج٢٣ ص٨٨، ج٥٦ ص٣٤؛ المصدر نفسه حوداث ١٨١-١٩٠هـ، ص٣٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٨٨؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه ج٢٣ ص٨٨؛ المصدر نفسه، قسم ١ ص٢٤٣.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٨٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٨١-١٩٠ ص٣٦.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٨٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٩٥.

(٧) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٧-٢٨.

(٨) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٨؛ سير، ج١ ص٣٧٤.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص٩٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٣٥.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤ ص٢٨٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٨٦.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦ ص٤٦٢.

وفي عهد الخليفة المتوكل كانت سياسة التحيز والظلم التي مارسها الوالي سالم بن حامد سبباً في تحرك أهل دمشق ضده، فقد أذلَّ جماعة من السكاسك من أهل دمشق فما كان منهم إلا أن ثاروا به وقتلوه على باب دار الإمارة(١).

ولا بد من الملاحظة أن الوالي مهما كانت مكانته إذا لم يثبت قدرته على مواجهة الأمور كان يتم عزله حتى لو كان ذلك الوالي من أفراد البيت العباسي، فعند بداية الفتنة بين القيسية واليمانية كان على دمشق عبد الصمد بن علي، فقام الرشيد بعزله ١٧٦هـ/٧٩٢م وولى مكانه إبراهيم بن صالح(٢)، وخلال فتنة أبي الهيذام تولى موسى بن عيسى دمشق فطلب أبا الهيذام، فلم يقدر على الظفر به، فلم يمكث بعد ذلك سوى فترة قليلة حتى عزل عن دمشق(٣)، وكذلك الحال بالنسبة لـ سليمان بن المنصور بن المهدي الذي كان يتولى دمشق عند قيام ثورة أبي العميطر ١٩٥هـ/٨١٠م، والذي خرج عن دمشق بعد عجزه عن مواجهة ثورة أبي العميطر(٤).

ويبدو أن تراجع الأحوال الاقتصادية في دمشق بسبب إهمال الولاة وعدم متابعتهم لها كان سبباً قوياً لعزل أولئك الولاة عن دمشق، فقد عاتب الرشيد واليه على دمشق الحسن بن عمار وأغلظ له في القول بعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية في عهده وتراجعت موارد دمشق(٥). كما عزل الخليفة المأمون واليه على دمشق معيوف بن يحيى بعدما شهدت دمشق تردٍ في الأحوال الاقتصادية، وبلغت إلى الحد الذي جعل أحد الشعراء يكتب قصيده ساخره من تلك الأوضاع السيئة(٦).

ومن الملاحظ أن هناك تغيراً سريعاً كان يحدث في ولاة دمشق، فقد تعاقب على الولاية فيها في عهد السفاح ثلاثة ولاة، وفي زمن المنصور إثنا عشر والياً، وفي زمن المهدي والهادي ثلاث ولاة، وفي زمن الرشيد اثنان وعشرون والياً وفي زمن الأمين ستة ولاة...(٧)

ويظهر أن فترات الاضطرابات والفتن والثورات كانت تشهد تبديلاً في الولاة أكثر من غيرها من الفترات الأخرى، وقد برز ذلك بوضوح أيام الرشيد، فخلال فتنة أبي الهيذام ١٧٦هـ تعاقب على إمرة دمشق ما يزيد على ثمانية ولاة(٨). ومن المؤكد أن الخليفة كان يستعين بهم

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص١٨؛ سير، ج١١، ص١٦٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص٤٤٥، ج٩ ص١٣٠ و ج٣٦ ص٢٤٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص١٣؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٤٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ ج٦١ ص١٩٠؛ أبو المحاسن: النجوم، ج٢ ص٨٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٧ ص١٦٢-١٦٣؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٢٤٥.

(٥) ابن الفقيه: البلدان، ص١٠٤.

(٦) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٦٧.

(٧+٢) انظر الجدول السابق.

لإنهاء تلك الفتنة، ولكن الخليفة في نفس الوقت لم يكن يتهاون في حال عدم مقدرة أي منهم على إخمادها، فكان يسارع لعزله وتعيين غيره، حتى استعان أخيراً بوزيره جعفر بن يحيى الذي تمكن من إخماد تلك الفتنة لفترة ما[1]. وكذلك الحال خلال الفتنة التي حدثت سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م والتي تعاقب على دمشق خلالها عدد من الولاة[2]. وفي عهد الخليفة الأمين وخلال ثورة أبي العميطر ١٩٥هـ/٨١م تعاقب على ولاية دمشق عدد من الولاة، حتى تمكن أبو العميطر من السيطرة على دمشق وعين على إدارتها مسلمة بن يعقوب نائباً عنه، ولكن ابن بيهس تمكن من طرد أبي العميطر ومسلمة عن دمشق[3].

وظهر ولاة غير عرب على الشام عامة ودمشق خاصة منذ عهد الخليفة المنصور ١٣٦-١٥٨هـ، الذي جمع لأبي مسلم الخراساني ولاية الشام ومصر، ولكنه رفض الانصياع للأوامر، وكان هذا أحد الأسباب التي جعلت المنصور يفتك به[4].

وتوالت الاستعانة بالعنصر الفارسي في عهد الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م الذي استعان بـ موسى بن يحيى البرمكي ١٧٦هـ/٧٩٢م لإصلاح الأوضاع في دمشق بعد أن برزت فتنة بن القيسية واليمنية، وعجز ولاة دمشق آنذاك عن حلها، فوجه الرشيد موسى بن يحيى لحلها بعد أن عقد له على الشام، وتمكن موسى بن يحيى من إصلاح الأوضاع بين الحيين[5].

ولما تجددت العصبية في دمشق وحدثت الفتنة التي أقلقت الرشيد وحاول الخروج بنفسه لحلها، ولكن وزيره جعفر بن يحيى البرمكي كفاه مؤونة الخروج بعد أن وعده بالخروج بنفسه لإصلاح الوضع، فشيعه الرشيد سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م بعد أن عقد له على الشام، وتمكن جعفر بن يحيى من القضاء على رؤوس الفتنة، وإصلاح الأوضاع بين الحيين بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها، ولما عاد لبغداد وضع نائباً على دمشق وهو عيسى العكي[6]، وفي عهد المعتصم

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٨٨، ج٥٦ ص٣٤-٣٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٨١-١٩٠هـ ص٣٦ ص١٨٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص١٣٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ ج٣٥ ص٢٦٤-٢٦٥؛ و ج٥٨ ص٧٠؛ ابن الأثير: الكامل ج٦ ص٢٥٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٥٠٢.

(٤) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٨ ص٢٥٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦١ ص١٩٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٧١-١٨٠هـ ص٤١٧؛ أبو الفداء: اليواقيت ص٥٢.

(٦) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٤٠٢+ ج٢٣ ص٣٣٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٧١-١٨٠هـ ص٩٩؛ سير، ج٩ ص٦١؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧؛ أبو الفداء: اليواقيت، ص٥٢.

٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م، استخلف قائده أشناس على دمشق شخصاً فارسياً وهو دينار بن عبد الله بن زاذا ابن عم الفضل بن سهل، ثم ما لبث أن عزله(١).

أما العنصر التركي فكان أول ظهور له على مسرح دمشق في عهد الخليفة المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م، فقد شهد عهده تكاثراً كبيراً في العنصر التركي، حيث أصبح يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في الجيش، حتى أسقط العرب من الديوان(٢)، وكان أول الولاة الأتراك على دمشق في عهد المعتصم هو القائد الكبير أشناس، الذي استمر أميراً على الشام طوال فترة المعتصم وكان يعين عنه نواباً على المناطق(٣)، فقد استخلف على دمشق دينار بن عبد الله بن زاذا سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م(٤)، ثم استخلف عليها محمد بن الجهم الشامي سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م(٥)، ثم استخلف عليها رجاء بن أبي الضحاك سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م(٦)، وبعده صول أرتكين سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م(٧). واستمر العنصر التركي بالظهور بقوة في عصر الواثق، حيث كان أشناس ما يزال أميراً على الشام جميعه والذي بقي حتى آخر عهد الواثق(٨).

ويظهر أن القادة الأتراك كانوا يتميزون بالقوة والقسوة، لذا كان الخلفاء يلجأون إليهم في أوقات الأزمات العاصفة، فقد لجأ الخليفة المتوكل إلى قائد تركي وهو أفريدون- الذي كانت له شهرة كبيرة في القسوة والعنف- وجعله والياً على دمشق ٢٤٠هـ/٨٥٤م، وذلك لتأديب أهل دمشق الذين قاموا بقتل واليهم سالم بن حامد بعد أن أظهر العصبية(٩). لكن أفريدون مات قبل أن يصل دمشق(١٠)، وبعد وفاة أفريدون عهد المتوكل أمر دمشق إلى قائد تركي آخر هو صالح العباسي التركي ٢٤٠-٢٤٣هـ/٨٥٤-٨٥٧م(١١)، وفي سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م، قام المتوكل بزيارة إلى دمشق بقصد الإقامة وتحويلها إلى دار ملك(١٢)، ولكنه اضطر للعودة إلى سامراء بعد أن أحدث عليه الموالي ما أحدثوا، وقد استخلف على دمشق قائده التركي بغا(١٣). وفي سنة

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج١٧ ص٧٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٧٦.

(٢) خالد الجنابي: تنظيمات الجيش، ص٨٤.

(٣) ابن العديم، بغية، ج١ ص٧٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٨٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج١٧ ص٧٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٧٦.

(٥) المصدر نفسه ج١٧ ص٧٥؛ المصدر نفسه، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٢؛ المصدر نفسه، قسم ١ ص٢٧٦.

(٦) اين عساكر: تاريخ، ج١٧ ص٧٥.

(٧) الطبري: تاريخ ج٩ ص١١١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٥١٧.

(٨) ابن العديم: بغية، ج١ ص٢٢٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٨٩.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨؛ الذهبي: سير ج١١ ص١٦٢؛ تاريخ حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص١٦٨.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨؛ الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢؛ تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ- ص١٦٨.

(١١) المصدر نفسه ج٢٣ ص٤٠٥؛ ابن العديم: بغية ج١ ص٢٩٠؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩٠.

(١٢) اليعقوبي: تاريخ ج٢ ص٤٩١؛ الطبري: تاريخ، ج٩ ص٢١٠.

(١٣) المسعودي: مروج ج٤ ص١٢٩.

٢٤٤هـ/٨٥٨م، ولى المتوكل دمشق والشام إلى وزيره التركي الفتح بن خاقان وأمره أن يبقى في سامراء ويستخلف عنه، فقام الفتح بن خاقان باستخلاف القائد التركي كلباكتين على دمشق[١]، وخلال عهد المنتصر ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م، تولى إدارة دمشق القائد التركي عيسى بن محمد النوشري[٢]. ثم خلفه عليها القائد التركي يمكجور الذي استمر حتى أوائل عهد الخليفة المستعين ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م[٣]، ثم خلفه أيضاً القائد التركي صالح العباسي للمرة الثانية[٤]، ثم النوشري بن طاجيك[٥]، وعيسى بن النوشري للمرة الثانية[٦].

وفي عهد المعتز ٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٨م، استمر ظهور العنصر التركي في إدارة دمشق حيث تولى القائد التركي يمكجور دمشق واستمر عليها حتى أوائل عهد المهتدي ٢٥٥-٢٥٦هـ[٧] وخلفه القائد التركي أصرم[٨]، ثم القائد التركي أماجور في عهد المعتمد ٢٥٦هـ والذي بعثه بعد فتنة عيسى بن الشيخ[٩]. ولما قتل أماجور على يد الأتراك خلفه ابنه علي بن أماجور الذي كان صغيراً وكان يدير الأمور في دمشق القائد التركي أحمد بن يدغباش[١٠]. ولما تمكن ابن طولون سنة ٢٦٤ هـ من الاستيلاء على الشام والاستقلال بها عن العباسيين[١١]، كان أحمد بن يدغباش أول من يلي إدارة دمشق لابن طولون[١٢].

وكانت الإدارة العباسية للشام عامة ودمشق خاصة مضطربة وغير ثابتة فكثيراً ما كانت تجمع إدارة الشام كله لوالٍ واحد، وكان هذا الوالي يقوم بإرسال النواب عنه إلى سائر المناطق والمدن التابعة له، فمنذ عهد الخليفة العباسي الأول أبو العباس ١٣٢-١٣٦هـ كان عبد الله بن علي والي الشام جميعاً، وكان يستخلف من قبله على المناطق الأخرى التابعة لإدارة الشام ومن ضمنها دمشق[١٣]، فقد استخلف عبد الله بن علي على دمشق عمر بن شريح الحضرمي[١٤]،

---

(١) ابن عساكر: تاريخ ج٢٣ ص٤٠٥؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ ج٤٧ ص٣٤٦؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩٠.

(٣) الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٣٠٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٤٠٥؛ ابن العديم: بغية، ج١ ص٢٩٠؛ الكتبي: فوات، ج٣ ص١٧٧.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧ ص١٣٥.

(٦) ابن عساكر: تاريخ ج٤٧ ص٣٤٦؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٩٠.

(٧) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٣٠٦.

(٨) المصدر نفسه، قسم ١ ص٣٠٦.

(٩) المصدر نفسه، قسم ١ ص٣٠٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٦٣٥-٣٦٣.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ ج٦ ص٩٣+ج٤١ ص٦٦؛ ابن العديم: بغية، ج٣ ص١٢٤١.

(١١) المسعودي: مروج، ج٤ ص٢٢٥؛ ابن خلكان: وفيات ج١ ص١٧٣.

(١٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص٩٣؛ ابن العديم: بغية، ج٣ ص١٢٤١.

(١٣) ابن قتيبة: المعارف، ص١٦٣؛ الطبري: تاريخ ج٧ ص٤٥٨؛ ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص٣١٥.

(١٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٥ ص٧٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٠٦.

ثم عبد الحميد بن ربعي بن خالد الطائي[1]، وفي عهد المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م جمع للعباس بن محمد بن علي دمشق والشام جميعه[2] وجمع المهدي ١٥٨-١٦٩ لابنه هارون (الرشيد) حلب والشام جميعه وأمر كاتبه يحيى بن خالد أن يتولى ذلك بتدبيره[3]، واستمر هذا الحال على ما هو عليه خلال عهد الهادي ١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م[4].

واستمر جمع الشام لوالٍ واحد في عهد الرشيد الذي جمع الشام لموسى بن يحيى البرمكي عندما خرج لإصلاح الأوضاع بعد فتنة دمشق بين القيسية واليمانية[5]، ولما تجددت العصبية في دمشق سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م خرج جعفر بن يحيى لإصلاح الأمر بعد أن عقد له الرشيد على الشام[6]، كما جمع الرشيد الشام لـ محمد بن منصور بن زياد بعد فتنة ١٨٨هـ/٨٠٣م، التي كان سببها سياسة والي دمشق شعيب بن خازم[7]، ولما ثار أبو النداء في دمشق ١٩١هـ/٨٠٦م، بعث الرشيد يحيى بن معاذ لإخماد الثورة بعد أن عقد له على الشام جميعاً[8].

وفي عهد الأمين؛ جمع لعبد الملك بن صالح الشام كله ١٩٦هـ/٨١١م [9]. كما جمع المأمون الشام لابنه العباس بن المأمون[10]، وعقد المعتصم لأشناس التركي على الشام كله[11]. ولما جعل المعتمد ابنه جعفر ولياً لعهده وهو صبي، جعله على ولاية الشام سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م[12].

وكانت إدارة الشام دمشق في أحيان أخرى تجمع إلى مناطق أخرى ويكون الوالي عليها واحداً، فقد جمع المنصور لـ صالح بن علي فلسطين والشام ومصر[13]، وكذلك الحال بالنسبة للرشيد الذي جمع لعبد الملك بن صالح الشام والجزيرة[14]، كما جمع لابنه القاسم الشام وقنسرين

---

(١) المصدر نفسه ج٤٥ ص٧٩؛ المصدر نفسه، قسم ١ ص٢٠٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٣٩٤-٣٩٥؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢١١.

(٣) أبو الفداء: اليواقيت، ص٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٥٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦١ ص١٩٠؛ الذهبي: تاريخ حوادث ١٧١-١٨٠هـ ص٤١٧؛ أبو الفداء: اليواقيت، ص٥٢.

(٦) الطبري: تاريخ ج٨ ص٢٦٢؛ ابن عساكر: تاريخ ج٢٦ ص٤٠٢+ج٢٣ ص٣٣٤؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٢٧؛ أبو الفداء: اليواقيت، ص٥٢.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦، ص٣٤-٣٥.

(٨) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٣٢٣.

(٩) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٤٢٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٣٦؛ أبو الفداء: اليواقيت، ص٥٢.

(١٠) ابن العديم: زبدة، ج٨ ص٦٢٠.

(١١) المصدر نفسه، ج١ ص٧٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٨٩.

(١٠) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص١٤٧-١٤٨.

(١١) ابن العديم: زبدة، ج٢ ص٨٣.

(١٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣ ص٣٥٧؛ الذهبي: سير، ج٧ ص١٩؛ ابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص٣١.

(١٣) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٣٧٤؛ الذهبي: تاريخ حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص١٩.

والثغور[١]، وذكر الجهشياري: أن الرشيد كان جمع لـــ وزيره جعفر بن يحيى من الأنبار وحتى إفريقية[٢]، وإن صحَّت هذه الرواية فمن المؤكد أن الرشيد أقر قسمة الدولة إلـــى قســـمين قســـم شرقي وقسم غربي وهو الذي تمت الإشارة إليه وجعل عليه جعفر بن يحيى.

ولما تغلب المأمون على الأمين واستأثر بالخلافة بعد الفتنة بين الأخوين، جعل لطـــاهر بن الحسين الشام والجزيرة والمغرب، وكلفه بحرب نصر بن شبث[٣]، ولما توفي طـــاهر بـــن الحسين ولى المأمون ابنه عبد الله بن طاهر من الرقة حتى مصر بما في ذلك الشام[٤].

وفي بعض الأحيان كانت إدارة دمشق تجمع مع إدارة بعض المناطق في الشـــام فقـــط ويجعل عليها والياً واحداً، ويظهر ذلك في فترات الهدوء التي ربما تمكن الوالي خلالها من إدارة هذه المناطق وحده دون مشاكل. فقد جمع المنصور لصالح بن علـــي إدارة دمشـــق وقنســـرين وحمص[٥]، كما جمع لعبد الوهاب بن إبراهيم الإمام دمشق وفلسطين، ثم عزله عـــن فلســـطين وبقي على دمشق[٦]، وفي عهد الرشيد كان محمد بن إبراهيم الإمام يجمع بـــين ولايـــة دمشـــق والأردن[٧]، وجمع الأمين لسليمان بن منصور دمشق وحمص[٨]، وكذلك فعل الواثق لـــ مالـــك بن طوق[٩]، والمستعين لـــ صالح العباسي التركي حيث أضاف له الأردن إلى جانب دمشق[١٠].

ووردت بعض الإشارات إلى جمع ولاية دمشق مع ولاية مكة والموسم فقد جمع المهدي لـــ محمد بن إبراهيم الإمام دمشق ومكة والموسم[١١]، وكذلك الرشيد الذي جمع لـــ إبراهيم بـــن المهدي دمشق ومكة والموسم[١٢].

وشهدت دمشق مجموعة من الولاة الذين تغلبوا عليها، وحاولوا الاستقلال عـــن جســـم الدولة، وقد لجأ هؤلاء المتغلبين إلى تعيين أناس ممَنْ يثقون بهم، وشهد لهم بـــالتفوق والتميـــز

---

(٢) الجهشياري: الوزراء، ص١٥٠.

(٣) الطبري: تاريخ ج٨ ص٥٢٧.

(٤) مسكويه: تجارب، ج٤، ص١٥١؛ ابن العديم: زبدة، ج١، ص٧٤.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج٣ ص١٣٢؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٥١١؛ ابن كثير: البداية، ج١٠ ص٧٧؛ الصفدي: أمـــراء، ص٤٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٢٧؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣ ص٤٦٩؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢١٦.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥١، ص٢٢٧ وج٦ ص٤٤٥ و ج٩ ص٨٨؛ الذهبي: سير، ج٩ ص٨٨؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٤٠-٢٤١؛ الحنبلي: شدرات، ج١ ص٤٩٣.

(٨) ابن عساكر: تاريخ ج٧ ص١٦٢-١٦٣؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٤٥.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨؛ الذهبي: سير، ج١١ ص١٦٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩١.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣، ص٤٠٥؛ ابن العديم: بغية، ج١، ص٢٩٠؛ الكتبي: فوات ج٣ ص١٧٧.

(١١) ابن عساكر: تاريخ ج٥١، ص٢٢٧؛ الذهبي: تاريخ حوادث ١٨١-١٩٠هـــ ص٣٥٥.

(١٢) ابن عساكر: تاريخ ج٢٦ ص٣٩٤؛ الصفدي: تحفة، قسم ١، ص٢١١.

لإدارة الأمور في دمشق، فلما ثار عبد الله بن علي عين على دمشق عبد الصمد بن علي سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، ولكنه بعد انتهاء الثورة حمل إلى المنصور الذي عفا عنه[(١)]. وخلال عهد الأمين خرج أبو العميطر ١٩٥هـ/٨١٠هـ وتمكن من التغلب على دمشق وإعلان قيام "دولته"، وجعل على دمشق شخص من أقربائه وهو مسلمة بن يعقوب- ولكن الأخير طمع بدوره في الحكم، وفشل الاثنان بعد أن تمكن ابن بيهس من التغلب عليهما وطردهما[(٢)]. وفي عهد المهتدي تمكن عيسى بن الشيخ الشيباني من التغلب على دمشق ٢٥٥هـ، واستمر على ذلك حتى أوائل عهد المعتمد الذي بعث له أماجور التركي[(٣)]، وأخيراً تمكن ابن طولون سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م من الاستيلاء على بلاد الشام واستقل بها عن العباسيين، وقام بتعيين نواب عنه على دمشق وكان أولهم أحمد بن يدغباش التركي[(٤)].

- دار الإمارة:

أما المكان الذي كان يقيم فيه أمراء دمشق خلال فترة البحث فهو دار الإمارة، وهي الدار الخضراء، دار معاوية بن أبي سفيان سابقاً[(٥)]. ومع أن مصادر عديدة زعمت ان العباسيين قاموا بهدمها[(٦)]، فهناك إشارات تثبت أنها كانت موجودة في أغلب فترات البحث.

فلما انتصرت الجيوش العباسية على الجيوش الأموية، ودخل عبد الله بن علي دمشق، دخل إلى الخضراء، وجلس مع ابنة مروان ابن محمد على فراشها وجعل يذكرها برجال بني أمية[(٧)]، ولما تولى إبراهيم بن المهدي إمرة دمشق للرشيد، كان يقيم في دار معاوية[(٨)]، ودار معاوية هي نفسها الدار الخضراء. وفي خلافة المأمون وخلال ولاية معيوف بن يحيى على دمشق، والتي كانت أيامه أيام جدب وغلاء حتى قال الشاعر فيه:

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الخُبْزَ فَاكِهَةٌ   حتى تَرَبَّع فِي الخَضْرَاءِ مَعْيُوفُ[(٩)].

وهذا القول يشير وبشكل لا غبار عليه إلى وجود الخضراء وأنها كانت ما تزال مقر الإدارة لأمير دمشق. وقوله: تربع في الخضراء تأكيد على ذلك. وكان مالك بن طوق- أمير

---

(١) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١١١.

(٢) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ ج٤٧ ص٣٠٩-٣١٠ و ج٩ ص١٧٤؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٣٠٦، ٣٠٨-٣٠٩، ص٢٢٥.

(٤) المسعودي: مروج، ج٤ ص٢٢٥؛ ابن عساكر: تاريخ ج٦ ص٩٣؛ ابن العديم، بغية ج٣ ص١٢٤١.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣.

(٦) انظر: ابن بطوطة، ص١٠٦.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٣، ص٢٦٧.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، مخط ج٢ ص٥١٨-٥١٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص٢٢١.

(٩) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٦٧.

دمشق للواثق والمتوكل- ينادى على باب داره بالخضراء (وكانت دار الإمارة) في أيام رمضان للإفطار والأبواب مفتحة يدخلها الناس[١]. وهذا دليل آخر على استمرارها داراً للإمارة.

ولما ثار أهل دمشق خلال خلافة المتوكل بواليهم سالم بن حامد قتلوه على باب الخضراء[٢]، وهذا يؤكد أنها كانت ما تزال مقر الحكم والإدارة في دمشق، ولما عزل صالح العباسي عن ولاية دمشق زمن المتوكل جاء عزله وهو في الخضراء[٣]، وعندما توفي زمن المستعين توفي في الخضراء[٤]. وفي وصف اليعقوبي لأهم الدور في دمشق جاء ذكره لدار معاوية (الخضراء) وهذا يؤكد وجودها حتى زمن اليعقوبي واحتفاظها بأهميتها كمركز لإدارة دمشق ومقراً لإقامة الأمير[٥].

وهذا عكس ما ذهب إليه ابن طولون في فترة متأخرة (ت ٩٥٣هـ) في تاريخ الصالحية حيث يرى أن دار الإمارة في دمشق قد انتقلت في العصر العباسي إلى منطقة دير مرّان، وليس هذا فحسب بل يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يذكر أن العباسين قاموا بهدم جميع دور الأمويين وما يتصل بهم من آثار ومن جملتها الدار الخضراء التي كان يسكن بها الخلفاء الأمويون[٦]، ويدلل على ما ذهب إليه بقوله: أن الولاة العباسون كانوا لا يطمئنون للسكن داخل دمشق خوف الوثوب بهم، كما حدث مع سالم بن حامد أمير دمشق للمتوكل عندما وثب به أهل دمشق وقتلوه[٧].

والجدير قوله: أن عدم نزول الخلفاء في الدار الخضراء خلال زيارتهم لدمشق وميلهم للإقامة في مناطق على مقربة من دمشق أو ما يسمى في العصر الحديث بالضواحي كمنطقة دير مرّان لا يدلل على أن الخضراء لم تعد مقراً لإدارة وإقامة والي دمشق، فالخلفاء العباسيون عندما كانوا يزورون دمشق كانوا يزورونها لطلب الراحة والمتعة، وهم بذلك يرغبون بالبعد عن أماكن الضجيج في المدينة نفسها[٨]، وعلاوة على ذلك فالخلفاء كانت ترافقهم حاشية كبيرة ومن المؤكد أن الخضراء لم تكن تستوعب تلك الأعداد للحاشية المرافقة للخلافة للإقامة فيها[٩].

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ، ص٣٤٧؛ الكتبي: فوات، ج٣ ص٢٣١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ ج٢ ص٣٨؛ الذهبي حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص١٦٨؛ الصفدي: تحفة قسم ١ ص٢٩١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ ج٢٣ ص٤٠٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ ص٥؛ ابن العديم: بغية، ج١ ص٢٩٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ ج٢٣ ص٤٠٥.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣.

(٦) ابن طولون: القلائد، ص٤٥-٤٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٩١.

(٩) انظر الطبري، ج٨ ص٢٥١، ٢٦٢؛ ج٩، ص٢١٠.

ومن هنا اختار الخلفاء مكاناً ليس في وسط المدينة وإنما في ضواحيها وهو دير مران، وذكر ابن طولون أن مكانه اليوم–زمن ابن طولون– "بالسهم" قرب النيرب خارج دمشق بسفح قاسيون(١)، وكان الخلفاء العباسيون في زيارتهم دمشق ينزلون دير مرّان إعجاباً بحصانته وجمال منظره وطيب هوائه(٢)، فقد نزله الخليفة هارون الرشيد لما زار دمشق(٣)، ولما تسلم المأمون الخلافة نزل ديرمرّان وأجرى لمعكسره فيه قناة من نهر منين وعمَّر قبة في أعلى الجبل(٤)، ولما نزل المتوكل دمشق لم ينزل المدينة، ولم ينزل دير مرّان أيضاً، ويظهر أن الحاشية التي صاحبت المتوكل في رحلته إلى دمشق كانت أعدادها كبيرة إلى الحد الذي لم تكن معه دار الإمارة في دمشق أو دير مرّان يستوعبانها لذلك أعد "ابن المدبر" العدة اللازمة لاستقبال ذلك العدد الكبير، فقام ببناء العديد من القصور في طريق داريا(٥). وهذا يؤكد أن الخلفاء لم ينزلوا دوماً ديرمرّان لأنها كانت مقر الإمارة بل لأن دار الإمارة لم تكن تتسع لحاشيتهم المرافقة علاوة على رغبتهم البعد عن جو المدينة المليء بالضجيج.

وما ذهب إليه ابن طولون ليؤكد ان دير مرّان أصبح مقر الإدارة لدمشق، لا يمكن أخذه على وجه التعميم. فقد أورد ابن طولون نفسه أن الواثق لما بعث رجاء بن أشيم الحضاري لتأديب العصاة في دمشق سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م نزل دير مرّان وأنزل عقوبة بالعصاة(٦). وهذا الظرف استثناء، فإذا كانت دمشق تشهد ثورة وعصياناً ضد الدولة، فمن المؤكد أن مركز الإمارة (الدار الخضراء) كان تحت الحصار وكان من الخطر أن يقيم فيه الوالي في تلك الفترة، وما يؤكد ذلك أن المصادر تعاود الإشارة إلى الخضراء خلال عصر المتوكل حيث يذكر أن سالم بن حامد لما ثار عليه أهل دمشق قتل على باب الخضراء(٧). وهذا يؤكد أن الخضراء بقيت داراً للإمارة حتى فترة متأخرة (طوال فترة البحث) فقد ذكرها اليعقوبي في عداد الدور الهامة في دمشق وذكر أنها دار الإمارة(٨).

٢ – الدواوين:

منذ خلافة المنصور ١٣٦–١٥٨هـ/٧٥٣–٧٧٤م، وجد في بغداد علاوة على الدواوين المركزية الرئيسة نوعان من الدواوين، الأول وكان موجوداً في الأقاليم التابعة للدولة، والآخر كان في العاصمة بغداد. فقد وجد في بغداد ديوان واحد لكل ولاية من ولايات الدولة الإسلامية

---

(١) ابن طولون: القلائد، ص٤٥–٤٦.

(٢) ابن طولون: القلائد، ص٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢١١–٢٢٠هـ ص١٤٨؛ سير ج١ ص٢٣٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٥٤٤.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٩١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣١، ص٢٣٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٧٢؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٦٩.

(٦) ابن طولون: القلائد، ص٤٦–٤٧.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٣٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١–٢٤٠هـ ص١٦٨؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٩١.

(٨) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣.

يقوم بالإشراف على شؤونها المختلفة[١]، وكان هذا الديوان يشكل المرجعية للولاية التي يمثلها، وتوكل إليه مهام متابعة شؤون الولاية العسكرية والمالية. والشام شأنها شأن غيرها من الولايات كان لها ديوان يشرف على جندها وخراجها، أما في إقليم الشام نفسه فيبدو انه كان هناك دواوين مصغرة تشبه تلك الدواوين الموجودة في العاصمة[٢]، أو ربما وجد موظف خاص يمثل كل ديوان في تلك الدواوين الموجودة في العاصمة[٣].

وإذا كانت الإشارات في المصادر إلى أولئك الموظفين الذين شغلوا الوظائف الإدارية في الدواوين التابعة للولاية- قليلة فهذا لا يعني بالضرورة عدم وجودها، لأن تلك الوظائف كانت من ضروريات الإدارة لتلك الولاية، وقد أكد الطبري وجود تلك الوظائف، فقد ذكر أن المتوكل عندما جعل لابنه المؤيد أجناد دمشق والأردن وحمص وفلسطين أخذ على ولي عهده المنتصر عهداً إزاء أخويه المؤيد والمعتز بأن لا ينقصهما شيئ من أعمالهما من الصلاة والمعاون والقضاء والمظالم والخراج والضياع والغنيمة والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالها، وما في كل واحد منها من البريد والمعاون والطراز وخزن بيوت الأموال ودور الضرب[٤].

٣-القضاء:

القضاء في اللغة هو: الحكم والقطع، والقاضي هو القاطع للأمر المحكم له[٥]. وفي الاصطلاح هو: الفصل في الخصومات بين الناس حسماً للتداعيات وقطعاً للتنازع[٦]، أو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الالتزام[٧].

وذكر ابن خلدون أن القضاء في العصر العباسي قد استمر على الفصل بين الخصوم، واستيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين كالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى وأهل السفه، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج "الأيامى" عند فقدانهن أوليائهن أو النظر في الأوقاف[٨]، وأحياناً كانت تضاف إلى القاضي اختصاصات وواجبات علاوة على واجباته الأصلية، منها المظالم والحسبة والصلاة بالإضافة إلى الإشراف على الأماكن الدينية والمكاييل ودور الضرب والعيار[٩]. ولكن في هذه الحالة لم يكن لزاماً وجود من يقومون بتلك الأعمال الأخرى إذ أن القاضي ينوب عن المحتسب والإمام والخطيب باعتبارها وظائف دينية- وهذا يعني اختفاء هذه الوظائف في الفترات التي يشغلها القاضي[١٠]، ويظهر أن القضاء حافظ على

---

(١) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، الكتّاب الثالث، ص٦٨.

(٢) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، ص٦٨؛ إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام، ص١١٧-١١٨.

(٣) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام، ص١١٩.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٧٧-١٧٨.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص١٨٦-١٨٨؛ القلقشندي: صبح، ج٥ ص٤٥١؛ محمود هاشم: النظام القضائي في الإسلام، ص١٨.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص٢٢١.

(٧) ابن فرحون: تبصرة، ج١ ص٨؛ محمود هاشم، النظام القضائي، ص٢٠.

(٨) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٢١.

(٩) القلقشندي: صبح، ج٣، ص٥٥٧؛ المقريزي: المقفى ج٧، ص٣٤٧.

(١٠) انظر: Bazmee Ansari: Hisba. El, London 1979, vol 111, P. 488.

الشروط الواجب توافرها فيه والتي ذكرها الماوردي بأنها: الإسلام والذكورة والحرية والعقل والعدالة وسلامة الحواس والأعضاء[١].

والجدول التالي يحوي أسماء أهم القضاة الذين تولوا القضاء في مدينة دمشق خلال العصر العباسي (فترة البحث)، والذي من خلاله يمكن أن نرسم صورة تقريبية لأوضاع القضاء والقضاة في مدينة دمشق خلال فترة البحث.

(١) الماوردي: الأحكام، ص٦٥-٦٦؛ أبو يعلى: الأحكام: ص٦٠-٦١.

اسم الخليفة "فترة الولاية"	اسم القاضي	نسبة (مكانته)
هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م	- نمير بن أوس الأشعري (ت ١٢٢هـ) - يزيد بن أبي مالك الهمداني (ت ١٣٠هـ)	الأشاعرة– يمانية[١] همدان – يمانية[٢]
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م	- الحارث بن يمجد الأشعري - سالم بن عبد المحاربي[٤]	الأشاعرة – يمانية[٣]
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦هـ/٧٤٣م	- الحارث بن يمجد الأشعري - عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ت ١٥٧هـ/٧٣م	الأشاعرة– يمانية[٥] الأوزاع– يمانية[٦]
مروان بن محمد ١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م	- زياد بن أبي ليلى[٧] - زامل بن عمرو[٧] - محمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي	بنو أسد– قيسية[٩]
أبو العباس ١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م	- كلثوم بن عبد الله الحكمي[١٠] - محمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي	بنوا أسد– قيسية[١١]
	- سالم بن عبد الله المحاربي[٨] - الحارث بن يمجد الأشعري - ثمامة بن يزيد الأزدي - العلاء بن الحارث[١٥] - قيس الأعمر[١٦] - عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي - محمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي	- الأشاعرة – يمانية[١٣] - الأزد– يمانية[١٤] الأوزاع–يمانية[١٧] بنو أسد– قيسية[١٨]

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٤٦١؛ وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٥-٢٠٦؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢، ص١٠٨؛ ابن طولون: الثغر، ص٨-٩.

(٢) وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٦؛ ابن عساكر: تاريخ ج٢٢ ص١٠٨؛ ابن طولون: الثغر، ص٨-٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧ ص٦١؛ وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٦؛ ابن طولون: الثغر، ص٨-٩.

(٤) أبو زرعة: تاريخ، ج٢، ص٢٠٣؛ وكيع: أخبار، ج٣، ص٢٠٦؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢، ص١٠٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢ ص٧٧؛ ابن طولون: الثغر، ص١١.

(٦) وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٣ ص٢٠٧.

(٨) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٠٧.

(٩) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٠٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥، ص٢١٧؛ ابن طولون: الثغر، ص١١.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠، ص٧٧؛ الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٢١-١٤٠هـ، ص٥٣٠.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠، ص٧٧.

(١٢+١٣) المصدر نفسه، ج٢٠، ص٧٧.

(١٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٨.

(١٥+١٦+١٧) البسوي: المعرفة، ص٣٩٣.

(١٨) وكيع: أخبار، ج٣، ص٢٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠، ص٧٧.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم القاضي	نسبة (مكانته)
أبو جعفر (المنصور) ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٤٤م	- المساور الخراساني[(١)] - ثمامة بن يزيد الأزدي - سلمة بن عمرو العقيلي - يحيى بن حمزة الحضرمي - سويد بن عبد العزيز - عبيدة بن جماح الغساني - أحمد بن المعلّى الأسدي	 الأزد- يمانية[(٢)] بني عقيل- قيس[(٣)] الحضارمة- يمانية[(٤)] يمانية[(٥)] غسان- يمانية[(٦)] بنو أسد- قيسية[(٧)]
المهدي ١٥٨-١٦٩هـ/٧٥٤-٧٨٥م	- يحيى بن حمزة الحضرمي - عبد الرحمن بن يزيد بن أبي مالك الهمداني - يحيى بن حمزة الحضرمي[(١٠)]	الحضارمة- يمانية[(٨)] همدان- يمانية[(٩)]
الهادي ١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م	- يحي بن حمزة الحضرمي[(١١)]	
الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م	- يحي بن حمزة الحضرمي[(١٢)] - عمرو العدوي[(١٣)] - محمد بن حرب الخولاني - عمرو بن أبي بكر الموصلي[(١٥)]	 خولان- يمانية[(١٤)]
الأمين ١٩٣-١٩٨هـ٨٠٨-٨١٣م	- عبد الله بن مسهر الغساني - محمد بن حرب الخولاني - عمرو بن أبي بكر الموصلي "أبو بكر"[(١٨)]	غسان - يمانية[(١٦)] خولان- يمانية[(١٧)]

(١) وكيع: أخبار، ج٣، ص٢٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠، ص٧٧.
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢، ص١٠٨.
(٣) المصدر نفسه، ج٢٢، ص١٠٨؛ ج٦٤، ص١٣١.
(٤) البسوي: المعرفة، ج٢، ص٤٥٩؛ أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٠٤؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢، ص١٠٨.
(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ، ص٢٠-٢١؛ ابن طولون: الثغر، ص١٢.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤، ص١٣٢.
(٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٩٨.
(٨) المصدر نفسه، ج٢٢، ص١٠٨؛ ابن طولون: الثغر، ص١١-١٢.
(٩+١٠+١١+١٢+١٣) ابن طولون: الثغر، ص١٤.
(١٤) الذهبي: سير، ج٩، ص٥٨؛ الحنبلي: شذرات، ج٢، ص٤١، ابن طولون: الثغر، ص١٧.
(١٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٠١-٢١٠هـ، ص٢٨٤.
(١٦) الذهبي: سير، ج١٠، ص٢٣٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٥-١٦.
(١٧) الذهبي: سير، ج٩، ص٥٨؛ الحنبلي: شذرات، ج٢، ص٤١؛ ابن طولون: الثغر، ص١٧.
(١٨) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٠١-٢١٠هـ، ص٢٨٤.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم القاضي	نسبه (مكانته)
المأمون ١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م	- محمد بن بكّار بن بلال العاملي - عبد الله بن محمد القاضي المعروف بالخلنجي ابن أخت علوية المغني[3]. - محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي البتلهي - محمد بن سماعة[4]	عاملة- قيس[1] حضارمة- يمانية[2]
المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م	- محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي البهتلي - أبو مسلم النطعي (والي مظالم) [6] - يحيى بن الحسن الطبراني[7].	حضارمة- يمانية[5]
الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م	←——→	
المتوكل ٢٤٦هـ-٨٦١م	- إسماعيل بن عبد الله بن خالد بن يزيد العبدري السكري	قيس[8]
المتوكل ٢٤٦هـ	- محمد بن هاشم بن ميسرة[9] - محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي. - داود بن محمد بن الجراح الكاتب[11]. - عبد الله بن محمد بن أبي يزيد الخلنجي ت ٢٥٣هـ[12]. - محمد بن حرب بن حزباب النسائي[13]. - عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري[14]. - مروان أبو عبد الملك الرَّمادي[15].	بنو أسد- قيس[10]

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢١١-٢٢٠هـ، ص١٥، ص٣٦٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٧.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص٢٢٩؛ الأزدي: تاريخ، ص٤٠٩-٤١٠؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

(٣) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٣٤٩، ص٣٦٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٨.

(٤) البيهقي: المحاسن، ص١٥١. ذكر البيهقي أنه كان يتقاضى راتباً مقداره ألف درهم.

(٥) ابن عساكر: تاريخ ج٦٧ ص٢٢٤ وج٦٤ ص١١٧-١١٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص٣٤٩.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٧ ص٢٢٤ و ج٦٤ ص١١٧-١١٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٦٧، ص٢٢٤ و ج٦٤، ص١١٧-١١٨.

(٨) المصدر نفسه، ج٨، ص١٨؛ المزي: تهذيب، ج٣، ص١٨٢؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص١٧٦؛ سير: ج١٢، ص١٢٨؛ ابن العديم: بغية، ج٤، ص١١٥٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٩.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٨، ص٤١٨؛ المزي: تهذيب، ج٢، ص١٨٢.

(١٠) الذهبي: سير، ج٩، ص١١٢؛ ابن طولون: الثغر، ص٢٠.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج١٧، ص١٨٧.

(١٢) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ، ص١٨٣.

(١٣) المزي: تهذيب، ج١٦، ص١٩٤.

(١٤) ابن العديم: بغية، ج٢، ص٧٠٣.

(١٥) الذهبي: سير، ج١٢، ص٢٩٤.

اسم الخليفة فترة الولاية	اسم القاضي	نسبة (مكانته)
حتى ٢٦٤هـ/٨٧٧م	- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي	بنو أسد– قيس[١]
منذ ٢٦٤هـ/٨٧٧م وحتى ٢٦٨هـ/٨٧٨م	- عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م.	السكون – يمانية[٢]
	- محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة بن أبي زرعة[٣].	
	- أحمد بن المعلا "ختن دحيم" ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م[٤].	
	-عمر بن أحمد بن علي أبي الحارث ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م[٥].	
	- أحمد بن علي بن سعيد المروزي[٦].	
	- أبو حفص بن الحسن الحلبي[٧].	

ومن الجدول السابق يمكن أن نستخلص ما يلي:

لقد كان تعيين القضاة في العصر الأموي من قبل الأمراء في المنطقة التي يعين بها القاضي، وكان يخرج عن هذا الإطار الشام باعتبارها حاضرة الخلافة، ومستقر الخليفة حيث كان الخلفاء يشرفون بأنفسهم على تعيين القضاة[٨].

وفي العصر العباسي كانت تولية القضاة تتم من قبل الأمراء على تلك المناطق، وهذا الحال كان ينطبق على دمشق. ويظهر أن هذا الأمر قد أصبح عرفاً سائداً وحقاً ممنوحاً للأمراء[٩]. وحتى عصر الخليفة الرشيد لم يتم تجاوز هذا الحق الممنوح للأمراء إلا في حالات نادرة، فلما زار الخليفة المنصور دمشق استشار أهلها فيمن يرغبون أن يلي القضاء، فكان إجماعهم على يحيى بن حمزة، فما كان من المنصور إلا أن قام بتوليته القضاء. بعد أن نصحه بقوله: "...يا شاب إني أرى أهل بلدك قد أجمعوا عليك، فإياك والهدية". وعلى الرغم من أن

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤، ص٨٥؛ المزي: تهذيب، ج١٦، ص١٠٩؛ ابن طولون: الثغر، ص٢٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥، ص٣٦٧؛ الذهبي: سير، ج١٣، ص٥٤١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٦، ص٢٣٤؛ ج٥٤، ص١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٤٣ ص٢٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٤٣، ص٢٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٤٣ ص٢٣٨، ص٥٦١.

(٧) إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام، ص١٢٠.

(٨) انظر: وكيع: أخبار ج٣ ص٢٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١١ ص١٦١، ج٢٢ ص١٠٨.

(٩) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٢٠٤؛ البسوي: المعرفة، ج٢ ص٤٥٩-٤٦٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢ ص١٠٨، ج٦٤ ص١٣١؛ الذهبي: سير، ج٨ ص٣٥٥؛ ابن طولون: الثغر، ص١١-١٢.

يحيى بن حمزة حاول أن يتعلل ليتهرب من القضاء، ولكنه لم يجد بداً من ذلــك بعــد إصــرار الخليفة المنصور عليه[١]، ويبدو أن المهدي سار على نهج والده فخلال زيارته لدمشــق ولَّــى قضاءها لــ عبد الرحمن بن يزيد بن أبي مالك الهمداني[٢].

وشهدت ولاية القضاء بشكل عام في العصر العباسي تطوراً هاماً وتحولاً جديداً منذ عهد هارون الرشيد الذي استحدث ولأول مرة وظيفة قاضي القضاة، وكان أول من حصل على هذا اللقب القاضي أبو يوسف[٣].

ومن الواضح أن استحداث منصب قاضي القضاة، قد ساهم مساهمة كبيرة في حل الكثير من اشكالات القضاء وخاصة فيما يتعلق بتحديد الشخص المسؤول عن توليه وعــزل القضـــاء، والتي أصبح من الواضح تماماً أنها انتقلت إلى صاحب هذا المنصـــب الجديــد، عــلاوة علـــى مسؤولية القضاة أمامه عن ما يقولونه أو يصدرونه من أحكام[٤].

ومع كبر حجم الدولة الإسلامية، فقد كان من الصعب على قاضي القضاة مباشرة أمور القضاء بنفسه، في هذه الدولة المترامية الأطراف، لذا كان يعين نواباً عنه في مختلف الأمصار والمناطق، ويكون هؤلاء القضاة مسؤولون أمامه عن ما يصدرونه من أحكام أو ما يحدث فـــي ولاياتهم من أمور قضائية[٥]. ومن الجدير قوله: أن مهمة القضاة في بداية الدولة لم تكن تقتصر على النظر بين المتخاصمين، بل كان في بعض الأحيان يتولى الصلاة والشرطة إلـــى جانـــب القضاء، وفي تلك الحالة كان لا بد أن تكون إقامته في دارة الإمارة[٦].

ومن الملاحظ ظهور نظام الاستخلاف على القضاء، والذي يبدو أن القضاة لجأوا إليـــه في كثير من الأحيان، بسبب تزايد الأعباء والأعمال التـــي يتلقاهـــا القاضـــي واتســـاع دائـــرة المسؤوليات التي يطلع بها[٧]، وكان الاستخلاف في بعض الأحيان بسبب انشغال القاضي بعمل ما أو عدم وجوده في المدينة، وفي هذه الحالة تكون فترة الإنابة قصيرة، لحـــين زوال الســـبب الذي جاءت من أجله، فلما خرج القاضي يحيى بن حمزة للقاء أمير المـــؤمنين المهـــدي ســـنة ١٦٣هـــ/٧٧٩م، استخلف على القضاء عبيدة بن جماح الغساني ومات وهو على القضاء[٨].

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٤١-١٦٠هــ ص٣٥٨.

(٢) ابن طولون: الثغر، ص١٤.

(٣) وكيع: أخبار، ج٢ ص١٤٢، ص١٧٢، ١٧٥؛ ابن الداية: المكافأة، ص١٠٢؛ ابن كثير: البداية، ج١٠ ص١٨١؛ ابـــن خلكان، وفيات، ج٢ ص٣٠٧، محمود عرنوس: تاريخ القضاء، ص٤٤.

(٤) وكيع: أخبار، ج٢، ص١٤٢؛ ابن خلكان: وفيات، ج٢ ص٢١٧؛ عصام شبارو: قاضي القضاة: ص١٠، ٢٠، ١٠٧.

(٥) ابن كثير: البداية، ج١٠ ص١٨١؛ ابن خلكان: وفيات، ج٢ ص٣٠٧؛ عصام شبارو: قاضي القضاة، ص١٠، ٢٠.

(٦) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام، ص١٢٠.

(٧) ابن طولون: الثغر، ص١٤.

ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤ ص١٣٢.

والأمر الملفت في الاستخلاف هو أن يتم استخلاف أو إنابة أكثر من شخص عن القاضي، ويظهر أن ذلك كان بسبب عدم مقدرة القاضي على متابعة أمور القضاء جميعها بنفسه، ربما بسبب التزايد المطرد في عدد السكان وبالتالي ارتفاع أعداد القضايا والمشاكل والخصومات التي ينظر بها القاضي، لذا كان ينيب عنه أكثر من شخص، ويبدو أن القاضي في هذه الحالة كان بمثابة الرئيس المشرف على مَنْ ينوبون عنه، يتابعهم ويتابع أحكامهم الصادرة عنهم. ويبرز ذلك واضحاً في الفترة المتأخرة، فقد استخلف أبو زرعة (محمد بن عثمان) قاضي دمشق كلاً من أحمد بن المعلا وفارس بن أحمد وعمر بن أحمد بن علي كخلفاء له على قضاء دمشق(١). فتوفي فارس وبقي أحمد بن المعلا سنة ٢٨٦هـ ثم أقام عمر بن أحمد خليفة لأبي زرعة وحده حتى توفي فاستخلف أبو زرعة أحمد بن علي بن سعيد المروزي(٢).

وكان القضاء يجري في أماكن عديدة ولم يكن منحصراً في مكان واحد، فمنذ العصر الأموي كان القاضي يباشر أعماله داخل المسجد الجامع بشكل رئيس، وذلك بحكم الوجود المتواصل للقاضي في المسجد للتعليم والصلاة(٣). ولم يكن هذا الأمر مقتصراً على القاضي وحده بل إن مجلس القضاء كان يعقد في المسجد الجامع وكان يحضره الشهود أيضاً(٤).

ومع أن الإشارات قليلة للأماكن التي كان يعقد بها مجلس القضاء في العصر العباسي، إلا أنه يبدو ومن خلال الإشارات القليلة المتناثرة في المصادر أن مجلس القضاء استمر في الانعقاد في المسجد الجامع حتى فترات متأخرة من العصر العباسي، ففي عصر المتوكل كان القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري قاضياً في جامع دمشق(٥)، وكان أحمد بن محمد بن سهل المنبجي شاهداً بجامع دمشق(٦). وهذا لا يعني أن مجالس القضاء كانت تقتصر على المسجد الجامع فقط، بل كانت تتعدى لخارج المسجد، فقد روي أن يحيى بمن حمزة الحضرمي كان جالساً في مجلس قضاء عند درج المسجد الجامع يكتب محضراً(٧). ولما تسلم القضاء في العصر العباسي كان يجلس للقضاء في الرحبة(٨). وكان سالم بن عبد الله المحاربي الذي ولي القضاء في دمشق من قبل عبد الله بن علي، يجلس للقضاء عند "باب البريد"

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص١٩-٢٠، ج٧ ص٨٧، ج٤٣ ص٢٣٨ و ص٥٦١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣، ص٢٣٨، ص٥٦١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، مخط ج١٨ ص٣٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١١؛ الدوري: المؤسسات ص٥٤.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٦ ص٦١١؛ ابن العديم: بغية، ج١٠ ص٤٤٧٢.

(٥) ابن العديم: بغية، ج٢ ص٧٠٣.

(٦) الخطيب: تاريخ، ج٥ ص٣٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥ ص٣٦١؛ وابن العديم: بغية، ج١٠ ص٤٤٧٢.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٠ ص٣٢-٣٣؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٠ ص٣٥٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٦، ص٦٤.

(الباب الغربي للجامع الأموي) [١]. بينما كان القاضي محمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي، يجلس عند باب الساعات (الباب الجنوبي للجامع الأموي) [٢].

وفي بعض الأحيان كان القاضي يقضي في بيته، بعد أن يحضر له الناس ويعرضون عليه قضاياهم، وقد ظهر ذلك منذ أوائل العصر الأموي، فلما أرسل معاوية بن أبي سفيان حاجبه للقاضي فضالة بن عبيد يأمره بالحضور إلى دار الإمارة لعقد مجلس القضاء رفض، وقال للحاجب: قل لمعاوية: "في بيته يؤتى الحكم يا معاوية"[٣]، وهذه الرواية توحي أن القضاء كان يعقد في بعض الأحيان في دار الإمارة بناءً على طلب الخليفة أو الأمير، وكان وجود القاضي في بيته أمر ضروري للقضاء وخاصة عند عدم وجود قاضٍ مختص بأمور النصارى وفي هذه الحالة كان القاضي يخصص يوماً في منزله يجعله للقضاء بين النصارى، لأنه لا يجوز دخولهم إلى مساجد المسلمين[٤].

وبرز نظام المشاركة في القضاء، أي وجود أكثر من قاضٍ واحد في دمشق في نفس الفترة[٥]. ويبدو أنه كان للتوزيع السكاني أثر في ذلك، فقد كان سويد بن عبد العزيز يشارك يحيى بن حمزة القضاء في دمشق[٦]، ويذكر البسوي: أنه كان يقضي بين النصارى[٧]، وعلى ما يبدو أن سويد كان عارفاً بأمور النصارى وأنظمتهم وأكثر اطلاعاً عليها من يحيى بن حمزة، وفي حال عدم وجود قاضٍ مختص بأمور النصارى كان بعض القضاة يخصص يوماً في منزله يجعله للقضاء بين النصارى لأنه لا يجوز دخولهم إلى مساجد المسلمين، أو قد يجلس لهذه الغاية في مقدم المسجد من بعد العصر[٨].

ويظهر من الجدول أن بعض القضاة قد احتفظوا بمنصب القضاء لفترات طويلة جداً حتى وفاتهم[٩]، وعاصر بعضهم عدة خلفاء وهو يلي القضاء بشكل شبه مستمر، فقد استمر يحيى بن حمزة الحضرمي على قضاء دمشق بشكل شبه مستمر منذ ولاّه المنصور سنة

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٠ ص٧٧؛ ابن طولون: الثغر، ص١١.

(٢) المصدر نفسه: تاريخ، ج٢٢ ص١٠٨؛ المصدر نفسه: الثغر، ص١١-١٢.

(٣) ابن منظور: مختصر، ج٢٩، ص٢١٤-٢١٥.

(٤) الكندي: الولاة، ص٣٥١، ٣٦٠؛ ابن طولون: الثغر، ص١٢؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص٩٤.

(٥) ابن منظور: مختصر، ج١٠ ص٢١٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٢٢٠-٢٢١؛ ابن طولون: الثغر، ص١٢.

(٦) المصدر نفسه، ج١٠ ص٢١٥؛ المصدر نفسه ص٢٢٠-٢٢؛ المصدر نفسه، ص١٢.

(٧) البسوي: المعرفة، ج٢ ص٤٥١.

(٨) الكندي: الولاة، ص٣٥١؛ ابن طولون: الثغر، ص١٢؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج١ ص٩٤.

(٩) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٢٠٤؛ البسوي: المعرفة، ج٢ ص٤٦٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤ ص١٣٢؛ الذهبي: سير، ج٨ ص٣٥٥.

١٥٣هـ/٧٧٠م[١]، وحتى وفاته سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م[٢]، وقد عاصر المنصور، والمهدي والهادي والرشيد. وكذلك القاضي عبد الأعلى بن مسهر الغساني، الذي ولي القضاء كرهاً عنه خلال ثورة أبي العميطر في خلافة الأمين سنة ١٩٥هـ/٨١٠هـ[٣]. ولكنه تنحى عن القضاء بعد خلع أبي العميطر[٤]. ثم ولي القضاء للمأمون كرهاً وأمتحنه المأمون بخلق القرآن فأقر بذلك نجاة من الموت ولكنه عاود فأخذه المأمون لبغداد فبقي هناك حتى توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م[٥]، ومحمد بن يحيى البتلهي الذي ولي قضاء دمشق من قبل يحيى بن أكثم خلال قدومه مع المأمون دمشق[٦]، ولكنه عزل بعد أن تولى ابن أبي داؤد منصب قاضي القضاة بدلاً عن ابن أكثم في خلافة المعتصم[٧]، وكذلك الحال بالنسبة لمحمد بن إسماعيل بن علية الذي كان نائباً عن قاضي القضاة جعفر ابن عبد الواحد واستمر في القضاء حتى ٢٦٤هـ/٨٧٧م حيث توفي[٨]، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلّ على تلك السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها هؤلاء القضاة لدى الخلفاء، علاوة على رضى أهل دمشق عنهم.

وكان يفترض في القضاة أن يمتلكوا شخصية قوية وسرعة في التصرف ولا يخشون في أحكامهم أحداً، بل كانت أحكامهم أساسها العدل والإنصاف للطرفين، حتى لو كان أحد الأطراف في القضايا الوالي نفسه، فقد ذكر الذهبي أن ابنة لـ محمد بن بيهس زعيم القيسية في دمشق وواليها للمأمون- تزوجت من كفوء لها على كره من أبيها بعلم القاضي، ثم أثبتت البنت بأنه كفوء، وكان ذلك سبب في قيام فتنة بين اليمانية والقيسية حيث جمع ابن بيهس القيسية لهدم بيت لهيا قرية القاضي، وجمع القاضي اليمانية وامتنع بهم وبقيت الحرب بينهم حتى قدوم عبد الله بن طاهر دمشق[٩].

لقد تأثر وضع القضاة في دمشق تأثراً كبيراً بما كان يطرأ على مؤسسة القضاء في العصر العباسي- ممثلة برأس هرمها قاضي القضاة- من تغيرات من حيث العزل أو التعيين، فغالباً وعند تعيين قاضٍ جديد للقضاة، كان صاحب المنصب الجديد يقوم بعزل القضاة الذين كان عينهم من سبقه في المنصب، وهذا ينطبق على دمشق شأنها شأن غيرها من ولايات الدولة

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤ ص١٣١.
(٢) البسوي: المعرفة، ج٢ ص٤٦٠؛ ابن عساكر، ج٦٤ ص١٣١؛ الذهبي: سير، ج٨ ص٣٥٥.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣، ص٢٣٨، ص٥٦١.
(٤) الذهبي: سير، ج١، ص٢٣٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٥-١٦.
(٥) المصدر نفسه، ج١٠ ص٢٣٢؛ المصدر نفسه: ص١٥-١٦.
(٦) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٣٤٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٨.
(٧) الذهبي: سير، ج١، ص٢٣٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٥-١٦.
(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤ ص٨٥؛ الذهبي: سير، ج١٢ ص٢٩٥؛ المزي: تهذيب، ج١٦ ص١٠٩.
(٩) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٣٤٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٨.

العباسية الأخرى. فلما قَدِم يحيى بن أكثم قاضي القضاة مع المأمون في زيارته لدمشق استعمل على قضاء دمشق محمد بن يحيى البتلهي، فلما ولي ابن أبي دؤاود القضاء في خلافة المعتصم عزله وولى مكانة صاحب مظالم يعرف بابي مسلم النطعي[١]، وفي خلافة المتوكل، ولَّى أحمد بن أبي داؤود القضاء بدمشق سنة ٢٣٣هـ لـ إسماعيل بن عبد الله بن خالد بن يزيد المعروف بالسكري، فأقام قاضياً حتى ولي القضاء يحيى بن أكثم فعزله وولى مكانه محمد بن هاشم بن ميسرة[٢]. ولما عزل يحيى بن أكثم عن القضاء في خلافة المتوكل تولى مكانه جعفر بن عبد الواحد، فقام بتولية محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم السدي المعروف أبوه بـابن عليه- القضاء بدمشق[٣].

تعرض القضاة في عهد المأمون إلى الامتحان بمسألة خلق القرآن[٤]، وقد امتحن قاضي دمشق عبد الأعلى بن مسهر بذلك فأقرَّ نجاة من الموت، ولكنه عاود فأخذه المأمون إلى بغداد، حيث بقي هناك حتى توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م[٥]. ووصل كتاب المأمون إلى متولي دمشق بامتحان القاضي محمد بن يحيى بن حمزة البتلهي فأجاب وكان بعد يمتحن الشهود[٦]. وربما تنبه المأمون للتأثير الذي قد يحدثه القاضي في نفوس الناس في حال موافقته على ذلك المنهج واتباعه أو في حال عدم الموافقة عليه ورفضه، وفي عهد المعتصم بقي منصب القضاء في دمشق شاغراً منذ أن قام قاضي القضاة أحمد بن أبي داؤود بعزل القاضي محمد بن يحيى بن حمزة عن القضاء، وعين صاحب مظالم وهو أبو مسلم النطعي[٧]، واستمر القضاء في دمشق دون وجود قاضٍ طوال عهد الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م، وأوائل عهد المتوكل[٨]. وفي سنة ٢٣٣هـ قام قاضي القضاة أحمد بن أبي داؤود بتولية إسماعيل بن عبد الله بن خالد بن يزيد "السكري"، الذي استمر بالقضاء حتى ولي يحيى بن أكثم منصب قاضي القضاة حيث قام بعزله عن قضاء دمشق ٢٤٠هـ وتولية محمد بن هاشم بن ميسرة[٩].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤ ص١١٧ وج٦٧ ص٢٢٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث، ٢٣١-٢٤٠هـ ص٣٤٩؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٦٥٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص١٢٨، المزي: تهذيب، ج٢ ص١٨٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٩.

(٣) الذهبي: سير، ج٩ ص١١٢؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٠.

(٤) الذهبي: سير، ج١ ص٢٣٢؛ تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص٣٤٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٥-١٦.

(٥) المصدر نفسه: ج١ ص٢٣٢؛ ابن طولون: الثغر، ص١٥-١٦.

(٦) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ ص٣٤٩؛ ابن طولون: الثغر، ١٨-١٩.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤ ص١١٧-١١٨؛ ج٦٧ ص٢٢٤؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٦٥٩.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص٤١٨، المزي: تهذيب، ج٢ ص١٨٢؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٦٥٩.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص٤١٨؛ المزي: تهذيب، ج٢ ص١٨٢؛ الذهبي: سير ج١٢ ص١٨٢ و ج١٦ ص١٩٤؛ تاريخ حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ ص١٧٥؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٦٥٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٩.

وكانت سيرة القاضي الحسنة وسلامة أخلاقه ودينه وسلوكه، من الصفات ذات الأهمية لتعيينه وهي لا بد أن تتوافر فيه قبل توليه منصب القضاء أو بعد توليه، وفي حال اختلال أحد تلك الشروط في الشخص المعين للقضاء كان يتم عزله، وهذه دلالة على المكانة التي تمتع بها منصب القاضي في الفترات المتلاحقة، فقد عزل المأمون قاضي دمشق عبد الله بن محمد- القاضي المعروف بالخلنجي ابن أخت علوية المغني، بسبب بيت من الشعر كان قد قاله وهو شاب قبل أن يلي القضاء وهو:

بَرِئْتُ مِنَ الإسْلامِ إنْ كَانَ الّذِي تَقَولَهُ الوَاشُوْنَ عَنِّي كَمَا قَالوا[١].

وكانت حجَّة المأمون عليه في عزله، أنه لا يتولى له القضاء رجل بدء قوله بالبراءة من الإسلام، واعتبر المأمون مثل هذا التصرف إساءة للدين، ولا يليق أن يصدر عن قاضٍ[٢]. لذا أوعز المأمون إلى أخيه المعتصم وكان يلي الشام في ذلك الوقت أن يتخذ الإجراءات اللازمة لعزل ذلك القاضي[٣].

ومن الجدير قوله: أن القضاء كان إحدى وظائف الدولة الرسمية، لذا فمن كان يتولى هذا المنصب لا بد له من أجر على ما يقوم به من عمل، وقد تم إقرار هذا الأمر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك حتى يتسنى للقاضي التفرغ لعمله في القضاء[٤]. ومع ذلك فقد وجد بعض القضاة في فترة مبكرة لا يتقاضون أجراً على القضاء وإنما يعتبرونه علماً يحتسبوه عند الله تعالى[٥]، وكان بعض من لديهم دراية في أمور القضاء ولا يعملون لدى الدولة يرفضون أن يدلوا ببعض الاستشارات التي كانت تعرض عليهم وحجتهم في ذلك أنهم لا يتقاضون أجراً عن ذلك، فلما أرسل والي دمشق للمنصور الفضل بن صالح إلى سعيد بن عبد العزيز للنظر في دم قتيل أبى ورفض ذلك، وكانت حجته أن الدولة لا تعطيه الأجر على ذلك، وأن هناك قاضياً رسمياً للدولة يأخذ منها الأجر وهو سلمة بن عمرو، والأصل أن يقوم بالقضاء باعتباره موظفاً رسمياً لدى الدولة، لذلك رد سعيد بن عبد العزيز على طلب الوالي بقوله: سلمة بن عمرو يأخذ الرزق وأنا أنظر في الدماء، فقال الفضل: صدق[٦].

أما عن مقدار ما كان يتقاضاه قاضي دمشق من أجر على القضاء فإن المصادر لم تشر لذلك سوى إشارة وردت خلال فترة المأمون، فقد ورد في كتاب توليه بعض القضاة من قبل

---

(١) انظر الأصفهاني: الأغاني، ج١١ ص٢٢٩؛ الأزدي: تاريخ ص٤٠٩-٤١.

(٢) المصدر نفسه ج١١ ص٢٢٩؛ المصدر نفسه ص٤١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١١ ص٢٢٩؛ المصدر نفسه ص٤١٠.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص١١٧.

(٥) انظر وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ج١١ ص٥١٠؛ ابن طولون: الثغر، ص٦-٧.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢ ص١٠٥، ص١٠٨.

المأمون لمناطق مختلفة أن مقدار ما كان يتقاضاه قاضي دمشق بلغ ألف درهم في الشهر، وهو نفس المقدار الذي كان يتقاضاه قاضي الأبلة[١]، ويبدو أن راتب قاضي دمشق كان قليلاً ولا ينم عن مكانة هذه المدينة وأهميتها بل أصبح مساوياً لرواتب القضاة في بعض المدن التي لم تبلغ من الأهمية ما كانت دمشق تمثله من تراث علاوة على أنها مركزاً ومقراً لولاة الشام.

وإذا نظرنا إلى ما كان يتقاضاه قاضي مصر في نفس الفترة نجد أنه كان يبلغ ضعف راتب قاضي دمشق، فقد كان صاحب القضاء في مصر وهو الفضل بن غانم الخزاعي يتقاضى راتباً شهرياً بلغ ١٦٨ ديناراً[٢]، وإذا علمنا أن مقدار صرف الدينار في تلك الفترة هو اثنا عشر درهماً فهذا يعني أنه كان يتقاضى ما يزيد على الألفي درهم، وهو ضعف راتب قاضي دمشق، بل أن راتب قاضي مصر عيسى بن المنكدر بلغ أربعة أضعاف الراتب الذي يتقاضاه صاحب القضاء في دمشق[٣]، وعلاوة على ما يتقاضاه القاضي من أجر، فقد كان يصرف له بعض الأشياء اللازمة من قراطيس وحبر وغيرها وفي حال عدم وجودها كانت تؤخذ أثمانها من المتخاصمين[٤].

ولم يكن القضاة يمتلكون حصانة تجعلهم يحتفظون بمنصبهم، فكان يمكن عزلهم سواء أكان ذلك من قبل الخليفة أم من قبل الأمير متى يشاء ذلك[٥]، فعبد الله بن علي عيّن وبدل على قضاء الشام ثلاثة قضاة خلال فترة ولايته عليها ١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م[٦]، وخلال ولاية محمد بن الأشعث على دمشق للمنصور قام بتعيين المساور الخراساني على قضائها[٧]، ثم ما لبث أن عزله وعين عليها ثمامة بن يزيد[٨].

ويظهر أن الخلفاء كانوا يتابعون أحوال قضاتهم وسيرتهم حتى يتأكدوا من صلاحهم واستمرارهم على الصلاح، وخاصة فيما يتعلق بأمور الرشوة التي كانت تؤثر بلا شك على الأحكام وتوجهها إلى غير طريق العدالة، ودليل ذلك أن المأمون ومن خلال متابعاته لأحوال قضاته وما يصله عنهم من أصحاب الأخبار، فقد وصله أن قاضي دمشق وبعد أربعة عشر شهراً من توليه القضاء، كانت له أملاك تفوق ما يمكن أن يوفره من راتبه بعد خصم ما يحتاجه

---

(١) البيهقي: المحاسن، ١٦٣-١٥١.

(٢) الكندي: الولاة، ص٤٢١.

(٣) وكيع: أخبار ج٣ ص٢٤٠؛ الكندي: الولاة، ص٣٥؛ الرفاعي: عصر المأمون، ج١ ص٣٦٠.

(٤) انظر الماوردي: أدب القاضي، ج٣ ص٢٩٨.

(٥) انظر: الماوردي؛ الأحكام، ص٧٨.

(٦) ابن طولون: الثغر، ص١١.

(٧) وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧ ص٣٧٩.

(٨) المصدر نفسه، ج٢٢ ص١٠٨.

من مصروف، فقد وجد له مقتنيات بقيمة أربعة آلاف دينار[١]، بينما راتبه الشهري ألف درهم[٢]، وهذا ما جعل المأمون يشك في نزاهته وأمانته ويعزله. وإذا كان الأمويون حرصوا على أن يبقى قضاتهم المعينون من العرب، فإن العباسيين وإن ساروا على هذا المبدأ لكنهم لم يطبقوه تماماً في الشام عامة ودمشق خاصة، فقد تولى القضاء في دمشق أناس من الموالي[٣]، ومع أن هذه النسبة قليلة إذا ما قورنت بالقضاة العرب إلا أنها وجدت.

والأمر الواضح من خلال دراسة سير القضاة الذين تم تعيينهم على دمشق في العصر العباسي أنه لم يكن لدى الخلفاء العباسيين قاعدة عامة يسيرون عليها عند اختيارهم للقضاة، ويظهر من أسماء القضاة على دمشق في العصر العباسي أنهم مختلفون في أصولهم التي ترجع إلى مدن وقبائل مختلفة، ففي عهد المنصور استقضى له واليه على الشام محمد بن الأشعث، قاضياً خراسانياً وهو المساور الخراساني ت ١٥٣هـ/٧٧٠م[٤]، كما أن سويد بن عبد العزيز شريك يحيى بن حمزة في القضاء بدمشق كان أحد الموالي[٥].

أما من خلال الانتماءات القبلية للقضاة فيبدو أن العباسيين حاولوا في مؤسسة القضاء بدمشق إقامة نوع من التوازن القبلي بين القيسية واليمانية قدر الإمكان، ولكن يظهر من خلال الجدول أن العنصر اليماني كان له حظاً أوفر من التعيين في منصب القاضي. ويمكن أن يعلل ذلك إلى الأمانة والنزاهة اللتين اشتهر بهما القضاة اليمنية، وهو ما دعا العباسيين إلى الثقة بهم والاعتماد عليهم، فقد ذكر ابن عساكر رواية تؤكد استعانة العباسيين بالقضاة اليمنيين في مختلف الأماكن وخاصة من الحضارمة فقد ذكر انه ولي قضاء مصر تسعة رجال من حضرموت كان آخرهم لهيعة بن عيسى[٦]، وعلاوة على ذلك فلم ينس العباسيون إنحياز أفراد البيت اليمني إلى جانبهم خلال حصار دمشق وهو ما ساعدهم على سرعة السيطرة على دمشق وإنهاء الدولة الأموية، لذا قلدوهم مناصب القضاء والولاية مكافأة لهم على ما بذلوه في خدمة العباسيين.

وكان لمهام القاضي العديدة، وتنوع الاختصاصات التي يضطلع بها، أثر كبير في احتياج القاضي لجهاز إداري متكامل يساعده بمهماته على أكمل وجه. ولكن المصادر المتوفرة لدينا لا تعطي معلومات وافية عن الجهاز الإداري الذي كان يساعد القاضي في إنجاز مهامه في بلاد الشام خلال فترة البحث وبالتالي تبقى الصورة غير واضحة. ولكن يمكن أن نقيس أن ما

---

(١) البيهقي: المحاسن، ص١٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥١.

(٣) انظر الذهبي: تاريخ، ج١٣ ص٢٢٠-٢٢١؛ ابن طولون: الثغر.

(٤) وكيع: أخبار، ج٣ ص٢٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧ ص٣٧٩.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ، ج١٣ ص٢٢٠-٢٢١؛ ابن طولون: الثغر، ص١٢.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص٣٠؛ الكندي: الولاة، ص٤٢٥-٤٢٦.

كان مطبقاً في حاضرة الخلافة العباسية بغداد فيما يتعلق بالجهاز المساعد للقضاء، كان له شبيه في الولايات الأخرى، وخاصة أن بعض القضاة الذين تولوا القضاء في دمشق كـانوا يتولـون القضاء قبل ذلك في بغداد أو غيرها من مناطق العراق، فقد استقضى الرشيد على دمشق عمرو بن أبي بكر بن محمد العدوي الموصلي(١)، واستقضى أخوه عمر بن أبي بكر بن محمد العدوي الموصلي على الأردن(٢)، واستقضى الأمين على دمشق عبد الله الخلنجي(٣)، وخـلال خلافـة المتوكل استقضى قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد على دمشق محمد بن إسماعيل بن إبراهيم السدي البصري المعروف بابن عليه(٤).

ويمكن القول: إن الجهاز القضائي كان يتكون من مجموعة من الموظفين علاوة علـى القاضي، أهمهم الكاتب وصاحب المجلس والحاجب والخازن والأعوان والوكيل علـى أبـواب القضاء علاوة على الشهود والعدول.

أما كاتب القاضي فكانت أبرز مهامه، جمع الرِّقاع التي يقوم بها المتخاصمون وتقديمها للقاضي(٥). علاوة على تسجيل أقوال الشهود، وتثبيت ما يصدره القاضي من أحكام(٦)، كما يقوم بترتيب الرقاع في ملفات ويكتب عليها الفترة التي تمت فيها القضية واسم المتخاصمين(٧)، ولا بد للكاتب أن يتصف بصفات، أهمها العلم بالحلال، والعدل والعقل والرأي والدراسة بأحكام الشرع، ومعرفة بأصول الكتابة(٨)، ويذكر أن بعض الفقهاء من الكتاب قد تسلم منصـب القضـاء فـي دمشق، فقد روى محمد بن حرب الخولاني أبو عبد الله الحمصي الأبرش كان كاتبـاً للقاضـي محمد بن الوليد الزبيدي قبل أن يعين على قضاء دمشق(٩).

أما الموظف الآخر الذي كان يساعد القاضي فهو "صاحب المجلس"، الذي كان يقوم على رأس القاضي، والهدف من تواجده منع الناس من التجمع أمام القاضي في غير أوقاتهم، عـلاوة

---

(١) ابن منظور: مختصر، ج١٨ ص٢٥٤؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٠١-٢١٠هـ ص٢٨٤؛ ابن طولون: الثغر، ص١٤

(٢) المصدر نفسه ج١٨ ص٢٥٣؛ المصدر نفسه حوادث ٢٠١-٢١٠هـ ص٢٨٤؛ المصدر نفسه ص١٤.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١١ ص٢٢٩؛ الأزدي: تاريخ، ص٤٠٩؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج١ ص١٧٢.

(٤) الذهبي: سير، ج٩ ص١١٢؛ ابن طولون: الثغر، ص٢٠.

(٥) متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص٤١٢، ٤١٣.

(٦) الماوردي: أدب القاضي، ج٢ ص٦٤؛ عصام شبارو: قاضي القضاة ص١٨؛ محمود عرنـوس: تـاريخ القضـاء، ص١٣٩.

(٧) محمود عرنوس: تاريخ القضاء، ص١٣٩.

(٨) الماوردي: أدب القاضي، ج٢ ص٥٨-٦٢؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص٤١٤؛ محمود عرنوس: تاريخ القضاء ص١٣٨-١٣٩؛ عصام شبارو: قاضي القضاة، ص١٨.

(٩) الذهبي: سير، ج٩ ص٥٨؛ ابن طولون: الثغر، ص١٧.

على منعه لأي كان من إساءة الأدب في حضرة القاضي[١]، وهو بذلك يقوم بدور أقـرب إلـى الدور الذي يقوم به الشرطي.

وكان الحاجب يقف على باب القاضي، لمنع الناس من التدافع في الدخول إلى القاضي، كما يقوم بترتيب دخول الناس على القاضي[٢]، وأما الدعاوي والأحكام الصادرة عن القاضـي فكان لا بد لها من وجود خازن يحفظها بعد أن يودعها إليه الكاتب[٣]، وكان القاضي يحتاج إلى الشهود الذين كان لا بد من سلامة سيرتهم وعدلهم علاوة على معرفتهم بالأحكام، بل أن شـهود الزور كان يتم عقابهم وعقاب من شهدوا له[٤]، وكان دورهم يتمثل في متابعة أمـور القضـاء جميعاً من حيث مطابقتها لأحكام الشريعة، والشهادة أمام القاضي بما يتم من الأمور[٥].

أما عن تولية القضاة فكانت أحياناً تتم بعهد يتضمن اسم المولّى والمولِّي والمكان الـذي ولي عليه، ومقدار ما سيأخذه من رزق على عمله[٦]. كما يتضمن في بعض الأحيـان نصـحاً للقاضي وحثاً له على الاستقامة والنصح[٧]. وكانت عهود القضاة تتم في المسجد على مسـامع الناس[٨]. وأحياناً كانت تتم تولية القاضي مشافهة حيث يكلف الخليفة أحد الأشخاص بالقضـاء، وهذا ما فعله المنصور خلال زيارته لدمشق عندما كلف يحيى بن حمزة بالقضـاء[٩]، وربمـا تكون التولية في أحيان أخرى عن طريق إرسال الخليفة برسالة إلى الشخص المكلف يعهد لـه بالقضاء، ومثال ذلك إرسال المهدي ليحيى بن حمزة بعهده إليه بالقضاء على دمشق[١٠].

٤ – المظالم:

تعتبر ولاية المظالم من الوظائف المقترنة بالقضـاء، والتـي تهـدف إلـى الوصـول بالمتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[١١].

أما طبيعة القضايا التي ينظر بها صاحب المظالم، فهي تلك القضايا التي يعجز القاضي عن تنفيذ حكمه بها، ربما لوجود أحد المتنفذين أو أحد أفراد أسرة الخليفة طرفاً فيها[١٢]، ومـن

---

(١) وكيع: أخبار، ج٢ ص٢١٥، ٢٨٣؛ محمود عرنوس: تاريخ القضاء، ص١٢٨.

(٢) انظر الماوردي: أدب القاضي، ج١ ص٧٣، ٢٠١، ج٢ ص٣٢٢.

(٣) منير العجلاني: عبقرية الإسلام، ص٣٣٠.

(٤) قدامة: الخراج، ص٤١.

(٥) الكندي: الولاة، ص١٣٨.

(٦) البسوي: المحاسن، ص١٥١؛ قدامة: الخراج، ص٣٩.

(٧) وكيع: اخبار، ج٣ ص١٧٥.

(٨) الخطيب: تاريخ، ج٧ ص٥٢.

(٩) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٢٠٤؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢ ص١٠٨، ج٦٤ ص١٣١.

(١٠) المصدر نفسه: ج١ ص٢٠٤؛ المصدر نفسه، ج٢٢ ص١٠٨، ج٦٤ ص١٣١.

(١١) الماوردي: الأحكام، ص٨٦.

(١٢) المصدر نفسه، ص٨٧، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج١ ص٤٩٠؛ ج٢ ص٢٩٧.

هنا فإن صاحب المظالم على تلك المهمات التي يقوم بها لا بد أن يكون ذا شخصية قوية مهابة تحظى بالاحترام والتقدير، حيث كانت ولاية المظالم أعلى مرتبة من القضاء والحسبة[١]، ويكون لصاحب المظالم مساعدين له على إدارة الأمور أهمهم الحماة والأعوان الذين يقومون بردع من يحاول التملص من الحكم أو استخدام العنف للمقاومة[٢]، وكذلك لا بد من وجود قضاة وحكام حتى يستشيرهم بأسلم الطرق لرد الحقوق إلى أصحابها[٣]، علاوة على وجود الفقهاء والكتاب والشهود الذين يقومون بنفس الدور الذين يقومون به عند القاضي.

ومن الجدير قوله أن وظيفة صاحب المظالم لم يرد ذكرها في دمشق خلال فترة البحث سوى في إشارات قليلة في عهد الخليفة المعتصم، حيث ذكر ابن عساكر: أن أحمد بن أبي داؤود قاضي القضاة للمعتصم قام بعزل قاضي دمشق محمد بن يحيى بن حمزة عن القضاء وعين بدلاً عنه صاحب مظالم يعرف بأبي مسلم النطعي[٤]. ثم عزله وولى مكانه في هذا المنصب يحيى بن الحسن الطبراني، وذلك بعد ان عاد ابن أبي داؤود لمنصب قاضي القضاة بعد عزل يحيى بن أكثم[٥].

ويبدو أنه خلال وجود ولاية المظالم فإن منصب القاضي يكون غير ذي اهمية، وربما كان صاحب المظالم ينظر فيما ينظر فيه القاضي، ويؤكد ذلك أنه خلال الفترة التي ورد فيها وجود صاحب المظالم في دمشق زمن المعتصم وهو أبو مسلم النطعي لم يكن هناك من يلي القضاء وذلك طوال عهد الواثق وأوائل عهد المتوكل[٦].

٥- الحسبة:

ذكر ابن منظور أن من معاني الحسبة حسن التدبير كقول الناس أحسن فلان الحسبة والتصرف[٧]، ووردت أيضاً بمعنى ومثال ذلك القول: احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وحسبته[٨] وذكر الزبيدي أن الحسبة: اسم من الاحتساب، وهو أن يبتغي الإنسان على عمله الأجر والثواب[٩].

---

(١) المقريزي: المواعظ، ج٢ ص٢٠٧؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢ ص٢٩٧.

(٢) انظر الماوردي: الأحكام، ص٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٧ ص٢٢٤؛ ج٦٤ ص١١٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٦٧ ص٢٢٤؛ ج٦٤ ص١١٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٨ ص٤١٨؛ الذهبي: سير ج١٢ ص١٢٨؛ تاريخ حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ ص١٧٥-١٧٦؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١١٥٩؛ ابن طولون: الثغر، ص١٩.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة حسب، مجلد ١ ص٦٣٠.

(٨) المصدر نفسه، مادة حسب.؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢٥ ص١٤٥.
Encyclopidia of Islam. Art Aisla. T. 2. P. 337.

(٩) الزبيدي: تاج العروس، مادة حسب، ج٢ ص٢٦٨.

أما في الاصطلاح فهي وظيفة دينية تعالج قضايا اجتماعية هامة وتعني الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[١]، وقد شرعها الله في عدة آيات منها قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"[٢]. ويبدو أن عبارة "المحتسب" ظهرت لأول مرة في العراق في العصر الأموي خلال ولاية ابن هبيرة على واسط ١٠٣-١٠٦هـ/٧٢١-٧٢٤م[٣].

وشهد العصر العباسي تطوراً شمل مختلف مؤسسات الدولة، ومن ضمنها الحسبة التي اكتسبت أهمية خاصة في هذا العصر ويظهر ذلك من خلال انتقاء الأشخاص الذين يتميزون بالعلم والدين[٤]، وغالباً ما كان يتم اختيار المحتسبين من القضاة[٥]، وكان المحتسب يتولى المحافظة على القانون وخاصة في الجانب الديني والأخلاقي، وباستطاعته الفصل في القضايا التي يكون الحق فيها واضحاً لا لبس فيه[٦]، والإشارات للحسبة في دمشق خلال العصر العباسي قليلة وهذا لا يعني بالضرورة عدم وجود شخص يلي الحسبة، ولكن قلة الإشارات للحسبة في دمشق يحرمنا من تكوين صورة واضحة حول الحسبة ودورها في حياة دمشق الاجتماعية والإدارية، والرواية الوحيدة التي ذكرها ابن عساكر حول الحسبة في دمشق خلال فترة البحث تشير إلى أن إبراهيم بن عبد الله بن حصن أبو إسحاق الغافقي الأندلسي ت ٢٠٤هـ/٨١٩م كان يتولى الحسبة بدمشق[٧]، ومن خلال سيرته نجد أنه كان من رجال الحديث، وقد تنقل بين مجموعة من الأقطار لغايات الحديث[٨]، وكان تولي الحسبة في دمشق سنة ١٩٥هـ/٨١٠م[٩]، ويظهر أنه كان صارماً في تنفيذ الإجراءات والقوانين بحق المخالفين لها، فلما بلغه أن أحد بائعي القطائف في دمشق، كان يخدع الناس ويغش في صناعتها، أمر بإحضاره وقسا عليه في العقوبة وأخذ يصفعه حتى قيل أنه توفي بعد أيام من ألم الصفع[١٠]، وذكر ابن عساكر: أن الربيع بن عبد السلام أبو الجهم الأزدي كان على حسبة دمشق وكانت له بها دار بنواحي باب كيسان[١١]، ولم يحدد ابن عساكر الفترة التي تولي بها الربيع الحسبة بدمشق.

---

(١) الماوردي: الأحكام، ص٢٧٠؛ أبو يعلى: الأحكام، ص٢٦٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٣) انظر صالح العلي: التنظيمات الإدارية، ص١٤٣.

(٤) انظر الطبري: تاريخ، ج٧ ص٦٥٣؛ الخطيب: تاريخ، ج١ ص٧٩-٨٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص٢٢٤.

(٦) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، الكتاب الثالث، ص٦٩.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، مخط، ج٢ ص٢٢٧.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، مخط، ج٢ ص٢٢٧.

(٩) المصدر نفسه: ج٢ ص٢٢٧

(١٠) المصدر نفسه: ج٢ ص٢٢٧.

(١١) المصدر نفسه: تاريخ، ج١٨ ص٧٥.

٦- ولاية الشرطة:

الشُرَطْ جمع شُرطي، وهم مجموعة من الأفراد يرأسهم قائد يعرف بصاحب الشــرطة، ويقوم هؤلاء الأفراد بمساعدة الخليفة أو الأمير في إدارة وحماية المدينة التي يتواجدون فيها[١].

وقد جاءت تسميتهم من اتخاذهم لعلامات خاصة بهم[٢]. علاوة على أنهم كانوا يتخــذون زياً مختلفاً عن باقي أفراد المجتمع[٣]، وقد جاءت الإشارات إلى ولاة الشرطة بدمشق خلال فترة البحث- قليلة ومتناثرة في المصادر، وهو ما يقف عائقاً أما رسم الصورة المتكاملة عن أحــوال الشرطة في دمشق خلال تلك الفترة.

ويمكن القول: أن الشرطة كانت من المؤسسات الإدارة الهامة في الولاية، وكان لها دور أساسي في حفظ الأمن والنظام والمحافظة على حقوق الناس في المدينة، فقد كان حيــاش بــن حبيب على شرطة عبد الله بن علي خلال ولايته على الشام ١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م[٤]، أما خلال إعلانه للثورة على المنصور فكان على شرطته منصور بن جعونة بن الحارث أحد بنــي عامر بن ربيعة[٥]، وخلال ولاية موسى بن عيسى على دمشق سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م كان علــى شرطته إبراهيم بن حميد المروذي حيث جمع له الحسبة إلى جانب الشرطة وكان ذلك خلال فتنة أبي الهيذام[٦]، كما تولى سعيد بن عمرو بن الزبير بن عمر بن الزبير بن العوام شرطة دمشــق للعباس بن محمد بن إبراهيم، ويظهر أنه كان يتمتع بسمعة طيبة وقدرة كبيرة على إدارة أمــور الشرطة جعلت وهب بن وهب يدعوه ليتولى شرطة المدينة ولكنه استعفى من ذلك فعفي[٧]، ولما قدم جعفر بن يحيى إلى دمشق للإصلاح بين النزارية والقيسية سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م، كان علــى شرطته العباس بن محمد بن المسيب بن زهير الضبي[٨]، وكان داوود بن عيسى على شــرطة دمشق للوالي منصور بن المهدي سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م، وكان سبباً في قيام فتنة القلــة، حيــث سرق الوعاء الذي كان يعلق في صحن الجامع[٩].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٨؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج١ ص٤٦٠.
(٢) ابن منظور: لسان، مادة شرط، ج٧ ص٣٢٩.
(٣) القلقشندي: صبح، ج١٠، ص٢٠٢؛ أحمد عبد السلام: الشرطة، ص٩٩.
(٤) الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٨١.
(٥) البلاذري: أنساب، ج٣ ص١٠٦.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٦١، ص١٩٠.
(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص٢٥٣.
(٨) المصدر نفسه: ج٢٦، ص٤٠٢.
(٩) الذهبي: سير، ج١١، ص٤٤٨-٤٤٩.

ويظهر أن المأمون حاول إصلاح جهاز الشرطة في دمشق فأحضر معه خلال زيارته لدمشق أحمد بن أبي سلمة كاتب القاسم بن عياش صاحب شرطة المأمون[(١)]، ويبدو أن حضوره جاء لترتيب أحوال الشرطة في دمشق أو ربما عينه على شرطة دمشق، ويبدو أن ولاية الشرطة شهدت نوعاً من الاستقرار منذ نهاية عهد المعتصم، حيث ذكر ابن عساكر أن عيسى بن سابق، الذي كان من وجوه أهل دمشق وكبرائها، قد تولى الشرطة خلال عهدي المعتصم والواثق[(٢)].

٧- صاحب الخراج:

يعتبر ديوان الخراج من أهم الدواوين في الدولة العباسية لأنه يشرف على الشؤون المالية، ويتولى تسجيل ما يرد عليها وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة[(٣)]، وكانت وظيفة صاحب الخراج من أهم الوظائف التابعة لديوان الخراج، وكان صاحب الخراج في الولاية مساعداً للوالي أو الأمير في ولايته، ولم يكن يقل عنه أهمية، ويظهر ذلك من خلال المراسلات الخاصة التي كان يخاطب بها صاحب الخراج بمثل ما يخاطب به الوالي[(٤)]، وكانت مهمة صاحب الخراج في الولاية جمع الضرائب وأموال الخراج والإنفاق منها على شؤون الولاية وإرسال الباقي إلى بيت المال في عاصمة الدولة في العراق[(٥)].

ومن الجدير قوله: أن المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) قام بإحداث ديوان لخراج الشام وجند الشام[(٦)]، وفي عهده كان محرز بن زريق بن حيان الفزاري والياً على خراج دمشق وتعديلها وكان إلى جانبه هضَّاب بن طوق[(٧)]. وفي أول أيام الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) استعمل إسحاق بن ثعلبة "أبو صفوان الحميري" على خراج دمشق[(٨)]. ثم استعمل الرشيد الحسين بن عمران بن المنهال بن قتان على خراج دمشق، ولكنه عاد وسخط عليه وحبسه عند رشد واستصفى ماله[(٩)]، ولمَّا وليَّ الرشيد إبراهيم بن المهدي على دمشق جمع له ولاية الخراج والصلاة والمعاون واستمر كذلك أربع سنين (١٨٦-١٩٠هـ/٨٠٢-٨٠٥م)[(١٠)].

---

(١) ابن العديم: بغية، ج٣، ص١٢٧٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨، ص١٢٣؛ ج٤ ص٢٥٦.

(٣) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة، ج٢ ص٩٠٧؛ صبحي الصالح: النظم، ص٣١٣-٣١٤.

(٤) انظر اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٠٩؛ الذهبي: سير، ج١١ ص٤٩٩؛ فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، الكتاب الثالث، ص٧٠.

(٥) حسن إبراهيم: تاريخ، ج٣ ص٢٦٨.

(٦) خليفة: تاريخ، ج٢ ص٦٨٤.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧ ص٨٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٨ ص١٩٤؛ ج٣٣ ص٤.

(٩) المصدر نفسه: ج٢٣ ص٨٩.

(١٠) المصدر نفسه: ج٧ ص١٦٣.

وفي عهد الأمين ١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م، كان على خراج دمشق محمد بن مهاجر[١]، وكان محمد بن عائذ أبو عبد الله القرشي متولياً ديوان الخراج بالشام، كما كان يتولى خراج غوطة دمشق في عهد المأمون[٢]، ثم تولى خراج دمشق أيام المأمون أيضاً رجاء بن أبي الضحاك، واستمر كذلك حاله في أيام المعتصم[٣]. وفي أوائل عصر الواثق كان رجاء بن أبي الضحاك يتولى الخراج في جندي دمشق والأردن[٤]. وتولى منصب الخراج في دمشق أناس ممن عرف عنهم العلم والمعرفة بعلوم مختلفة، فقد ولي خراج دمشق وللمرة الثانية محمد بن عائذ الدمشقي أبو عبد الله في عهد الخليفة الواثق[٥]. وكان وليها في عهد الخليفة المأمون للمرة الأولى[٦]، وفي عهد المتوكل كان أبو القاسم عيسى بن داود بن الجرَّاح يتقلد الخراج بجندي دمشق والأردن[٧]، وفي عهد المتوكل أيضاً تولى أحمد بن محمد بن عبيد الله أبو الحسن ابن المدبر الكاتب خراج جندي دمشق والأردن، وكان يتولى أيضاً مساحة دمشق وغيرها[٨]. وذكر اليعقوبي أنه تولى خراج دمشق والأردن ثم توجه سنة ٢٤١هـ فعدلهما وحمل كل أرض على ما تستحقه[٩].

وولى المعتمد أحمد بن المدبر سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م خراج الشامات بعد أن صرفه عن خراج مصر وولى خراج مصر أحمد بن محمد بن شجاع[١٠]. ويظهر أنه بقي متولياً لخراج دمشق والأردن حتى عهد ابن طولون الذي وثب به سنة ٢٦٧هـ/٨٨١م، وكان يتولى خراج دمشق والأردن، فصادره وحبسه وأخذ منه ستمائة ألف، وبقي في حبسه حتى مات[١١].

٨- البريد:

لقد اقتضت مصلحة الدولة الأموية في عهد معاوية بن أبي سفيان إنشاء ديوان البريد[١٢]. وكان المسؤول عن البريد يسمى "صاحب البريد"، ويقوم بتأمين إرسال الكتب الصادرة عن الخليفة إلى الجهات المعنية، كما يتلقى الكتب والأخبار التي يحملها البريد من

---

(١) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٣٩٧.
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص٢٨٨-٢٨٩؛ الذهبي: سير، ج١١ ص١٠٥-١٠٦.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج١٨ ص١٢٢.
(٤) المصدر نفسه: ج١٨ ص١٢٢؛ ج٥ ص٣٩٠.
(٥) الحنبلي: شذرات، ج٢ ص١٩٤.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٨٨-٢٨٩؛ الذهبي: سير، ج١١ ص١٠٥-١٠٦.
(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥ ص٢٠.
(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٥ ص٣٩٠؛ ج٥٥ ص٢٠؛ الذهبي: سير، ج١٣ ص١٢٥-١٢٦.
(٩) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٢٠٩.
(١٠) المصدر نفسه: ج٢ ص٢٠٩.
(١١) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٦١-٢٧٠هـ، ص٢٥؛ الصفدي: تحفة، قسم١ ص٣٠٠.
(١٢) القلقشندي: صبح، ج١٤ ص٣٦٧.

مختلف المناطق قبل أن يعرضها على الخليفة[١]، وقد اشترط فيمَن يتولى البريد أن يكون من أهل الثقة والخبرة والمعرفة وكتمان السر[٢]. ويظهر أن هذه المواصفات الدقيقة في صاحب البريد كانت تتطلبها علاقات الاتصال المباشر بينه وبين الخليفة، فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان يأمر حاجبه أن يدخل عليه صاحب البريد متى حضر في ليل أو نهار[٣].

وقد توالت اهتمامات العباسين بديوان البريد واعتمدوا عليه في الإشراف على الأقاليم التابعة للدولة، وقد أكد ذلك الخليفة المنصور بقوله: ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم. فقيل له: من هم؟ فقال: هم أركان الملك ولا يصلح إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقص واحدة تداعى ووهن: أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غني، والرابع ثم عضَّ على إصبعه السبَّابة ثلاث مرات، يقول في كل مرة: آه. قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة[٤].

وكان لكل ولاية أو جند صاحب بريد يختص بها[٥]، وعلاوة على ذلك فقد وجد في النواحي التابعة للولاية أصحاب أخبار يختصون بها، وكانوا يكتبون بما يجري من أحداث في نواحيهم إلى صاحب البريد الذي كان يكتب بدوره بذلك إلى الخليفة[٦].

ويمكن القول: أن صاحب البريد كان بمثابة "العين" للخليفة التي يطلع من خلالها على الأمور السياسية والاقتصادية في الولاية التي يختص فيها، وكان الخليفة من خلال صاحب البريد يقف على أعمال الولاة، وما يصدره القضاة من أحكام، وما يرد إلى بيت المال من الأموال، وكل ما يري من أحداث في الولاية[٧].

أما تعيين صاحب البريد فكان يصدر عن الخليفة بموجب عهد كان يحدد فيه المهام التي ينبغي على صاحب البريد القيام بها والتي تتلخص في: معرفته بأحوال عمال الخراج والضياع فيما يجري عليه أمرهم وأن يتقصى في تتبع ذلك أقصى درجات الدقة والصدق. وأن يعرف أحوال العمارة في الولاية المكلف بها وما هي عليه من الكمال أو الاختلال، وما يقوم به العمال مع الرعية من الإنصاف والرفق أو الجور والعسف، وأن يعرف أحوال دار الضرب وما

---

(١) القلقشندي: صبح، ج١٤ ص٣٧١.

(٢) قدامة: الخراج، ص٧٧-٧٨؛ الحياري: الدواوين، ص٤٠-٤١.

(٣) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١١٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤ ص٣٦٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٦٧.

(٥) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، الكتاب الثالث، ص٧٠.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤ ص٣٦٨-٣٦٩.

(٧) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، الكتاب الثالث، ص٧٠؛ الحياري: الدواوين، ص٤١.

يضرب فيها من العين والورق وما يلزمه الموردون من الكلف والمؤن، وأن يكون على اطلاع بأحوال السكك في جميع عمله وأطوالها ومواضعها وان يرتب أشخاصاً لحمل الخرائط في عمله ويكتب بأعدادهم وأرزاقهم وأسمائهم، وأن يفرد لكل فئة من الموظفين كتاباً خاصاً به كأن يفرد لأخبار القضاة أو عمال المعاون أو الأحداث والخراج والضياع والأرزاق كل كتاب على حده(١).

وعلى الرغم من أن الإشارات إلى الذين تولوا البريد في دمشق قليلة في الفترة التي تلت المنصور وحتى أواخر فترة البحث إلا أن هذا لا يعني بالضرورة عدم وجودهم. فإذا كان أصحاب البريد يكتبون للخلفاء بأدق التفاصيل إلى الحد الذي جعل صاحب البريد بدمشق زمن المتوكل يكتب له بخبر الزلزلة سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م(٢)، فقد شهدت الشام عامة ودمشق خاصة سلسلة من الحوادث الهامة والفتن التي أثرت على الدولة وجعلتها توجه أنظارها صوب دمشق لحل تلك الفتن والقضاء عليها، ومن المؤكد أن أخبار تلك الفتن والثورات كانت تصل إلى الخلفاء أولاً بأول ليقفوا على سير الأحداث. بل إن الرشيد بعد ما وصلته أخبار الفتنة بدمشق سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م حاول الخروج بنفسه لحلها(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأشخاص الذين كانوا يكلفون بحمل البريد والأخبار إلى الخلفاء من الولاية، كانوا يتعرضون للعقوبة في حال تأخرهم عن الموعد المقرر وصولهم فيه إذا كان تأخرهم غير ضروري أو اضطراري(٤)، ويظهر أن الأخبار التي كان يبعث بها أصحاب البريد وتصل إلى الخليفة كانت على درجة كبيرة من الأهمية والثقة لدى الخليفة، وكان الخليفة يتخذ من القرارات على أساسها، بل إن صاحب البريد بما يحمله من أخبار كان يساهم في الترتيب الإداري للولاية. فقد كان الخبر الذي بعث به صاحب البريد إلى الرشيد خلال ولاية إبراهيم المهدي على دمشق سبباً في عزل إبراهيم عن ولاية دمشق، حيث ذكر إبراهيم بن المهدي ذلك عندما سئل عن سبب عزله: فقال: "أنه اشتهى الاصطباح ذات يوم فأغلقت الأبواب، ثم حضر الكاتب، فصار إليه بعض الحشم فسأله أن يكتب له إلى صاحب المنزل، فلم يمكن إخراج الدواة، واستعجله ذلك الغلام فأخذ فحمة وكتب في خزفة لحاجته، فأخذ سليم حاجبي تلك الفحمة وكتب على الحائط، كاتب يكتب بفحمة على الخزف وحاجب لا يصل. فوافى صاحب البريد وقرأ ما كتب سُليم، فكتب بذلك إلى الرشيد فلما وقع نظره على الكتاب عزلني"(٥).

---

(١) قدامة: الخراج، ص٧٧-٧٨؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص١٠٠-١٠٢؛ فتحي عثمان: الحدود الإسلامية، الكتاب الثالث، ص٧٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٩ ص٢٠١.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٤٠٢؛ ج٢٣ ص٣٣٤.

(٤) انظر حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٢٧٤.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ، ص٧١.

وقد حرص العباسيون على اختيار الأشخاص الذين ثبتت أمانتهم واستقامتهم ولائهم للدولة[١]، ففي عهد المنصور كان على بريد مصر والشام والجزيرة مولاه طريف[٢]، ثم أشار أبو أيوب وزير المنصور عليه بصرفه فصرفه وقلد البريد مولاه مطر وأمره بمحاسبة طريف[٣].

وعين المتوكل على بريد دمشق عبد الله بن صالح (صاحب المصلى)، والذي يظهر أن تسميته هذه جاءت من كثرة ملازمته للصلاة، وكان عبد الله يكتب إلى الخليفة بأدق التفاصيل التي تحدث في دمشق، حتى أنه كتب بخبر الزلزلة التي أصابت دمشق سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م[٤].

ومن المؤكد أن الأدب وحسن الكتابة كانت من الصفات الهامة التي لا بد من توافرها في متولي البريد، فقد ولّى المتوكل في أواخر أيامه الحسن بن وهب بن سعيد الكاتب بريد دمشق، وكان الحسن من أبرز الكتّاب زمن المتوكل، بل هو من عائلة متميزة بالكتابة في الدولتين الأموية والعباسية، وقد توفي الحسن وهو متقلد لديوان البريد في دمشق[٥].

وفي عهد الدولة الطولونية، وصل محمد بن عبد الله أبو جعفر الكاتب إلى وظيفة صاحب الرسائل، وكان أول أمره أنه كان يتولى البريد بجندي دمشق وحمص ثم صار كاتباً لأبي الجيش خمارويه[٦].

٩- ديوان الرسائل:

لقد كان ديوان الرسائل من أهم الدواوين في الدولة العباسية حيث كان صاحب هذا الديوان بمثابة لسان حال الخليفة الذي يعبر عن ما يريده الخليفة، وهو الذي يسطِّر الكتب التي تحمل تعليمات الخليفة إلى ولاته وعماله في مختلف الأقاليم[٧]، كما يتلقى ردودهم فيلخصها ويرتبها ثم يقوم بعرضها على الخليفة حسب أهميتها[٨]، وكما يكون مسؤولاً عن تسطير كتب العهد إلى الولاة والقضاة وسائر العمال[٩]، وهو مسؤول عن الرسائل المتعلقة بالأمور السياسية المختلفة، وعن ختم جميع هذه الرسائل بخاتم الخليفة[١٠]. ونظراً لهذه المسؤوليات الحساسة التي

---

(١) الجهشياري: الوزراء، ص١٠٠-١٠١.

(٢) المصدر نفسه: ص١٠٠-١٠١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٩ ص٢٠١.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء، ج٣ ص١٠١٩-١٠٢٠؛ الكتبي: فوات، ج١ ص٣٦٧.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٢ ص٦١.

(٦) انظر أبو يوسف: الخراج، ص١٨٥-١٨٦؛ قدامة: الخراج، ص٣٩-٤٠.

(٧) الصولي: أدب الكتاب، ص٤١.

(٨) المصدر نفسه: ص٦٧.

(٩) المصدر نفسه: ص٧٣.

(١٠) المصدر نفسه: ص٧٥-٧٨.

كان يقوم بها صاحب الرسائل، كان لا بد أن يكون على درجة عالية من الدراية بأدب الكتابة والبلاغة وجودة الخط[١]، وعلاوة على ذلك فلا بد من إحاطته بالأحوال السياسية السائدة في الدولة[٢]. وأن يكون عالماً بالحساب لأن كثيراً من رسائله كانت توجه إلى أصحاب الخراج في المناطق[٣].

ويظهر أن ديوان الرسائل في الولايات العباسية كان عبارة عن صورة مصغرة لما هو عليه ديوان الرسائل في عاصمة الدولة بغداد، لذلك كان الولاة يحرصون أيضاً على عدم تقليد هذا الديوان إلا لمن ثبتت كفاءته وخبرته وثقافته العالية إلى جانب فصاحته وضلوعه في الأدب.

ومن أبرز من تسلم ديوان الرسائل في الشام ودمشق الحسن بن وهب بن سعيد الكاتب، الذي ينحدر من عائلة اشتهرت بفن الكتابة، حيث كان آباؤه وأجداده كلهم كتبة في الدولتين الأموية والعباسية على التوالي[٤]، وكان يكتب بين يدي محمد بن عبد الملك الزيات قبل أن يتولى ديوان الرسائل، وقد توفي في دمشق[٥].

١٠- صاحب المعونة:

أخذت كلمة المعونة من العَوْن، بمعنى الظهير على الأمر[٦]، وقد تكون مشتقة من العُوْن بمعنى الشجعان الذين إذا استغيثوا ركبوا خيولهم وأغاثوا[٧]. ويبدو أن هذه الوظيفة كانت معروفة منذ العهد الأموي فقد ذكر الجهشياري أن عبيد الله بن يسار والد معاوية بن عبيد الله الأشعري وزير المهدي، كان كاتباً لصاحب المعونة في الأردن أيام بني أمية[٨]. ولم ترد عبارة صاحب المعونة في العصر العباسي فترة البحث ١٣٢-٢٦٤هـ/٧٤٩-٨٧٧م، إلا في عصر المنصور، وذلك بعد الفتنة التي قام بها عمه -عبد الله بن علي[٩].

ولما تجددت الفتن والاضطرابات في خلافة الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨١-٨٠٨م واستمرت في خلافة الأمين ١٩٣-١-٩٨هـ/م، وشطراً من خلافة المأمون، احتاج الأمر إلى

---

(١) الصولي: أدب الكتاب، ص٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٣٨-٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٤٣.

(٤) انظر ياقوت: معجم الأدباء، ج٣ ص١٠١٩-١٠٢٠؛ الكتبي: فوات، ج١ ص٣٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ج٣ ص١٠٢٠؛ المصدر نفسه: ج١ ص٣٦٧.

(٦) ابن منظور: لسان، مادة عون، ج١٣ ص٢٩٨-٢٩٩؛ القاموس المحيط، مادة عون، ج٤ ص٢٥٠.

(٧) المصدر نفسه: مادة عون، ج١٣ ص٢٩٨-٢٩٩؛ المصدر نفسه: مادة عون، ج٤ ص٢٥٠.

(٨) الجهشياري: الوزراء، ص١٢٦.

(٩) انظر خليفة: تاريخ، ج٢ ص٦٤٣؛ الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٧٥-٤٧٧.

قيام الدولة العباسية بإرسال قوات من حاضرة الخلافة بغداد للسيطرة على الأوضاع المضطربة في بلاد الشام[١].

وفي عهد الواثق تجددت الفتن في بلاد الشام ودمشق وتطلب الأمر أن تعتمد الدولة على قوة عسكرية تتواجد بشكل دائم في الشام، وتكون تحت تصرف العامل أو الوالي علـى الجنـد للاستعانة بها في إخماد الفتن والاضطرابات، وقد أطلق على المسؤول عن هذه القـوات اسـم "صاحب المعونة"[٢]، ولكن يبدو أن هذه القوات كانت أعدادها غير كافية للتصدي لخطر الفـتن التي تنشب في الولاية لذلك كان الخليفة يستعين بجند من الولايات الأخرى القريبة[٣].

وكان إسحاق بن عيسى بن معاذ على معونة دمشق والأردن أيام الواثق[٤]. وقد خلفـه على معونة دمشق ابنه علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ في أيام الواثق أيضاً[٥]، ولما وثب أهل حمص بعاملهم محمد بن عبدوية، كتب له المتوكل بمناهضتهم وأمده بجند من راتبة دمشق مـع صالح العباسي التركي وهو عامل دمشق[٦]. ويظهر من هذه الرواية أن هناك جنداً كانوا يقيمون في دمشق أيام المتوكل وهو ما يطلق عليه اسم المعونة كما سبق، كما يظهر أن الوالي ربما كان يمارس الدور الذي يقوم به صاحب المعونة.

ويبدو أن لفظة صاحب المعونة أصبحت تطلق على والي الجند نفسه في فترة لاحقـة، حيث أشار لذلك مسكويه في روايته عن بدر الخرشي، فقد ذكر أنه كان يتولى الحرب في ديـار مضر، ثم خرج منها عائداً إلى حاضرة الخلافة، فلما خلت من صاحب المعونة قصدها علي بن حمدان فتغلب عليها[٧]، ويظهر من هذه الرواية أن صاحب المعونة هو نفسه قائد الجند الذي كان يرابط في المنطقة، وأن خلو المنطقة أو المدينة من صاحب المعونة، كـان يعطـي الطـامعين فرصة سهلة في الاستيلاء عليها.

ومن الجدير قوله أن العديد من أهل دمشق قد عملوا لدى الدولة العباسية، فـي منـاطق خارج الشام، وقد وصلوا إلى أعلى المراتب في وظائفهم، فقد استعمل المنصور عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الدمشقي على بيت المال في بغداد[٨]، وقد استمر فـي منصـبه خـلال خلافـة

---

(١) انظر الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص١٢٨ و ص٢٢٧، ص٣٦٣، ص٥٢٣، ص٥٢٨.

(٢) نجدة خماش: التنظيم الإداري، ص١٧.

(٣) انظر اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٤٩٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٥ ص٣٩٠؛ ج١٨ ص١٢٢.

(٥) المصدر نفسه: ج١٨ ص١٢٢؛ ج٤١ ص٢٥٥.

(٦) الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٩٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١١ ص٢٨٢.

(٧) مسكويه: تجارب، طبعة دار التمدن، مصر ١٩١٤، ج١ ص٣٦٧.

(٨) الخطيب: تاريخ، ج١٠ ص٢١٠.

المهدي[١]، كما ولَّى المهدي معاوية بن يحيى الصدفي أبو روح الدمشقي بيت المال في الـــري، وكانت سيرته محمودة علاوة على أنه من رجال الحديث[٢].

ولما قدم محمد بن عبد الله بن مهاجر الشعيثي النصري –وهو من أهل دمشـــق– إلـــى بغداد وحدَّث بها، ولاه المنصور بيت المال فيها وقال عنه: كان ولينا في زمن بني أمية فأحسن الولاية[٣]. ويبدو أنه كان يتمتع بسيرة طيبة فهو من أهل الحديث وقد توفي ١٥٤هـ/٧٧٠م[٤].

(١) الخطيب: تاريخ، ج١٠ ص٢١٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٩ ص٢٨٣؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٥ ص١٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٥٤ ص٤٣؛ المصدر نفسه: ج٢٢ ص٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه: ج٥٤ ص٤٥؛ المصدر نفسه: ج٢٢ ص٢٣٣.

الفصل الرابع

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية

١- الأحوال الاجتماعية

أ- عناصر السكان.

ب-بيوت أهل دمشق.

ج-الملابس

د- الاحتفال بالأعياد

هـ-الأفراح والأتراح

و- الطعام والشراب

٢- الأحوال الاقتصادية

أ- الثروة الزراعية والحيوانية

ب-المحاصيل الزراعية

ج-الثروة الحيوانية

د-الصناعات والحرف

هـ-التجارة

و-الصادرات

ز-الواردات

ح-الأسواق

١- الأحوال الاجتماعية:

أ- عناصر السكان:

لقد تكون سكان دمشق خلال فترة البحث من مجموعة عناصر رئيسة أهمها القبائل العربية التي هاجرت إليها واستقرت فيها قبل حركة الفتوح الإسلامية(١). وتتابع قدوم هذه القبائل إلى بلاد الشام متزامناً مع حركة الفتح الإسلامي(٢)، حيث وفد إلى دمشق كثير من القبائل العربية التي رافقت الجيوش الفاتحة، والتي استقرت إلى جانب القبائل التي سبقتها أو اتخذت لها مواقع جديدة(٣)، ومع تزايد القبائل العربية المسلمة التي هاجرت لدمشق واستقرت بها، بدأت دمشق تأخذ الطابع الإسلامي والذي ترسخ بشكل كبير وواضح بعد أن تحولت دمشق إلى مركزاً للدولة الأموية.

وكان الخليفة عمر يحرص على عدم اختلاط العرب الفاتحين مع السكان الأصليين، لكي يحافظوا على طابعهم العسكري القوي(٤). فقد ذكر البسوي: أن الخليفة عمر خاطبهم قائلاً: "يا أهل الشام لعلكم تجالسون أهل الشرك، فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، قال: إنكم إن جالستموهم وأكلتم وشربتم معهم، والله لن تزالوا بخير تفضلوا ذلك"(٥). وكان الحرص والتركيز على وحدة القبائل الفاتحة أمر في غاية الأهمية لأن في ذلك تكون القوة والغلبة وعدم الذوبان، وإن الفرقة سبب في الفتن التي تقود إلى الضعف(٦).

ومنذ ولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام كانت دمشق تشكل مركزاً للولاية، ولما تسلم "معاوية" الخلافة جعل دمشق مركز الدولة الإسلامية جميعها. ومع "معاوية" زاد شأن الأسرة الأموية في إدارة الأمور في الدولة الإسلامية حيث أصبحت الأسرة الحاكمة التي يقوم أفرادها بإدارة أمور الدولة وإلى جانبهم كبار رجال الدولة من المستشارين والقادة.

ومن هنا ازداد الغنى لدى أفراد البيت الأموي بسرعة، فقد كانوا يحظون أكثر من غيرهم بالإقطاعات و الأرزاق والحرس، وهذا ما أدى إلى تزايد ثروتهم وقصورهم ومنازلهم في دمشق وما حولها(٧)، حتى لا تجد أن قرية من قرى دمشق تخلو من قصور لهم ومنازلهم

---

(١) انظر اليعقوبي: البلدان، ١٣، تاريخ، ج١ ص٢٠٧؛ الهمذاني: صفة، ص٢٧٤، جواد علي: المفصل، ج١ ص٢١٧، ص٢٤٩؛ الدوري: العرب والأرض، ص٢٥؛ صلاح الدين المنجد: منازل القبائل، ص٦٢.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣؛ الهمذاني: صفة، ص٦٤؛ حسين عطوان: الجغرافية التاريخية، ص١٠٩؛ صلاح الدين المنجد: منازل القبائل، ص١٠٩.

(٣) الهمذاني: الإكليل، ج٢ ص٢١٧٨؛ ابن منظور: مختصر، ج١٤ ص٣١٤؛ الحميري: الروض، ص٦٣.

(٤) البسوي: المعرفة، ج٢ ص٣٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٢ ص٣٢٨.

(٧) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢ ص٢١.

واقطاعاتهم[٨]، واستمر وجود المنازل والقصور الأموية في العصر العباسي[٩]، كما وجد بعض الأفراد الأمويين الذين استمروا بالمحافظة على ثرواتهم زمن العباسيين، فقد رفع إلى الرشيد أن أحد أفراد البيت الأموي في دمشق له من المال الكثير والبيوت والأبناء وأنه مهاباً في منطقته، فأدخل الريبة إلى الرشيد، فأمر بإحضاره خشية أن تحدثه نفسه بالخروج على الدولة، ولكن الرشيد أطلق سراحه وأكرمه بعدما تبين له صدق نواياه[١٠].

وكذلك الحال بالنسبة لزعماء القبائل من أهل دمشق الذين قربهم الأمويون والتي استمرت مكانتهم ومنازلهم وقصورهم موجودة في العصر العباسي[١١]، وكان إسماعيل بن خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي القسري من وجوه أهل دمشق وكان في صحابة المنصور[١٢].

وكان الخلفاء الأمويون يعتمدون على زعماء القبائل ويسندون لهم الكثير من المهام لمساعدتهم على إدارة الأمور في دمشق، ومثال ذلك الضحاك بن قيس، زعيم القيسية، والذي ساهم مساهمة كبيرة في ضبط مدينة دمشق وإدارة الأمور فيها[١٣]، وقد استمر هذا الأمر حتى العصر العباسي، حيث قام بعض زعماء القبائل بالتصدي للأخطار التي تحيط بالمدينة من فتن وحركات، حيث تمكن زعيم القيسية ابن بيهس من تسوية الأمور والتخلص من فتنة أبي العميطر ١٩٥هـ كما سبق ذكره[١٤].

وإلى جانب العرب فقد وجد في دمشق الموالي، الذين كان لهم دور في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث كانوا يعملون في مختلف الصنائع والمهن من أعمال التجارة والحياكة والنسيج والصباغة والحدادة[١٥]، كما عملوا في الجيش حيث عمد المسلمون لاستخدام الأسرى ومن أسلموا أثناء الفتح في الجيش وهذا أدى لظهور أعداد كبيرة من الموالي في الجيش الأموي في أواخر الفترة الأموية[١٦].

---

(٨) انظر الأصفهاني: الأغاني، ج١١ ص٢٤١؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ص٧٨١-٧٨٢.

(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥ ص٢٠.

(١٠) الطرطوشي: سراج الملوك، ص١٨٨-١٩٢.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥ ص٢٠.

(١٢) المصدر نفسه، ج٨ ص٣٩٤.

(١٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٩ ص١٩٦؛ الطبري: تاريخ، ج٥ ص١٢، ص١٣٤؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص١٩٦؛ البلاذري: أنساب، ج٢ ص٤٤٩؛ المسعودي: مروج، ج٣ ص٢٧.

(١٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣ ص٢٦٢-٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٠٠.

(١٥) خليفة: تاريخ، ص٢٢٨، ٢٦٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٢٣٢؛ البسوي: المعرفة، ج٢ ص٤١٧-٤١٨.

(١٦) البلاذري: أنساب، ص٦٩، ص٧٢؛ المسعودي: مروج، ج٣ ص٢٧٩-٢٨٠؛ جمال فوده: الأوضاع الاجتماعية، ص١٧٢-١٧٣.

وقد تزايد الموالي بشكل ملحوظ في العصر العباسي، واحتوت الجيوش العباسية أعداد كبيرة منهم، واستقروا في الشام ودمشق واشتروا الدور[١٧]. وكان لتكليف العباسيين للموالي في إدارة الأمور في بلاد الشام عامة ودمشق خاصة أثر كبير في تزايد أعدادهم[١٨]، كما كان لرباط الجيوش العباسية في الثغور الشامية واحتواء هذه الجيوش على عناصر من الموالي أثر كبير في تلك الزيادة حيث قامت تلك العناصر باستقدام أسرها إلى بلاد الشام، "ومنها دمشق" للإقامة فيها حتى يكونوا قريبين منهم خلال مرابطتهم[١٩].

وإلى جانب العرب والموالي فقد كان "أهل الذمة" يشكلون نسبة لا بأس به من سكان دمشق، وتعاون أهل المدينة النصارى مع الجيوش الإسلامية الفاتحة وساعدوهم على دخول المدينة[٢٠]. وتقديراً لهذه المساعدة فقد فرض الفاتحون على أهل المدينة شروطاً ميسرة[٢١]، بل إن بعض مناطق دمشق قد أعفيت من الجزية[٢٢]، وأبدى المسلمون سياسة من التسامح والرعاية تجاه أهل الذمة، ويظهر ذلك من خلال زياراتهم لأهل الذمة وقضاء حوائجهم وإعفائهم من بعض الالتزامات المالية المستحقة عليهم[٢٣].

واستمر أهل الذمة يلقون التسامح من خلال العصر الأموي بممارسة عبادتهم وشعائرهم الدينية، بل إن المسلمين كانوا يشاركونهم في أعيادهم[٢٤]، وكان التوزيع السكاني في دمشق يشير إلى انتشار مساكنهم وسط دمشق مما أقام علاقات متبادلة بينهم وبين المسلمين[٢٥]، وهناك إشارات إلى أن أبناء المسلمين كانوا يختلطون بأبناء النصارى وأنهم كانوا يحضرون مجالس التعليم سوية[٢٦]، وكان لبعض رؤوساء أهل الذمة علاقات وثيقة مع الخلفاء أنفسهم وقد تبرز من هذه الفئة الأطباء والشعراء والبطارقة[٢٧].

---

(١٧) أمينة البيطار: الحياة السياسية، ص٣٤٩.

(١٨) انظر الطبري: تاريخ، ج٨ ص٢٥٠، ص٢٦٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ ص٤٠٢؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٩٩؛ ابن العديم: بغية، ج١ ص٧٧؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١.

(١٩) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٤٩.

(٢٠) البلاذري: فتوح، ص١٢٨-١٢٩.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٢٤) الشابشتي: الديارات، ص٩.

(٢٥) نجدت خماش: الشام في صدر، ص١٣٢.

(٢٦) أحمد أمين: فجر، ص١٣١؛ جورج قنواتي: المسيحية، ص٩٧-٩٨.

(٢٧) مجهول: تاريخ بطارقة الاسكندرية، ص٢٩.

وعلى الرغم من المراسيم التي صدرت في العصر العباسي بتقييد حرية النصارى وإلزامهم بلباس معين يميزهم عن لباس المسلمين(٢٨)، إلا أن بعضهم حافظ على مكانته المقربة من الخلفاء والأمراء وكان يرتدي بعضهم ما يحلو له من الملابس- التي تنافس ملابس الخلفاء والأمراء- ويحظر إلى مجالس الأمراء وأماكن طربهم ولهوهم(٢٩)، وكان للنصارى عاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم التي أصبح المسلمون يشاركونهم فيها.

ومن الجدير قوله: أن المجتمع في دمشق إلى جانب تعدد عناصره فقد ظهرت هناك فئات متباينة من الناحية الاقتصادية، التي كانت تساهم في تكوين الطابع الاجتماعي، حيث ظهرت في دمشق فئتان الأولى تمثل العامة وهم الغالبية لسكان دمشق، والثانية تمثل الخاصة وهي فئة الأمراء وكبار القادة والتجار(٣٠). وكانت الفوارق واضحة بين هاتين الفئتين، ويظهر ذلك من خلال الملابس التي كانوا يرتدونها والأطعمة التي يتناولونها، أو العادات والتقاليد وغير ذلك من الأمور التي سيأتي الحديث عنها في الصفحات القادمة.

ب- بيوت أهل دمشق:

لقد شهد العصر العباسي تزايداً كبيراً في السكان، وقد رافق ذلك التزايد توسع في العمران والبناء، فأصبح يتفرع عن الشوارع الرئيسة العامة أزقة ضيقة متعرجة تشغلها الأحياء السكنية، ويظهر أن دمشق كانت تعتمد في بنائها على الخشب والطين، فقد بنى معاوية بن أبي سفيان الخضراء بالقش والطين(٣١)، فلما زاره وفد الروم قالوا له: ما أحسن ما بناها للعصافير، وفي رواية أما أعلاها فللعصافير وأما أسفلها فللفأر، فهدمها معاوية وبناها بالحجر، وأنفق على بنائها ثمانية عشر حمل بغل ذهب(٣٢).

وذكر المقدسي (ت ٣٨١هـ) في وصف منازل أهل دمشق بأنها ضيقة وأزقتها غامة كما أشار إلى وجود الفوارات والنوافير في البيوت(٣٣)، وأشار ابن جبير في فترة متأخرة (ت ٦١٤هـ) إلى أن أغلب أبنيتها كانت بالقصب والطين(٣٤)، ولكن ابن فضل الله العمري في

---

(٢٨) أبو يوسف: الخراج، ص١٣٧؛ الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٧١-١٧٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٧؛ ترتون: أهل الذمة، ص١٣١.

(٢٩) القفطي: أخبار، ص٧٢-٧٣.

(٣٠) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٤٩.

(٣١) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣؛ المقدسي: أحسن، ص١٥٦-١٥٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٩؛ كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣٢) اليعقوبي: البلدان، ص١١٣؛ المقدسي: أحسن، ص١٥٦-١٥٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٥٩؛ كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣٣) المقدسي: أحسن، ص١٥٧؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج١ ص٥٢١.

(٣٤) ابن جبير: رحلة، ص

القرن ٨ هـ/١٤ق. م. ذكر أن غالب بنائها بالحجر[٣٥]، لكنه أشار إلى أن دورها كانت أصغر مقداراً من دور مصر، ولكنها أكثر زخرفة منها وتحيطها البساتين من مختلف الجهات[٣٦]، وذكر كرد علي أن البيوت التي كانت تبنى بالخشب والطين وكان يستعمل لبناءها خشب الحور بدلاً من خشب النخل، وكان يكتفي بحسن منظره دون أن يضاف له أي شيء، وكان لا يغشى بالبياض[٣٧]، وإلى جانب ذلك فقد وجدت بعض البيوت والقصور الخاصة الفخمة في دمشق في العصر العباسي، فقد ذكر ابن عساكر أن "محمد بن عمرو بن حوي" كان له في إقليم من أقاليم الغوطة "هو إقليم بيت لاهيا" عدة قصور مبنية بالحجارة وخشب الصنوبر والعرعر، وفي كل قصر منها بستان ونهر يسقيه، وكان كل "خليل" يأتي من بغداد **(حاضرة الدولة)** أو من مصر يريد بغداد ينزل عنده وفي ضيافته[٣٨].

ويظهر أن طرز البيوت وترتيبها في دمشق في العصر العباسي لم يتغير عما كان عليه في عهد الأمويين، فترى البواب جالساً على مقعد خشبي أمام الباب، كما تراه اليوم في منازل الأغنياء[٣٩]، وكان على بيوت الفقراء قطعة من المعدن أو الحديد تستخدم كمطرقة للباب[٤٠]. وكان في داخل دور الأغنياء فناء مستطيل على جوانبه أروقة من الأعمدة وأرضه من الحجارة والرخام، وممشى مرصوف بالحجارة على أشكال منتظمة، وفي الفناء نافورة تحيط بها حديقة صغيرة بها الأزهار الزكية المختلفة، وعلى جانب الفناء يقوم الإيوان وهو صالة رصفت بالرخام، والبلاط الملون، وتستعمل قاعة للاستقبال وقت الحر[٤١]، وعادة يكون مقابلاً للباب كوة مقفلة مزخرفة بأعمدة الرخام وتوضع فوقها مستلزمات الوضوء[٤٢].

وكانت أغلب الدور في دمشق مكونة من طابقين أو ثلاث[٤٣]، وفي فصل الشتاء كانوا يكسون أرضية الإيوان الرخامية بالسجاد وذلك للمحافظة على الدفء، كما كانوا يدفؤون الحجرات بالمواقد أيضاً[٤٤]. أما في الصيف فكانت النوافير والنوافذ كافية لتلطيف حرارة

---

(٣٥) انظر كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٢٨٠.

(٣٦) القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٧؛ كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٢٨٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ج٤ ص٩٧؛ المرجع نفسه، ج٥ ص٢٨٠.

(٣٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥ ص٢٠-٢١.

(٣٩) عمر أبو النصر: الحضارة الأموية، ص٣٨٧-٣٨٩؛ سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص١٦٩-١٧٠؛ عبد القادر ريحاوي: مدينة، ص٣٧؛ محمد عثمان: المدينة، ص١٩.

(٤٠) نفس المراجع السابقة.

(٤١) عمر أبو النصر: الحضارة الأموية، ص٣٨٧-٢٨٩؛ سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص١٦٩-١٧٠.

(٤٢) عبد القادر ريحاوي: مدينة، ص٣٧؛ محمد عثمان: المدينة، ص١٩.

(٤٣) عمر أبو النصر: الحضارة العربية، ص٣٨٧-٢٨٩؛ سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص١٦٩-١٧٠؛ محمد عثمان: المدينة، ص١٩؛ عبد القادر ريحاوي: مدينة، ص١٧.

(٤٤) عمر أبو النصر: الحضارة العربية، ص٣٨٧-٢٨٩.

الجو[٤٥]، وعند تشييد منزل جديد كان لا بد من مراعاة عدم إيقاع الضرر بالآخرين فقد كان لكل بيت ميازيب مطلية بالكلس تنحدر إليها مياه الأمطار المتجمعة فوق أسطح المنازل، كما كانت المياه الوسخة تجري في مجاري خاصة وتنتهي إلى حفرة واسعة مغطاة داخل المنزل[٤٦].

وكان الأغنياء ينامون على الأسرة، التي غالباً ما كانت مصنوعة من الخشب، في حين ينام الفقراء على الأرض[٤٧]، وفي ليالي الصيف كان الناس يلجأون للنوم على الأسطح هرباً من الحر، ولكنهم كانوا يضعون ستاراً يمنع عنهم عيون جيرانهم الفضوليين[٤٨].

ويظهر أن عدد أفراد الأسرة في دمشق كان كبيراً حتى كان يصل في بعض الأحيان إلى عشرين شخصاً أو يزيد، وكانت الأسرة كثيرة العدد تعطي المسؤول عنها مكانة اجتماعية[٤٩]. وربما كانت أعمال الناس في الزراعة تجعلهم بحاجة إلى هذا العدد من الأبناء ليساعدوهم على تحمل أعباء الحياة.

ج- الملابس:

بدأت حياة الترف في المجتمع الإسلامي بشكل عام مع قدوم العباسيين حيث شملت جوانب الحياة المختلفة وبرزت مظاهرها بشكل واضح، حتى وصلت الدولة الإسلامية لحالة من الرخاء التي لم تظهر من قبل، وبدا واضحاً تفاعل المجتمع الإسلامي مع حياة الرخاء تلك وخاصة في الملابس التي اختلفت في العصر العباسي في أشكالها وأنواعها وطرق صناعتها وذلك باختلاف الوظائف التي ينتمي لها الناس، أو باختلاف أديانهم، فقد كان للقضاة زي خاص بهم ولكتاب الجند زي خاص[٥٠]، وللتجار زي، وكان للنساء الحرائر زي ولكل مملوك زي وللإماء زي[٥١]. وللمؤذنين زي وللخطباء زي[٥٢]. ويبدو أن هذه الأزياء كانت متعارفاً عليها إلى الحد الذي يمكن تمييز الرجل وصنعته من خلال ما يرتديه من ملابس، وقد أكد ذلك الجهشياري (ت ٣٣١هـ) بقوله: إن الرجل كان إذا مثل بين يدي الملك عرف صنعته من لباسه[٥٣].

---

(٤٥) عمر أبو النصر: الحضارة العربية: ص٣٨٧-٢٨٩.

(٤٦) الشيزري: نهاية، ص١٤.. مطبعة دار الثقافة.

(٤٧) أشتور: التاريخ الاجتماعي، ص٢٩.

(٤٨) محمد عثمان: المدينة، ص٣٣٧.

(٤٩) انظر التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ ص٦٣؛ الطرطوشي: سراج الملوك: ص١٨٨-١٩٢؛ الاربلي: خلاصة الذهب، ص١٥٢-١٥٤؛ الاتليدي: إعلام الناس، ص٢٨٥.

(٥٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣ ص٥١؛ سيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ، ج٣ ص٣١٨.

(٥١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣ ص٥١.

(٥٢) الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١ ص٤٨.

(٥٣) الجهشياري: الوزراء، ص٢.

أما ألوان الملابس فكان الأسود هو السائد في الأزياء في العصر العباسي، كون الدولة العباسية قد اتخذت منه شعاراً لها، وكان الأسود لون اللباس الرسمي يرتدى من الخلفاء، فقد روي أن الرشيد كان يوم وفاته بطوس يرتدي جبة خز سوداء بغير قميص وعليها فنك وفوقها دراعة خز سوداء مبطنة بفنك، وعلى رأسه قلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وتطلس بطيلسان أسود[٥٤]، وانتشر اللون الأسود حتى لبسه المعارضون للدولة العباسية فقد روي أن أبا العميطر خلال ثورته في عهد الأمويين ١٩٥هـ وزع على أصحابه ثياباً سوداء جديدة[٥٥].

وهذا لا يعني عدم استخدام الألوان الأخرى للملابس، فقد روي أن الأوزاعي كان يرتدي البياض، وعندما سئل عن عدم لبسه للسواد انتقده موضحاً أنه لا يحب لبسه[٥٦]. وهذا يعني انتشار الألوان الأخرى ولكن الغالب عليها كان اللون الأسود.

ولما قتل الأمين كان يلبس ثياباً ذات لون أبيض وسراويل وعليه طيلسان أسود[٥٧]. وأبدل المأمون السواد بالخضرة رسمياً واستمر فترة والناس يدخلون عليه بلباس الخضرة عدا القلانس السوداء... فلما كلمه بنو هاشم في ذلك عاد إلى لبس السواد وطرح قادته الخضرة ولبسوا السواد[٥٨]، ويظهر أن لون البياض في الملابس- والذي كان سائداً أيام الأمويين- بقي عند البعض ولكن كنوع من الزينة وليس ولاءً أو طاعة للأمويين[٥٩].

ويمكن القول: انه إذا كانت الملابس ذات اللون الأسود هي التي سادت في العصر العباسي، فقد وجدت أثواب مصبوغة بألوان زاهية كان يلبسها أولئك الذين نادموا الخلفاء والأمراء والقوّاد الكبار[٦٠]، وكانت بعض الثياب تصبغ بألوان حمراء أو خضراء[٦١]، وأحياناً لبس بعض الأشخاص أثواباً ذات ألوان وردية[٦٢] وذكر أن الرشيد كان يرتدي يوم وفاة الخيزران طيلساناً ذا لون أزرق[٦٣].

ولمزيد من إلقاء الضوء على الملابس وأشكالها وصناعتها يمكن أن تقسيمها إلى قسمين منها ما هو خاص بالرجال والآخر ما هو خاص بالنساء.

---

(٥٤) الجهشياري: الوزراء، ص٢٢١.

(٥٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٤ ص٢٨.

(٥٦) النويري: نهاية، ج٤ ص١١.

(٥٧) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٨٥.

(٥٨) ابن طيفور: بغداد، ص١٠.

(٥٩) أحمد بدر: فقهاء، ص٨٩.

(٦٠) الأبشيهي: المستطرف، ج٢ ص١٨٦؛ سيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ، ج٣ ص٣٢٠.

(٦١) ابن طباطبا: الفخري، ص١٧٨.

(٦٢) الجهشاري: الوزراء، ص١١٩.

(٦٣) مجهول: العيون، ج٣ ص٢٩١-٢٩٢؛ الاربلي: خلاصة، ص١١٧.

والقسم الأول هو الملابس التي كان يرتديها الرجال والتي يمكن أن نقسمها إلى نوعين النوع الأول وهو ما يغطي الرأس، والنوع الثاني ما يغطي سائر البدن.

وكان لباس الرأس في الغالب العمامة التي مدح العرب لبسها، فقد ذكر أن عمر بن الخطاب قال: العمائم تيجان العرب(٦٤)، وقيل لأعرابي: إنّك تكثر من لبس العمامة فقال: إن شيئاً فيه السمع والطاعة لجدير أن يوقي من القَّر(٦٥)، وذكرت العمامة عند أبي الأسود الدوؤلي فقال: جنة في الحرب ومكنة من الحر، ومدفأة من القر، ووقار وزيادة في القامة، وهي عادة من عادات العرب(٦٦). ولكن يظهر أن العمائم كانت تختلف من شخص إلى آخر وإن تشابهت في الشكل فالخامة التي صنعت منها تختلف، علاوة على شهرة المكان الذي صنعت فيه.

فقد صنعت بعض العمائم من الخز(٦٧)، وروي أن الرشيد لما توفيت الخيزران كان على رأسه قلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء، وتطلس بطيلسان أزرق(٦٨). وذكر أبو زرعة أن أبا مسهر كان يحضر المسجد الجامع بدمشق ويعتم على شامية طويلة بعمامة سوداء عدنية(٦٩).

ويبدو أن لبس العمامة كان ضرورياً للعلماء، فقد ذكر مالك بن أنس: أنه ينبغي أن لا تترك العمامة، بل إن من يدخل إلى المسجد من غير عمامة يتعرض للنقد من قبل الشيوخ(٧٠). ولبس الفقهاء العمامة ذات العذبتين أو بدونهما كما كان يلبس الأوزاعي(٧١).

أما الدنيَّة فكانت طول نصف ذراع أو أكثر وفيها شبه "بالشربوش" وكان يلبسها القضاة والولاة وغيرهم، وتعمل من ورق على قضبان دقاق وكانت أيضاً تسمى الطويلة(٧٢).

وكان المنصور أخرج الدنيّة وأخرج المناطق وهي الحياصة فيها والسيف وقد لبس أبو دلامة هذا الزي ولم يعجبه، وكان الخلنجي القاضي يلبس الدنيّة(٧٣)، ولما قدم يحيى بن أكثم دمشق بصحبة المأمون خلع على أحمد بن أبي الحواري طويلة وشيئاً من ملابسه(٧٤).

ومن ألبسة الرأس أيضاً القلانس التي كان يلبسها العلماء والأئمة في الصلاة(٧٥)، فقد كان الأوزاعي يلبس قلنسوة سوداء(٧٦)، وأجبر المنصور الناس على لبس القلانس الطوال المفرطة

---

(٦٤) الجاحظ: البيان، ج٣ ص٥٢.

(٦٥) المصدر نفسه: ج٣ ص٥٢.

(٦٦) الجاحظ: البيان، ج٣ ص٥٢.

(٦٧) الجشهاري: الوزراء، ص٢٢١؛ مجهول: العيون، ج٣ ص٢٩١-٢٩٢؛ الأربلي: خلاصة، ص١١٧.

(٦٨) الجهشياري: الوزراء، ص٢٢١.

(٦٩) المزي: تهذيب، ج١١ ص١٧.

(٧٠) وكيع: أخبار، ج١ ص٢٠٢-٢٠٣.

(٧١) الذهبي: سير، ج٧ ص١١٩.

(٧٢) ابن منظور: لسان، مادة دنا، ج٤ ص٤١٩-٤٢٠.

(٧٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١١ ص٢٢٩-٢٣٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث، ٢٥١-٢٦٠هـ، ص١٨٣-١٨٤.

(٧٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص٣٩٨.

في الطول وكانوا يحتالون لها بالقصب من الداخل[٧٧]، ويظهر أن هذا النوع من اللباس لم يعجب الشاعر أبو دلامة والذي شبهه بملابس اليهود، حيث ذكر قوله[٧٨]:

وَكُنَّا نُرَجِّي مِنْ إمامٍ زِيَادةً — فَزَادَ الإمامُ المُصْطَفَى فِي القَلانِسِ

تَرَاها على هَامِ الرِّجالِ كَأنَّها — دِنَانُ يَهُودٍ جُلِّلَت بالبَرَانِسِ

وروي عن أبي مسهر عبد الأعلى الغساني أنه كان يضع قلنسوة بعمامة سوداء عدنية[٧٩]. ودخل أحمد بن أبي الحواري المسجد وصلى صلوات بالقلنسوة، وقد انتقده الفقيه والعالم قاسم الجوعي، ولكن يظهر أن النقد جاء ليس للقلنسوة بل لأنها جاءت من السلطان، حيث خلعها عليه، بعد أن لطمها قاسم الجوعي، خلال صلاة أحمد وهو في التحيات[٨٠].

ولما خرج أبو العميطر من الخضراء خرج وهو راكب يمشي بين يديه ٥٠٠ رجل على رؤوسهم القلانس الشاميات، وفي أيديهم المقارع وكان البعض يرتدي القلانس الطوال[٨١].

ويبدو أن خلع القلنسوة بطريقة مريبة كانت عادة معبرة عن الغضب والرفض لحادث معين عند أهل دمشق، فقد كان إمام جامع دمشق في عهد الأمين (١٩٤هـ) يرتدي قلنسوة، ولما سرقت القلة من الجامع خلع القلنسوة وضربها في الأرض تعبيراً عن غضبه، وكان ذلك سبباً في إثارة الناس وقيام فتنة القلة[٨٢].وكان الطيلسان لباس يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة ويغطي به أكثر الوجه، ثم يدار طرفان منه تحت الفم حتى يحيطان بالرقبة، ثم يطرحان على الكتفين، أما طرفاه الآخران فيسبلان على الظهر[٨٣].

وكان لبس الطيلسان شائعاً في العصر العباسي بين الفئات الخاصة من الخلفاء والعلماء والمشايخ والقضاة[٨٤]. وكانت له الوان عديدة. فقد ارتدى الرشيد طيلساناً أزرق لما ماتت الخيزران[٨٥]. وكان الأمين يلبس طيلساناً أسوداً عندما قتل[٨٦]. وارتدى العلماء الطيلسان فقد

---

(٧٥) الذهبي: سير، ج١١ ص٤٤٨-٤٤٩؛ انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة "حركة القلة".

(٧٦) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٢٦٣؛ الذهبي: سير، ج١١ ص٤٤٨-٤٤٩.

(٧٧) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٤٢-٤٣؛ اليافعي: مرآة، ج١ ص٢٥٢.

(٧٨) المصدر نفسه، ج٨ ص٤٢-٤٣؛ المصدر نفسه، ج١ ص٢٥٢.

(٧٩) أحمد بدر: فقهاء، ص٨٩.

(٨٠) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص٣٩٨.

(٨١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٥ ص١٧٠؛ انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة "حركة أبي العميطر".

(٨٢) الذهبي: سير، ج١١ ص٤٤٨-٤٤٩.

(٨٣) بشري فهد: الطيلسان، مجلة كلية الشريعة، بغداد، ١٩٦٦، ص١٥٥.

(٨٤) سيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ، ج٣ ص٢٢٣.

(٨٥) مجهول: العيون، ج٣ ص٢٩١-٢٩٢؛ الأربلي: خلاصة، ص١١٧.

(٨٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٢٨٥.

روي أن مروان بن محمد كان يحضر مجلس أبا مسهر ويجلس بين يدي سعيد بن عبد العزيز وعليه طيلسان به عشرون رقعة[٨٧].

وأما ملابس البدن فأهمها الجبة وهي لباس يحيط بالبدن ولها كمان وكانت تصنع من الديباج الموشى[٨٨] أو الصوف[٨٩]، وكانت جبة الديباج يرتديها الخلفاء والأمراء والعلماء وكبار رجال الدولة، فقد روي أن المنصور كان يرتدي جبة هروية[٩٠]، كما كان الرشيد يرتدي جبة خلال وفاة والدته الخيزران[٩١]، وكان القضاة يلبسون الجباب، فقد كان سويد بن عبد الله يلبس جبة تحتها أثواب[٩٢]، وكان الطبيب بخشيوع يرتدي جبة وشي يمانية مثقلة[٩٣].

أما العوام من الفلاحين وغيرهم فقد ارتدوا الجباب التي كانت غالباً تصنع من الصوف، فقد روي أن الغطريف بن عطاء أخو الخيزران أم الهادي والرشيد كان يعمل بنطر الكروم، وكان يلبس جبة صوف، ولكنه لما وصل للمهدي كساه وحباه ورفع منزلته[٩٤].

كما ارتدى أهل دمشق القمصان، فخلال ولاية زامل بن عمرو على دمشق أتاه رجل من لخم يسكن قرية بيت لهيا، وكان عليه قميص سنبلاني[٩٥]، وذكر الأصفهاني أن أحد الأشخاص كان يرتدي قميصاً قوهياً "أبيضاً منسوباً إلى قوهستان" علاوة على حبرة "ضرب من برود اليمن"[٩٦].

وعرف أهل دمشق الملابس الشتوية المصنوعة من جلد السمور فخلال ولاية إبراهيم المهدي على دمشق خرج للنزهة ذات يوم فشعر بالبرد فطلب دواج سمور فأتي به، ثم أكمل نزهته[٩٧]. وذكر الحميري أن بعضهم كان يلبس الثياب الطويلة التي تجر على الأرض شبراً ويضع اليد الواحدة على الأخرى وهذا كان يعبر عن الاحتشام[٩٨].

وظهر في العصر العباسي لبس الدراريع، "جمع دراعة"، فلما بويع أبو العباس بالخلافة ١٣٢هـ/٧٤٩م، خرج وصلى بالناس الظهر في مسجد بني أود وكان يرتدي دراعة سوداء

---

(٨٧) المزي: تهذيب، ج١١ ص١٧.

(٨٨) الجهشياري: الوزراء، ص١٨٣.

(٨٩) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٩٩.

(٩٠) ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص٣٠.

(٩١) مجهول: العيون، ج٣ ص٢٩١-٢٩٢؛ الاربلي: خلاصة، ص١١٧.

(٩٢) الذهبي: تاريخ حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص٢٢١-٢٢٢.

(٩٣) القفطي: أخبار، ص٧٢-٧٣.

(٩٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٩٩.

(٩٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٤ ص١٠٠-١٠١.

(٩٦) الأصفهاني: الأغاني، ج١٥ ص١٠٥- دار الكتب ص١٥٤.

(٩٧) الأصفهاني: الأغاني: دار جمال، د١٩ ص١٦٣- دار الكتب ص١١١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٨ ص١٦١.

(٩٨) الحميري: الروض، ص٢٤٠.

وكساء أسود[٩٩]، وذكر ابن عساكر أن أهل دمشق كانوا يلبسون الدراريع[١٠٠]. فلما نشب القتال بين القيسية والزواقيل سنة ١٩٦هـ/٧٥٣م، أقبل نصر بن شبث بالزواقيل على فرس كميت أغر وعليه دراعة سوداء ربطها خلف ظهره[١٠١].

كما لبس العلماء البرود النوبية الخضر، فقد روي أن أبا عبد الرحمن النسائي كان يؤثر لبس هذا النوع من الملابس[١٠٢]، ولبس الدمشقيون الإزار، فلما هرب أبو العميطر بعد أن هزمه ابن بيهس إلى المزة كان عليه إزاراً[١٠٣].

وانتشرت في العصر العباسي الملابس الخاصة بالأرجل، فقد روي أن الرشيد لما ماتت الخيزران خرج حافياً يمشي في الطين حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه ودعا بخفٍ فلبسه، ثم صلى عليها[١٠٤]. وكان أنس بن مالك يلبس خفين أبيضين[١٠٥]. وانتعل الأوزاعي برجليه خفاً مبطناً بجلد ناعم وهو جلد الثعلب[١٠٦]. وذكر أبو زرعة أنه رأى أبو مسهر يحظر الجامع بأحسن هيئة في البياض والساج والخف ويعمم على طويلة بعمامة سوداء عدنية[١٠٧]-وأشار المقدسي إلى أن الدمشقيين في الصيف لا يتخففون أي لا يلبسون في أرجلهم الخفوف وإنما كانوا يلبسون نعال الطاق[١٠٨]. أما الجوارب فكان لبسها يقتصر على الأغنياء[١٠٩].

أما القسم الثاني من الملابس فهي الملابس الخاصة بالنساء، وقد وصفت ملابس المرأة الإسلامية بشكل عام بأنها كانت تتكون من ملاءة فضفاضة، وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير يلبس عادة في البرد[١١٠]. وكانت النساء تفضل القمصان الجلنارية[١١١]. وعند خروجها خارج البيت كانت المرأة تلبس ملاءة طويلة تغطي كل جسمها وتقي ملابسها من التراب، كما كانت تلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة[١١٢]. واتخذت نساء الطبقة الخاصة

---

(٩٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦ ص٤٦٣.

(١٠٠) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٤٢٧.

(١٠١) المزي: تهذيب، ج١ ص١٥٦.

(١٠٢) الحنبلي: شذرات، ج٢ ص٦٠.

(١٠٣) مجهول: العيون، ج٣ ص٢٩١-٢٩٢.

(١٠٤) المصدر نفسه: ج٣ ص٢٩١-٢٩٢.

(١٠٥) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٣٦٩.

(١٠٦) الذهبي: سير، ج٧ ص١١٩.

(١٠٧) الذهبي: سير، ج١ ص٣٣٢؛ المزي: تهذيب، ج١١ ص١٧، دار الفكر.

(١٠٨) المقدسي: أحسن، ص١٨٣.

(١٠٩) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص٣٧٩.

(١١٠) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٠٩.

(١١١) الاتليدي: إعلام الناس، ص١٦٨.

(١١٢) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٠٩، ج٢ ص٤٢٩.

(زوجات الأمراء وكبار القادة) غطاءً للرأس، وكان مرصعاً بالجواهر الثمينة ومزيناً بسلسلة من الذهب المطعَّم بالأحجار الكريمة[١١٣]، أما النساء الأقل مرتبة فكنّ يزيّن رؤوسهن بحلية ذهبية مسطحة، وكانت هناك عصابة منضدة باللؤلؤ يلففنها حولها[١١٤]، وكانت بعض النساء يلبسن في أرجلهن الخلاخيل وفي معاصمهن الأساور[١١٥]. ويظهر أن تكاثر النساء الفارسيات في المجتمع العربي في العصر العباسي قد ساهم مساهمة كبيرة في نقل فنون الزينة واللباس الفارسي إلى غيرهن من النساء[١١٦].

وتميزت الشام بصناعة بعض الملابس الخاصة بالنساء ومنها "الرياط"، التي يظهر أنها كانت جميلة وفاتنة وخفيفة تظهر مفاتن المرأة، ويظهر ذلك من خلال ما قاله معاذ بن جبل محذراً الناس وحاثاً إياهم على الصبر إن هم فتنوا بالنساء الجميلات اللواتي يلبسن الذهب والفضة ورياط الشام وعصب اليمن[١١٧]، وكانت بعض الملابس الخاصة بالنساء تلبس في مناسبات معينة كالحزن مثلاً. فلما مات المهدي لبست الجواري المسوح وألقين أنواع الديباج[١١٨].

أما أهل الذمة فكان لهم ملابس خاصة تختلف عن ملابس المسلمين على الرغم من التسامح الكبير الذي كانوا يتمتعون به في ظل الدولة الإسلامية، فقد نصح أبو يوسف الخليفة الرشيد في كتاب الخراج: أن يميز لبس أهل الكتاب عن لبس المسلمين، حيث اقترح عليه أن تكون قلانسهم طويلة مضربة في الطول، وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب، وأن يجعلوا أشراك نعالهم مثنية، وحثه أن يأمر عماله بعمل ذلك مع أهل الذمة، مبيناً له أن هذا الإجراء قد سبقه إليه الخليفة عمر بن الخطاب و أمر به عماله حتى يميز زي أهل الذمة عن زي المسلمين[١١٩]، وقد اتخذ الرشيد قراراً بدعم هذا الاقتراح الذي تقدم به أبو يوسف[١٢٠]، ويبدو ان هذا الأمر كان أقرب إلى النظرية منه إلى التطبيق العملي.

كما أصدر المتوكل سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م أمراً بأن يرتدي أهل الذمة الطيالس العسلية وأن يشدوا أوساطهم بالزنانير، وأن تكون هناك رقعتان على لباس مماليكهم يكون لونهما مخالف

---

(١١٣) حسن حمامي: الأزياء الشعبية، ص٣٤-٣٥.

(١١٤) سيد أمير علي: مختصر تاريخ، ص٣٨٠؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢ ص٤٢٩؛ حسن حمامي: الأزياء الشعبية، ص٣٥.

(١١٥) حسن حمامي: الأزياء الشعبية، ص٣٤-٣٥.

(١١٦) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٠٩ ج٢ ص٤٢٩؛ أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٥٢-٣٥٣.

(١١٧) أبو نعيم: حلية، ج١ ص٢٣٦-٢٣٧.

(١١٨) مجهول: العيون، ج٣ ص٢٨١.

(١١٩) أبو يوسف: الخراج، ص١٣٧.

(١٢٠) الطبري: تاريخ، ج٨ ص٣٢٤؛ ترتون: أهل الذمة، ص١٣٠.

للون الثوب، وأن ترتدي نساؤهم إزاراً عسلياً كما منعهم من لبس المناطق[١٢١]، وإذا أراد أحدهم لبس القلنسوة فلا بد أن يكون هناك زران على قلنسوته والتي يشترط أن تكون مخالفة للون قلانس المسلمين[١٢٢]. وفي سنة ٢٣٩هـ أصدر المتوكل مرسوماً آخر بأخذ أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الأقبية والدراريع، وأن يقتصروا في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبرذون[١٢٣].

ولكن يظهر أن هذا الأمر لم يطبق بشكل عام بل إن بعض أهل الذمة من أصحاب المكانة لدى الخلفاء كانوا يلبسون ما يحلو لهم من الثياب، فقد كان الطبيب بختيشوع طبيب المتوكل يرتدي جبة وشيّ يمانية مثقلة، وكانت من الجمال إلى الحد الذي جعل ابن المتوكل يعجب بها ويطلب من بختيشوع أن يهديه إياها ففعل[١٢٤]. ويمكن القول: أن الدمشقيين قد اعتنوا بمظهرهم الخارجي واهتموا بملابسهم واختيارها اهتماماً كبيراً ومما يؤكد ذلك ازدحام الأسواق الخاصة بالأقمشة ودكاكين الخياطين بالزبائن في مختلف الفترات[١٢٥].

وكان لبس العامة يختلف من شخص إلى آخر حسب صنعة كل شخص، ولكنه في الغالب كان يتألف من سروال فضفاض وقميص ودراعة وسترة وقفطان وقباء وجبة علاوة على العمامة[١٢٦].

واعتاد أهل دمشق على الخضاب وهو صبغ لون شعرهم أو لحيتهم وكان يلجأ لهذا عادة العلماء وكبار السن فقد ذكر أبو زرعة أن سعيد ابن عبد العزيز كان يخضب بالحمرة[١٢٧]، وكان مكحولاً الفقيه (فقيه الشام) يخضب بالحمرة أيضاً[١٢٨]. وخضب بعض العلماء باللون الأسود[١٢٩]، وأحياناً باللون الأصفر ويسمى التصفير، فقد كان نمير بن أوس يصفِّر لحيته[١٣٠]، ولم يقتصر الأمر على تغيير لون الشعر، بل شاع في دمشق استعمال الشعر المستعار منذ فترة

---

(١٢١) الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٧١-١٧٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٧؛ ترتون:. أهل الذمة، ص١٣١.

(١٢٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣٧.

(١٢٣) الطبري: تاريخ، ج٩ ص١٩٦.

(١٢٤) القفطي: أخبار، ص٧٢-٧٣.

(١٢٥) الشيزري: نهاية، ص٩٥-٩٦.

(١٢٦) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص٣٧٩؛ حسن حمامي: الأزياء الشعبية، ص٣٠.

(١٢٧) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٢٧٦٥.

(١٢٨) المصدر نفسه، ج١ ص٣٩٦-٣٩٧.

(١٢٩) المصدر نفسه، ج١ ص٣٤٨.

(١٣٠) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٣٤٨-٣٤٩.

متقدمة، فقد روي أن ابن سريج بلغ ٨٥ سنة وصلع فكان يلبس جمة[١٣١]، والجمة مجتمع شعر الرأس والمراد به أنه كان يلبس شعراً مصطنعاً[١٣٢].

وكان الناس في دمشق يزينون شعورهم ويقصونها عند الحلاق أو المزين، الذي كان يحضر إليه الناس من مختلف مهنهم وثقافتهم[١٣٣]. ولم يقتصر عمل الحلاق على قص الشعر وتزيينه بل كان يقوم بأعمال أخرى منها الفصد والحجامة وقلع الأضراس، إلى جانب أنه في بعض الأحيان قام بعمليات الختان لبعض الأشخاص الذين يحضرون أبناءهم إليه[١٣٤].

د- الاحتفال بالأعياد:

كانت الأعياد عند المسلمين وما زالت مظهراً من المظاهر التي تتجلى فيها أبهة الإسلام، كما تعكس روح التسامح بين أفراد المجتمع الإسلامي، فقد استمر المسلمون في الشام وغيرها بالاحتفال بالعيدين الرئيسيين في الإسلام وهما عيدي الفطر والأضحى، وكانت الاحتفالات بهذين العيدين تبلغ غاية الروعة في دمشق[١٣٥]. وكان المسلمون يحتفلون بالأيام التي تسبق عيدي الفطر والأضحى، حيث كان لشهر رمضان الذي يسبق عيد الفطر مكانة كبيرة في نفوس المسلمين، وكانوا يكثرون فيه التردد على المساجد للعبادة وتلاوة آيات القرآن الكريم، وكان يتم الاحتفال بختم القرآن الكريم[١٣٦]، وكثرت العبارات التي يرددها أهل الشام في وداع الشهر الفضيل[١٣٧]. وكان بعض الأمراء في هذا الشهر يقيم الموائد الجماعية من أوله إلى آخره ويجعل بيته مفتوحاً يدخله من يحتاج للطعام والشراب، ومثال ذلك ما قام به "مالك بن طوق" والي دمشق للواثق والمتوكل[١٣٨]. كما احتفل أهل دمشق في الأيام التي كانت تسبق عيد الأضحى وهي أيام الاستعداد لأداء فريضة الحج التي كانت تستغرق شهراً أو أكثر[١٣٩]. وكان الناس يتجمعون في ظاهر المدينة لإعداد الحجاج ووداعهم في مكان فسيح صار يطلق عليه "اسم المناخ"، وغالباً ما يستغرق التجمع عدة أيام حيث ينطلقون بعدها لأداء فريضة الحج[١٤٠]. وفي

---

(١٣١) الأصفهاني: الأغاني، ج١ ص٣٤٩.

(١٣٢) المصدر نفسه: ج١ ص٣٤٩.

(١٣٣) الشيزري: نهاية، ص٨٨.

(١٣٤) الشيزري: نهاية، ص٨٨؛ سعيد عاشور: المؤسسات الاجتماعية، بحث داخل موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٣ ص١٢٧-١٢٨.

(١٣٥) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢ ص٤٣٥، ج٣ ص٤٥٢؛ أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٥٣.

(١٣٦) المقدسي: أحسن، ص١٨٣.

(١٣٧) رياض الزركلي: بلاد الشام، ص١١٩.

(١٣٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٦ ص٤٦٠؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ ص٣٤٧؛ الكتبي: فوات، ج٣ ص٢٣١.

(١٣٩) ابن جبير: رحلة، ص٢٧٥، طبعة القاهرة.

(١٤٠) محمد عثمان: المدينة الإسلامية، ص٢٠٥.

يوم عرفة وهو اليوم الذي يسبق عيد الأضحى مباشرة اعتاد أهل دمشق الخروج بعد صلاة العصر والوقوف بصحون المساجد خاضعين متلمسين البركة ولا يزالون على ذلك حتى تغيب الشمس فينفرون كما ينفر الحجاج يبكون على ما حرموه من ذلك الموقف[١٤١].

وقد جرت العادة أن يتوجه الناس صبيحة أول أيام العيد لأداء صلاة العيد، ومن ثم يتوجهون بعدها إلى المقابر لزيارة موتاهم وهذه عادة قديمة تنم عن احترامهم لموتاهم الذين في الغالب ما يكونوا آبائهم وأمهاتهم، علاوة على تقديسهم لأسرتهم وتثبيت الانتماء إليها، ومن أجل ذلك كانوا يصطحبون معهم أبناءهم الصغار حتى يعلموهم هذه القيم[١٤٢].

وكان الناس يلتقون على المقابر مع أقاربهم الذين يحظرون لنفس الغاية، فيتبادلون التهاني بالعيد، ثم يعودون إلى البيت لتناول طعام الإفطار، الذي يكون معداً من قبل سيدة البيت، وبعد تناولهم طعام الإفطار ينتقلون في مجموعات لزيارة الأهل والجيران والأصدقاء لمعايدتهم[١٤٣].

وذكر المسعودي بعض الممارسات التي كانت تمارس في العيد ومنها سباقات الفروسية حيث يحضرها أناس كثيرون سواء أكانوا مشاركين في السابق أم مشجعين يستمتعون بالسباق[١٤٤]، وقد وصف أحد الأمراء الأمويين وهو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك الخيل في حلبة السباق وكان عددها عشرة، ووصف في قصيدته عادات العرب الأصيلة في السباق والرهان على الجواد الفائز، ثم أسماء الجواد السابقة مرتبة بأسمائها علاوة على ذكر للجوائز التي كانت تمنح للفائزين[١٤٥].

وكما احتفل أهل الشام بالأعياد الرسمية، فقد احتفلوا بمناسبات أخرى غيرها ومثال ذلك احتفالهم بيوم عاشوراء، ويوم المولد النبوي ومنتصف شعبان، وذكرى الإسراء والمعراج، وكانت توزع في هذه المناسبات الحلويات المختلفة الأصناف، كما أن الناس كانوا يرتدون فيها ثياباً جديدة نظيفة[١٤٦].

أما النصارى في الشام وغيرها فكانت أبرز أعيادهم عيد الميلاد، وعيد الشعانين، وعيد الفصح[١٤٧]. وكان عيد الشعانين يشارك فيه عدد كبير من العامة وكان النصارى يقصدون فيه الكنائس ويحملون بأيديهم شجرة زيتون كبيرة، وأغصان الزيتون وسعف النخل[١٤٨].

---

(١٤١) ابن بطوطة: تحفة، ص٨٥.

(١٤٢) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٦٧-٣٧٤.

(١٤٣) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٦٧-٢٧٤.

(١٤٤) المسعودي: مروج، ج٤ ص٣٦٩-٣٧١.

(١٤٥) المصدر نفسه، ج٤ ص٣٤٩-٣٥١.

(١٤٦) شيخ الربوة: نخبة، ج٥ ص١٨٦، ص٢٨٠-٢٨١.

(١٤٧) شوقي ضيف: تاريخ الأدب، ص٩٥-٩٦.

وذكر الشابشتي أن النصارى كانوا يحتفلون بأعيادهم في الأديرة العديدة المنتشرة حول دمشق، وكان لكل دير عيد خاص، ومن رسوم الاحتفال في الأديرة، خروج أهل الدير في موكب يتقدمه القساوسة وهو ينشدون، وقد ارتدوا حللهم الكنسية وحملوا المجامر في أيديهم(١٤٩)، وكان النصارى يلبسون في أعيادهم فاخر الثياب(١٥٠).

ومن الجدير قوله: أن الدمشقيين عامة كانوا يعبرون عن فرحهم بالعيد بقرع الطبول والنفخ في الأبواق، ولبس أفخر الثياب لديهم، وكانوا يخرجون للنزهة والتسوق في مناطق مختلفة(١٥١). وكان المسلمون يشاركون النصارى الاحتفالات بأعيادهم المختلفة ويهنؤونهم ويظهرون لهم المباهج(١٥٢)، كما أن المسلمين الشاميين كانوا يحفظون مواعيد أعياد النصارى ويربطون بينها وبين الفصول والأوقات في السنة، فكانوا يعرفون أن عيد الفصح يصادف وقت النيروز والعنصرة هي وقت الحر، وعيد الميلاد وقت البرد، وعيد البربارة يدل على قرب حلول فصل الأمطار(١٥٣)، وقال الناس في ذلك أمثالاً منها: "إذا جاء عيد بربارة فليتخذ البناء زماره، أي فليجلس في منزله(١٥٤)، كما يصادف عيد الصليب وقت قطاف العنب وعيد لُدَّ وقت الزرع(١٥٥).

واحتفل المسلمون في العصر العباسي بأعياد تأثروا بها من الفرس ومنها المهرجان (روزمهر– أي اليوم الجديد) والذي يصادف في كل يوم ٢٦ من تشرين الأول، وكان الاحتفال فيه يستمر ستة أيام ويسمى اليوم السادس منه بالمهرجان الكبير(١٥٦)، وكان من عادة الناس في هذا العيد أن يغيروا أثاثهم وفرشهم وثيابهم ويعلقوا الزينات ويقرعوا الطبول(١٥٧)، كما احتفل المسلمون بعيد النوروز الذي كان يصادف في بداية كل ربيع من السنة، والذي تحول إلى عيد

---

(١٤٨) متز: الحضارة، ج١ ص٢٨٤.

(١٤٩) الشابشتي: الديارات، ص٣.

(١٥٠) سيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ، ج٣ ص٣٣٠.

(١٥١) المرجع نفسه، ج٣ ص٣٢٩، آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٧٩.

(١٥٢) الشابشتي: الديارات، ص٩؛ المصدر نفسه: ج٢، ص٢٨٠.

(١٥٣) المقدسي: أحسن، ص١٨٢؛ المرجع نفسه: ج٢، ص٢٨١.

(١٥٤) المقدسي: أحسن، ص١٨٢.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(١٥٦) القلقشندي: صبح، ج٢ ص٤١٨؛ سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ، ج٣ ص٣٣٠؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٩٠-٢٩١.

(١٥٧) القلقشندي: صبح، ج٢ ص٤١٨؛ سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ، ج٣ ص٣٣٠؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٨٧.

شعبي يحتفل به الخلفاء احتفالاً رسمياً، علاوة على الناس الآخرين الذين يتبادلون فيه الهدايا ويخرجون فيه إلى المتنزهات[١٥٨].

ومن الجدير قوله أن أهل دمشق قد اعتادوا أن لا يعلموا عملاً في يوم السبت، وإنما كانوا يخرجون إلى المتنزهات وشطوط الأنهار ودوحات الأشجار والبساتين النضرة والمياه الجارية فيتمتعون بمناظرها ويرفهون عن أنفسهم فيكونون بذلك يومهم إلى الليل[١٥٩].

هـ- الأفراح والأتراح:

كان من المألوف في بلاد الشام أن يزوج الأهل ولدهم في سن مبكرة من عمره وذلك لوقايته من خطر الوقوع في مهاوي الزلل، وربما هذا استئناساً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج..."[١٦٠]، وعلاوة على ذلك فإن الزواج المبكر للشاب كان يجعله يميل إلى الاعتماد على نفسه منذ سن مبكرة، لتوفير متطلبات الأسرة الجديدة وحاجاتها الأساسية. وعندما يقرر الشاب ويعلن رغبته بالزواج فإن اختيار الزوجة كان يقع على عاتق أمه، أو إحدى قريباته المسنات، التي تقوم بزيارة بعض المنازل وتعاين ما عندهم من فتيات دون أن تعلن عن مقصدها[١٦١]، وعندما يقع الاختيار على إحداهن تتم الخطبة، التي يتعرف فيها الخطيبان على بعضهما البعض[١٦٢]، وفي هذه الفترة تتلقى العروس الهدايا المختلفة من الخطيب وأهله[١٦٣].

وكان أهل العروسين يحتفلون بمناسبة زواج ابنيهما ويظهرون المباهج، وربما استمر الاحتفال بهذه المناسبة لأيام عدة كانت تسبق ليلة الزفاف للعروسين، حيث كانت تعقد حلقات الرقص والغناء، وكان هذا الأمر متشابهاً في مدينة دمشق أو المناطق المحيطة بها، والتي حرص أهلها على الحضور للمدينة لاستقدام أشخاص يجيدون الرقص او اللعب بالسيف وغيره..ليحيوا الحفلات في مناطقهم[١٦٤].

وفي ليلة الزفاف كانت تجهيزات وأغراض وأثاث العروس تحمل إلى بيت الزوجية في موكب ظاهر للعيان، يتقدمه أناس من لاعبي السيوف أو العصي، وضاربي الطبول والمزامير، وذلك حتى يراه جميع الناس الحاضرين[١٦٥].

---

(١٥٨) سيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ، ج٣ ص٣٢٩.

(١٥٩) ابن بطوطة: تحفة، ج١ ص٧٠.

(١٦٠) العسقلاني: فتح الباري، كتاب النكاح، ج١٠، ص١٠٤.

(١٦١) الشيخ علوان: نسمات الأسحار، ص٣٣١، مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق، مجلد ٣٢، ص١٩٥٨.

(١٦٢) الشيخ علوان: نسمات الأسحار، ص٣٣١.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص٣٣١.

(١٦٤) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص٣٠٩.

(١٦٥) الشيخ علوان: نسمات الأسحار، ص٣٣٣.

أما العريس فكان يوم الزفاف ينتظر في بيت أحد أصدقائه وهو بكامل زينته، حتى تصل العروس إلى بيت الزوجية، ثم يطاف به في موكب بهيج في الحي الذي يقطنه حتى يصل إلى بيت الزوجية، حيث تنتظره العروس، وهنا يدعو الحاضرين للعروسين بالخير والبركة وينصرف الناس عنهم، فيدخل الزوج إلى الدار يقوده أحد أقربائه حتى يصل لموضع العروس فيضع يده بيدها ليدخلان إلى دارهما حيث تنتظرهما القيان والمغنيات اللواتي يستمرن في الغناء حتى نهاية الحفل[١٦٦].

وفي يوم الزفاف كانت الولائم تقام فرحاً بهذه المناسبة والتي يقدم فيها ألوان مختلفة من الأطعمة، وقد شاعت هذه العادة في مختلف مناطق الشام[١٦٧]. وصبيحة اليوم الأول للزواج اعتاد الزوج أن يقدم لزوجته هدية خاصة تسمى (الصبيحة) وتبادله زوجته بنفس الشيء، ثم يخرج الزوج للسوق يوزع السكاكر على كل من يهنئه بالزواج[١٦٨].

أما المسيحيون فكان الشاب غالباً ما يتعرف على خطيبته في الكنيسة حيث يرسل بعد ذلك أهله وذويه بصحبة أحد رجال الدين لخطبة الفتاة، وإذا تمت الموافقة، يحضر الشاب بعد أيام لزيارتها ومعه جملة هدايا وحلي، ويتم تحديد موعد الفرح[١٦٩]، الذي غالباً ما كان يتم في جو بهيج من الاحتفالات التي يحييها المغنون والموسيقيون وتقدم خلال الحفل الأصناف المختلفة من الأطعمة والمشروبات[١٧٠].

واعتاد أهل العروس أن يزوروا ابنتهم في اليوم التالي، وتسمى هذه الزيارة "سلاماً"، ثم يقوم أهل العريس برد الزيارة برفقة عروسه حيث يتم الاحتفال بهم في حفل بهيج[١٧١].

وتميز اليهود عن المسلمين والمسيحيين في أن الخطيب كان يسأل أهل خطيبته عن مقدار ما عندها من الأموال أو نوع الهدايا التي سيقدمها لها إن وافقت على خطبته[١٧٢].

وكانت ثمرة الزواج تكلل بالحمل، حيث كان من المعتاد استعداد المرأة الحامل لاستقبال المولود بتحضير لوازمه، وعندما يحين موعد الولادة، كانت هناك امرأة لها خبرة في توليد النساء تقوم بتوليد المرأة، ثم تأخذ المولود إلى أبيه حيث تتلقى منه البشارة[١٧٣]، وتلزم المرأة

---

(١٦٦) الشيخ علوان: نسمات الأسحار، ص٣٣٣؛ الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٤٩-٢٥٥؛ نعمان القساطلي: الروضة الغناء، ص١٢٦-١٢٧

(١٦٧) الأصفهاني: الأغاني، ج١٣ ص١٧٨.

(١٦٨) الشيخ علوان: نسمات الأسحار، ص٣٣٣؛ الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٤٩-٢٥٥؛ نعمان القساطلي: الروضة الغناء، ص١٢٦-١٢٧.

(١٦٩) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٥٩-٢٦١.

(١٧٠) المصدر نفسه، ج١ ص٢٥٩-٢٦١.

(١٧١) نعمان القساطلي: الروضة الغناء، ص١٢٧-١٢٩.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص١٢٧-١٢٨.

(١٧٣) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٤٤-٢٤٦.

البيت بعد الولادة مدة أربعين يوماً، حيث تحتفل بعد ذلك بالذهاب إلى الحمام برفقة أهلها وأترابها وكان ذلك يعني زوال الخطر عنها، وغالباً ما كان يتم العناية بها في الحمام ويتم طلاء جسدها بمواد مقوية[١٧٤]، أما الطفل فكان عند بلوغه سن الرابعة إلى السادسة يدفع به إلى الكتاتيب حتى يتعلم قراءة القرآن[١٧٥]. وكان والد الطفل يتولى مسؤولية ختان ابنه، وكانت هذه المناسبة من المناسبات المبهجة لدى الأسرة حيث تعتبر بمثابة العيد لهم، ويتم فيها توزيع الأطعمة والأشربة في جو بهيج[١٧٦].

وكان يوم الاحتجام من الأيام تحظى بعناية أهل دمشق، ويقوم فيه الأصدقاء المقربون للمحتجم بتقديم الهدايا ويعمل له أجود الطعام في هذه المناسبة، وكان المزين هو الذي يقوم بعمل الحجامة أحياناً ويتقاضى على ذلك أجراً[١٧٧].

أما عادات أهل دمشق في الأتراح، فقد اعتاد أهل الشام جميعاً وعند احتضار المريض أن يقوم أحد المقرئين بتلاوة آيات من القرآن فوق رأسه، ويستمر بالقراءة حتى يقضي المريض نحبه، فتشرع النسوة بالنياحة ويرتدين الأسود[١٧٨]. وجرت العادة أن يطوف أحد الأشخاص في الشوارع والأزقة معلناً نبأ وفاة فلان وموعد الدفن ومكانه[١٧٩]، وذكر الحميري: أن أهل دمشق يمشون أمام الجنازة ويقرأون القرآن بأصوات شجية وتلاحين مبكية، وكلهم يمشون وأيديهم إلى الخلف، قابضين بالواحدة على الأخرى، ويركعون للسلام على تلك الحالة[١٨٠]، واعتاد أهل دمشق الخروج إلى المقابر لختم القرآن ثلاث أيام إذا مات الميت[١٨١]. وكانت قبور أهل دمشق مسنمة ظاهرة مبنية للأعلى[١٨٢]، وكان الحداد على الميت يتأثر بمكانة الميت الاجتماعية، فإن كانت له مكانة كبيرة في النفوس غالباً ما كانت المحال والأسواق تغلق أبوابها ولا يفتح من المحال إلا ما كان ضرورياً لتقديم خدمة عامة كالخبَّازين والقصابين[١٨٣]، واعتاد أقرباء الميت وجيرانه القيام بإعداد طعام لتقديمه للفقراء والمعوزين[١٨٤]. ومن الجدير قوله: أن الصلاة على الميت غالباً ما كانت تتم في المسجد الجامع، كما كان يتم صلاة الغائب على الأشخاص البارزين

---

(١٧٤) إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية، ص١٨٠.

(١٧٥) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٤٥-٢٤٩؛ متز: الحضارة، ج٢ ص٣٠٠.

(١٧٦) الشيزري: نهاية، ص٨٩-٩٩؛ ابن الأخوة: معالم، ص٢٤٧-٢٥٢.

(١٧٧) ياقوت: معجم الأدباء، ج١ ص٣٧٠؛ ج٢ ص١٤١.

(١٧٨) رياض الزركلي: بلاد الشام منذ، ص١٢٥.

(١٧٩) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٥٥-٢٦٤.

(١٨٠) الحميري: الروض، ص٢٤٠؛ انظر ابن بطوطة: تحفة، ص٨٥.

(١٨١) المقدسي: أحسن، ص١٨٣.

(١٨٢) المقدسي: أحسن، ص١٨٣.

(١٨٣) ابن العديم: بغية، ج٢ ص٦٣٣-٦٣٧.

(١٨٤) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٥٦-٢٥٨.

من العلماء والأعيان والصوفية إذا توفوا في مناطق خارج دمشق أو الشام[١٨٥]. وتشابهت عادة المسلمين مع المسيحيين في تقديم أهل الميت وأقربائهم الطعام للفقراء والمعوزين[١٨٦].

ومن بين العادات التي اعتادها أهل دمشق، أنهم كانوا إذا احتبس عليهم القطر أو غلا عليهم السعر أو جار عليهم السلطان أو كان لأحدهم حاجة، صعدوا إلى مغارة الدم وهي في جبل قاسيون، والتي يزعمون أن ابن آدم هابيل قُتل فيها، فيسألون الله فيعطيهم ما سألوه، وقد صعد إليها فقيه الشام المشهور سعيد بن عبد العزيز في خلافة هشام بن عبد الملك مع جماعة مع الناس للاستسقاء فلبى الله دعواهم ونزل المطر[١٨٧].

وفي الصلاة كان لأهل دمشق عادات خاصة بهم منها أنهم يجلسون بين كل سلامين خلال صلاة التراويح في رمضان[١٨٨]، كما أن بعضهم يوتر بواحدة[١٨٩]، وعند قيامهم إلى كل ترويحة ينادي المنادي الصلاة يرحمكم الله[١٩٠]. وكان فقهائهم يجلسون ليحدثوا الناس بين الصلاتين أو بين العشاءين[١٩١].

وكان أهل دمشق يكثرون من مصافحة بعضهم البعض دبر كل صلاة وعلى الأخص صلاة الصبح وصلاة العصر[١٩٢]، وقد تعود أهل دمشق إيقاد القناديل في مساجدهم على الدوام وكانوا يعلقونها بالسلاسل مثل مكة[١٩٣].

و- الطعام والشراب:

لقد برع أهل دمشق في صنع الأطعمة اللذيذة التي تفتح الشهية؛ فقد ذكر ابن عساكر أن المأمون لما صار إلى دمشق وهو رقيق فغلظ وأخذ بعض اللحم، وكان أكله قبل ذلك في كل يوم ثماني عشرة لقمة، فلما أقام بدمشق صار أكله كل يوم أربعاً وعشرين لقمة بزيادة الثلث[١٩٤]. ومما يؤكد براعة أهل دمشق في الطهي والطبخ، أن طباخ المهدي كان دمشقياً وهو حبيش بن عمر أبو المنهال[١٩٥].

---

(١٨٥) ابن بطوطة: تحفة، ص٨٥؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، تحقيق محمد مصطفى- المؤسسة المصرية- القاهرة، ١٩٦٤، ج٢ ص٩٢.

(١٨٦) الغزي: نهر الذهب، ج١ ص٢٥٦-٢٥٨، ٢٦٣-٢٦٤.

(١٨٧) ابن طولون: القلائد، ص٤٨.

(١٨٨) المقدسي: أحسن، ص١٨٢.

(١٨٩) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(١٩٠) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(١٩١) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(١٩٢) الحميري: الروض، ص٢٤٠.

(١٩٣) المقدسي: أحسن، ص١٨٢.

(١٩٤) المقدسي: أحسن، ج٢ ص٣٩١.

(١٩٥) ابن عساكر: تاريخ، ج١٢ ص٩٢.

وقد مدح الخلفاء العباسيون أكل دمشق وأعجبوا بالطريقة التي يطبخ فيها، حيث ذكر أن المأمون خلال زيارته لدمشق- وبرفقته قاضي القضاة يحيى بن أكثم- قدم له طعام كثير من الفراريج، فجعل المأمون يأكل ويتمطَّق ويتلمظ ويبتسم..فلما استحكم له طعم الفراريج وبلغ نهاية الاستتمام إلى غايته في ذوقه، نظر إلى الطباخ فقال: بأي شيء سمَّنت الفراريج؟ وبمَ طيَّبتها؟ فقال الطباخ: هذه راعية دمشق لم تسمَّن ولم تطيَّب، فقال المأمون ما طعم من طعام للطير ولا ريح من الروائح العذبة إلا وقد خيل إلي أنه في هذه الفراريج، هذا والله أرخص لحماً وأطيب طعماً من مسمن كسكر...وهذا ما جعله يقول: أنه لن يتذوق تلك الفراريج المطبوخة بكسكر والمضاف لها سلسلة من البهارات والمطيبات المتعددة[١٩٦].

كما مدح المعتصم لذة طعام دمشق وطيبته حتى قال فيه: ما شبهت ساكن دمشق إلا بالصائم في شدة الكلف إلى الطعام فإنه جائع أبداً[١٩٧].

وقد اشتهر أهل دمشق بعمل أنواع متعددة من الخبز والكعك حيث انتشرت عدة مخابز في الأسواق، وكان يخبز فيها الأنواع المختلفة من الخبز، واعتاد أهل دمشق تناول الخبز الساخن من التنور مباشرة في السوق، وكانوا يقومون بتغميسه بما معهم من الحلوى أو الأكل، أو الفواكه أحياناً، فقد مر أحد الأشخاص على خباز في دمشق وهو يخبز في تنوره وكان الشخص يبيع المشمش، فاشترى خبزاً وجعل يأكل الخبز الساخن بالمشمش[١٩٨].

وتميز أهل دمشق بصناعة أنواع لذيذة من الكعك، وكان المنصور يتخذ هذا الكعك طعاماً على السحور في رمضان، حيث كان يأتي ببعض الكعك ويجعله في قدح ويغمره في الماء من أول الليل، فإذا كان في السحر يكون قد مات فيشربه، وكان ذلك بمثابة الطعام الذي يعصم والشراب الذي يروي[١٩٩]. ومن الأطعمة التي اشتهرت في دمشق البزماورد، ويبدو انه كان طعاماً خفيفاً يؤكل في الصباح فقد ذكر أن المأمون خلال تجواله في دمشق على قصور بني أمية، دخل إحدى القصور الجميلة فاستحسن المكان وعزم على الصبوح فيه، وقال: ها تولي الساعة طعاماً خفيفاً، فأتي ببزماورد فأعجبه فأكل ودعا بشراب فشرب[٢٠٠]، كما اشتهرت دمشق بطبخ الهليون، فقد وصف أحد الشعراء أكلة هليون تناولها في دمشق، خلال حضوره مجلس الخليفة المستكفي فأمر الخليفة المستكفي بالكتابة إلى أمير الشام أن يحمل إليه منه[٢٠١].

---

(١٩٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٩٢.

(١٩٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٣٩٣.

(١٩٨) الطرطوشي: سراج الملوك، مجلد ٢ ص٦٥٢.

(١٩٩) الجهشياري: الوزراء، ص١٠٢.

(٢٠٠) الأصفهاني: الأغاني، ج١١ ص٢٤١.

(٢٠١) المسعودي: مروج، ج٤ ص٣٦٦-٣٦٧. والشاعر هو محمود بن الحسين السندي (كشاجم).

وشاع في دمشق المضيرة، وهي اللحم المطبوخ باللبن الحامض[٢٠٢]، وكانت المضيرة أكلة مشهورة في العراق أيضاً إلى الحد الذي جعل بديع الزمان الهمذاني يخصص مقامة من مقاماته باسمها وهي المقامة المضيرية[٢٠٣]، كما شاع في دمشق مجموعة من أنواع الأكل الأخرى والتي من أبرزها "البهظية" وهي أرز كان يطبخ باللبن والسمن[٢٠٤]، واللبنية التي كانت تصنع من الأرز واللبن[٢٠٥]. والهريسة التي تتكون من اللحم والقمح المخلوطين بعد أن يتم تطييبهما بأنواع مختلفة من التوابل والبهارات[٢٠٦]. وبرع أهل دمشق بطبخ "الكبدة" بمختلف أنواعها والنخاعات[٢٠٧]، وكذلك الرؤوس المسمطة التي كانت في أغلبها مسلوقة[٢٠٨].

وإذا كان أهل دمشق يتناولون اللحم بمختلف أنواعه كمادة أساسية في طعامهم، فقد كانوا يميلون إلى لحوم الغنم أكثر من غيرها، وكان يتم تمييز هذا النوع من اللحوم عن غيره وذلك بوضع نقاط من الزعفران عليه أو إبقاء الذنب على جسم الماعز حتى آخر بيعة[٢٠٩]. وعلاوة على ذلك تناول أهل دمشق لحوم الطيور المختلفة، وكانت أماكن بيعها خاضعة لرقابة المحتسب[٢١٠]، كما تناولوا الأسماك المختلفة وكانوا يبيعونها مقلية أو نية[٢١١].

أما الحلويات فقد اشتهرت دمشق بصناعة عدة أنواع منها مثل الأرزة التي تغنى بها الشعراء، فقال أحدهم واصفاً لها[٢١٢]:

---

(٢٠٢) الشيزري: نهاية، ص٣٤.

(٢٠٣) بديع الزمان الهمذاني: مقامات، ص١١٤.

(٢٠٤) الشيزري: نهاية، ص٣٤.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٢٠٦) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٦) الشيزري: نهاية، ص٣٥؛ ابن الأخوة: معالم، ص١٥٨.

(٧) الشيزري: نهاية، ص٣٠.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٨.

(٩) الشيزري: نهاية، ص٣٣؛ البدري: نزهة الأنام، ص٣٧٢.

(١٠) المصدر نفسه: ص٣٣؛ المصدر نفسه: ص٣٧٢.

(١١) المصدر نفسه: ص٣٣؛ المصدر نفسه: ص٣٧٢.

(٢١١) المصدر نفسه، ص٣٣، المصدر نفسه، ص٣٧٢.

(٢١٢) المسعودي: مروج، ج٤ ص٣٦٧.

ومنها أيضاً القطائف التي وصفها الشاعر كشاجم بقوله[٢١٣]:

عندي لأصحابي إذا اشتد السغب   قطائف مثل أضابير الكتب

قد مجَّ دهن اللوز مما قد شرب   وابتل مما عام فيه ورسب

وجاء ماء الورد فيه وذهب   فهي عليه حبَبٌ فوق حبب

وذكرت مجموعة أخرى من الحلويات التي اشتهرت بها دمشق ومنها "كعب الغزال" و"المشاش" و"الزلابية" التي تعمل في الشتاء، والصابونية على شكل قوالب الصابون والخبائص[٢١٤].

وأما المشروبات فكان أبرزها المشروب الذي يصنع من العسل، فقد روي أن ابن شهاب الزهري كان يعطي من يجيئه من الطلاب ويطعمهم الثريد ويسقيهم العسل[٢١٥]، وذكر البسوي أن الزهري نفسه كان يسهر على العسل كما يسهر أهل الخمر على الخمر[٢١٦]. ومنها الطِل وهو نوع من الشراب المطبوخ من عصير العنب[٢١٧]. كما عرف أهل دمشق شراباً مصنوعاً من التمر والتين والجزر[٢١٨].

وفي بعض الأحيان كان يتم شرب النبيذ والخمر في الأديرة القريبة من دمشق مثل دير صليبا على أطراف مدينة دمشق، وقد ذكر الشابشتي شعراً يصف فيه قدوم الناس للدير لشرب الخمر، الذي كان يتم على ما يبدو بدفع النقود، حيث قال[٢١٩]:

يا دير باب الفراديس المهيج لي   بلابلاً بقلاليه وأشجاره

ومفلساً لي من مالي ومن نشبي   بما أباكره من خمر خمَّاره

لو عشت تسعين عاماً فيك مصطبحاً   لما قضى منك قلبي أوطاره

وإلى جانب الأصناف المتعددة من الطعام والشراب فقد اشتهرت دمشق بالفواكه المتعددة الأنواع، والتي كانت تنتج من غوطتها، وكان الدمشقيون يقدمونها قبل الطعام أو بعده، بل إن الأطباء كانوا يصفون الفاكهة كنوع من الدواء كالتفاح مثلاً[٢٢٠].

أما عن كيفية الأكل، فقد كان الأغنياء يتناولون طعامهم على موائد بينما الفقراء كانوا يتناولونه جلوساً على الأرض[٢٢١]، وفي بعض الأوقات كان يتم تناول الطعام عن طريق موائد

---

(٢١٣) المسعودي: مروج، ج٤ ص٣٦٩.

(٢١٤) الشيزري: نهاية، ص٤٠-٤١؛ ابن الأخوة: معالم، ص١٨٠-١٨٢.

(٢١٥) البسوي: المعرفة، ج١ ص٦٢٥-٦٢٦.

(٢١٦) المصدر نفسه، ج١ ص٦٢٥-٦٢٦.

(٢١٧) أبو زرعة: تاريخ، ج١ ص٣٣٣؛ ابن منظور: لسان، مادة طلي، ج٨ ص١٩٤-١٩٥.

(٢١٨) الجاحظ: رسائل، ص١١٥-١٢٠؛ سيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ، ج٣ ص٢٢٨.

(٢١٩) الشابشتي: الديارات، ص٣٤٠.

(٢٢٠) القفطي: أخبار، ص٧٢-٧٣.

جماعية، وكانت هذه الموائد تنشط في رمضان حيث كان يقيمها القادرين من الأغنياء أو الولاة، فقد روي أن والي دمشق للمتوكل مالك بن طوق كان ينادي على باب داره بالخضراء- وكانت داره الإمارة- بعد المغرب الإفطار يرحمكم الله "وكانت الأبواب مفتحة يدخلها الناس[٢٢٢]. ويظهر أن الموائد الجماعية قد استمرت في دمشق حتى فترة متأخرة بل إنها أصبحت مميزة تميزهم حيث ذكر ابن بطوطة، أن ما يميز أهل دمشق أنه لا يغط أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة، فكل من الأمراء والقضاة يعمل وليمة يدعو لها أصحابه والفقراء[٢٢٣].

واعتاد أهل دمشق عندما يقدم إليهم أحد الأشخاص، وينزل على أحدهم أن يكرموه حيث يعمل له دعوة حفلة (يقدم له خلالها الطعام والشراب) فلما نزل يعيش بن الوليد بن هشام الأموي دمشق نزل على مكحول فعمل له وليمة[٢٢٤]، كما اعتاد بعض الأشخاص عندما يزوره الأصدقاء أن يقدم لهم وليمة في المزرعة الخاصة به حيث يعد لهم ما طاب من الأطعمة[٢٢٥].

ومن الجدير قوله: أن الأطعمة والأشربة علاوة على توفرها في دمشق فقد كانت أسعارها رخيصة ويؤكد ذلك ما قاله أحد الأشخاص عندما سأله المعتصم عن سبب حرصه على القيام بدمشق: ما ظنك ببلد يأكل فيها الصغير ما لا يجده الكبير في غيرها[٢٢٦]، واشترى أحد الأشخاص في دمشق نبيذاً وفاكهة وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً وكانت هذه الكمية كافية لطعام ثلاثة أشخاص طوال سهرهم[٢٢٧].

٢- الأحوال الاقتصادية:

أ- الثروة الزراعية والحيوانية:

تميزت دمشق عن غيرها من مناطق الشام بغناها بمصادر المياه، التي تتمثل في نهر بردى وفروعه الكثيرة، وعلاوة على ذلك كثرة الينابيع المتفجرة فيها، والتي تؤدي إلى تجمع السيول المتعددة والمتكونة في مواسم الأمطار[٢٢٨]. وقد استغل أهل دمشق واستثمروا تلك المصادر للمياه وعملوا على شق الطرق والقنوات إلى أراضيهم وبساتينهم لتسقي زروعهم وأشجارهم[٢٢٩].

---

(٢٢١) أشتور: التاريخ الاجتماعي، ص٢٩.

(٢٢٢) الذهبي: تاريخ، حوادث، ٢٥٠-٢٦٠ وص٣٤٧؛ الكتبي: فوات، ج٣ ص٢٣١.

(٢٢٣) ابن بطوطة: تحفة، ص٨٤.

(٢٢٤) الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٢١-١٣٠هـ ص٥٧١.

(٢٢٥) الذهبي: سير، ج١٠ ص٣١٤-٣١٥.

(٢٢٦) ابن منظور: مختصر، ج٤ ص٣١٧.

(٢٢٧) الأصفهاني: الأغاني ج١١ ص٢٤٠.

(٢٢٨) رجاء دويدري: جغرافية، ص٤٣٠؛ صفوح خير: غوطة، ص١١٧.

(٢٢٩) صفوح خير: مدينة، ص١٤٠؛ سوفاجيه: دمشق، ص٢٤.

ويظهر أن أهل دمشق مارسوا الزراعة بنوعيها المروية التي تعتمد في سقايتها على نهر بردى والقنوات المتفرعة عنه، والبعلي التي تعتمد على مياه الأمطار التي تتميز بعدم الانتظام في بعض الأعوام، وهذا ما كان ينعكس على الموسم الزراعي بشكل عام وعلى الفلاحين وصغار الملاك بشكل خاص(٢٣٠).

ولم تشر المصادر إلى قيام العباسيين بالاهتمام بأمور الزراعة وعمل المشاريع الزراعية التي تساهم في حل المشاكل الزراعية وتنمية الثروات الزراعية المختلفة خلال فترة البحث، ويظهر أن الأوضاع الزراعية استمرت على ما كانت عليه أيام الخلافة الأموية وما قبلها(٢٣١). ولكن المأمون خلال زيارته لدمشق ومقامه بدير مرّان أمر بحفر قناة من نهر منين وأجراها إلى معسكره بدير مرّان(٢٣٢).

ومن المؤكد أن عدم الاستقرار في الأوضاع السياسية وقيام الثورات المتكررة، وبالتالي انعدام الأمن في دمشق قد ساهم في تراجع الأحوال الاقتصادية المختلفة وخاصة الزراعية في العصر العباسي، وعلاوة على ذلك فقد حرص العباسيون على متابعة وتقصي أخبار أصحاب الأموال والثروات من الأمويين وغيرهم والشك في اتجاهاتهم، وربما التضييق عليهم، وقد ساهم ذلك في تعطيل قيام العديد من المشروعات الاقتصادية التي كان من المفترض قيامها، فلما ذكر للرشيد أن رجلاً من الأمويين في أهل دمشق كان كثير المال والأولاد، خشيه الرشيد وأمر أحد مواليه بإحضاره إليه(٢٣٣). ويظهر أن الخلفاء العباسيون خشوا أن يستغل أولئك الأشخاص أموالهم لإفساد الأمور على العباسيين.

وقد وردت في المصادر روايات تشير إلى تأخر الأوضاع الاقتصادية بما فيها الثروة الزراعية في الشام عامة ودمشق خاصة، خلال الفترة العباسية عما كانت عليه في الفترة الأموية، فقد ساء الرشيد تراجع الحالة الاقتصادية لدمشق خلال ولاية الحسن بن عمار عليها، فأغلظ له في القول وعزله وعاقبه قائلاً له: أنه ولاة دمشق جنة خضراء فإذا بها تصبح أجرد من الصخر وأوحش من القفر(٢٣٤).

ويظهر أن أهل دمشق قد أعرضوا عن العمل في الزراعة بسبب الحيف والظلم الذي كان يلحق بهم بسبب سياسة الولاة القاسية ويبدو ذلك من خلال رد الحسن بن عمار على الرشيد

---

(٢٣٠) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ ص٩٠.

(٢٣١) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٢٨.

(٢٣٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٢٩١؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢١١-٢٢٠هـ، ص٨، ١٤؛ كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢٣٣) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢ ص٦٣؛ الاتليدي: نوادر الخلفاء، ص١٨٨.

(٢٣٤) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص١٠٤.

بعد أن عزله عن ولاية دمشق حيث ذكر أن أهل دمشق تركوا العمل بالزراعة لأنهم وجدوا أن عملهم هذا أكثر وقعاً وضرراً بالسلطان[٢٣٥].

كما ساءت الأحوال الاقتصادية في عهد الخليفة المأمون وخلال ولاية معيوف بن يحيى على دمشق حتى شحَّ الخبز وأصبح توفيره من الأمور الصعبة[٢٣٦]. وجاءت مشاركة أهل دمشق في ثورة المبرقع اليماني ذات الأبعاد الاقتصادية تعبيراً منهم عن سخطهم على الأوضاع الاقتصادية والحيف الذي لحقهم من ظلم الولاة لهم وقسوة التعامل معهم[٢٣٧].

ومما لا شك فيه أن خلفاء بني العباس قد بذلوا جهداً لإصلاح الأوضاع الاقتصادية في دمشق والشام لعلَّهم يستطيعون بذلك إنقاذ المنطقة من حالة السوء والتردي التي كانت تعانيها، ولعلهم بعد ذلك يستطيعون زيادة الدخل الذي يخرج من تلك المنطقة ويذهب إلى خزينة الدولة.

فقد بعث المنصور "بقية بن الوليد الكلاعي" ومحرز بن رزيق بن حسان الفزاري" و"هضاب بن طوق" لتعديل أرض دمشق[٢٣٨]. كما قام بتعديلها مرة أخرى حيث بعث إسماعيل بن عياش بن سليم الحمصي إلى دمشق فعدّل أرضها للخراج[٢٣٩]. وكان المنصور قد عدّل أرض الغوطة وجعل على كل ثلاثين مداً ديناراً بالقاسمي وكان أداء الناس على ذلك الحال إلى أن تعدى من تعدى[٢٤٠]، وأقام المأمون سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م بدمشق لمساحة أرض الشام، حيث استقدم أحمد بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الطائي من الموصل إلى دمشق، حتى يقوم بتعديل أرض الشام ومساحتها[٢٤١].

كما جرى تعديل آخر لأرض دمشق في عهد الخليفة المتوكل، حيث عهد سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م إلى الكاتب أحمد بن المدبر من سامراء بتعديل أرض دمشق والأردن[٢٤٢].

ويظهر أن إجراءات التعديل والمساحة كانت تلحق الأذى والظلم في بعض الناس، وكان الخلفاء يحرصون على رفع ذلك الظلم حيث يرسلون من يمثلونهم ليسمعوا شكاوي الناس وظلاماتهم من التعديل والمساحة، فقد كان معلي بن أيوب أبو العلاء الكاتب من كتَّاب المأمون

---

(٢٣٥) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص١٠٤.

(٢٣٦) الصفدي: تحفة، قسم ١ ص٢٦٧.

(٢٣٧) فيليب حتي: تاريخ سورية، ج٢ ص١٦٥.

(٢٣٨) ابن عساكر: تاريخ، ج١٠ ص٣٢٩، ج١٦ ص٢٧٦؛ الذهبي: سير، ج٨ ص٣١٩.

(٢٣٩) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٨١-١٩٠هـ ص٧١؛ ابن العديم: بغية، ج٤ ص١٧٤١.

(٢٤٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٧ ص٢٢٤؛ كرد علي: خطط الشام، ج٥ ص٥٨.

(٢٤١) ابن العديم: تاريخ، ج٥ ص٢١٨٣-٢١٨٥.

(٢٤٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٩ ص٣٧١؛ ج٥٥ ص٢١-٢٢.

الذين قدموا معه دمشق وبقي هناك حتى كتب للمتوكل وكان ممن حضر الجامع بدمشق للكشف عن أحوال المتظلمين من التعديل والمساحة[٢٤٣].

ب- المحاصيل الزراعية:

لقد استمرت دمشق في الفترة العباسية بزراعة المحاصيل التي عرفتها من قبل، كما أدخلت بعض المزروعات الجديدة[٢٤٤]. واشتهرت دمشق بزراعة سلسلة من المحاصيل الزراعية المتنوعة كالحبوب والخضروات والأشجار المثمرة والورود.

أما الحبوب فوجد الشعير والقمح والذرة والأرز والباقلاء والبسلة والجلبان واللوبيا والحلبة والسمسم والقرطم[٢٤٥]. وكانت الحنطة والشعير ترتكز في السفح الأعلى لقاسيون الذي لم يكن فيه من البناء إلا بعض الدور القليلة المتفرقة في أنحائه[٢٤٦]، وكانت حقول دمشق الخضراء تثير الإعجاب في نفس الشعراء حتى وصفها البحتري بقوله[٢٤٧]:

فَلَسْتَ تُبْصِرُ إلاّ وَاكِفاً خَضِلاً ... أَوْ يَانِعاً خَضِراً أَوْ طَائِراً غرِدَا

وشاعت في دمشق زراعة الخضروات، وكانت تتركز في سفح قاسيون الذي كان يمون دمشق طوال السنة بأنواع الخضروات والبقول التي تتركب منها السلطات، كالسلق والبراصيا والكراث والسبانخ والكزبرة والبقدونس والخس الصيفي والشتوي والفجل[٢٤٨]. كما اشتهرت دمشق بزراعة الباقلاء التي وصفها الأمير أبو الفضل بقوله:

وَتَخَالُ نَورَ البَاقِلاءُ إذا بَدَا ... لِلَواحِظِ الأَبْصَارِ طَرْفاً أَحْوَلا[٢٤٩].

وزرع في دمشق القثاء الذي كان يتميز بطيبه ولذته، كما زرع فيها القلقاس والملوخيا والباذنجان واللفت والجزر والعليون والقنبيط والرجلة والبقلة اليمانية[٢٥٠].

وذكر كرد علي أن من خصوصيات دمشق (الطرخون) من بقول المائدة، كما كان ينبت فيها الرشاد والبقلة والماش والهندباء[٢٥١]. كما كان ينبت في دمشق نبات السوس وخاصة في منطقتي الغوطة والمرج والذي كان يعمل منه شراباً لذيذاً[٢٥٢].

---

(٢٤٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥ ص٢٢؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ ص٥٥-٥٦؛ سير، ص١٢٥-١٢٦؛ بدران: مختصر، ج٤ ص١١٠؛ أحمد بدر: فقهاء الشام الشام، ص٩٦.

(٢٤٤) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٣٠-٣٣١.

(٢٤٥) القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٠؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص١٧٨.

(٢٤٦) ابن طولون: القلائد، ص٤٣.

(٢٤٧) القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٠؛ ابن طولون: القلائد، ص٤٣-٤٤.

(٢٤٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤٠٤.

(٢٤٩) القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٠.

(٢٥٠) القلقشندي: صبح، ج٤، ص٩٠.

(٢٥١) كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص١٥٦.

واشتهرت منطقة دير مران بزراعة الزعفران بشكل كبير، نظراً لما يمثله هذا النبات من أهمية في حياة الأديرة وكان يزرع في حدائق الأديرة، حيث يباع ويصرف من ثمنه على خدمة الأديرة(٢٥٣).

أما الأشجار المثمرة: فقد اشتهرت دمشق ببساتينها اليانعة التي تحتوي أنواعاً عديدة من الأشجار المثمرة(٢٥٤). والتي كان من أبرزها أشجار الفاكهة المختلفة حيث ذكر الشاعر الأمير الفضل في وصف الفواكه قوله(٢٥٥):

وَفَواكِهُ مُتَخَالِفٌ أَصْنَافُها   ممّا يَشُوقُكَ مَطْعَماً وَتَأَمُلاً

وذكر ياقوت أن دمشق بها فواكه جيدة يانعة طيبة تحمل إلى جميع ما حولها من البلاد من مصر إلى حرّان وما يقارب ذلك فتعم الكل(٢٥٦)، فقد اشتهرت دمشق بزراعة أشجار التفاح الحلو المذاق الأصفر منه والأحمر والذي كان يثير شجون الشعراء لوصفه والتغني به، حيث وصف الصنوبري تفاح دمشق الأحمر وشبهه بالخد الذي تعلوه الحمرة خجلاً فقال:

فمن تفاحة لم تعد خدا   ومن أترجه لم تعد ثديا(٢٥٧).

كما وصفه الأمير الفضل بقوله:

مُصْفَرٌ تُفَاحٌ بَدَا في أحمَرٍ   يَحكي المحبَ أتى الحبيبَ مُقْبلا(٢٥٨).

وذكر كرد علي: أن في دمشق من التفاح ما يزيد على خمسة عشر صنفاً ومن الكمثرى ما يزيد على عشرين صنفاً(٢٥٩). كما اشتهرت دمشق بزراعة الأترج(٢٦٠). كذلك اشتهر بها الرمان والقارصيا والبرقوق والخوخ والإجاص والعناب(٢٦١). وكذلك المشمش الذي وصفه الأمير أبو الفضل وصفاً مشوقاً، ذكر فيه مواصفات المشمش ولونه وكيفية جمعه وطعمه الحلو المذاق(٢٦٢)، وكان المشمش يباع في كثير من الأحيان عن طريق الباعة المتجولين في الأسواق(٢٦٣).

---

(٢٥٢) المرجع نفسه، ج٤ ص١٧٩.

(٢٥٣) ابن طولون: القلائد، ص٤٤-٤٥.

(٢٥٤) المصدر نفسه، ص٤٨.

(٢٥٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤٠٤.

(٢٥٦) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٦٥.

(٢٥٧) المصدر نفسه، ج٢ ص٤٦٧.

(٢٥٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤٠٤.

(٢٥٩) كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص١٥٦.

(٢٦٠) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٦٧.

(٢٦١) القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٠-٩١.

(٢٦٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢ ص٤٠٤-٤٠٥.

(٢٦٣) الطرطوشي: سراج الملوك، ج٢ ص٦٥٢.

ومن الأشجار المثمرة أيضاً التين والعنب والزيتون[٢٦٤]، وكانت زراعة الزيتون والعنب من الزراعات القديمة التي عرفتها سورية وذلك لأن البلدان المجاورة لها كانت تفتقد هذه الزراعات، حيث دخلت زراعة الزيتون إلى أوروبه بعد القرن ٦. ق.م وكان الفينيقيون قد عرفوه قبل ذلك بمدة ونقلوه إلى جانب العنب والنحيل إلى اليونان[٢٦٥].

ومما يدل على قدم زراعة العنب والزيتون في دمشق ما وجد من بقايا معاصر الزيتون وأحجار الطواحين التي كانت تستخدم لهذه الغاية والتي تعود إلى زمن الفينيقيين، فقد ذكر البدري انه شاهد في كفر سوسة بقايا معصرة زيتون تعود إلى زمن عيسى عليه السلام[٢٦٦]، وقد عد البدري ما يزيد على العشرين نوعاً من أنواع العنب في دمشق وحدها[٢٦٧].

وكانت منطقة داريا اشهر مناطق زراعة العنب في دمشق[٢٦٨]، واغلب زراعات العنب في الشام تعيش على البعل إلاّ ما كان منها في الغوطة والمرج[٢٦٩]. واعتاد الناس أن يأكلوا الأعناب طازجة، أو كانوا يقومون بصنع الدبس منها أو الخل أو النبيذ، وفي بعض الأحيان كان يتم تجفيفه حيث يصنع منه الزبيب[٢٧٠]. ومن أشهر أصناف العنب في دمشق الزينبي والبلدي والأحمر والداراني والدربلي والحلواني والأسود[٢٧١].

أما الزيتون فكان يزرع في الغوطة والمرج وكان ينجب في البعل، بينما كان يسقي في الغوطة والمرج[٢٧٢]، ومن أشهر أنواع الزيتون في دمشق الدان وهو أغناها زيتاً والاخضر أو المصعبي والجلط والتفاحي وكان المصعبي يكبس ولا يعصر، وأجود أنواع المكبوسات الجلط الذي يشبه البلح[٢٧٣].

ومن الأشجار المثمرة أيضاً البندق والفستق اللذين كانت تشتهر بهما منطقة الميطور[٢٧٤]، كما اشتهرت منطقة عين التينة إلى الجنوب من معلولا بزراعة أشجار الفستق، وقد فاق فستقها بحسنة فستق حلب وله شهرة زائدة وقبول تام في سائر البلاد[٢٧٥].

---

(٢٦٤) القلقشندي: صبح، ج٤ ص٩٠-٩١؛ ابن طولون: القلائد، ص٦١.

(٢٦٥) علي الحسني: تاريخ سورية الاقتصادي، ص١٠.

(٢٦٦) أبو البقاء البدري: نزهة الأنام، ص٢١٢.

(٢٦٧) كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص١٥٥-١٥٦.

(٢٦٨) المرجع نفسه: ج٤، ص١٨٠.

(٢٦٩) المرجع نفسه، ج٤، ص١٨٠.

(٢٧٠) المرجع نفسه، ج٤، ص١٨٠.

(٢٧١) المرجع نفسه، ج٤، ص١٨٠-١٨١.

(٢٧٢) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص ١٧٩.

(٢٧٣) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢٧٤) ابن طولون: القلائد، ٦١.

(٢٧٥) الحصني: منتخبات، ص١٠٦٦.

وكانت البساتين المحيطة بدمشق كثيرة ومنتظمة، ففي العهد الطولوني كان أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون يحب التنزه في منطقة مرج عذراء، وكان يعقد هناك مجالس الطرب والغناء[٢٧٦]، ويظهر أن بساتين الأشجار المثمرة قد استمرت في دمشق حتى عهد متأخر، فقد شبهت دمشق بمدينة فاس التي أنشأها الأدارسة في المغرب خلال مرحلة عنفوانها وذلك لكثرة بساتينها[٢٧٧]، وهذه دلالة على أن دمشق كانت ما تزال زراعتها مزدهرة وبساتينها منتظمة وغنية.

وتميزت المنطقة الغربية للربوة بأنها كثيرة البساتين[٢٧٨]. ووصفت بساتين الربوة بأنها بديعة الجمال[٢٧٩].

ويبدو أن البساتين كان يخشى عليها من السرقة والعبث ومن هنا كان أصحابها يعينون أشخاصاً عليها ليقوموا بحراستها ونطرها من الأشخاص العابثين أو الحيوانات والطيور[٢٨٠]، وذكر ابن طولون (ت ٩٥٣هـ) أن أعداد الزراع والحراس خلال فترته كانت كثيرة في منطقة السفح الأدنى وهذا ما كان يشجع الناس للسكن فيه[٢٨١].

ولابد من القول: أن أهل دمشق قد برعوا في فن التطعيم والتركيب للأشجار منذ فترة متقدمة حيث ذكر البدري (ت ٨٤٧هـ): أنه كان بغوطة دمشق أشجاراً تحمل الواحدة منها أربع فواكه كالمشمش والخوخ والتفاح والكمثري، وبها ما يحمل الثلاث وأقلهن اللونان من الفواكه[٢٨٢].

ومن الفواكه التي اشتهرت بها دمشق أيضاً البطيخ، حيث كان أهل دمشق يزرعون البطيخ بغرارتين ونصف بزر أصفر على الري من مياه نهر داريا[٢٨٣].

وعلاوة على الأشجار المثمرة فقد اشتهرت غوطة دمشق بأنواع مختلفة من الأشجار غير المثمرة وخاصة الحور والسرو والزيزفون والدلب والغار والكينا[٢٨٤]، أما أشجار الحمضيات ومنها الأترج والليمون والكباد والنارنج والموز وكذلك أشجار النخيل فكانت قليلة الانتشار وذلك لأن مناخ دمشق لا يناسبها، فهي تحتاج إلى الدفء[٢٨٥]. واشتهرت دمشق بكثرة

---

(٢٧٦) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٨١-٢٩٠ و ص ١٧١.
(٢٧٧) القلقشندي: صبح، ج٥، ص١٥١.
(٢٧٨) ابن طولون: القلائد، ص ٥٢.
(٢٧٩) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٢٨٠) اليعقوبي: تاريخ، ج٢ ص٣٩٩؛ الشابشتي: الديارات، ص٢١٣-٢١٤.
(٢٨١) ابن طولون: القلائد، ص٤٤.
(٢٨٢) البدري، لطايف الأعاجيب، ص٣٥٩.
(٢٨٣) شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٨.
(٢٨٤) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ١٥٢، عفيف البهنسي، الشام، ص٢٩.
(٢٨٥) كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص١٨١، صفوح خير: مدينة، ص٥٤٩.

ورودها ورياحينها التي كان يصنع منها العطور وماء الزهر أو الورد[٢٨٦]. وذكر البدري: أن حكماء اليونان زرعوا الورد والرياحين والأزهار في سفح قاسيون وكان النسيم إذا هب ومر بها يحمل منها ريحاً طيبة ويسري بها إلى من تحتها من أهل المدينة والسكان[٢٨٧].

ومن أنواع الزهور التي اشتهرت دمشق بزراعتها الورد والآس والنرجس والبنفسج والياسمين والنسرين، وكانت دمشق تزيد على مصرفي ذلك خصوصاً الورد الذي يستقطر منه ماء الورد وينقل إلى سائر البلدان[٢٨٨]. ووصف الأمير أبو الفضل بعض أنواع الورد بدمشق بقوله: [٢٨٩]

والوردُ مثلُ الخَدِ يَعْلُوه من الرَّيْحانِ صدغ شعره قدر جلا

وبنفسجٍ كَنَفَّاضَةٍ مِنْ أَثْمَدٍ تُبْدِيْهِ أَجْفَانُ البكاءِ تَذَللاً

ومن الزهور أيضاً الزرنيب وهو شجر طيب الرائحة ذكره أحد الشعراء بقوله:

لأَزْهَارِها نَشْرُ مسكٍ إذا ما نَسيمُ هَبَّ أَوْ زَرْنِيْبُ[٢٩٠].

وقد أكثر الشعراء في مدح خضرة دمشق وكثرة ورودها الجميلة ذات الروائح الزكية[٢٩١]، وذكر كرد علي: أن دمشق كان فيها من الورد أنواع ومن الجوري أنواع كثيرة، ومن النرجس أنواع كثيرة وكذلك الزنبق والآس والريحان والبان والتمرحنا[٢٩٢].

وعلاوة على ذلك فقد نبت في دمشق مجموعة من الأعشاب والزهور البرية الموسمية، ومنها شقائق النعمان والأقحوان وغيرها[٢٩٣].

ج- أما الثروة الحيوانية:

تنوعت الحيوانات في دمشق حيث ربيت فيها الأغنام والأبقار والماعز، كان أهل دمشق يعتمدون على ألبانها ولحومها وأصوافها[٢٩٤]. وكان أهل دمشق يستخدمون في طعامهم لحوم

---

(٢٨٦) ابن طولون: القلائد، ص٤٣، ص٥٥.

(٢٨٧) البدري: لطايف الأعاجيب، ص٥٤٩.

(٢٨٨) القلقشندي: صبح، ج٤، ص٩١.

(٢٨٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٤٠٤.

(٢٩٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٠.

(٢٩١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٣٩٦-٣٩٨.

(٢٩٢) كردي: خطط الشام، ج٤، ص١٥٦، الحصني: منتخبات، ص١١٩٠-١٢٠٣.

(٢٩٣) الحصني: منتخبات، ص١٩٩١، ص١١٩٩.

(٢٩٤) القلقشندي، صبح، ج٤، ص٩١؛ كرد علي خطط الشام ج٤، ص١٨-١٨٤.

الغنم أكثر من غيرها[٢٩٥]. بينما كانت الأبقار يستفاد من ألبانها بشكل أكبر علاوة على استخدامها في كثير من الأحيان في الأعمال الزراعية كالحراثة والنقل أو الجر[٢٩٦].

ووجد إلى جانب ذلك الخيول والبغال والحمير التي استخدمت للقيام بالأعمال الزراعية[٢٩٧]. علاوة على استخدامها في عمليات التنقل المختلفة[٢٩٨]، واهتم أهل دمشق بتربية أنواع مختلفة من الطيور منها الأوز والدجاج والحمام، وكان يتم تفريخ هذه الطيور بالحضانة الطبيعية وذلك لطبيعة الجو في الشام عامة ودمشق خاصة، على العكس من مصر التي كانت تستخدم معامل متخصصة لإنتاج الفراريخ[٢٩٩].

وقد وصف الأمير أبو الفضل خيولها بقوله[٣٠٠]:

وَلَطَالَمَا عَايَنْتُ فِي قُطْرَيْهِما خَيْلاً ... رَوَائِعَ أَوْ خَمِيْسُ مَرْقَلا

وعلاوة على ذلك فقد انتشرت في دمشق الحيوانات المتنوعة غير المدجنة فقد ذكر أن جرود إحدى قرى دمشق الشمالية كان في أراضيها كثير من حمر الوحش بشكل يجاوز الحصر[٣٠١].كما وجد في دمشق الغزلان والأرانب والأسود وكثير من الوحوش الأخرى[٣٠٢]، وكانت منطقة الميدان في دمشق فيها من الأسود والغزلان كثير[٣٠٣]. وقد وصفت دمشق بأنها كثيرة البراغيث[٣٠٤]، وروي أن أبو هريرة قال: أنا لبراغيث الشام أخوف مني لغيرها[٣٠٥].

د- الصناعات والحرف:

اشتهرت دمشق منذ القدم بتعدد صناعاتها وجودتها وعلى الرغم من التقلبات التي تعرضت لها دمشق إلا أنها حافظت على العديد من صناعاتها والتي استمرت خلال العصر العباسي، فقد اشتهرت دمشق بالصناعات التي تعتمد على المواد الزراعية كمواد أولية ومنها الصناعات العطرية أو العطور، وكذلك الصناعات الغذائية فقد كان لانتشار زراعة الزهور في دمشق وكثرة أنواعها سبب هام في اشتهار دمشق بصناعة العطور والطيوب منذ أزمان قديمة، وذكر كرد علي أن الأقدمين كان لهم غرام شديد بالملاب (العطر المائع) والكباد اليابس، كما

---

(٢٩٥) الشيرزي، نهاية ص٢٨.
(٢٩٦) القلقشندي: صب، ج٤، ص٩١.
(٢٩٧) المصدر نفس:ج٤، ص٩١.
(٢٩٨) الطبري: تاريخ، ج٩، ص١٩٦؛ المقدسي: أحسن، ص١٨٣؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٤٥، ص٣٠٩.
(٢٩٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٤٠٤.
(٣٠٠) القلقشندي: صبح، ج٤، ص٩١.
(٣٠١) ابن خلكان: صبح، ج٦، ص ٣٥٤.
(٣٠٢) القلقشندي: صبح، ج٤، ص٩١.
(٣٠٣) ابن عساكر، ج٢، ص٤٠٤.
(٣٠٤) الطبري: تاريخ، ج٩، ص٢١٠، ابن الجوزي المنتظم، ج١١، ص٣٢٢.
(٣٠٥) ابن الفقيه، البلدان، ص١١٨.

كانوا يستعملون المسك والعنبر والزعفران كثيراً، وكان لهم طيب اسمه الغالية وهو مسك وعنبر معجونات بلبان[٣٠٦].

وقد أورد شيخ الربوة من أهل القرن ٨هـ إشارة إلى كثرة الورود في دمشق وكيفية صناعة العطور ورسم صوراً للمعامل والآلات التي يتم فيها صناعة العطور، وذكر أن الزهور والورود تجعل في الكركات والانابيق، ثم تؤخذ إلى القرع والانبيق وهما آلتان لصنع ماء الورد، السفلى وهي القرع، وكانت العليا على هيئة المحجمة وهي الانبيق، وغير هذه الكركة كركة أخرى يستخرج منها الماورد وغيره من المياه بلا ماء بوقود الحطب بعد حشوه الفرع بالورد ولسان الثور وزهر النوفر أو البان أو زهر النارنج والشقيق والهندباء أو بورق القرنفل المزروع بدمشق[٣٠٧].

وكان العطر كثيراً في دمشق وكان يستخرج في المزة من ضواحي دمشق من زهورها، وكانت حراقته تلقى على الطرقات وفي دوربها وأزقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير، ويكون ألذ من المسك إلى مدة انقضاء الورد[٣٠٨]، وكان الورد المستخرج بالمزة يحمل إلى سائر البلدان الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك، وكذلك يحمل زهر الورد المزي إلى الهند والسند وما وراء ذلك ويسمى هناك الزهر[٣٠٩].

وكانت الأراضي المزروعة بالزهر تباع بأثمان عالية جداً لا تضاهى واستمر ذلك حتى فترة متأخرة فقد ذكر أنه كان لأحد الأشخاص قطعة ارض مزروعة بالزهر طولها مائة وعشر خطوات وعرضها خمس وسبعون خطوة باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين ألف درهم وذلك سنة ٦٦٥هـ، وذلك ما لم يسمع بمثله[٣١٠].

كما اشتهرت دمشق بالصناعات الغذائية وخاصة المربيات، وكذلك المعصور والبلعيسي ودهن البنفسج والجوز والقطين والزبيب[٣١١]، وانتشرت في دمشق وعلى أوديتها أرحاء كثيرة كانت تستخدم لطحن الحبوب[٣١٢]. ويبدو أن انتشار الأنهار والجداول في دمشق قد ساعد على استثمار أهل دمشق لجريان الماء بإقامة الأرحاء التي تعمل بجريان الماء بعد أن يجعلوها تعترض طريق الماء المندفع الذي يعمل على تحريكها لتشغيل الطاحون.

---

(٣٠٦) كرد علي: خط الشام، ج٣، ص١٥٦.

(٣٠٧) شيخ الربوة، نخبة، ص١٩٤-١٩٥، كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص١٥٧.

(٣٠٨) شيخ الربوة: نخبة، ص١٩٥.

(٣٠٩) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص١٥٧.

(٣١٠) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٧.

(٣١١) المقدسي: أحسن، ص١٨٠.

(٣١٢) الحميري: الروض، ص٢٤٠.

كما اشتهرت دمشق بصناعة الصابون، حيث كانت دمشق من المدن الهامة في بلاد الشام التي تحوي العديد من المصابن، ولكن اشهر مراكز صناعة الصابون في بلاد الشام كان في نابلس[٣١٣]، وذكر كرد علي: أن صناعة الصابون قد تراجعت في دمشق بعد أن اصبح الإشراف على الصناعات ضعيفاً فقد كانت في دمشق أماكن لتجفيف الصابون، وكان لا يباع إلاّ بعد ثلاث سنين من صنعه ويصدر إلى أقطار العالم[٣١٤].

وبرع أهل دمشق في مجموعة من الصناعات والحرف، منها فن العمارة والبناء والتزيين ومما يشهد لهم بذلك جامع بني أمية والذي كان الخلفاء العباسيين يتعجبون من براعة بناءه وتزيينه، فلما دخله المهدي خلال زيارته لدمشق تعجب منه وذكر أنه لا يعلم على وجه الأرض مثله[٣١٥].

وكانت براعة أهل الشام ودمشق خاصة في البناء قد انتشرت في الآفاق وهذا ما جعل المنصور عند عزمه على بناء بغداد أن يكتب إلى الشام في انفاذ الصناع والفعلة، كما أمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه، واختيار قوم من ذوي الامانة والمعرفة بالهندسة[٣١٦]. وكذلك فعل المعتصم لما عزم على بناء سامراء حيث طلب الصناع والحرفيين وأخذهم من دمشق[٣١٧]، ويظهر أن هذا التصرف من المعتصم ومن قبله من المنصور، في حمل الحرفيين والصناع إلى العراق قد ساهم مساهمة كبيرة في تفريغ دمشق من أصحاب الصناعات والحرف مما أثر على الصناعة في دمشق من حيث التطور[٣١٨].

صناعة الزجاج:

اشتهرت صناعة الزجاج في بلاد الشام وخاصة دمشق منذ فترة قديمة، وكان يسمى الزجاج الفينيقي، واستمر بتطوره خلال العصر الأموي والعباسي، ومما يؤيد ذلك ما وجد من فسيفساء زجاجية في المسجد الأموي وقبة الصخرة[٣١٩].

كما اشتهرت صناعة الشمسيات والقمريات[٣٢٠]، وكانت الأواني الزجاجية المصنوعة على شكل قوارير وأباريق وكؤوس وحقق والتي كانت تتميز بلونها الأزرق أو الأخضر، وأحياناً كان بعضها شفافاً أو معتماً[٣٢١].

---

(٣١٣) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص١٥٩.

(٣١٤) المرجع نفسه، ج٤، ص١٥٩.

(٣١٥) المقدسي، البد، ج٢، ص٤٤٦-٤٤٧؛ الحصني، منتخبات ص٤٥٠.

(٣١٦) المقدسي: أحسن، ص١٢١، ابن الاثير: الكامل، ج٥، ص٥٥٩.

(٣١٧) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٩١؛ اشتور: الحياة الاجتماعية، ص١١٠-١١٣.

(٣١٨) اشتور: الحياة الاجتماعية، ص١١٠-١١٣.

(٣١٩) عفيف البهنسي: الشام، ص٢٧٣.

(٣٢٠) المرجع نفسه، ص٢٧٣.

(٣٢١) المرجع نفسه، ص٢٧٣.

وكان زجاج الشام يضرب به المثل في الرقة والصفاء، فيقال: أرق من زجاج الشام، "وأصفى من زجاج الشام"[٣٢٢]، وذكر كرد علي أن زجاج دمشق قد شاع في الآفاق وكان يعرف بالدمشقي، وكان يتخذ للزينة والزخرفة[٣٢٣]، وبرع أهل دمشق بصناعة نوع آخر من الزجاج ذو البريق المعدني[٣٢٤]، ومن الأدلة على براعة أهل دمشق بصنع الزجاج ذلك الوعاء البلوري (القلَّة) الذي كان موجوداً في جامع دمشق، والذي سببت سرقته من الجامع ثورة كبيرة في عهد الأمين[٣٢٥].

ويظهر أنه منذ القرن الثاني الهجري بدأ زجاج دمشق بالانتشار وتزايد الطلب عليه، وقامت دمشق بتصدير الزجاج المتميز المطلي بالمينا إلى العديد من الأقطار المجاورة وعلى رأسها مصر على الرغم من تطور صناعة الزجاج في مصر[٣٢٦]. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل جودة صناعة الزجاج الدمشقية. وكان الزجاج الدمشقي لجماله ورونقه يستهوي أصحاب الترف والأبهة في الفسطاط والقاهرة، حتى امتلأت أسواق القاهرة في العصر الفاطمي بإنتاج دمشق من الزجاج المطلي بالمينا[٣٢٧]. وقد وصلت سمعة الزجاج الدمشقي ومواصفاته الجيدة إلى أوروبا حيث تسابق تجار أوروبا لاستيراد الزجاج الدمشقي المطلي الملون، وكانت له أسواق رابحة لجمال منظره وتصميمه وكمال صنعته[٣٢٨].

- صناعة النسيج:

لقد اختصت الشام بصناعة المنسوجات الحريرية التي تعتبر أغلى المواد التي تدخل في النسيج، وكانت دمشق من أهم المراكز لصناعة لهذا النوع من المنسوجات الحريرية وتصديرها[٣٢٩] إلى العراق أو غيرها من المناطق[٣٣٠]، وكانت مصر هي أكبر المستوردين للحرير الشامي الذي كان يستخدم في صناعة المنسوجات بعد ن يحاك مع مادة الكتان[٣٣١].

---

(٣٢٢) الثعالبي: لطائف، ص١٥٧؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص٢١٧-٢١٨.

(٣٢٣) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢١٧-٢١٨.

(٣٢٤) عفيف البهنسي: الشام والحضارة، ص٢٧٣.

(٣٢٥)الذهبي، سير، ج٩، ص١٠٣.

(٣٢٦)عمر كحالة: الفنون الجميلة، ص٢٤٧.

(٣٢٧) الثعالبي: لطائف ص١٥٧، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠، كرد علي: خط الشام، ج٤، ص٢١٧، عمر كحالة: الفنون الجميلة، ص٢٤٧.

(٣٢٨) نقولا زيادة: دمشق: ص١١٠، زكي حسن: كنوز، ص١٨١، عمر كحالة: الفنون ص ٧٤٧؛ كرد علي: خطط ج٤، ص٢١٧.

(٣٢٩) ابن حوقل: المسالك، ص١٠١، المقدسي، أحسن ص١٨٠-١٨١؛ الثعالبي: يتيمه ج١، ص٣٤.

(٣٣٠) ابن حوقل: المسالك، ص١١٩-١٢٠؛ صورة الأرض، ص١٦٥-١٦٦؛ الدوري: تاريخ العراق، ص١٣٦.

(٣٣١) لومبارد: الإسلام، ص٢١٢-٢١٨.

وعلى الرغم من أن الساسانيين اشتهروا بصناعة المنسوجات الحريرية التي ذاع صيتها وانتشرت شهرتها، إلا أن الكسرى شاهبور الأول كان قد استقدم عمالاً شاميين للعمل في مصانع نسيج خوزستان[٣٣٢]. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن الشاميين كان لهم باع طويل في صناعة النسيج والتميز بها، وكانت دمشق إحدى المدن الهامة في صناعة الأقمشة الحريرية التي تميزت بالزخارف البرتقالية على أرضية خضراء[٣٣٣]، كما اشتهرت دمشق بصناعة البسط والسجاد ولكنها لم تصل إلى المرحلة التي تجاري بها السجاد العجمي أو التركي[٣٣٤]، وكان بدمشق آلاف الأنوال التي تحيك البسط من الصوف الخالص[٣٣٥].

واشتهرت دمشق بنسج التيل الدمشقي[٣٣٦]، وكان النسيج الدمشقي يصدَّر إلى الدول الأوروبية، ويعرف هناك باسم Damask المشتق اسمه من اسم دمشق والذي كان يتميز بزخرفته الفائقة وجماله الفتَّان[٣٣٧].

<u>- الصناعات المعدنية:</u>

اشتهرت في دمشق مجموعة من الصناعات المعدنية، ويظهر أنه كان لتوفر المواد الخام وخاصة مناجم الحديد القريبة من دمشق الأثر الأكبر في شيوع هذا النوع من الصناعات[٣٣٨]، وكانت صناعة السيوف من أهم الصناعات المعدنية التي برع بها أهل دمشق وأجادوها حتى انتشرت سمعتها في الآفاق، وقد عرفت السيوف الدمشقية بجودتها كما امتازت نصالها بقطعها الجيد[٣٣٩]، وهي اكثر السيوف المولدة جميعاً قطعاً، وكانت أثمانها تتراوح بين ١٥-٢٠ درهماً[٣٤٠]، وقد اشتهرت صناعة السيوف الدمشقية الشهيرة في العصر العباسي، ويبدو أن طريقة صناعتها ومميزاتها قد انتقلت إلى الأندلس، وخاصة إلى مدينة طليطلة والميريا التي سكنها الدمشقيون[٣٤١]. وروي أن الرشيد كان معه سيف دمشقي. وهذا السيف الآن موجود في متحف استانبول[٣٤٢].

---

(٣٣٢) عفيف البهنسي: الشام، ص٢٧٥.

(٣٣٣) ديماند: الفنون الإسلامية: ص٢٥٨.

(٣٣٤) كرد علي: خطط الشام ج٤، ص٢٢٧.

(٣٣٥) المرجع نفسه، ج٤، ص٢٢٧.

(٣٣٦) دورانت: قصة الحضارة، ج١٣، ص١٠٨؛ أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام ص٣٢٧.

(٣٣٧) صلاح العبيدي: الملابس العربية، ص٦٩؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٠٩.

(٣٣٨) المقدسي: أحسن ص ١٦٢، ص١٧٤، ص١٨٤، كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢١٣.

(٣٣٩) الكندي: رسالة الكندي "السيوف وأجناسها"، ليدن ص٢٧٨؛ عفيف البنهسي: الشام، ص٢٧٩؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢١٣.

(٣٤٠) عفيف البهنسي: الشام، ص٢٧٩.

(٣٤١) المرجع نفسه: ص٢٨٠.

(٣٤٢) المرجع نفسه: ص٢٨٠.

واستمرت السيوف الدمشقية محافظة على جودتها وصنعتها حتى العهد الطولوني، فلما أهدى غلمان خمارويه بن طولون سيوفهم لرجل مدح خمارويه، أمر خمارويه أن تصنع لهم سيوف دمشقية[٣٤٣]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السيوف الدمشقية كانت تتمتع بمكانة مادية عالية، علاوة على مكانتها المعنوية، حيث كان إهداؤها للغلمان نوعاً من التكريم والمكافأة المجزية لهم.

وكان أهل دمشق يجيدون صناعة الأواني النحاسية، فقد ذكر أن باب الجامع بدمشق من النحاس الأصفر المنقوش بالرسوم اللطيفة وقد انتج من نحاس دمشق ومعاملها[٣٤٤]، وإلى جانب ذلك أبدع أهل دمشق في ترصيع الأواني المعدنية بالذهب والفضة علاوة على إجادتهم لفن النقش على الخشب[٣٤٥].

وعلاوة على ذلك فقد أبدع أهل دمشق في صناعة الفسيفساء، وذلك منذ أن استقدم الوليد بن عبد الملك إلى دمشق آلاف الصناع من بيزنطة ومن العجم وغيرهم لما أراد بناء المسجد الجامع، ويدل على ذلك ما تم اكتشافه في حيطان الجامع الأموي[٣٤٦]. كما أبدع أهل دمشق في تزيين ونقش البيوت وصبغها بألوان ورسوم دقيقة وبديعة فوق الحجر الأبيض الذي بنيت فيه، وعرف من يشتغل بهذه الصنعة ونسب إليها، ولا يزال بعضهم يعمل بنفس الصنعة وهم آل النقاش والدهان والمراشي والذهبي والرسام والمصور[٣٤٧].

- صناعة الورق:

إن الورق هو من اختراع أهل الصين، وقد تم نقل هذه الصناعة على يد أسرى من الصينيين إلى سمر قند في بلاد ما وراء النهر، ومنها انتقل إلى بغداد حيث تم تأسيس أول معمل للورق فيها زمن الخليفة هارون الرشيد، ومنها انتقلت إلى أرجاء العالم الإسلامي[٣٤٨].

واشتهرت صناعة الورق في بلاد الشام، وكانت دمشق من المراكز الهامة لصناعة الورق[٣٤٩]، ووصف المقدسي ورق دمشق بأنه من النوع المتميز[٣٥٠]. وكان الورق الدمشقي يصدر إلى مناطق عديدة، حتى وصل إلى أوروبة[٣٥١].

---

(٣٤٣) التنوخي: المستجاد، ص١٣٤-١٣٥.

(٣٤٤) كرد علي: خطط الشام، ج٥، ص٢٦٢؛ الحصني: منتخبات، ص١١٤٣.

(٣٤٥) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٣٦.

(٣٤٦) الحصني: منتخبات، ص١١٣٦-١١٣٧.

(٣٤٧) المصدر نفسه: ص١١٣٧.

(٣٤٨) كرد علي: خطط، ج٤، ص٢٢٢.

(٣٤٩) المقدسي: أحسن، ص١٨٠-١٨١، متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٦٠.

(٣٥٠) المقدسي: أحسن، ص١٨١.

(٣٥١) المصدر نفسه، ص١٨١، الحصني منتخبات، ص١١٣٩، كوركيس عواد: الورق، ص٤٣٠.

وكان ورق دمشق يصنع من القطن، ثم استبدل بالحرير، بعد أن كان يكبس في مكابس صغيرة وتصنع منه أشكال[٣٥٢]، وقد تمكن من عمل هذه الطريقة شخص اسمه يوسف بن عمرو[٣٥٣]، وذكر كرد علي أنه موجود في خزانة الكتب العربية بدمشق كتاب كتب سنة ٢٦٦هـ على ورق يظهر أنه من الورق الشامي (الدمشقي) ولا يزال على متانته[٣٥٤].

ومما سبق يمكن القول: أن أهل دمشق ابتعدوا عن بعض الصنائع والحرف والمهن لأنها تضر بالعقول والآراء، أو أن ممارسة بعضها يؤدي إلى مخالطة النساء والصبية وهو ما لم يكن محبباً لدى الرجال[٣٥٥]. كما ابتعد أهل دمشق عن ممارسة بعض المهن التي تضر بالجسد كالمعاناة من الأشياء المنتنة[٣٥٦]، وكذلك الحرف التي تضر بالصحة[٣٥٧]، والمهن الشاقة كحمل الأثقال[٣٥٨]، أو المهن التي تورث العار كالذي يعرض نفسه للصفع والسخرية والاستهزاء[٣٥٩].

وقد ميز الشاميون بشكل عام بين الحرف التي تشرف صاحبها كمهنة الطب مثلاً، والمهن التي تضع من قيمة صاحبها والتي حرصوا على الابتعاد عنها قدر الإمكان[٣٦٠]، وكانت مهنة السمسرة من المهن التي ابتعد عنها أهل دمشق ولم تحظَ باحترامهم، بل إن الدمشقي قد حذر الناس من الوثوق بالسماسرة حتى لو كانوا من الأصدقاء المقربين[٣٦١]، ومن هنا فقد احتكر أهل الذمة مهنة السمسرة والصيرفة والجهبذة وغيرها من المهن ذات العلاقة بالأموال[٣٦٢].

ومن الجدير قوله: أن الصناعة في دمشق كغيرها من جوانب الاقتصاد الأخرى قد تأثرت إلى حد كبير جراء الاضطرابات والحركات الثورية، التي قامت في المنطقة بين فترة وأخرى في العصر العباسي، ومن المؤكد أن تلك الاضطرابات أدت إلى تدمير الصناعات وقتل العديد من الصناع ومن أفلت منهم وربما هاجر إلى منطقة أكثر أمناً نجاه بنفسه.

هـ- التجارة:

أدى النشاط الزراعي والصناعي والحرفي إلى نشاط في الحركة التجارية وتطورها في دمشق، فتصاعد نفوذها السياسي والثقافي، وأصبحت دمشق ومنذ ما قبل الفتح الإسلامي بمدة

---

(٣٥٢) كرد علي: خطط الشام: ج٤، ص٢٢٣.
(٣٥٣) كرد علي: خطط الشام: ج٤، ص٢٢٣.
(٣٥٤) المرجع نفسه: ج٤، ص٢٢٣.
(٣٥٥) الدمشقي: الإشارة، ص٤٣.
(٣٥٦) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٣٥٧) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٣٥٨) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٣٥٩) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٣٦٠) المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢، الحصني : منتخبات، ص١١٤٢-١١٤٣.
(٣٦١) الدمشقي: الإشارة، ص ٤٣.
(٣٦٢) المقدسي: حسن، ص١٨٣.

كبيرة تشكل حلقة وصل هامة بين مدن الساحل الفنيقي ومصر من جهة الغرب وبين العراق "بلاد الرافدين" من الشرق، كما ربطت بين الأناضول وارمينية شمالاً وشبه الجزيرة العربية جنوباً[٣٦٣].

وساهمت التجارة بفرعيها الداخلي والخارجي في تطور المدن الشامية وازدهارها منذ القديم بفضل الموقع الهام الذي تمتعت به في المنطقة بالنسبة لطرق التجارة العالمية أو الداخلية، إضافة إلى خبرة أهل هذه المنطقة وبراعتهم بالتجارة التي ورثوها عن أسلافهم منذ القدم[٣٦٤].

وكانت دمشق قاعدة الشام ومدينتها الأولى منذ عهد الآرامين الذين حلوا بها في منتصف الألف الثاني ق.م. وصارت دمشق مركزاً لا غنى عنه بالنسبة لقوافل التجار[٣٦٥]، وبقيت دمشق محافظة على مكانتها التجارية في الفترات اللاحقة[٣٦٦]، وقد تزايدت مكانة دمشق وعلا شأنها السياسي الذي انعكس على الوضع الاقتصادي في الفترة الإسلامية، منذ أن انتقل إليها مركز الخلافة مع بداية الحكم الأموي، وخلال العصر العباسي استمرت دمشق مركزاً ترحل إليه وتنطلق منه تجارات الشرق والغرب[٣٦٧].

- **الطرق التجارية التي تربط دمشق بالمناطق الأخرى:**

نشطت بلاد الشام في الفترة الأموية، وأصبحت دمشق مركزاً للثروة والحضارة العربية والإسلامية، واستمر ذلك في دولة العباسيين وشهدت دمشق نشاطاً وازدهاراً زائدين منذ القرن الثاني الهجري وحتى الخامس الهجري حيث أعيد النشاط التجاري الكبير بين سوريا وبلاد ما بين النهرين[٣٦٨].

وكانت دمشق قلب الشام، وقلب شبكة المواصلات في بلاد الشام وما حولها حيث تلتقي فيها أو تنتهي إليها الطرق المختلفة المتجهة شمالاً وجنوباً بشكل طولي أو شرقاً وغرباً بشكل عرضي، وأما أهم الطرق التي كانت تربط دمشق بالأقطار المجاورة أو المدن المحيطة بها فهي: الطريق من حمص إلى دمشق وهي أربع مراحل الأولى منها جوسية وهي من حمص والثانية قارا وهي أول عمل جند دمشق والثالثة القطيفة ومنها إلى مدينة دمشق[٣٦٩]، وهناك طريق آخر وهو طريق البريد يتجه من جوسيه إلى البقاع ثم إلى بعلبك ثم إلى مدينة الرمان ثم

---

(٣٦٣) عبد الفتاح وهيبه: في جغرافية، ص ٣٨-٣٩؛ كلينكل: آثار، ص٤٤.

(٣٦٤) علي أبو عساف: المصادر؛ ص٧٧، Bitard, Dimashk. EI. Vol. 2.P. 7-8

(٣٦٥) المرجع نفسه: ص٧٧، كلينكل: آثار، ص٩٠.

(٣٦٦) عفيف البهنسي: المدينة، ص٩-١٠، كلينكل، آثار ص ٩٠.

(٣٦٧) Allen Tower, the osis of Damascus, P 5-7 .

(٣٦٨) C.P. Grant. The Syrian Desert. P. 35

(٣٦٩) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٥، ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٢-٧٤.

إلى مدينة دمشق[٣٧٠]، ومنها إلى جند الأردن أربع مراحل، أولها جاسم من عمل دمشق، ثم خسفين من عمل دمشق أيضاً ثم إلى فيق ذات العقبة ثم إلى طبرية وهي مدينة الأردن[٣٧١].

الطريق من دمشق إلى مكة وهو طريق الحج، فلما تحولت دمشق إلى عاصمة، صار موكب الحج يجتمع في دمشق لينطلق إلى مكة، كتعبير عن سيادة الخليفة الأموي على الأمور وأنه صاحب الموسم، وكثيراً ما كان خلفاء بني أمية يترأسون موسم الحج بأنفسهم وهذا بالطبع زاد الاهتمام بطرق الحج بشكل عام والمنطلقة من دمشق بشكل خاص[٣٧٢]، وكانت هناك طريق أخرى من دمشق إلى المدينة المنورة، وتبدأ من دمشق منزل ثم منزل أخر ثم إلى ذات المنازل ثم إلى سرغ ثم إلى تبوك ثم إلى المحدثة ثم إلى الأقرع ثم إلى الجنينة ثم إلى الحجر ثم إلى وادي القرى، ثم إلى الرحبة ثم إلى ذي المروة ثم إلى المر ثم إلى السويداء ثم إلى ذي خشب ثم إلى المدينة[٣٧٣].

وهناك طريق من الرقة إلى دمشق، وتبدأ من الرقة إلى دور ثم إلى بالس وقد عبرت الفرات، ثم إلى خشاف ثم إلى الناعورة ثم إلى حلب ثم إلى قنسرين وكورها ثم إلى شيزر ثم إلى حماة وحمص ومنها إلى جوسية ستة عشر ميلاً، ثم إلى قارة ثلاثون ميلاً ثم إلى النبك اثنا عشر ميلاً، ثم إلى القطيفة عشرون ميلاً، ثم إلى دمشق أربعة وعشرون ميلا[٣٧٤]، وطريق من الكوفة إلى دمشق وتبدأ من جهة العراق بالحيرة إلى القطقطانة ثم إلى البقعة ثم إلى الأبيض ثم إلى الحوشي ثم إلى الجمع ثم إلى الخطى، ثم إلى الجبة، ثم إلى القلوفي ثم إلى الأعناك، ثم إلى أذرعات ومنها إلى منزل ثم إلى دمشق[٣٧٥].

وهناك طريق من الرصافة إلى دمشق، وتبدأ من الرصافة شرقاً إلى الخربة "واسمها بطلاميا" خمسة وثلاثون ميلاً، ومنها إلى العذيب أربعة وعشرون ميلاً ومن العذيب إلى نهيا عشرون ميلاً، ومن نهيا إلى القريتين عشرون ميلاً ومنها إلى جرود ستة وثلاثون ميلاً ومن جرود إلى دمشق ثلاثون ميلاً[٣٧٦]، وطريق آخر يبدأ من سلمية إلى دمشق ماراً بفرعايا ثمانية عشر ميلاً، ومنها إلى ماء شريك عشرون ميلاً، ومن ماء شريك إلى صدد ثمانية عشر

---

(٣٧٠) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٥؛ ابن خرداذبة: المسالك، ص٩٨.

(٣٧١) المصدر نفسه: ص ٣٢٥، المصدر نفسه: ص٧٢-٧٤..

(٣٧٢) صالح درادكة، طرق الحج الشامي، ص ٤٢٩- ٤٣١. مؤتمر ١٩٨٧، عمان.

(٣٧٣) ابن رستة، الأعلاق، ص ١٦٠، ١٨٣.

(٣٧٤) ابن خرداذبة، المسالك، ص ٧٢- ٧٧، ص٩٨.

(٣٧٥) المصدر نفسه: ص ٩٩.

(٣٧٦) ابن قدامة: نبذ، ص ٢١٨.

ميلاً، ومنها إلى النبك خمسة وثلاثون ميلاً[٣٧٧]، وهناك طريق من عمان إلى الزرقاء إلى أذرعات ثم إلى دمشق[٣٧٨].

وارتبطت دمشق بطرق مع مدن الساحل السوري ومنها الطريق من دمشق إلى الساحل إلى صيدا والى بانياس وإلى الحوران والبثينة، ثم من دمشق إلى الغوطة والى بيت سرعا وكذلك تتفرع الطريق من الدمشق الى الكسوة[٣٧٩].

- <u>النشاط التجاري لدمشق:</u>

استمرت تجارة دمشق الداخلية والخارجية تشهد نوعاً من النشاط، وذلك لما يمثله موقع دمشق بالنسبة للشام من جهة والمناطق الأخرى من جهة ثانية، علاوة على أن دمشق كانت مركزاً ومصدراً هاماً من مصادر الانتاج والثروة الزراعية والصناعية.

وقد ظهر تطور النشاط التجاري في دمشق من خلال ما كان يحمل منها من صادرات إلى مختلف المناطق والأقطار، علاوة على ما كان يجلب إليها من المناطق الأخرى والتي يظهر منها أن الميزان التجاري بالنسبة لصادرات ووارادات دمشق كان في صالحها أي أن صادراتها كانت أكثر من وارداتها. وكان نشاط الأسواق في دمشق سواء ما كان منها دائماً أم مؤقتاً موسمياً دليل على نشاط الحركة التجارية بفرعيها الداخلي والخارجي، وهو ما سيتم توضيحه فيما يلي:

و- صادرات دمشق:

لقد اشتهرت دمشق بتصدير أنواع عديدة من المواد الصناعية التي كانت تنتجها أو المواد الزراعية التي كانت تشتهر بزراعتها وأبرز المواد التي كانت تصدرها دمشق:-

<u>الصناعات المعدنية:</u>

فقد كانت دمشق تصدر مجموعة من الأسلحة الجيدة وعلى رأسها السيوف إلى مصر[٣٨٠] والعراق[٣٨١]، وعلاوة على ذلك فقد انتقلت طرق صناعة السيوف الدمشقية إلى الأندلس[٣٨٢]، واهتم الأمراء هناك بتشجيعها وخاصة في طليطلة وغيرها، حيث برزت فيما بعد ميزات السيف الدمشقي، وخاصة في فترة الحروب الصليبية[٣٨٣]، كما صدرت دمشق إلى مصر بعض النحاس الخام والمصنع خاصة إذا علمنا أن دمشق قد برعت في الصناعات النحاسية

---

(٣٧٧) ابن قدامة: نبذ، ص ٢١٨.

(٣٧٨) المقدسي: أحسن، ص ١٩٢.

(٣٧٩) المصدر نفسه: ص ١٩٢.

(٣٨٠) كرد علي : خطط الشام، ج٤، ص١٩٩؛ البراوي: حالة مصر، ص١٦٦.

(٣٨١) اليعقوبي: البلدان ص٣٥٠، ص٣٧١، محمد زيود : النشاط التجاري، ص٢٢.

(٣٨٢) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٠٨.

(٣٨٣) أحمد يوسف: صناعة الفولاذ، محاضرة في أسبوع العلم الثالث دمشق١٩٧٢ ص١١١.

المنقشة[٣٨٤]. فقد كان باب الجامع بدمشق من النحاس الأصفر المنقوش بالرسوم اللطيفة وقد انتج من نحاس دمشق ومعاملها[٣٨٥]. وبرع أهل دمشق في صناعة القدور النحاسية التي كانت تستوردها مصر وكانت تتميز بطلائها الجيد وسعتها، حتى يحسبها الناظر إليها بأنها قد صنعت من الذهب لبراقة طلائها[٣٨٦]. وذكر صاحب السفرنامة أن امرأة كانت تملك خمسة آلاف قدر من القدور الدمشقية النحاسية وكانت تقوم بتأجيرها وتتقاضى درهماً واحداً عن كل منها في الشهر[٣٨٧].

- المنسوجات:

اشتهرت دمشق بصناعة المنسوجات وخاصة الحريرية منها[٣٨٨]، وكانت تصدر هذا النوع من المنسوجات إلى مصر، حيث كانت مصر قليلة الإنتاج من هذا النوع من المنسوجات، لذا فقد كانت أكثر المستوردين للحرير الشامي وخاصة الدمشقي منه، واستعمله المصريون بصناعة منسوجات أخرى بعد أن كانوا يحيكونه مع مادة الكتان الاقل قيمة منه[٣٨٩]. وفي غوطة دمشق كان يزرع القطن لكن أكثره كان يستهلك محلياً وبعضه كان يصدر لمصر التي كانت أكبر مستورد للقطن الشامي[٣٩٠]، خاصة إذا علمنا أنها لم تكن قد بدأت إنتاج القطن بعد وربما تم تصدير بعض القطن الفائض عن حاجة السوق المحلي إلى العراق[٣٩١].

- الزجاج:

كان الزجاج من بين الصناعات الدمشقية الرائجة والمطلوبة في الأسواق الخارجية، وقد بلغ درجة عالية من الرقي والدقة في الصنع وتم تصديره إلى أسواق الشرق والغرب[٣٩٢]، ويبدو أن جمال زجاج دمشق، وبراعة صنعه ودقته قد ساهمت في انتشاره وزيادة الطلب عليه، فقد وصف زجاج الشام برقته التي ضرب بها المثل فقيل: أرق من زجاج الشام[٣٩٣].

---

(٣٨٤) ناصر خسرو: سفرنامة: ١٠٤؛ البراوي : حالة مصر ص٥٤.

(٣٨٥) كرد علي: خطط الشام، ج٥، ص٢٦٢؛ الحصني: منتخبات، ص ١١٤٣.

(٣٨٦) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ١٠٤.

(٣٨٧)المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٣٨٨) ابن حوقل: المسالك، ص١٠١-١٠٢، المقدسي: أحسن ص١٨٠-١٨١.

(٣٨٩) لومبارد: الإسلام، ص٢١٢, ص٢١٨.

(٣٩٠) المقدسي: احسن ص١٦١.

(٣٩١) ابن حوقل: المسالك ص ١٤٢؛ المقدسي: أحسن، ص١٦١،ص٢١٩؛ ديماند: الفنون الإسلامية ص٣٠.

(٣٩٢) الثعالبي: لطائف ص١٥٠-١٥٧؛ ابن كثير: البداية، ج١٣، ص١٢؛ زكي حسن: كنوز، ص١٨٥، كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢١٦؛ اشتور: التاريخ الاقتصادي، ص٩؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢ ص١٣٤.

(٣٩٣) الثعالبي: لطائف ص١٥٧؛ المقدسي احسن: ص ١٨٠-١٨١؛ ديماند: الفنون الإسلامية ص ٢٣٧-٢٣٨، حالة مصر ص١٦٥-١٦٦؛ عمر كحالة: الفنون الجميلة ص٢٤٧؛ كرد علي : خطط الشام ج٤ ص٢١٧.

وبرز في دمشق الزجاج الملون المطلي بالمينا، والذي كان يتميز بجماله حيث تم تصديره إلى أقطار عديدة وعلى رأسها مصر، على الرغم مما عرف عن مصر بتقدم في صناعة الزجاج، ولكن جودة الزجاج الشامي وجماله كانت تستهوي المعجبين، لذا كان أهل الترف والأبهة في الفسطاط والقاهرة يطلبونه بشكل متواصل ومستمر، حتى إن إنتاج دمشق من هذا النوع كان يغمر الأسواق المصرية في فترات متتالية[٣٩٤]. كما حرص تجار أوروبا على استيراد الزجاج الدمشقي المطلي الفاخر الذي تميز بألوانه الزاهية، وكان لجودته وجمال صنعه اثر بالغ على انتشاره[٣٩٥] وصدر زجاج دمشق إلى العراق[٣٩٦]. وربما وصل الكثير منه إلى اليمن[٣٩٧].

- الورق:

كانت دمشق من المراكز الهامة لصناعة الورق في بلاد الشام[٣٩٨]، وكانت جودة ورق دمشق تجعله مطلوباً في سائر الأقطار حيث كانت تجارته رائجة ويصدر بكميات كبيرة إلى مصر[٣٩٩]. ويظهر أن شهرة العراق في صناعة الورق جعلته في غنى عن ورق الشام ودمشق، ولكن الورق الدمشقي صدر إلى بيزنطة[٤٠٠].

- المحاصيل الزراعية:

كانت المحاصيل الزراعية من أهم صادرات دمشق كالحبوب ومنها القمح والشعير الذي كان يزرع في الغوطة[٤٠١] ولكن يبدو أن الحبوب لم تكن تكفي لبعض السنين لذا كان يتم استيرادها من مصر وكانت دمشق تصدر الحبوب إلى الجزيرة العربية[٤٠٢]، وكذلك الحال بالنسبة للجوز واللوز والبندق، حيث اشتهرت دمشق بزراعة هذه الأصناف[٤٠٣]، كما صدرت

---

(٣٩٤) زكي حسن : كنوز ص١٨١؛ عمر كحالة : الفنون الجميلة ص٧٤٧؛ ديماند: الفنون الإسلامية ص٣٣٨-٣٣٩؛ كرد علي: خطط الشام ج٤، ص٢١٧؛ أبو الفرج العش: الزجاج السوري، ص ٤٨-٤٩.

(٣٩٥) المقدسي: احسن، ص١٨١.

(٣٩٦) زكي حسن: كنوز ص١٧٦؛ أبو الفرج العش : الزجاج السوري ص ٤٧.

(٣٩٧) المصدر نفسه: ص١٧٦؛ المصدر نفسه: ص ٤٧.

(٣٩٨) الثعالبي: لطائف ص ١٢٦؛ المقدسي: أحسن ص ١٨٠-١٨١؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج٢ ص ٣٦٠؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص٢٤٣؛ فيليب حتى: تاريخ سورية، ج٢ ص ٢٢٣١.

(٣٩٩) القلقشندي: صبح، ج٢ ص٤٨٨٧؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤ ٢٤٣-٢٤٤.

(٤٠٠) ناصر خسرو: سفر نامة ص٤٨؛ القلقشندي: صبح، ج٢ ص ٤٨٧؛ كرد علي: الإسلام، ج١ ص ٢١٥؛ كوركيس عواد: الورق ص ٤٣٠.

(٤٠١) الاصطخري: المسالك ص ٤٦ ص ٧٥؛ ابن حوقل: صورة، ص ١١٦-١١٧؛ المقدسي: أحسن ص ١٦٠، ١٨٠؛ ناصر خسرو: سفر نامة ص٤٥.

(٤٠٢) لومباردو: الإسلام، ص١٩٢.

(٤٠٣) ابن حوقل: المسالك ص ١١٣-١١٨؛ المقدسي: أحسن، ص ١٦٣، ص١٨٠-١٨١؛ القلقشندي: صبح، ج٢ص٩٨؛ كرد علي: غوطة، ص١١١، خطط الشام ج٤ ص١٨٢.

دمشق بعض أنواع الفستق الذي اشتهرت بزراعته وكان أجود من الفستق الحلبي وكان يصدر إلى الآفاق(٤٠٤). واشتهرت دمشق بأزهارها وورودها، وكانت صناعة الزهور والعطور متقدمة فيها، حيث كانت تنتج الروائح العطرية وماء الورد الذي كان يصدر للعديد من البلدان وخاصة مصر والجزيرة العربية والسند حتى وصل إلى الصين، وكان يعرف بماء الورد الشامي لشهرته(٤٠٥)، وصدرت دمشق نبات الزعفران الذي كان ينمو فيها بكثرة إلى كل من مصر والعراق وغيرها(٤٠٦).

وكانت غوطة دمشق أكثر مناطق الشام إنتاجاً للفواكه(٤٠٧)، لذا فقد اشتهرت دمشق بتصدير الفواكه الطازجة والمجففة، وخاصة الأعناب والتين والمشمش والدراق والكرز والخوخ والأجاص والكمثرى والرمان واللوز والجوز والبندق والخوخ(٤٠٨).

وكانت دمشق من المراكز الهامة لصناعة السكر، ويذكر أن بعض مدن الشام ومنها دمشق كانت وحتى فترة متأخرة تمون أوروبا بالسكر بجميع أشكاله(٤٠٩).

واشتهرت بعض الطبخات الدمشقية التي كانت تصدر إلى مناطق أخرى، حتى وصلت إلى العراق، فقد كان يحمل الكثير من كميات الهليون من دمشق إلى العراق وكان يوضع في أوانٍ خاصة حتى لا يتلف(٤١٠). كما صدرت دمشق مجموعات متنوعة من الحلوى التي اشتهرت دمشق بصناعتها(٤١١)، وكان الكعك الشامي شهيراً وتصل منه كميات إلى العراق إلى قصور الخلفاء(٤١٢).

ز- الواردات:

لقد جاءت اهتمامات الجغرافيين في المواد المستوردة أقل من اهتماتهم بالمواد المصدرة، ومع ذلك فقد وردت لدى الجغرافيين إشارات توضح أهم المواد التي كانت تستوردها الشام بشكل عام ودمشق بشكل خاص.

---

(٤٠٤) الحصني : منتخبات ص ١٠٦٦.

(٤٠٥) شيخ الربوة: نخبة، ص ١٩٥-١٩٦؛ القلقشندي: صبح، ج٤ ص٨٧؛ ابن طولون: القلائد، ص ٣٤؛ فيليب حتي: تاريخ، ج٢ ص٢٥٤؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤ ص١٥٦-١٥٧.

(٤٠٦) ابن حوقل: المسالك، ص٣٢٨؛ المقدسي: أحسن، ص ١٨٠-١٨١؛ متز: الحضارة الإسلامية، ج٢ ص٣١٨.

(٤٠٧) كرد علي: خطط الشام، ج ، ص١٨٤؛ صفوح خير: غوطة ص٤٦.

(٤٠٨) ابن حوقل: المسالك، ص ١١٣-١١٨؛ المقدسي: أحسن، ص ١٦٣، ص١٨٠-١٨١؛ القلقشندي: صبح،ج٢ ص٩٨؛ كرد علي: غوطة ص١١١، خطط الشام ج٤ ص١٨٢.

(٤٠٩) المقدسي: أحسن، ص١٨٠، ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٥٣؛ ناصر خسرو: سفرنامه، ص٤٧-٤٩؛ فيليب حتى: تاريخ سورية ج٢ص٢٥٥؛لومبارد: الإسلام، ص ١٩٦.

(٤١٠) المسعودي: مروج، ج٤، ص٣٦٦-٣٦٧؛ حمدان الكبيسي: أسواق بغداد، ص١٩٠-١٩٢.

(٤١١) المقدسي: أحسن، ص١٨٠؛ ابن بطوطة: رحلة ج٢، ص٨٠؛ لومبارد: الإسلام ص١٩٦.

(٤١٢) الجهشياري: الوزراء، ص١٠٢.

فعلى الرغم من أن المنسوجات كانت من أهم السلع التي تصدرها الشام، إلا أنها كانت في نفس الوقت إحدى السلع المستوردة الرئيسة وخاصة تلك المصنوعة من الكتان التي كانت تجلب من مصر[٤١٣]، كما حصلت الشام على بعض الحرير من قبرص وبيزنطة[٤١٤].

وكانت دمشق تحصل على الحديد من مناجمه في لبنان ثم تقوم بتصنيعه واستخدامه في عمل السيوف الدمشقية التي اشتهرت بها دمشق[٤١٥].

واستوردت الشام من العراق التمور الجيدة التي تنتجها بكثرة[٤١٦]، كما اشتهرت العراق بتجارة أنواع من الحبوب وخاصة الحنطة، علاوة على العسل والملح والستائر الصوفية[٤١٧]، والتي لا بد أن قسماً كبيراً منها كان يصل للشام وحاضرتها دمشق.

وكانت دمشق تشتهر بطبخ السمك، ومن الممكن أنها حصلت عليه من أرمينيا التي كانت تشتهر بإنتاجه[٤١٨]، كما استوردت دمشق من أرمينيا الزرنيخ وأنواع من البغال الجيدة[٤١٩].

ويمكن القول: أن بلاد الشام شهدت قيام علاقات تجارية متبادلة ونشطة مع الدول والمناطق المجاورة والبعيدة. وكانت دمشق لها علاقات تجارية مع المناطق الشامية المحيطة بها علاوة على علاقات تجارها مع المناطق المجاورة، وخاصة مصر بالدرجة الأولى وكذلك العراق والجزيرة العربية ثم الغرب الأوروبي وخاصة بيزنطة، بل إن بعض منتوجاتها وصناعتها وصلت الأندلس، وكان التجار الدمشقيون يقومون بإحضار البضائع من البلاد المختلفة، وتصدير المواد المختلفة التي اشتهرت بها مناطقهم، ويظهر أن الميزان التجاري كان لصالح دمشق، حيث كانت المواد التي تستوردها اقل بكثير من المواد التي تصنعها أو تزرعها وتصدرها.

ح- الأسواق:

تمثل الأسواق المركز الحيوي للنشاط الاقتصادي والتجاري لأي مدينة من المدن، وذكرت المصادر في تحديد مواقع الأسواق في المدن أنها كانت في أغلبها بجوار المساجد الجامعة[٤٢٠]، ويبدو أن لذلك أثر من حيث تجمع الناس للصلاة ثم انطلاقهم بعد ذلك لقيام

---

(٤١٣) لومبارد: إسلام- ص٢١٢-٢١٣.

(٤١٤) المقدسي: أحسن، ص١٤٨-١٥٠؛ ابن العديم: زبدة، ج١، ص١٦٧.

(٤١٥)المقدسي: أحسن، ص١٦٢، ص١٧٤؛ ص١٨٤؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢١٣.

(٤١٦) ابن الفقيه: البلدان، ص١٧٥؛ الدوري، تاريخ العراق، ص١٣٣.

(٤١٧) المقدسي: أحسن، ص١٤٥؛ قدامة: الخراج، ص٢٢٥؛الدوري: تاريخ العراق ص١٣٣.

(٤١٨) ابن حوقل: المسالك، ص٢٤٨؛ متز: تاريخ الحضارة، ج٢، ص٤٣٦.

(٤١٩) ابن حوقل: المسالك، ص ٢٤٨؛ متز: تاريخ الحضارة، ج٢، ص٤٣٦.

(٤٢٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٢٧-٢٣٠؛ المقدسي: أحسن، ص٥٥؛ ابن جبير: رحلة، ص١٧٨؛ ابن بطوطة: تحفة، ص٨٨.

بعمليات التسوق. ومن المؤكد أن المدينة كانت مركزاً للتسوق لما حولها من القرى والأرياف حيث كان سكان تلك المناطق يحضرون إلى المدينة لبيع ما ينتجونه فيها ثم أخذ ما يحتاجونه من مواد[٤٢١].

وجاء في المصادر أن مدينة دمشق قد اشتهرت بأسواقها المتعددة والكثيرة، وكانت من أحفل أسواق البلاد وأكثرها انتظاماً[٤٢٢]، ومع أن ابن جبير جاء في فترة متأخرة إلا أنه حدد بعض الأسواق المهمة في دمشق والتي يظهر أنها أقيمت وانتظمت منذ فترة متقدمة، وقد جاءت تلك الأسواق متوافقة مع أبواب المسجد الجامع الأربعة مباشرة.

فالباب القبلي (باب الزيادة) كان له دهليز متسع يحوي العديد من حوانيت الخرزيين (بائعي الخرز) وغيرهم[٤٢٣]، ومن هذا الباب كان يذهب إلى دار الخيل، وعن يسار الخارج منه سماط الصفَّارين، وهي سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي وهو من أحسن أسواق دمشق، وبموضعه كانت دار معاوية (الدار الخضراء) [٤٢٤]، وذكر ياقوت الحموي وابن جبير وابن بطوطة أن بني العباس هدموا تلك الدار وأقاموا مكانها سوقاً عامرة[٤٢٥]، وقد تم التنويه فيما سبق إلى أن هذه الدار لم تهدم حتى وقت متأخر[٤٢٦].

وعند الباب الشمالي دهليز بجانبه أعمدة حولها شوارع مستديرة تحوي حوانيت منتظمة للعطارة وغيرها[٤٢٧]. أما الباب الغربي للمسجد ففيه دهليز يحوي حوانيت للبقالين والعطارين كما يحوي سماطاً لبيع الفاكهة[٤٢٨]، وحوانيت أخرى لبائعي الشمع[٤٢٩].

وكان الباب الشرقي للمسجد الأموي من أعظم الأبواب وأكبرها ويسمى باب جيرون، وكان له دهليز عظيم طويل مميز، وعلى جانبي هذا الدهليز مقامة أعمدة من حولها شوارع مستطيلة تحوي حوانيت للجواهريين والزجاجين[٤٣٠]، وفي الرحبة المتصلة به دكاكين للشهود من أصحاب المذاهب المختلفة[٤٣١]، وكان على مقربة من الدكاكين سوق الوراقين الذين يشتغلون

---

(٤٢١) المقدسي: أحسن، ص١٣٢؛ ابن عساكر: ج٢، ص٢٢٩.

(٤٢٢) المقدسي: أحسن، ص١٨٢، ابن جبير: رحلة، ص٢٣٤-٢٣٥؛ عفيف البهنسي: الشام، ص١٥٠.

(٤٢٣) ابن جبير: رحلة، ص١٨٨، ابن بطوطة: تحفة، ص١٠٦.

(٤٢٤) المصدر نفسه: ص١٨٨، المصدر نفسه: ص١٠٦.

(٤٢٥) معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٦؛ رحلة، ص١٨٨؛ تحفة، ص١٠٦.

(٤٢٦) انظر الفصل ٣ من هذه الدراسة ص١٤١ وما بعدها.

(٤٢٧) ابن جبير: رحلة، ص١٨٩.

(٤٢٨) المصدر نفسه، ص١٩٠.

(٤٢٩) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٤٣٠) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٤٣١) المصدر نفسه، ص١٠٧.

ببيع متطلبات الكتابة من كاغد وأقلام وأوراق[٤٣٢]، واعتاد أهل دمشق في كل يوم سبت اللهو واللعب وكان بعض التجار يقومون بنقل دكاكينهم إلى المناطق التي يتجمع فيها الناس[٤٣٣].

ويبدو أن مجموعات من التجار والباعة الذين يبيعون الأصناف المتشابهة أو القريبة من بعضها قد اتخذوا موقعاً خاصاً لهم حتى صار المكان الذي يتواجدون فيه يطلق عليه اسمهم، ويظهر ذلك من خلال ما أورده ابن عساكر في ذكر الأسواق بدمشق، والتي يظهر منها أن السوق كان يسمى تبعاً لنوع البضاعة التي تعرض فيه، فقد ذكر ابن عساكر[٤٣٤]، أن هناك سوق الأبارين والآبرين، وسوق الأساكفة العتق، وسوق الأكافين، وسوق البر الذي كان في الأصل سوقاً للسراجين ثم تحول سوقاً للبر، ثم سوق البزوريين وسوق البقل، وسوق المطرزين، والخوَّاصين وسوق دار البطيخ، وسوق الرمَّاحين، وسوق الريحان، وسوق الرَّطابين، وسوق الزفَّاتين، وسوق السرَّاجين، وسوق الشعير، وسوق الصرف، وسوق الصفارين، وسوق الطير وسوق العوامين، وسوق الغزل، وسوق الفاكهة، وسوق القبابين، وسوق القطانين، وسوق القلانسيين، وسوق القمح، وسوق القناديل، والسوق الكبير، وسوق الكتَّانين، وسوق اللؤلؤ، وسوق المطرزين، وسوق المناخليين وسوق التبن.

كما ذكر ابن عساكر[٤٣٥] مجموعة من السويقات التي كانت تحوي الواحدة منها عدداً من المحلات ومنها: سويقة الحجامين، وسويقة كنيسة مريم، وسويقة الباب الشرقي، وسويقة الباب الصغير، وسويقة باب البريد، وسويقة باب توما.

وعلاوة على ذلك فقد وجد في دمشق العديد من السقائف (الأسواق الصغيرة المسقوفة) ومنها سقيفة جناح وسقيفة ابن عمير، وسقيفة عند بني عبد الصمد، وسقيفة القطيعي وسقيفة كردوس[٤٣٦].

وذكر الإدريسي: أن أسواق دمشق كانت مشتهرة حسنة تحوي مختلف أصناف الصناعات الفائقة ذات التجارة الرابحة النافقة[٤٣٧]، ويظهر أن دمشق قد أصبحت مركزاً تجارياً هاماً، وسوقاً كبيراً للعديد من المدن الساحلية، التي كانت تعتمد على أسواقها التي تحوي جميع أنواع السلع التي تحتاجها تلك المدن[٤٣٨].

---

(٤٣٢) ابن جبير: رحلة، ص١٠٧.

(٤٣٣) القزويني: آثار البلاد، ص١٩١.

(٤٣٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٧٧-٢٣٠.

(٤٣٥) ابن عساكر: تاريخ، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤٣٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٠.

(٤٣٧) نزهة، ج٤، ص ٣٦٧-٣٦٩.

(٤٣٨) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣١١.

ومن خلال ما ذكره ابن عساكر وغيره لأسواق دمشق، يظهر أن ظاهرة التخصص في الأسواق كانت واضحة في دمشق حيث يجتمع أصحاب كل مهنة معاً في محل واحد مكونين سوقاً خاصة بهم، وفي بعض الأحيان كان يجتمع أصحاب الحرفة الواحدة معاً مكونين سوقاً صغيرة فرعية داخل السوق الكبير، وكانت أهمية السوق الفرعي تظهر من خلال كميات المعروضة فيه وأنواعها علاوة على عدد العاملين فيه[٤٣٩].

ولا بد من القول: أن التخصص في الأسواق كان له فوائد جمَّة من حيث عرض البضاعة الجيدة دون الرديئة، طالما أن هناك منافسة من قبل التجار في السوق والذين يبيعون نفس البضاعة، ويؤكد ذلك صاحب كتاب الآثار الأول حيث يذكر: أن انفراد كل سوق على حدة كان يساهم في عدم تجاوز البضائع الخسيسة مع البضائع النفيسة[٤٤٠].

ونظراً لسعة أسواق دمشق وانتشارها، فقد كانت المحلات المختصة ببيع الأطعمة موزعة بين الأسواق المختلفة، وذلك حتى يتسنى حصول أصحاب الحرف على ما يحتاجونه من طعام من مكان قريب[٤٤١]، وذكر المقدسي، أن أسواق دمشق تحوي المطاهر الكثيرة[٤٤٢]، وذلك حتى يتمكن الصناع والتجار من الطهارة والوضوء للاستعداد لأداء الصلوات.

وعلاوة على الأسواق المنتظمة في دمشق، فقد ظهرت أسواق أسبوعية ريفية وكانت ترتكز في المناطق غير الحضرية (متوسطة الكثافة السكانية)، وكانت هذه الأسواق تتميز بأن البائعين والمشترين فيها يقطنون على مسيرة يوم منها على الأكثر، وتعرف باسم اليوم الذي تعقد فيه[٤٤٣]، وبعض هذه الأسواق تقام على أطراف المدن الكبيرة مثل سوق الأحد بدمشق[٤٤٤].

ويبدو أن هذه الأسواق كانت تقام على أطراف المدن وليس في داخلها، وذلك لأنها على ما يبدو تحتاج إلى أراضٍ واسعة، علاوة على أن المدينة مكتظة بالعمران ومن الصعب إقامة هذه الأسواق داخلها، كما أن إقامتها في خارج المدينة يسهل عملية الدخول والخروج إليها، ويخفض من تكاليفها لأنها لا تكون مملوكة لأحد، وهذا بالطبع ينعكس على أسعارها من حيث الرخص[٤٤٥]. وكانت تلك الأسواق تتميز بقذارتها لما يتواجد بها من حيوانات عديدة ومثال ذلك

---

(٤٣٩) ابن عساكر: تاريخ، ص٢٢٧-٢٣٠؛ المقدسي: أحسن، ص١٦١، ١٧٤، ١٨١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٢٨٤، ابن جبير: رحلة، ص١٧٨.

(٤٤٠) الحسن بن عبدالله: آثار الأول، ص١٨٩.

(٤٤١) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص١٨٩.

(٤٤٢) المقدسي:أحسن، ص١٨٢.

(٤٤٣) زريف المعايطة: الأسواق، ص٢٥٧.

(٤٤٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٩.

(٤٤٥) زريف معايطة: الأسواق، ص٢٥٧.

الخيل والجمال بدمشق[٤٤٦]، وغالباً ما كانت أرضية هذه الأسواق ترابية نظراً للحركات النشطة للباعة والمشترين[٤٤٧]، وكان رواد هذه الأسواق وخاصة الذين يحضرون من الأرياف لبيع بضاعتهم فيها- بعد فراغهم من بيع بضاعتهم يذهبون إلى أسواق دمشق العامرة حيث يشترون ما يحتاجونه من بضائع من الأسواق المختصة فيها[٤٤٨].

وكانت بعض الأسواق في دمشق جامعة، وشاملة لجميع أنواع البضائع ومثال ذلك السوق الكبير، والتي وصفت بأنها سوق كانت تجمع مختلف أصناف الصناعات والتجارات[٤٤٩]. وذكر ياقوت: أن من المحال أن يطلب فيها شيء من جليل أعراض الدنيا ودقيقها إلا وهو فيها أوجد من جميع البلاد[٤٥٠].

وكان أصحاب السوق وبعض الأشخاص يحتاجون بعض العاملين للقيام بنقل بعض الأشياء أو ما شابه ذلك من أعمال، ومن هنا فقد كانت هناك فرصة سانحة لبعض الأشخاص الباحثين عن عمل ليقوموا بتأديته للآخرين مقابل أجر، عندما يحضر إليهم من يحتاج إلى العمل في مواقفهم التي اعتادوا على الوقوف فيها[٤٥١].

ومن المفيد قوله: أن التعاملات التجارية وبيع البضاعة كانت بحاجة إلى النقود، لذا كان لابد من وجود الصرافين الذين كانوا يحولون الدراهم إلى دنانير وبالعكس، ووجدت حوانيت وأسواق خاصة للصرافين في دمشق، وذكر المقدسي أن أغلبهم كانوا من اليهود[٤٥٢]، وكان التعامل في التجارة يتم بشكل أساسي باستخدام الدينار والدرهم كنقدين أساسين لإتمام عمليات التبادل التجاري في دمشق، شأنها شأن باقي المدن الإسلامية الأخرى[٤٥٣]، وفي بعض الحالات وخاصة عند الاضطراب وفقدان الأمن والخوف على النقود المنقولة من السرقة والسطو، فقد تم استخدام الصكوك والسفاتج والحوالات لإتمام العمليات التجارية بدلاً من استخدام النقود[٤٥٤].

ولابد من الإشارة إلى أن الأسواق كانت بحاجة إلى مراقبة ومتابعة، ما يجري فيها، من ضبط للأسعار ومراقبتها والحرص على عدم ارتفاعها، علاوة على التأكيد على سلامة وضمان جودة ما يصنع من صناعات أو أطعمة، ومراقبة الموازين والمكاييل وهو ما كان يقوم به

---

(٤٤٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص؛ زريف المعايطة: الأسواق، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٤٤٧) زريف المعايطة: الأسواق، ص٢٥٧.

(٤٤٨) المرجع نفسه، ص٢٥٧.

(٤٤٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص؛المقدسي: أحسن، ص١٥٦-١٥٧؛ابن جبير: رحلة، ص ٢٣٤-٢٧١؛ البهنسي: الشام، ص١٥٠.

(٤٥٠) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٥.

(٤٥١) زريف المعايطة: الأسواق ص٢٥٩.

(٤٥٢) المقدسي: أحسن ص١٨٣.

(٤٥٣) لومبارد: الجغرافية التاريخية، ص١٤٤-١٤٥.

(٤٥٤) انظر: الجشهياري: الوزراء، ص١٩٦؛ التنوخي: نشوار، ج١، ص١٠٩، الدوري، تاريخ العراق، ص١٧٠.

المحتسب[٤٥٥]، والذي كان يشترط أن تتوافر فيه شروطاً لا بد منها، علاوة على أنه كان له سجل خاص يحوي قوائم بأسماء الصناع والتجار حتى يتمكن من الوصول إليهم عند الحاجة، وكان يساعده في عمله مجموعة من الأشخاص يطلق عليهم عرفاء الأسواق[٤٥٦].

ومن الجدير قوله: أن السلع في دمشق كانت متوفرة وأسعارها رخيصة بوجه عام، ولكنها كانت تتأثر بالاضطرابات التي تمر بها المدينة، والسياسات التي تتعامل بها الإدارة، ويظهر أن الأسعار في دمشق قد غلت خلال ولاية "الحسن بن عمار" على دمشق واختفت البضائع وحصلت ضائقة مالية مما جعل الرشيد يقوم بعزله[٤٥٧]، كما استمرت حالة الغلاء هذه خلال عهد المأمون فخلال ولاية معيوف بن يحيى على دمشق وقع في أيامه غلاء وجدب وبؤس حتى قال فيه أهل دمشق إشعاراً تصف الحالة السيئة من نقص السلع وغلاء الأسعار[٤٥٨].

ويبدو أن دمشق قد شهدت نوعاً من الرخاء خلال خلافة المعتصم عليها ويظهر ذلك من خلال قول أحد الأشخاص في تفسير سبب مقامه بدمشق حيث قال: ما ظنك في بلد يأكل فيها الصغار ما لا يجده الكبار في غيرها[٤٥٩]. وخلال زيارة المتوكل لدمشق وعزمه على المقام فيها ارتفعت الأسعار وغلت بشكل ملفت[٤٦٠]، ويبدو أن هذا الغلاء والارتفاع في الأسعار كان سببه تلك الحاشية الكبيرة التي رافقت المتوكل، مما أثر على توفر الأطعمة والبضائع والتي شحت في المدينة وطلبت ولم يحصل عليها، وهذا ما أدى إلى ارتفاع الأسعار والذي استمر في دمشق حتى فترة متأخرة، ففي خلافة المقتدر وخلال ولاية نازوك التركي على دمشق سنة ٣٠٧هـ شهدت الأسعار في دمشق ارتفاعاً كبيراً[٤٦١].

ويمكن القول: أن هناك عوامل كان لها أثر في الحد من انتعاش التجارة والتأثير فيها، فالتجارة كانت بحاجة إلى توفر الأمن وسهولة الانتقال من مكان إلى آخر دون عوائق، وتوفر الحماية لأموال التجارة والتجار من الاعتداء أو المصادرة، وقد كان للاضطرابات والفتن التي شهدتها دمشق خلال فترة البحث والفوضى الناجمة عنها أثر كبير في وقوع عمليات السلب والنهب، وهذا ما كان يخيف التجار من سلب أموالهم وبضائعهم مما كان يدعوهم أحياناً إلى

---

(٤٥٥) انظر: الصفحات الخاصة بالحسبة من فصل الإدارة. ص١٦١-١٦٢.

(٤٥٦) انظر: يحيى بن عمر، النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، ص٣١-٣٣، ص٤٣؛ الشيرزي: نهاية ص٢٢؛ ابن الاخوة: معالم، ص٥٦.

(٤٥٧) ابن الفقيه: البلدان، ص١٠٤.

(٤٥٨) ابن عساكر، تاريخ، ج٥٩، ص٤٤٦.

(٤٥٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٩، ص٤٤٦

(٤٦٠) ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص٣٢٢.

(٤٦١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦١، ص٣٧٩.

استئجار أشخاص ليقوموا بحماية بضائعهم(٤٦٢)، وهذا بالطبع كان يزيد من تكاليف البضائع مما يؤدي إلى ارتفاع أثمانها.

وشهدت دمشق خلال فتنة أبي الهيذام سلسلة من أعمال الدمار والنهب التي كانت تطال العديد من المناطق(٤٦٣). ولابد أن هذه العمليات التي رافقت الثورة قد أدت إلى إصابة العديد من التجار وتدمير محلاتهم مما أثر على حركة التجارة وبشكل مباشر، وفي بعض الأحيان كان الاعتداء يقع على التجار أنفسهم وعلى محلاتهم بشكل مباشر، وهذا ما كان يؤثر على التجارة وحجم العمليات التجارية المتبادلة داخل المدية أو بين المدينة وغيرها من المناطق، فلما دخل العباسيون دمشق، أباح عبدالله بم علي المدينة ثلاثة أيام، أو ثلاث ساعات على أقل الروايات(٤٦٤)، ومن المؤكد أن هذا العمل قد ساهم في تدمير العديد من المحال التجارية ومقتل عدد من التجار ومصادرة أموالهم، وأصبحت عودة التجارة إلى ما كانت عليه سابقاً أمر بحاجة إلى وقت غير قليل. ولما قامت ثورة أبي العميطر ١٩٥-١٩٦هـ/٨١٠-٨١١م، كان أعوانه يعتدون على الأشخاص الذين لم يبايعوا أبي العميطر ويقومون بحبسهم ببيوتهم وإغلاق محالهم بعد تسميرها(٤٦٥)، ولابد أن عدداً كبيراً من أصحاب الحرف والمهن والتجار قد نالهم الضرر والأذى من قبل أعوان أبي العميطر، وهو ما أثر على التجارة بشكل عام والتجارة الداخلية بشكل خاص.

وأخيراً فإن بلاد الشام لم تكن تخضع لوالٍ واحد في الفترة العباسية في اغلب الأحيان بل خضعت لولاة متعددين، حيث كان لكل جند والٍ مستقل عن الآخر، وله اتصال بالخليفة مباشرة وكان لذلك أثره الواضح في الحد من النشاط التجاري الداخلي وتسهيل معاملات الناس في الشام بشكل عام ودمشق بشكل خاص، من حيث خروج البضائع ودخولها إلى الأجناد، حيث كان يفرض عليها في كثير من الأحيان مكوساً عالياً(٤٦٦).

---

(٤٦٢) المقدسي: أحسن، ص ٢٥٢.

(٤٦٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٢٩، ص١٣١، ابن خلدون: العبر ج٥ ص٤٦٥-٤٦.

(٤٦٤) خليفة: تاريخ، ص٦١١-٦١٢، الطبري: تاريخ، ج٧ ص٤٤٠؛ الذهبي سير، ج٦ ص٥٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص١٩١، المطبعة الوهبية، كرد علي، خطط لشام، ج١، ص١٧٣.

(٤٦٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣، ص٣٠.

(٤٦٦) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٣٧.

الفصل الخامس

الحياة الثقافية العلمية:

- تمهيد

أ-المؤسسات والمراكز التعليمية.

1. **الكتاتيب**
2. **المساجد**
3. **المكتبات**
4. **مجالس المناظرة**

- **الرحلة في طلب العلم**
- **مصاريف التعليم**
- **العلاقة بين الطالب وأستاذه**

ب- مظاهر العلم

1. **القراء**
2. **الحديث**
3. **الفقه**
4. **العلوم الأخرى**

- **رصد النجوم**
- **الترجمة والطب**
- **التاريخ والمؤرخون**
- **الشعر والأدب**

- تمهيد:

معلوم أن دمشق كانت عاصمة الآراميين منذ فترة مبكرة[١]، وكانت من أكبر المدن المزدهرة في الفترات اللاحقة من يونانية ورومانية وبيزنطية[٢]، وكانت تعج بالعلماء في العلوم المختلفة، علاوة على تعدد مكتباتها في الفترة السابقة للإسلام[٣].

وفي هذا الفصل سنحاول الحديث عن الحياة العلمية والثقافية في دمشق خلال الفترة الإسلامية وتركيزاً خلال الفترة العباسية حتى قدوم ابن طولون ١٣٢هـ-٢٦٤م /٧٤٩-٨٧٧م. أي بعد مضي ما يزيد على القرن منذ خضوع هذه المدينة للسيطرة الإسلامية. مع علمنا أن الحياة الثقافية والعلمية للسكان الأصليين لم تتوقف، بل كان هناك تفاعل بين المراكز العلمية التي أنشئت في دمشق في الفترة السابقة للإسلام والتي استمر وجودها خلال الفترة الإسلامية وبين المسلمين والمراكز الإسلامية التي أنشئت بعد سقوط دمشق[٤].

وكان العلماء الذين تخرجوا من هذه المراكز أصحاب ثقافة واسعة، ولعبوا دوراً كبيراً في رفد الحياة الثقافية في الفترة الإسلامية بالكثير من التطورات العلمية المختلفة[٥].

ومنذ الفتح الإسلامي ودخول الإسلام إلى الشام ودمشق، وانتشار اللغة العربية فيها وحتى العصر العباسي كان قد مضى على دخول الإسلام إلى الشام ما يزيد على القرن من الزمان، ولم تكن هذه الفترة كفيلة بأن يصبح أغلب سكان دمشق مسلمين ولكنها كانت كفيلة بأن تخلق جيلاً يتقن اللغة السريانية، (لغة أجداده)، علاوة على اتقانه للغة العربية لغة الدولة الجديدة، وهذا ما جعلهم يقومون بدور الوسيط بين العلوم اليونانية والسريانية القديمة وبين العرب والمسلمين، وقد تصدوا لمهمة ترجمة هذه الكتب ونقلها للغة العربية- لغة الدولة الجديدة[٦]. ومن هنا لم يكن من المستغرب أن يكون أكثر العلماء والمترجمين في العصر العباسي هم من أهل الشام ومن النصارى بالتحديد.

---

(١) علي أبو عساف: المصادر، ص٦٦.

(٢) عفيف البهنسي: المدينة، ص٨٥.

(٣) أحمد أمين: ضحى، ج٢ ص٥٩؛ يوسف العش: دور الكتب، ص٢٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج١٠، ص١٤-١٥، ج٧، ص٤٦٥.

(٥) انظر لويس شيخو: علماء النصرانية، ص١٤٨-١٥١؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢٦-٢٧؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص١٤٥، ١٥٣، ١٦٤.

(٦) نينا بيغلوليفسكايا: العرب على حدود، ص٤٣؛ أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٩٦.

وبرز العديد من علماء دمشق من السكان الأصليين في العلوم المختلفة وساهموا مساهمة كبيرة في تطوير العلوم خلال الفترة الأموية[١]، واستمر ذلك التطوير خلال الفترة العباسية (فترة البحث) حيث نبغ العديد من أهل دمشق وعلا شانهم في مختلف الأقطار[٢].

ولكننا في دراستنا هذه سنتحدث عن دمشق في العصر العباسي حتى قدوم ابن طولون مركزين على الحياة الثقافية والعلمية الإسلامية خلال هذه الفترة.

أ- المؤسسات والمراكز التعليمية:

حثَّ الإسلام على العلم والتعلم باعتباره ضرورة من ضرورات انتشار الإسلام وتعلم الدين، وبيَّن أهمية العلم والعلماء ومكانتهم الرفيعة، وجاء في الإسلام آداب التعليم وكيفية التعامل مع المعلم، وكانت أول آية أنزلها الله سبحانه على نبيه محمد (ص) "اقرأ باسم ربك الذي خلق"[٣].

واستمر إقبال المسلمين الأوائل على التعلم والتعليم طوال فترة النبي (ص)، وبعد وفاته تابع الخلفاء الراشدون حرصهم على نشر العلم وتفقيه الناس في أمور دينهم، وقد تصدى الصحابة لهذا الأمر، حيث بدءوا بالانتشار في الأمصار المختلفة لتعليم الناس أمور دينهم وعقيدتهم، وتم إرسال ثلاثة معلمين فقهاء لتعليم أهل الشام أمور دينهم، وذلك بناءً على طلب من والي الشام يزيد بن أبي سفيان[٤]، وكان من بين الذين تم إرسالهم أبو الدرداء، الذي تولى مهمة التعليم في دمشق[٥].

ومنذ فترة مبكرة تعددت المراكز التعليمية في دمشق والتي تمارس دورها في التعليم، وأبرز المراكز التعليمية التي ظهرت فيها:

١- الكتاتيب:

مفردها كتَّاب وهو مكان الكتَاب[٦]، وهي مكان التعليم الذي يحل محل التعليم الأولى في الوقت الحاضر[٧] وقد وردت الإشارات بأن الكتَّاب كانت معروفة قبل مجيء الإسلام، واستمر

---

(١) القفطي: أخبار العلماء، ص٢٦.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون، ص١٧٦-١٨٧؛ لويس شيخو: علماء النصرانية، ص١٤٩-١٥١، ص١٨٠-١٨٥.

(٣) القرآن الكريم، سورة العلق، الآية ١-٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات،ج٢، ص٣٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧٥.

(٦) ابن منظور: لسان، مادة كتب، ج١٢ ص٢٤-٥٢.

(٧) محمد طلس: التربية، ص٥٤.

وجودها في الفترة الإسلامية، وكانت بمثابة المؤسسات العلمية التي يتلقى فيها أبناء المسلمين وبناتهم تعليمهم الأولي في القرآن وعلوم الفرائض والدين والشعر(١).

وفي أعقاب الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام واستقرار المسلمين فيها، أقبل الفاتحون على إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب والمعاهد لتلقي العلوم الابتدائية والعالية فيها، فقد ذكر البلاذري أنه بعد فتح قيسارية وأسر عدد من أهلها كلفهم المسلمون بتعليم أبناء المسلمين الكتابة في الكتاتيب(٢).

ويظهر أن الكتاتيب استمر وجودها وممارستها لنشاطاتها في الفترة الأموية، حيث شهدت تزايداً من قبل الناس في الإقبال عليها وإرسال أبنائهم للتعلم فيها، فقد مر معاوية بن أبي سفيان خلال تجواله في دمشق على معلم صبية، فأمر المعلم طلابه القيام للتسليم على الخليفة(٣). ومن الواضح أن المسلمين لم يتحرجوا في إرسال أبنائهم للتعلم في كتاتيب النصارى جنباً إلى جنب مع الصبية النصارى(٤).

وفي القرن الثاني للهجرة وما تلاه ازدادت إعداد الكتاتيب و المعلمين حتى أصبح في كل قرية كتاب وربما أكثر(٥)، وانتشرت هذه الكتاتيب في الشام بشكل كبير وعلى وجه الخصوص في دمشق(٦)، وكذلك في القرى المحيطة بها(٧)، ويظهر أن ذلك عائد إلى اهتمامات ومتابعات المسؤولين بها، علاوة على عناية أهل الصبية وحرصهم على تعليم أبنائهم لما في ذلك من فائدة دينية ودنيوية، ولم تحرم الفتيات من التعليم، فالإسلام لم يعترض على تعليم المرأة، بل إن حث الرسول "ص" على العلم جاء شاملاً حيث قال: "...العلم فريضة على كل مسلم"(٨). وبرز في العصر الأموي العديد من الفتيات ممن يجدن القراءة والكتابة، فخلال مرور الوليد بن عبد الملك على معلم كتاب وجد عنده فتاة صغيرة فسأله عن سبب وجودها، فأخبره المعلم أنه يعلمها الكتابة والقرآن، فلم يعترض الوليد ولكنه أبدى ملاحظة وهي أن يعلم الفتيات من هو أصغر منهن سناً(٩).

---

(١) الجاحظ: رسائل، ج٣، ٣٢-٣٥؛ ابن سحنون: آداب، ص٨٦-٨٩؛ ابن عساكر: تاريخ ج٢٤ص٣٥؛ محمد طلس: التربية، ص٥٣، ص٦٦.

(٢) البلاذري: فتوح ص١٤٧.

(٣) ابن منظور، مختصر، ج٢٩، ص١٦٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج١٠ ص١٤-١٥، ج٧ص٤٦٥.

(٥) أحمد شلبي: التربية، ص٤٣.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦ص٣٨١-٣٨٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٣٢، ص١٨٢-١٨٣.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٨، ص٢٢٦.

(٩) الجاحظ" البيان، ج٢، ص٢٠٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٦١.

وأكد ابن سحنون أن البنات كنَّ يترددن على الكتاتيب لتلقي العلم، ولكن كان ينصح المعلم أن لا يعلم الجواري[١]، وإذا حدث أن توافدت البنات للتعليم كان ينصح أن لا يتم خلطهم مع الغلمان لأن في ذلك فساد لهن[٢].

ويظهر أن أعداد الفتيات المتعلمات بقي قليلاً على ما يبدو، لأن الآباء كانوا يعتقدون ان التعليم ربما يفسدهن، وفي ذلك نقل الجاحظ قولاً مأثوراً للعرب وهو: لا تعلموا بناتكم الكتاب ولا ترووهن الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور[٣]، وفي المقابل كانت بنات الأمراء والقادة أكثر إقبالاً على التعلم حيث كان يحضر المعلم إلى داخل القصر لتعليمهن[٤].

أما شكل الكتاب فلم يكن في الغالب يزيد على غرفة واحدة أو غرفتين تحويان أثاثاً متواضعاً وتتسعان عدداً محدوداً من الأولاد[٥].

ومما أورده ابن سحنون عن وصف الكتَّاب يمكن أن نقيس ذلك على الكتَّاب الذي وجد في بلاد الشام خلال الفترة الأموية والعباسية، حيث ذكر: أن الكتَّاب كان على مر العصور بناءً بسيطاً في الغالب على هيئة البيت المربع أو المستطيل، بسيط الأثاث، جدرانه غير مزخرفة أو منمقة، كما أن أثاثه لم يحظ بعناية كبيرة، حيث كان مفروشاً بحصر بلدية عادية يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلم الذي يختص بسرير أو كرسي مرتفع، وربما عوض عن الكرسي بمصطبة مبنية ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط[٦].

وكانت فترة الدراسة في الكتَّاب غير محدودة بمدة زمنية ووقت محدد، حيث يستمر تعليم الطلبة فيها حتى وقت البلوغ، وربما جاوزت ذلك بمدة قليلة[٧]. وكذلك الحال بالنسبة لفترة الالتحاق بالكتّاب والتي لم تحدد في الغالب بسن محددة، فربما التحق الطالب بالكتّاب عند سن الرابعة أو السادسة أو السابعة[٨]. وربما يعود السبب في ذلك لعدم وجود برنامج دراسي محدد في الكتاتيب، وعلاوة على ذلك لم تكن هناك امتحانات رسمية، بل إن المعلمين في الكتّاب يقومون بامتحان الطلبة مرة واحدة في الأسبوع على الأكثر[٩]. أو ربما كان الامتحان عند

---

(١) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٣) الجاحظ: البيان، ج٢، ص٣٠٤.

(٤) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص٩٥.

(٥) انظر ابن عساكر: ج٢، ص٢٩٠؛ محمد طلس: التربية، ص٧٧.

(٦) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٥٥.

(٧) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص٧٤.

(٨) الغزالي: إحياء، ج٢، ص٦٢؛ محمد طلس: التربية، ص٧٧.

(٩) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص١٠٤.

الانتهاء من مرحلة التعليم الأولى، وذلك بما حفظه الطالب وتعلمه خلال مرحلة دراسته، ويعرف هذا الامتحان بالختمة[(١)].

وكان يطلق على من يعلم القراءة والكتابة في الكتاب لقب المكتب[(٢)] أما من يعلم القرآن فكان يطلق عليه لقب المعلم أو المؤدب[(٣)]، ومن الجدير قوله أن المعلم كان شخصاً عادياً من حفظة القرآن أو رجال الأدب والعلم، ولم يكن المعلمون خاضعون لمؤسسة رسمية أو مكلفين بمهنة التعليم[(٤)].

أما أسلوب التعليم في الكتَّاب فقد كان يختلف من مادة إلى أخرى، فبالنسبة للقراءة والكتابة كان يتم تعليمها عن طريق نسخ الحكم والأمثال أو كتابة الآيات القرآنية على الألواح الخاصة بالطلاب[(٥)]. بينما كان يتم تعليم القرآن الكريم عن طريق التلقين، وينبغي أن يحفظ غيباً[(٦)].

ويظهر أن تعليم الصبية للصلاة والصيام وأوقات الصلاة وكيفية أدائها، والوضوء وغير ذلك من أمور العبادات، كان يسير جنباً إلى جنب مع تعليم الطلبة للقرآن والنحو[(٧)]. وعلاوة على ذلك فقد كان يتم تعليم الطلبة مجموعة من العلوم الهادفة والمفيدة كالفروسية والأمثال والحسن من الشعر وأخبار العرب[(٨)]، وربما اقتصر تعليم هذه العلوم على أبناء الخاصة الذين تتيح لهم إمكاناتهم المادية دراسة مثل هذه العلوم على يد أساتذة يحضرون إلى بيوتهم لتعليمهم[(٩)].

وكان الطلبة يستخدمون الألواح للكتابة، حيث كان لكل تلميذ لوحاً خاصاً به، وكان المعلم يطلب إلى الأولاد كتابة الآيات، فإذا حفظوها قاموا بمسحها من ألواحهم باستخدام الماء[(١٠)]، وكانت الألواح التي يستخدمها الطلبة مصنوعة من الخشب، وإلى جانب كتابة القرآن عليها فقد استخدمت في تعلم العلوم الأخرى ككتابة النحو والشعر وتعلم الحساب[(١١)]..

---

(١) البيهقي: المحاسن، ج٢، ص٢١٣؛ ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٤٩؛ الأهواني: التربية، ص٥٧؛ محمد طلس: التربية، ص٧٧.

(٢) أحمد أمين: ضحى، ج٢، ص٥٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٢، ص١٨٢-١٨٣.

(٤) المصدر نفسه: ج٣٧، ص٢٦؛ ج٤٦، ص٤٣٠-٤٣١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١٠، ص٩٥، ج١٤، ص٢٧٣.

(٥) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٨٦-٩٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٧٠، ص١٥٧-١٥٨.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٠، ص٣٦٥؛ أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص٥٣؛ محمد طلس: التربية، ص٧٧.

(٧) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص١٠٩-١١٣.

(٨) الجاحظ: البيان، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٤٢-٤٤؛ أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص١٥٩.

(٩) ملكة أبيض: التربية، ص٩٥-١٩٨.

(١٠) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٨٦-٨٩.

(١١) ابن سحنون: ص٨٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٤، ص١٣.

أما اليوم الدراسي في الكتاب فكان يبدأ منذ وقت مبكر، وذلك على فترات تشبه نظام الحصص والمحاضرات في الوقت الحاضر، فمنذ الصباح وحتى الضحى كانت دراسة القرآن الكريم[١]، ومن الضحى إلى وقت الانصراف للغداء كان يتم تعليم الكتابة، ولا يجوز الانتقال من سورة إلى أخرى إلا بعد حفظ السورة الأولى وكتابتها وإعرابها[٢].

وتبدأ الفترة الثالثة بعد عودة الطلاب من تناول غدائهم بعد صلاة الظهر وحتى آخر النهار، حيث يتم تعليم الطلاب العلوم الأخرى كالنحو والشعر وأيام العرب والحساب والحِكَم[٣]. وكان بعض المعلمين يختارون يوماً في نهاية الأسبوع وقت العشي ليفحص طلابه ويتأكد من حفظهم ومتابعتهم[٤].

وكان التدريس يستمر على هذا النحو طوال أيام أسبوع الدراسة والتي تبدأ من صباح السبت وتنتهي عصر يوم الخميس، حيث يعتبر ذلك اليوم راحة بكامله يتفرغ معه الطلبة لإعداد أنفسهم لأداء صلاة الجمعة[٥]. وذكر ابن سحنون أن الطلبة كانوا يعطلون أيام الأعياد[٦]، وأحياناً يحصل الطلبة على راحة ليوم أو بعض يوم عندما ينتهي أحد الطلبة حفظ القرآن وذلك احتفاءً بالمناسبة[٧].

ويمكن القول: أنه إلى جانب التعليم الذي كان يقوم به المعلمون للصبية في الكتاتيب فقد وجد هناك نوع من التعليم الذي يقوم به المعلمون لأولاد الخاصة والذي غالباً ما كان يتم في قصورهم وبيوتهم، وقد أطلق على هذه الفئة "المؤدبون"[٨].

ويبدو أن العباسيين قد ساروا على نهج الأمويين في انتقاء مؤدبي أولادهم وحرصوا على توفير التربية الصالحة والمتميزة لهم عن تأديب أولاد العامة، وكان لمؤدبي الشام مكانة رفيعة عند الخلفاء وقادتهم، حيث اختاروا مؤدبي الشام لتأديب أبنائهم، ومن الراجح أن الأمر عائد إلى أن العراق قد شهدت منذ بداية الدولة العباسية اختلاطاً كبيراً بين العرب وغيرهم من العناصر وخاصة الفرس، وهذا ما أثر في صحة اللغة العربية وشيوع اللحن فيها، بينما بقي الشام بعيداً بعض الشيء عن هذا الاختلاط، وحافظ أبناؤه على نقاء لغتهم.

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص١٧٦.

(٢) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص١٠٥-١٠٦؛ محمد طلس: التربية، ص٦٩.

(٣) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص١٧٦.

(٤) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص١٠٤.

(٥) المصدر نفسه: ص١٠٤.

(٦) المصدر نفسه: ص١٠٤.

(٧) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص١٧٧.

(٨) محدد طلس: التربية، ص٦٩.

فقد استقدم المأمون الحسن بن مالك أبو العالية الشامي إلى بغداد لتأديب ولده العباس(١). وكان الحسن أديباً شاعراً راوية، وهو من أصحاب الأصمعي، وكان إذا جالس الأصمعي انتصف منه وزاد عليه(٢). ولما حضر المتوكل إلى دمشق، بعث بابنه إلى هشام بن عمار أحد شيوخ دمشق ليأخذ عنه، وحمل إليه ألف دينار(٣). واختار المعتز لتأديب ولده أحد الشخصيات البارزة في دمشق في القرن ٣ هـ، وهو أحمد بن سعيد الدمشقي(٤). وكان عبيد بن محمد الكلابي- الذي يسكن في قنطرة سنان بدمشق مقرئاً و مؤدباً(٥).

ويبدو أن ولاة دمشق قد ساروا على خطى الخلفاء في اتخاذ المؤدبين لأبنائهم، فقد اختار عبد الملك بن صالح- والي دمشق والجزيرة للمهدي والرشيد- عبد الرحمن الدمشقي مؤدباً لولده(٦). وكان عمر بن ميمون يعلم النحو واللغة في حصن مسلمة وكان يسمى مؤدباً(٧). واختار عبد الله بن طاهر- والي المأمون على الشام ومصر- أن يقوم ابن السكيت بتأديب أبناءه، وكان يتقاضى مقابل ذلك راتباً شهرياً مقداره ألف درهم(٨). واختار القاسم بن عيسى (أبو دلف) والي دمشق للمعتصم- محمد بن المستنير (قطرب) ليقوم بتأديب ولده(٩)، وكان أبو الخير الموزة (الشاعر) من أهل حرَّان ويعلم بدمشق الصبيان، ويظهر أنه كان يختص بتعليم أولاد الأمراء(١٠).

ويتضح أن المؤدبين لأبناء الخلفاء والقادة كانوا يحظون بمكانة رفيعة بل إنهم غالباً ما كانوا ينعمون بالغنى والراحة، بل إن بعضهم كان يعيش في جناح خاص في القصر ليكون إشرافه على طالبه بشكل أشمل وأدق(١١). وكان بعض المؤدبين يحصل على الهدايا والمنح والأطعمة والصلات من الخلفاء والقادة(١٢). وربما حصل المعلم لقاء أجره على ما يكفيه من طعام أو مقداراً من القمح أو الذرة، وذلك تبعاً للحالة المادية للأسرة التي ينتمي لها الطفل(١٣).

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤، ص٧٦-٧٧؛ الكتبي: فوات، ج١، ص٣٥٠-٣٥١.

(٢) الكتبي: فوات، ج١، ص٣٥٠-٣٥١.

(٣) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٥٥.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١٠، ص٩٥؛ الكتبي: فوات، ج٢، ص٢٤٠.

(٥) ابن منظور: مختصر، ج١٥، ص٣٥٩.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٧، ص٢٦؛ ابن منظور: مختصر، ج١٥، ص١٩٦.

(٧) المصدر نفسه: ج٤٦، ص٤٣٠.

(٨) الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١٤، ص٢٧٣؛ أحمد أمين: ضحى: ج٢، ص٥٤.

(٩) النديم: الفهرست، ص٧٨.

(١٠) ابن العديم: بغية، ج١٠، ص٤٤٤٢-٤٤٤٣.

(١١) أحمد شلبي: التربية، ص٤٧.

(١٢) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٥٥؛ ابن سحنون: آداب المعلمين، ص٩٤.

(١٣) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٣٨؛ أحمد شلبي: التربية، ص٢٠٢.

ولا بد من القول: أن بلاد الشام في الفترة موضع البحث لم تكن تحوي مدارس بالمعنى الحقيقي، في حين تم افتتاح أول مدرسة إسلامية في بلاد الشام سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م حسب ما ذكر ابن شدّاد(١).

ومن الجدير قوله: أنه إلى جانب الكتاتيب فقد كان المسجد ومنذ عهد النبي (ص) مكاناً لتعليم أبناء المسلمين آيات الكتاب، كما كان بعض المعلمين يقوم بتعليم الصبية في المساجد(٢). ويظهر أن هذا الأمر لم يحظ بتأييد من الفقهاء فيما بعد والذين استندوا إلى حديث عن النبي (ص) رواه مكحول عن أبي الدرداء وغيره من بعض الصحابة حيث قال النبي (ص): "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم"(٣)...

ويبدو أن عبث الصبيان الصغار بمحتويات المسجد أو عدم تحفظهم أحياناً من النجاسة، وإثارتهم الفوضى، كان دافعاً قوياً لموقف الفقهاء هذا، ولذلك ابتعد عن اتخاذ المساجد ككتاتيب، وبرزت كتاتيب منفصلة عن المساجد خاصة لتعليم الصبيان(٤). وفي بعض الأحيان كان بعض المعلمين يخصص مكاناً في بيته لتحفيظ الطلاب وتعليمهم(٥).

وبعد أن يجتاز الصبية مرحلة التعليم الأولى التي يتلقون خلالها طرفاً من العلوم الضرورية في حياتهم العلمية والعملية، كالقرآن والقراءة والكتابة والحساب ومبادئ النحو واللغة وشيئاً من الشعر، كان يتم توجيه الطلبة حسب ميولهم، وعليهم ان يختاروا بين متابعة التعليم وبين مزاولة حرفة ما صناعة كانت أم تجارة، وغالباً ما يعتمد ذلك على أوضاعهم وإمكاناتهم المادية أو استعدادهم وتكوينهم العقلي، إذ أنه ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم والتعمق فيها(٦).

٢- المساجد:

كان للمسجد دورٌ مهمٌ وفاعلٌ في الإسلام، فهو بالإضافة إلى كونه دار عبادة ومركزاً دينياً يجتمع فيه المسلمون، فقد كان مركزاً سياسياً وفكرياً وتعليمياً لخدمة الجماعة الإسلامية، وكان الانتقال للتعليم في المسجد يتم بعد أن يجتاز الطلبة مرحلة التعليم الأولى التي يتلقون فيها طرفاً من العلوم الضرورية في حياتهم العلمية والعملية كالقرآن والقراءة والكتابة والحساب، ويختار الطلبة بعدها بين متابعة التعليم أو مزاولة حرفة ما، وكان هذا يعتمد على إمكاناتهم المادية أو استعداداتهم وتكوينهم العقلي، إذ ليس كل أحد يصلح أن يتعلم العلوم(٧).

---

(١) ابن شداد: الأعلاق، ص١٩٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١، ص٣٢٨؛ الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٤١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٧، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٤) أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص٧٥؛ ملكة أبيض: التربية، ص١٤٠.

(٥) أحمد شلبي: التربية، ص٣٥.

(٦) المرجع نفسه، ص٢٥٣.

(٧) المرجع نفسه، ص٢٣٦.

ولم يكن انتقال الطالب إلى مرحلة التعليم العالي التي تشمل التعليم في المساجد اعتباطاً، بل كان المحدثون والفقهاء يشترطون فيمن يرغب الدخول إلى حلقاتهم أن يكون حافظاً للقرآن، فقد روي أن الأوزاعي كان إذا شاهد في حلقته طالباً جديداً يسأله إذا قرأ القرآن، ثم يختبر حفظه، فإذا تبين عدم معرفته بالقرآن كان يرفض قبوله في حلقته[١].

ولم تكن الحالة المادية المتيسرة شرطاً من شروط الالتحاق بحلقات العلم بل إن معرفة الطالب للقرآن وحفظه لآياته ربما كان كافياً[٢]. وهذا الأمر مهد الطريق أمام مجموعة من الطلبة الفقراء النابهين لإكمال تعليمهم ودراستهم، وبرز جمهور من العلماء الأفذاذ من بين الفقراء والكادحين[٣].

وكان على الذين يختارون متابعة التعليم- وهم قلة- الاستمرار في التعمق بدراسة مادة أو أكثر من المواد الدينية أو الأدبية أو العلمية، ومتنقلين من خلال ذلك بين حلقة وأخرى للشيوخ في المساجد، بل ومسافرين أحياناً من بلد إلى آخر لتحصيل العلم وفق ميولهم وطباعهم.

وفي دمشق كان المسجد الجامع من أهم مراكز الإشعاع العلمي منذ فترات الفتح الأولى، وذكر أن أبا الدرداء كانت له حلقة علمية لإقراء القرآن في مسجد دمشق، وكانت أعداد من يدرسون في هذه الحلقة كثيرة، حتى قام بتقسيمها لنظام العشرات ووضع على كل عشرة عريفاً[٤]، وكان لعبد الله بن عامر اليحصبي حلقات في جامع دمشق ويعلم الطلاب القراءات[٥].

واستمر دور المسجد الجامع التعليمي في العصر الأموي وازدهر، حيث كان يشهد العديد من الحلقات التعليمية في مختلف المجالات، من دراسة القرآن[٦] إلى القراءات[٧]، وكذلك حلقات الحديث والفقه[٨]، وحلقات في اللغة والنحو[٩].

ويظهر أن الحلقات داخل المسجد كان لكل منها موقعاً ثابتاً ووقتاً معلوماً وذلك حتى يتسنى لطالب العلم أن يلتحق بها في وقتها فلا يفوته منها شيء[١٠]. وذكر ابن عساكر عن شيخ في القرن الأول الهجري قوله: أنه عهد المسجد الجامع بدمشق وكان عند كل عامود شيخاً وعليه

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٣٥، ص١٨٧.

(٣) أحمد شلبي: التربية، سص٢٤٧-٢٤٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج١، ص٣٢٨؛ الذهبي: سير، ج٢، ص٣٥٣؛ الذهبي: معرفة القراء، ص٤١-٤٢.

(٥) الذهبي: سير، ج٢، ص٣٤٦.

(٦) ملكة أبي: مؤسسات التربية، ص١١٧-١١٨.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج١، ص٣٢٨؛ الذهبي: سير، ج٢، ص٣٥٣.

(٨) ابن منظور: مختصر، ج٢٣، ص١٤٦.

(٩) الذهبي: تاريخ، حوادث ٨٠-١٠٠هـ، ص١٤٢+ص٢٣٣، ص٢٥٥.

(١٠) ملكة أبيض، التربية، ص١٢١.

الناس يكتبون[١]، واستمر ذلك حتى فترات متأخرة فقد وصف ابن جبير في رحلته حلقات الدرس في جامع دمشق[٢].

وفي حلقات العلم كان يتم تعليم الطلبة العلوم التي يختارونها من حديث أو فقه أو لغة وآداب أو سائر العلوم الأخرى عن طريق أسلوب هو أقرب إلى إلقاء المحاضرات[٣]. وكان في المسجد الجامع لكل فرع من العلوم حلقة تكاد تكون مختصة في تدريس هذا اللون من العلوم، فقد وجدت حلقات لتدريس الدين[٤] وأخرى للفقه[٥] وأخرى للنحو[٦] وأخرى للشعر والأدب[٧].

ويبدو أن حلقات المسجد كانت بمثابة معاهد عالية أو كليات جامعية في جامعة المسجد، حيث يتعلم الطلاب مختلف المواد على يد شيوخ اختصوا بتعليم مادة أو أكثر، ومن هنا فإن الطالب لم يكن يدخل حلقة الشيخ أو المدرس بشكل عشوائي وإنما كان يستعين لذلك الغرض بإرشاد الأهل أو أحد الأساتذة الذين يثق بهم ويعرفهم، وهذا من باب الحرص للأخذ عن أفضل العلماء والمحدثين[٨]. استمرت هذه الطريقة حتى القرن الخامس الهجري حيث ظهرت المدارس المختصة[٩].

ولم يكن الطالب مقيداً في حلقة معينة بل كانت لديه حرية الانتقال من حلقة إلى أخرى متى شاء ومتى أحس أنه أخذ حاجته من العلم عن ذلك الشخص وأراد الانتقال إلى حلقة أخرى ليأخذ العلم عن شيخها[١٠]. ويظهر أن عملية إقبال الطلاب على التعليم والتنوع فيه وانتقالهم بين الحلقات، جعلت شيوخ الحلقات في جامع دمشق يعملون على التنسيق فيما بينهم في اختيار أوقات الحلقات حتى تتاح للطالب فرصة متابعة الدروس المختلفة لتحقيق الفائدة. فقد ذكر ابن عساكر أن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ت ١٦٧هـ كان يجلس في الغداة إلى حلقة ثم ينتقل ظهراً إلى حلقة شيخ آخر، وعند العصر إلى حلقة شيخ ثالث[١١]، وكان لأبي مسهر حلقة في

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج١، ص٣٢٨.

(٢) ابن جبير: رحلة، ص٢١٥-٢٢٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٦٢، ج٣٦، ص٢٠٤-٢٠٨.

(٤) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٢٥٧.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص١٣٥.

(٦) المصدر نفسه: ج٤، ص٢٤٣.

(٧) المصدر نفسه: ج٦، ص٢٣٢.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٣، ص٢٨٥؛ ملكة أبيض: مؤسسات التربية، ص٢٦٦، ص٢٨١؛ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص١١٨.

(٩) نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص١٥٩.

(١٠) أحمد أمين: ضحى: ج٢، ص٦٧؛ شوقي ضيف: تاريخ الأدب، ج٢، ص١١٨.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٨.

الجامع بين العشاءين عند حائط الشرقي[١]، وما ينطبق على العلوم الدينية كان ينطبق على العلوم الأخرى كالأدب والفقه التي كانت لها حلقات مختصة في مسجد دمشق، حيث كان لنوفل بن الفرات العقيلي أبو الجراح حلقة في جامع دمشق يدرس فيها الأدب[٢].

وكان الطالب في مرحلة التعليم العالي "في حلقات المساجد" عند حضوره إلى موعد الحلقة، لا بد أن تتوافر معه المواد اللازمة والمناسبة للتعلم، فكان لا بد له من محبرة مليئة بالحبر[٣]، كما كان عليه أن يحضر سكيناً خاصاً ليقوم ببري الأقلام فيها[٤]، ولا بد أن يكون الحبر الذي يستعمله الطالب برّاقاً جارياً والقرطاس نقياً صافياً[٥]، وأن يبذل الطالب قصارى جهده في تجويد خطه[٦].

أما أوقات التعليم في المسجد فكانت في الغداة حلقة، وبعد الظهر حلقة، وبعد العصر حلقة، ويظهر ذلك في قول سعيد بن عبد العزيز التنوخي: "كنت أجالس بالغداة يزيد بن أبي مالك، وبعد الظهر إسماعيل بن عبيد الله، وبعد العصر مكحولاً"[٧]. وكان لأبي مسهر حلقة في الجامع بين العشاءين[٨].

ويظهر أن أوقات عقد الحلقات استمرت على ما هي عليه حتى فترة متأخرة حيث ذكر أن الخطيب البغدادي كان له بجامع دمشق حلقة كبيرة سنة ٤٥٦هـ. وكان الناس يجتمعون إليه بكرة كل يوم فيقرأ لهم وكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق سمع صوته في آخر الجامع[٩].

أما عن وقت إنهاء الدراسة في مرحلة التعليم العالي (التي تلي الكتاب) في المساجد أو غيرها، فالطالب وحده هو الذي يقرر الوقت الذي يرى فيه أنه أصبح قادراً على تشكيل حلقة يقوم بالتدريس فيها وبالتالي التحول من صفة المتعلم إلى صفة المعلم "المدرس" وذلك بعد أن يشهد له جماعة من أهل العلم والفضل[١٠]. وفي بعض الأحيان تنتهي مرحلة تعليمه عندما يجيز له شيخه أن يحدث عنه، بعد أن يرى أنه أصبح أهلاً لذلك[١١].

---

(١) الذهبي: سير، ج١٠، ص٢٣٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٩٢.

(٣) السمعاني: أدب الإملاء، ص١٥٢.

(٤) المصدر نفسه: ص١٦٠.

(٥) المصدر نفسه: ص١٦٠.

(٦) المصدر نفسه: ص١٦٥.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٨.

(٨) الذهبي: سير، ج١٠، ص٢٣٤.

(٩) أحمد شلبي: التربية، ص٩١.

(١٠) أبو نعيم: حلية، ج٦، ص٣١٦.

(١١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣، ص٢٥٠؛ السيوطيك تبييض الصحيفة، ص١٢.

ولم تكن هناك شهادات علمية أو امتحان لمعرفة من أتم الدراسة، ومع أن الطالب يكون قد أتم المرحلة العليا من دراسته إلا أنه لا يحتل موقع المدرس أو المحدِّث إلا أذا نال موافقة ورضى من هم أعلم منه وأن يشهد له عدد كبير من الشيوخ بأنه يصلح لهذا المنصب، وفي ذلك قال الإمام مالك بن أنس: ما أصبت الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني أهل لذلك[(١)]؟ وقال أيضاً: ما أفتيت إلا بعد أن شهد لي سبعون أني أهل لذلك[(٢)]. وسمح الأوزاعي لمحمد بن شعيب بن شابور بالفتوى في مجلسه[(٣)].

وكان بعض الطلبة عند تحولهم للتدريس والفتوى إذا تعرض لسؤال لا يعرفه وعجز عن الإجابة عليه ما يلبث أن يعود مستمعاً وطالباً في الحلقة، فقد روي عن أبي حنيفة انه كان أحد طلاب حلقات العلم، وقرر أن يعمل حلقة خاصة به يكون هو محدثها، فسألته امرأة ذات يوم سؤالاً عجز عن إجابته ففض حلقته وعاد إلى حلقة شيخه[(٤)]. ويظهر من ذلك أن الطالب لم يكن يستطيع الانفراد بحلقته إلا بعد تمكنه من العلم بشكل كبير، وهذا بالطبع كان يمنع بعض الطلبة الطامعين بتشكيل حلقات خاصة بهم، كما يجعلهم يسعون للبروز في العلوم.

وكان التعليم في المسجد الجامع بدمشق يتم عن طريق تقسيم الطلاب إلى حلقات تختلف أعدادها باختلاف أعداد الطلبة، وكانت هناك حلقة رئيسة تسمى باسم الشيخ أو المدرس، وعند زيادة العدد إلى الحد الذي لا تتسعه الحلقة كان يتم تقسيم هذه الحلقة إلى حلقات صغيرة كل منها يتكون من عشرة أشخاص على رأسهم عريف، وتكون علاقة الشيخ مع العرفاء، وفي حال غم شيء على الطلبة فإنهم يراجعون عريفهم، وإذا غم على عريف الحلقة عندها يلجأ على الشيخ رئيس الحلقة، الذي يبدي ملاحظاته ويصحح الخطأ، وقد مارس هذا الأسلوب أبو الدرداء لتعليم القراءة، وكان إذا صلى الغداة اجتمع الناس للقراءة عليه، فيجعلهم حلقات عشرة عشرة، ويقف هو في المحراب يرقعهم ببصره[(٥)].

وذكر الذهبي أن أعداد الطلبة المتعلمين كان كثيراً حتى وصل في حلقة أبي الدرداء المعقودة في جامع دمشق للقراءة ألف وستمائة ونيفاً، وكان يجعل على كل عشرة عريفاً[(٦)]. ويظهر أن هذه الأعداد الكبيرة في هذه الحلقة تدل على مكانة أبي الدرداء الكبيرة في نفوس أهل

---

(١) أبو نعيم: حلية، ج٩، ص٣١٦.

(٢) أبو نعيم: حلية، ج٩، ص٣١٦.

(٣) ابن عساكر: مخط، ج١٥، ص١٣٧.

(٤) السيوطي: تبييض الصحيفة، ص١٢؛ أحمد شلبي: التربية، ص٢١٩؛ أحمد أمين: ضحى، ج٢، ص٦٨.

(٥) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٣٨.

(٦) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٣٨.

دمشق وطلابها، علاوة على حرص أهل دمشق للزج بأبنائهم للاستفادة من علمه، كما أن الوقت الذي كانت تعقد فيه ربما كان مناسباً لأغلب الطلبة وهو ما جعلها مكتظة.

وهذا ينفي الرواية التي ذكرها ابن عساكر والتي تشير أن التعليم بشكل حلقات فد أدخله إلى جامع دمشق هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومي[١]. كما ينفي الرواية الأخرى التي تشير إلى أن التعليم للقرآن الكريم في المساجد على شكل حلقات كان مستغرباً من قبل الضحاك بن عزرب الأشعري عامل دمشق لعمر بن عبد العزيز والذي عبر عن ذلك كان بقوله: أتدرسون كتاب الله تعالى؟ إن هذا شيء ما سمعته ولا سمعت أنه كان من قبل[٢]. فأين ذلك من حديث النبي (ص) الذي يشير صراحة لذلك حيث قال (ص)"...ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتذاكرون كلام الله ويتدراسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكره الله فيمن عنده[٣]".

ويظهر أن حلقات العلم في جامع دمشق كانت شاملة للفقه على المذاهب المختلفة، ومع أن ابن جبير في فترة متأخرة ولكنه وصف حلقات العلم في جامع دمشق بأنها متعددة، ويبدو أن تعدادها كان تبعاً للمذاهب السائدة هناك فقد ذكر ابن جبير أنه وجد في جامع دمشق حلقات للطلبة والمدرسين فيها إجراء واسع، ففيه للمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي، وكذلك مدرسة الشافعية، وفي وسطها صهريج يجري فيه الماء، وفي الجانب الغربي بإزاء الجدار مقصورة برسم الحنفية للتدريس وبها يصلون[٤]، وكان للقاضي أبو الحسن بن حذلم حلقة بجامع دمشق ينتصر فيها لمذهب الأوزاعي[٥]. كما كان لأبي كنيز الخادم الفقيه الشافعي حلقة في المسجد الجامع بدمشق، وكان فقيهاً فهماً بقول الشافعي[٦].

أما الطلبة الذين كانوا يبحثون عن الانفراد والبعد عن الازدحام لاستذكار ما تعلموه، فقد وجدت لهم زوايا خاصة لهذا الغرض يتخذونها للنسخ والدرس[٧].

وكان أهل دمشق حريصين على الاستفادة من كل عالم يزور دمشق، فلما كان أحد العلماء البارزين يزور دمشق كان يصطحب إلى مسجد دمشق وذلك حتى يتسنى لطلاب العلم سماعه والاستفادة منه، وهذا ما حدث مع الزهري عند قدومه لدمشق حيث اصطحب إلى جامع

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٣) ابن ماجه: سنن، ج١، ص٨٢.

(٤) ابن جبير: رحلة، ص٢١٦؛ أحمد شلبي: التربية، ص٩١.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٤٠-١٥١هـ، ص٤٩٨.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٠، ص٢٦٢.

(٧) ابن جبير: رحلة، ص٢١٦-٢١٧؛ أحمد شلبي: التربية، ص٩١.

دمشق فانتظمت له حقله[١]، ولما حضر عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان إلى دمشق ووفد على عمر بن عبد العزيز لدَينٍ لزمه، وكان عالماً بالسيرة والمغازي وثقة في الحديث، قضى عمر بن عبد العزيز دينه وأمر له بمعونة، وأمره ان يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بمغازي رسول الله (ص) ومناقب أصحابه، ففعل ثم رجع للمدينة[٢].

٣- المكتبات:

لقد عرفت المكتبات في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي، وكان للسريان مدارس عديدة تدرس فيها العلوم المختلفة، وكان يتبع تلك المدارس مكتبات خاصة بها يستفيد منها الطلبة[٣]، وفي الفترة الإسلامية وجدت في حواضر العالم الإسلامي مكتبات كبيرة زاخرة بمختلف كتب العلوم، وكانت هذه المكتبات تتواجد في المساجد، حيث كان عدد من العلماء يقف مؤلفاته وكتبه عليها حتى يتسنى لأكبر عدد من طلاب العلم الإفادة منها[٤].

وبالإضافة لذلك فقد كان لبعض الخلفاء والأمراء والأغنياء من العلماء والأدباء مكتبات خاصة بهم، فمنذ الفترة الأموية وجدت العديد من المكتبات أهمها: مكتبة الوليد بن عبد الملك التي ضمت سلسلة من الكتب المتنوعة والتي كان يجمعها بطرق مختلفة[٥]. وكذلك خزانة الكتب التي وجدت زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز وكانت تحوي بعض الكتب الطبية المترجمة[٦]، وكان للوليد بن يزيد خزانة كتب تحوي كتباً كثيرة من بينها كتباً تحوي أحاديث الزهري، وقد حملت على الدواب لكثرتها[٧]، وكان لخالد بن يزيد خزانة كتب في دمشق تحوي كثيراً من الكتب اليونانية المترجمة[٨]، وذكر ابن الطقطقي أن الشاعر كلثوم بن عمر العتابي كانت له مكتبة مليئة بنفائس الكتب[٩].

وكان لثابت بن قرة الحراني مكتبة تزخر بكتب كثيرة في فنون متنوعة كالمنطق والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة وغيرها[١٠]. وذكر أن قسطا بن لوقا ت ٣٠٠هـ كانت له مكتبة مليئة بالكتب يستفيد منها في أعمال الترجمة[١١].

---

(١) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٧٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص٢٣١.
(٢) المزي: تهذيب، ج٩، ص٣٢١-٣٢٢.
(٣) أحمد أمين: ضحى، ج٢، ص٥٩.
(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٢٢؛ أحمد أمين: ضحى، ج٢، ص٦٦.
(٥) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص٢٠٧؛ ابن العديم: مخط البغية، ج١، ص٥٨؛ أحمد أمين: ضحى،ج٢،ص٦٦
(٦) القفطي: أخبار العلماء، ص٣٢٤؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص١١٦.
(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٩، ص٤٠٠.
(٨) النديم: الفهرست، ص٣٥٤؛ أحمد أمين: ضحى، ج٢، ص٦١.
(٩) ابن الطقطقي: الفخري، ص٤٥.
(١٠) القفطي: أخبار العلماء، ص١١٥؛ الذهبي: سير، ج٣، ص٤٨٥.
(١١) النديم: الفهرست، ص٣٠٤-٣٠٥، ٣٥٤.

وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك أديرة عديدة تحيط بدمشق وغالباً ما احتفظ كل دير بمكتبته الخاصة به[(١)].

ولا شك أن المكتبات سواء أكانت عامة ملحقة بالمساجد أو الأديرة أم خاصة تابعة لبعض الخلفاء والأمراء والعلماء والأهالي، فقد كانت منتشرة في مدينة دمشق، ولا بد أنها أتاحت الفرصة لطلاب العلم للاطلاع على مختلف العلوم، وتيسير الطرق عليهم في البحث والتنقيب واختصار المسافات عليهم في رحلاتهم للسماع، وهذا بالطبع كان يشكل ثقافة كبيرة لدى الطالب من خلال ما تحويه تلك المكتبات من كتب نادرة وقيمة.

٤- مجالس المناظرة:

يمكن القول: أن المناظرات العلمية والمجالس التي كانت تعقد لهذا الغرض بين العلماء والأدباء على حد سواء في البيوت أو القصور أو المساجد قد ساهمت في رفع مستوى الطلبة وتعليمهم وتثقيفهم[(٢)]. وكان يطرح في هذه المناظرات مسائل هامة في الفقه والنحو والصرف واللغة والدين، وكان الفقيه الأوزاعي شيخ الشام يكثر من هذه المناظرات مع شيوخ الفقه والعلماء في عصره، ومنها تلك المناظرة التي جرت بينه وبين الإمام مالك بن أنس في المدينة[(٣)].

وأحياناً كان الخلفاء أنفسهم يحضرون تلك المناظرات واللقاءات العلمية، فلما زار الخليفة المهدي الشام التقى مع علمائها وفقهائها سنة ١٦٣هـ[(٤)]. وفي خلافة المأمون عقد قاضي القضاة يحيى بن أكثم لقاءات فقهية مع عدد من علماء الحديث الشاميين وعلى رأسهم هشام بن عمار[(٥)]، وأحمد بن أبي الحواري أحد أعلام الزهاد في الشام[(٦)]. كما جرت مناظرة فقهية بناءً على رغبة المأمون تم فيها مناظرة أبي مسهر الغساني في مسألة خلق القرآن سنة ٢١٨هـ[(٧)].

وقام عدد من ولاة الشام ممن عرف عنهم العلم والفقه وحفظ الحديث بعقد الندوات العلمية، ومثال ذلك ما رواه ابن العديم عن قيام والي الرشيد على دمشق والشام إبراهيم بن صالح سنة ١٧٦هـ. بعقد ندوة مع كبار شيوخ الحديث والزهاد ومنهم أحمد بن أبي الحواري

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص٣٨؛ أحمد فؤاد الأهواني: التربية، ص٩٧-٩٨.

(٢) أحمد شلبي: التربية، ص٦٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٦٩.

(٤) المصدر نفسه: ج٥٣، ص٤١٢.

(٥) المصدر نفسه: تاريخ، ج، ترجمة يحيى بن أكثم.

(٦) المصدر نفسه: ج٤٩، ص١٢٠-١٢١.

(٧) الذهبي: سير، ج١٠، ص٣٥.

الزاهد[١]، كما قام والي دمشق للأمين منصور بن المهدي بعقد ندوة مع كبار محدثي الشام أمثال سويد بن عبد العزيز والوليد بن مسلم[٢].

ولم تقتصر مجالس المناظرة والندوات على العلوم الدينية بل إن العديد منها كان علمياً صرفاً أو يمس جانباً من جوانب الأدب والشعر، ومنها تلك المناظرة التي أقامها أحد أبناء موسى ابن شاكر، حيث قام بنقاش مع أحد زملاءه في دمشق بحضور المأمون، وكان موضوع النقاش هندسة اقليدس[٣]. وكذلك عقدت الجلسات والمناظرات بين الشعراء والأدباء[٤]، وقد شجع بعض ولاة الشام الأدب والشعر وصار بلاطهم مقصداً للشعراء، وتعقد فيه المجالس الشعرية، وكان الشعراء يحصلون على الإكرام والأعطيات والحفاوة، ومن هؤلاء الولاة أبو دلف العجيلي (القاسم بن عيسى) والي الشام للمعتصم، الذي كان كثير التشجيع للشعر والشعراء والأدباء[٥]، وكذلك الوالي مالك بن طوق والي دمشق للمتوكل حيث أمه الشعراء ومدحوه فأجازهم، ومن بين من حصل على جوائزه الشاعر دعبل الخزاعي والشاعر أبو تمام[٦]، وكذلك الحال بالنسبة للوالي أحمد بن المدبر الذي كان يجزل العطاء لمن يمدحه بشعر جيد، وكان يأمر خادمه بمرافقة صاحب الشعر الرديء حتى يصلي في المسجد الجامع مئة ركعة[٧]، ولا بد أن هذا التشجيع من جانب الولاة قد ساهم في تطوير الحركة الشعرية في دمشق والشام عامة.

- الرحلة في طلب العلم

من المؤكد أن صحابة رسول الله (ص) قد انتشروا بعد الفتح الإسلامي في مختلف الأمصار، وكان هؤلاء الصحابة يحملون أحاديث الرسول (ص) ومشاهداتهم حول الأحداث، والتي نقلها التابعون عنهم ثم نقلها من جاء بعدهم، ومن هنا كانت في كل مصر تتردد أحاديث يعرفها أهل المصر مما أخذوه عن راويها عن الرسول (ص) وربما لم تتوفر في الأمصار الأخرى.

وقد رحل مصنفوا الحديث وحفاظه إلى الأمصار المختلفة للحصول على الأحاديث من صدور حملتها ورواتها، حتى يتسنى لهم تقييدها وكتابتها[٨]، وقد ترددت العديد من الأحاديث والأقوال التي تحث على السعي في طلب العلم، ومنها قول الزاهد إبراهيم بن أدهم: أن الله يرفع

---

(١) ابن العديم: بغية، مخطط٢، ص٢١٥.
(٢) الذهبي: سير، ج١١، ص٤٤٩.
(٣) زيغريد هونكه: شمس العرب، ص١٢٣.
(٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٢٤٣-٢٤٦؛ المسعودي: مروج، ج٣، ص٣٦٦؛ أحمد شلبي: التربية، ص٦٧.
(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص١٣١، ١٣٢-١٣٤.
(٦) المصدر نفسه: ج٥٦، ص٤٦١-٤٦٤.
(٧) ياقوت: معجم الأدباء، ج١٠، ص١٢١.
(٨) الخطيب: الرحلة، ص١٨؛ أحمد أمين: ضحى، ج٢، ص٧٠.

البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث[١]. وكان المحدثون هم أنشط الناس في طلب العلم والرحلة من أجله والصبر على معاناته وذلك لانتشار أصحابه في مختلف الأمصار، كما كان عليهم مقارنة أحاديثهم بأحاديث غيرهم بأسانيدها ومتونها، وهو ما يتطلب الرحلة المستمرة لتحقيق هذا الغرض[٢].

وكان علماء دمشق من بين العلماء الذين رحلوا لطلب الحديث، باذلين في سبيل ذلك الصعوبات، غير ملتفتين للأخطار أو المسافات، فقد رحل الإمام الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) إلى الحجاز لطلب العلم وسماعه، وذكر أنه عقد في المدينة مناظرة مع الإمام مالك بن أنس في أبواب العلم المختلفة[٣]، ورحل يحيى بن حسان أبو زكريا الشامي من أهل دمشق (ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م) إلى مصر في طلب الحديث ثم استقر في تنيس (إحدى قرى مصر) وتوفي فيها[٤]، ورحل هشام بن عمار ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م إلى الحجاز ليسمع عن مالك بن أنس، وكان أبوه باع بيتاً له في دمشق بـ عشرين ديناراً ليجهز هشام في رحلته هذه[٥].

وكانت شهرة علماء الحديث والفقهاء من أهل دمشق تجتذب لدمشق طلاب الحديث وجامعيه من الأمصار الأخرى، فقد اشتهر من أهلها مكحول والأوزاعي وأبي سليمان الداراني والوليد بن مسلم وهشام بن عمار وغيرهم- وكان من الطبيعي أن يزداد عدد القادمين إليها من المناطق الأخرى للسماع على شيوخها والتتلمذ عليهم.

فقد قصدها محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٢٠٣م) وتتلمذ على يد عدد من كبار شيوخها ومحدثيها من أمثال سعيد بن عبد العزيز، والأوزاعي[٦]، كما قصدها القاسم بن سلام الفقيه البغدادي (ت٢٢٤هـ/٧٧٤م) صاحب كتاب الأموال وسمع بها عن هشام بن عمار[٧]، وزارها محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) كاتب الواقدي، وسمع عدد من مشايخها أبرزهم الوليد بن مسلم[٨].

---

(١) الخطيب: الرحلة، ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ص٧٨، ٩٧، ١١٠، ١١١، ١١٨، ١٣٢، ١٦٧-١٦٨، ١٩٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج٨ ص٢٧٤؛ ج١١، ص٢٨٠؛ ج١٠، ص١٠٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٦٨-١٦٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤، ص١١١-١١٣.

(٥) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٦٢.

(٦) الخطيب: تاريخ، ج٣، ص٣-٢٠.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص٥٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٧٦.

(٨) ابن عساكر: ج٥٣، ص٦٢-٦٣.

كذلك قصدها في طلب العلم إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي (ابــن راهويــه) ت ٢٣٨هــ/٨٥٣م وهو إمام عظيم الشأن، وسمع العديد من شيوخ دمشق[(١)]، كما زارها أحمد بــن حنبل أحد الأئمة الأربعة (ت ٢٤١هــ/٨٥٥م) وسمع العديد من شيوخها وعلى رأسهم الوليد بن مسلم وأبي مسهر الغساني[(٢)]، وكذلك زارها حميد بن زنجويــه (ت ٢٥١هـــ/٨٦٥م) وســمع بدمشق من أبي مسهر الغساني وهشام بن عمار ودحيم[(٣)]. كما زارها أيضاً عبيد الله بــن عبــد الكريم أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤هــ/٨٩٠م) وسمع من شيوخ دمشق وسمعوا منه [(٤)].

وممن قصد دمشق أيضاً المحدث الكبير أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلــي الرازي إمام المحدثين في الحديث والجرح والتعديل وعلل الرجال (ت ٢٧٧هــ/٨٩٠م) [(٥)]. كما قصدها المؤرخ الشهير أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي (ت ٢٧٩هــ/٨٩٣م) وسمع عدد من مشايخها منهم هشام بن عمار وأبي حفص بن عمر بن سعيد[(٦)]. وكذلك زارها المؤرخ الشهير محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هــ/٩٢٢م) [(٧)].

ويظهر أن شهرة بعض شيوخ دمشق ومحدثيها وفقهائها أمثال سعيد بن عبــد العزيــز، والأوزاعي والوليد بن مسلم وأبو مسهر وهشام بن عمار قد أقنعت العديد من علمائها بالرجوع إليهم، وربما الاستغناء عن الرحلة إلى الأمصار الأخرى، فقد روي عن أبي مســهر المحــدث الشهير أنه قال: "ينبغي للرجل أن يقتصر على علم بلده وعلى علم عالمه، ولقد رأيتني أقتصــر على سعيد بن عبد العزيز فما افتقر معه لأحد"[(٨)].

وتشير ملكة أبيض إلى أن بلاد الشام بشكل عام قد أمَّها عدد كبير من طلاب العلم مــن مختلف الأقطار وعلى رأسها العراق التي كانت تشهد نهضة علمية كبيرة بعد تحول العاصــمة إليها من دمشق، وبناء مدينة بغداد فيما بعد، وهذا ما دفع الكثير من رجال الحديث فيها وطلاب العلم إلى الرحلة للشام للتتلمذ على أيدي عدد من كبار محدثيها أمثال سعيد بــن عبــد العزيــز والأوزاعي والوليد بن مسلم وهشام بن عمار وأبور زرعة عبد الرحمن بن عمرو وأبو مســهر الغساني وغيرهم[(٩)].

---

(١) ابن العديم: بغية، ج٣، ص١٣٨٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج١٥، ص٢٧٩.

(٤) المصدر نفسه:ج٣٨، ص١١-١٢؛ العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٢٠٧.

(٥) الخطيب: الرحلة، ص٢١٣-٢١٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٦، ص٧٤-٧٥؛ الكتبي: فوات، ج١، ص١٥٥.

(٧) ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢، ص١٠٧؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج١٨، ص٤٠-٥٥.

(٨) ابن منظور: مختصر، ج٩، ص٣٣١؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٦١-١٧٠هــ، ص٢١٩.

(٩) ملكة أبيض: التربية والثقافة، ص٤٩٣-٤٩٤.

ويظهر أن ميزان الرحلة في طلب العلم كان لصالح دمشق والشام على الأقطار الأخرى وخاصة في القرن الثالث الهجري أي أن عدد من رحلوا إلى الشام لطلب العلم كانوا أكبر بكثير ممن رحل من الشام لطلب العلم(١)، ومن المؤكد أن شهرة علماء الشام وسعيهم للتتلمذ عليهم قد قلل من فكرة الرحلة إلى خارج الشام وجعلت الطلاب يكتفون بما عندهم، وربما كان للاضطرابات التي كانت تشهدها دمشق والشام في الفترة العباسية وخاصة في أواخر القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين، علاوة على سوء الأوضاع الاقتصادية، والفتن القبلية، كل ذلك كان عاملاً هاماً من عوامل أحجام علماء الشام عن الرحلة في طلب العلم من الأقطار الأخرى المجاورة منها أو البعيدة.

- مصاريف التعليم

لم يكن طلب الأجر لقاء التعليم أمراً مقبولاً في المجتمع الإسلامي، ولم يجد من يقبل الأجر القبول والاحترام الكافي، وقد أكد هذا العرف (الغزالي) في فترة متأخرة بقوله: ...إن من طلب بالعلم المال كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً"(٢).

وكان بعض المعلمين والمدرسين يحصل على المال من أهل التلميذ على شكل هبات مقابل تعليمه لابنهم(٣).

وفي المقابل فإن علماء دمشقيون آخرون لم يقبلوا حتى الهدايا في مقابل تعليمهم فقد ذكر عن الأوزاعي أنه قال لرجل قدم له هدية لقاء تعليمه: "إن شئت قبلت هديتك، ولم تسمع مني حرفاً، وإن شئت فاقبض هديتك واسمع"(٤). بل أن الأوزاعي كان عندما يحصل على الهدية يقوم بتوزيعها على الفقراء دون أن يبقي لنفسه منها شيئاً(٥).

وتعددت أساليب الطلبة في توفير المال اللازم لإدراك العلم، فهناك بعض الأسر الميسورة التي كان بمقدروها استقدام مؤدبين لأولادهم، كما أن هناك فئة من طلاب العلم كانت تملك المال الكافي لغاية التعليم ومثال ذلك إسماعيل بن عياش الذي أنفق الثروة التي ورثها عن أبيه في طلب العلم(٦). وكان لإلحاق الأوزاعي بديوان الساحل وتناوله العطاء أثر في وجود مورد ثابت له ومساعدته في دراسته وإكمال علومه(٧).

---

(١) ملكة أبيض: التربية والثقافة، ص٤٩٥.
(٢) الغزالي: إحياء، ج١، ص٥٠.
(٣) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٥٥.
(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٩٨-١٩٩.
(٥) المصدر نفسه: ص٢١١.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٩، ص٤٢؛ ابن منظور: مختصر، ج٤، ص٣٧٥.
(٧) المصدر نفسه: ج٣٥، ص١٥٨.

واستغل شهر بن حوشب معرفته بالغناء والعزف ليوفر نفقات رحلته إلى الحجاز لسماع الحديث(١). وباع والد هشام بن عمار بيتاً له بدمشق ليرسل ولده إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والأخذ عن الإمام مالك بن أنس الحديث(٢).

وحصل بعض طلاب العلم على أعطيات ودعم من الولاة، فقد وزع عبد الله ابن طاهر والي الشام للمأمون مبلغ ألف درهم لكل طالب من طلبة العلم ممن يدرسون في الشام والجزيرة عندما مر بهم(٣).

- العلاقة بين الطالب وأستاذه:

سادت علاقة ودٍ كبيرة بين الأساتذة وطلابهم، حيث كان الأساتذة يعلمون طلابهم ويحرصون عليهم كبعض أولادهم، وقد أكد ذلك سعيد بن عبد العزيز بقوله: "كنا عند مكحول كبعض ولده"(٤)، وكان الأساتذة يحرصون على تشجيع طلبتهم في الإقدام على العلم عن طريق قيامهم بتوزيع بعض الأطعمة والحلوى عليهم فقد ذكر أن الزهري كان يعطي من جاءه من طلاب العلم ويطعمهم الثريد ويسقيهم العسل(٥).

وحرص الأساتذة على حسن استقبال طلابهم عند حضورهم إليهم، والاهتمام بهم وإبراز أهميتهم عندهم، وكذلك الحال عند انصرافهم بعد انتهاء الدرس، فقد ذكر أن الأوزاعي شيع طلابه مودعاً، وقد أبعد في ذلك ومشى معهم ما يزيد على الفرسخين، ولم يعد إلا بعد أن ألح عليه الطلاب بالعودة خوفاً عليه من الإرهاق بسبب كبر سنه، ولكنه رد عليهم مبيناً أن لهم عنده مكانة كبيرة ولا أحد أفضل منهم عنده(٦).

وذكر السمعاني آداب الدخول على المعلمين والأساتذة والتي ينبغي على الطلاب التقيد بها احتراماً لأساتذتهم وتبجيلاً لهم، ومن أبرز هذه الآداب التي تبدأ بعدم التأخر على وقت الحلقة ثم خلع الحذاء، وتقديم المسن منهم، ثم عدم رفع الصوت بحضرة الأستاذ، وعدم الكلام إلا بإذن(٧)....

وكان الطلبة يفرحون عندما يلبون للأستاذ طلباً يطلبه منهم، أو يقومون على خدمة أساتذتهم، وكانوا يتسابقون في ذلك احتراماً وحباً وتبجيلاً فقد ذكر أن سعيد بن عبد العزيز كان

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٣، ص٢٢٩-٢٣٠.
(٢) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٩٥.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٩، ص٢٣٤.
(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٨.
(٥) البسوي: المعرفة، ج١، ص٦٢٥-٦٢٦.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٩١.
(٧) السمعاني: أدب الإملاء، ص١٢٠-١٣٥.

يسقي الماء في مجلس مكحول[١]. وكان بعض الشيوخ يسمحون لطلابهم بالافتاء في مجالسهم وهذا من باب الثقة بهم والتشجيع لهم، فقد كان محمد بن شعيب بن شابور يفتي في مجلس الأوزاعي وكان عالماً بحديثه وفتياه[٢].

ب- أبرز مظاهر العلم:

١- القرّاء:

بعد أن قام الخليفة عثمان بن عفان بنسخ القرآن الكريم في مصاحف ثم حرق ما سواها، بعدما خشي على القرآن من اللحن والخلاف، قام بإرسال نسخ من تلك المصاحف إلى كل مصر من الأمصار وأرسل مع كل منها مقرءاً خاصاً يقرئ للناس القرآن كما جاء في هذه المصاحف، وأرسل إلى الشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، الذي قرأ القرآن على الخليفة عثمان بن عفان، ووصل دمشق خلال ولاية معاوية بن أبي سفيان عليها[٣]. وقد تتلمذ على يديه عبد الله بن عامر اليحصبي[٤]، الذي ساهم في نشر القراءة العثمانية في دمشق والشام جميعاً بعدما علَّم هذه القراءة لعدد من المقرئين[٥].

وعقب وفاة عبد الله بن عامر خلفه في إمامة القراءة تلميذه يحيى بن الحارث أبو عمرو الذماري ت ١٤٥هـ/٧٦٢م[٦]، الذي قرأ على واثلة بن الأسقع، وكان له فضل كبير في نشر القراءة العثمانية في الشام جميعاً، حيث تتلمذ على يدية ويدي تلامذته مجموعة من القراء الدمشقيين والشاميين ومنهم الوليد بن مسلم الدمشقي ت ١٩٥هـ/٨١٠م[٧]، وكذلك مدرك بن أبي سعيد الفزاري أبو سعيد الدمشقي (غير معروف وفاته) الذي تتلمذ على يديه مجموعة من القراء[٨]. وكذلك سويد بن عبد العزيز ت ١٤٩هـ/٧٦٦م، وقد تولى قضاء دمشق وقرأ على يحيى الذماري ثم أخذ عنه القراءة مجموعة من القراء منهم الربيع بن تغلب وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر وهشام بن عمار وغيرهم[٩].

ومن قراء دمشق أيضاً

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ج٣٥، ص٢٥٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١١٢؛ الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٤٨.

(٤) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٤٨.

(٥) المقدسي: أحسن، ص١٨٠.

(٦) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٠٥-١٠٦.

(٧) المصدر نفسه: ج١، ص١٠٥-١٠٦؛ سير: ج٦ ص١٨٩.

(٨) العسقلاني: تهذيب، ج١٠، ص٧٩-٨٠.

(٩) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٤٨.

- عثمان بن أبي العاتكة الدمشقي ت ١٤٩هـ/٧٦٦م وكان مقرئ أهل دمشق ومعلمهم، وعلاوة على ذلك فقد كان قاصاً[١]، ثم إبراهيم بن أبي عبلة أبو سعيد الشامي الدمشقي ت ١٥٣هـ/٧٧٠م وكان ثقة له مقام كبير، وقد أخذ القراءة عن واثلة بن الأسقع كما قرأ على الزهري، وكان له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة[٢].
- سعيد بن عبد العزيز التنوخي ت ١٦٧هـ/٧٨٣م كان مفتياً في دمشق وقد أخذ القراءة عن عبد الله بن عامر، ثم عرض على يحيى الذماري، وكان من تلامذته، الوليد بن مسلم وأبي مسهر[٣]. وتتلمذ صدقة بن خالد ت ١٧١هـ/٧٨٧م على يد يحيى الذماري وأخذ عنه القراءة، وتتلمذ على يديه الوليد بن مسلم وهشام بن عمار وأبي مسهر وأخذوا عنه القراءة[٤].

وكان عبد الله بن كثير الدمشقي الطويل ت ١٩٦هـ/٨١١م إمام جامع دمشق ومقري أهل دمشق، وروي عنه أنه صلى ذات مرة بالناس فقرأ "وإذ قال إبراهام لأبيه" فبعث إليه نصر بن حمزة وكان الوالي بدمشق فخفقه بالدرة خفقات ونحاه عن الصلاة، وهذا جهل من الوالي فإن هذه هي قراءة عبد الله بن عامر قارئ الشام[٥].

- محمد بن شابور القرشي الشامي مولى الوليد بن عبد الملك ت ١٩٦هـ/٨١١م سكن دمشق، ثم انتقل إلى بيروت فاتخذها مقاماً، وأخذ القراءة عرضاً على يحيى الذماري[٦].
- عراك بن خالد بن يزيد المري الدمشقي أبو الضحاك ت قبل ٢٠٠هـ/قبل ٨١٦٥م، وكان مقرى أهل الشام في عصره، أخذ القراءة على يحيى الذماري، وقرأ عليه كل من عبد الله بن ذكوان ومحمد بن ذكوان وهشام بن عمار[٧].

ومن القراء الذين اشتهروا بدمشق منذ بداية القرن الثالث الهجري.

- عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر الغساني ت ٢١٨هـ/٨٣٣م، كان مفتياً لدمشق، وقد أخذ القراءة على أيوب بن تميم ونافع بن أبي نعيم وأخذ عنه القراءة أبو عبيد القاسم بن سلام كما سمعه أبو زرعة الدمشقي[٨].

---

(١) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٦١؛ المزي: تهذيب، ج١٢، ص٤٢٠-٤٢١.

(٢) ابن الجزري: غاية النهاية، ج١، ص١٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٣.

(٤) العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٤١٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٢، ص١٦٨؛ ج٦٢، ص٣٤؛ المزي: تهذيب، ج١٠، ص٤٤١-٤٤٢.

(٦) الذهبي: سير، ج٩، ص٣٧٦.

(٧) العسقلاني: تهذيب، ج٧، ص١٧١-١٧٢؛ الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٥٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٢١؛ الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٣٥٥.

- الوليد بن عتبة الأشجعي ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م، وكان أحد أبرز ثلاثة يحكمون القراءة الشامية في زمانه وهم هشام بن عمار وعبد الله بن ذكوان والوليد بن عتبة، وكان يقرأ القرآن في مجلس الوليد بن مسلم(١).
- عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو الدمشقي ت ٢٤٢هـ/٨٥٦م، كان مقرئ أهل دمشق في عصره، وتتلمذ على يديه عدد من مشاهير القراءة مثل هارون بن رشيد الأخفش شيخ المقرئين في زمانه ومحمد بن موسى الصوري وغيرهم، وقال عنه أبو زرعة: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر أقرأ عندي من ابن ذكوان في زمانه(٢).
- هشام بن عمار الدمشقي ت ٢٤٥هـ/٢٥٩م، وهو شيخ أهل الشام ودمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم، قرأ القرآن على عراك بن خالج وأيوب بن تميم وغيرهما من أصحاب الذماري، وقد سمع من مالك بن أنس، وكان خطيباً على منبر جامع دمشق(٣).
- هارون بن موسى بن شريك الأخفش الدمشقي ت٢٩٢هـ/٩٠٥م، قرأ على ابن ذكوان، وأخذ الحروف عن هشام بن عمار، وقرأ عليه خلق كثير(٤).
- أحمد بن نصر بن شاكر أبو الحسن الدمشقي المقرئ المشهور ت٢٩٢هـ/٩٠٥م، قرأ على ابن ذكوان كما عرض على الوليد بن عتبة(٥).

٢ - الحديث:

حظي علم الحديث بعناية كبيرة في بلاد الشام وخاصة في دمشق، ويظهر ذلك مما أورده ابن عساكر في أسماء الكتب لمحدثين شاميين أبرزها: روايات ساكني داريا، وكتاب من نزل المزة، وكتاب أحاديث كفرسوسية وأحاديث صنعاء الشام، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدَّث بها، وكتاب حديث الحميريين وقينية، وحديث أهل فدايا وبيت أرانس وبيت قوفا، وحديث أهل قرية الملاط، وحديث أهل زبد وجسرين وأهل بيت سوا ودوما ومسرابا والقصير، وحديث جماعة من أهل حرستا وأهل كفر بطنا ودقانية وحجيرة وعين ترما وجديا وطرميس ويعقوبا، وحديث جماعة من أهل بيت لهيا وأهل برزة(٦).

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٣، ص٢١٦؛ الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٢٠١؛ تاريخ، حوادث ٢٣١-٢٤٠هـ، ص٣٩٥.

(٢) العسقلاني: تهذيب، ج٥، ص١٤٠؛ ج٨، ص٣١٦؛ الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٢٦؛ تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص٣٠٧، المزي: تهذيب، ج١٠، ص٨-٩.

(٣) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ، ص٣١٨؛ سير، ج١١، ص٤٢٠؛ معرفة القراء، ج١، ص١٩٥، ١٦٠-١٦١

(٤) الذهبي: سير، ج١٣، ص٥٦٦؛ معرفة القراء، ج١، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٥) العسقلاني: تهذيب، ج١، ص٨٦؛ ابن الجزري: غاية النهاية، ج١، ص١٤٤.

(٦) كرد علي: غوطة، ص١٦٣-١٦٤.

والمؤكد أن كتابة الحديث في دمشق بدأت منذ القرن الأول الهجري، فقد روي أن واثلة ابن الأسقع ت ٨٥هـ، كان يملي الحديث على الناس في دمشق وهم يكتبونه[١]، وروي عن شيخ من القرن الأول الهجري قوله: أنه عهد المسجد الجامع بدمشق وعند كل عمود شيخاً وعليه الناس يكتبون العلم[٢].

ومن الجدير بالقول: أن شيوخ وطالبي الحديث في الشام ودمشق خصوصاً لم يأخذوا الحديث بشكل عشوائي بل حرصوا على أخذ الحديث عن الأشخاص الموثوقين، وكانوا يعرضونه على أصحابه ويتأكدون منه. فقد روي عن الأوزاعي قوله: "كنا نسمع الحديث ونعرضه على أصحابه كما نعرض الدرهم الزائف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا وما أنكروا تركنا"[٣]. وكان تلاميذ الأوزاعي يسيرون على نفس نهج الأوزاعي، كما أنهم كانوا قبل قبولهم للحديث يسألون الأوزاعي عنه ويقولون: هل نقبل كل ما أتانا عن رسول الله (ص) فكان يجيبهم "لا نقبل إلا ما صدقه كتاب الله"[٤]. وكان الوليد بن مسلم قبل أن يأتي أحد من المحدثين يسأل عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز فإذا أمرا به سعى إليه وإلا فلا[٥]. وروي عن مروان بن محمد الطاطري قوله: ثلاثة لا غنى لصاحب الحديث عنها: الحفظ والصدق وصحة الكتاب، فإن أخطأت واحدة كانت فيه اثنتان لم تضره، إن أخطأ في الحفظ ورجع إلى ما صدقه وصحه كتبه لم يضره ذلك"[٦].

وكانت دراسة الحديث تستغرق وقتاً طويلاً قد يصل إلى عشرة سنوات[٧] أو أكثر بقليل[٨]، وربما وصلت إلى عشرين سنة[٩]، وكان بعض المحدثين في مجالس الحديث يحدثون بعدد قليل من الأحاديث في المجلس الواحد، فقد عاتب طالب أستاذه الأوزاعي في أنه لم يسمع عنه سوى ثلاثين حديثاً في أربعة أيام، فرد عليه الأوزاعي أن ذلك كثير، وأن طلاب العلم فيما مضى كانوا يذهبون من المدينة إلى مصر لسماع حديث واحد وبعد سماعه يقفل أحدهم عائداً إلى حيث كان[١٠].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٢، ص٣٦٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج١، ص٣٢٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٨٦؛ ج٥٩، ص٣٩٣.

(٤) المصدر نفسه: ج٦٠، ص٣٧٨.

(٥) المصدر نفسه: ج٦٣، ص٢٨٥.

(٦) المصدر نفسه: ج٥٧، ص٣١٨.

(٧) ابن منظور: مختصر، ج٢٣، ص٢٩٩؛

(٨) المصدر نفسه: ج٢٦، ص٣٥٣-٣٥٥.

(٩) المصدر نفسه: ج١٥، ص٣١٤-٣١٧؛ ملكة أبيض: التربية، ص٢٩٠-٢٩١.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٦، ص٦٩؛ الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب، ص١٢٥-١٢٦.

وهذا لا يعني أن الأمر في الحديث القليل كان متفقاً عليه من المحـدثين، فقـد روي أن بعض المحدثين كان يحدث في اليوم الواحد ما يزيد على الأربعمئة حديث[(١)]، كمـا روي عـن الأوزاعي نفسه أنه كان يحدث في بعض مجالسه، في المجلس الواحد ثلاثين حديثاً[(٢)].

ومنذ القرن الثاني الهجري اشتهر في دمشق عدد من المحدثين منهم:

- يزيد بن يزيد بن جابر الأزدي ت ١٣٤هـ/٧٥١م. كان محدثاً مشهوراً، روى عن كبار أئمة الشام أمثال مكحول، كما روى عن وهب بن منبه وبشر بن عبيد الله الحضرمي، فـي حين روى عنه عدد من شيوخ الحديث فيما بعد أمثال الأوزاعي وثور بن يزيد، وكان ثقـة صدوقاً، وقيل أنه من أصحاب القدر[(٣)].
- صدقة بن سلام الدمشقي ت ١٤٨هـ/٧٧٤م. وكان محدثاً ثقة[(٤)].
- صدقة بن عبد الله السمين ت ١٤٨هـ/٧٧٤م. وكان من كبار محدثي دمشق وقد انتقلت ذريته إلى طرابلس[(٥)].
- إبراهيم بن أبي عبلة ت ١٥٣هـ/ ٧٦٩م، وهو أحد الأشراف العلماء بدمشق، روى عن واثلة بن أبي الأسقع وأبي أمامة[(٦)].
- عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي الدمشقي الداراني ت ١٥٤هـ/٧٧٠م، وهو أخو يزيد بن جابر، وروى عن مكحول والزهري، وتتلمذ على يديه مشاهير من المحدثين أمثال صدقة بن المبارك والوليد بن مسلم ومحمد بن شعيب بـن شـابور ويحيـى بـن حمـزة الحضرمي. وكان ثقة وقد عد من الطبقة الثانية من فقهاء الشام بعد الصحابة[(٧)].
- سالم بن عبد الله المحاربي الداراني من أهل داريا، ولاه عبد الله بن علي القضاء بدمشق ١٣٤هـ، وكان محدثاً مشهوراً، روى عن مجاهد ومكحول، وروى عنه الأوزاعي وخالد بن يزيد المري، وهو ثقة[(٨)].
- علي بن أبي حملة (أبو نصر القرشي مولاهم الشامي) ت ١٥٦هـ/ ٧٧٢م. وكان مـن علماء دمشق المجيدين، قرأ القرآن على عطية بن قيس، وحدَّث عن أبيـه وأبـي ادريـس

---

(١) ابن عساكر: تاريخ: ج٩، ص٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٤٦، ص٦٩؛ ج٣٥، ص١٧٢.

(٣) الذهبي: سير، ج٦، ص١٥٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج١١، ص٣٧٠؛ اليافعي: مرآة، ج١، ص٢٢٠.

(٤) الحصني: منتخبات، ص٤٤٨.

(٥) الحنبلي: شذرات، ج١، ص٢٢٣؛ الحصني: منتخبات، ص٤٤٨.

(٦) الذهبي: سير، ج٦، ص٣٢٣؛ الحنبلي: شذرات، ج١، ص٣٨١.

(٧) الخطيب البغدادي:تاريخ، ج١٠، ص٢١١؛ الذهبي: سير، ج٧، ص١٧٦؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٢٩٧؛ الحنبلي: شذرات، ج١، ص٣٨٦.

(٨) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص٤٣٦.

الخولاني ومكحول، وروى عنه ابن المبارك، وكان ناظراً على دار الضرب أيام عمر بن عبد العزيز حيث جعله على تصفية الذهب والفضة[١].

- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ت ١٥٧هـ/٧٧٣م. وقد عقد له لواء الزعامة الدينية منذ وفاة مكحول عالم دمشق ١١٣هـ/٧٣١م، وكان إمام أهل الشام في زمانه بالحديث، وقد تعدت شهرته دمشق والشام إلى أنحاء واسعة من العالم الإسلامي، وكان يسكن باب الفراديس بمحلة الأوزاع بدمشق، ثم انتقل في أخريات حياته للإقامة في ثغر دمشق"بيروت" ليرابط فيها، وكان له مذهب اشتهر به يعتمد على الحديث، واستمر مذهبه مشهوراً ومعمولاً به في دمشق حتى وفاة القاضي أبو الحسن بن حذلم الذي كانت له حلقة في جامع دمشق ينتصر فيها لمذهب الأوزاعي[٢].
- عبد الله بن العلاء بن زبر الربعي أبو زبر الدمشقي ت ١٦٥هـ/٧٨١م. روى عن شيوخ الشام أمثال مكحول وبشر بن عبيد الله ويزيد بن ثور وجماعة....، وكان من تلاميذه من أصبحوا شيوخ زمانهم أمثال: الوليد بن مسلم ومحمد بن شعيب ومروان بن محمد وأبي مسهر، وقد ذكره شيوخ الحديث في الثقات[٣].
- سعيد بن عبد العزيز ت ١٦٧هـ/٧٨٣م. كان من أقران الأوزاعي ولكن شهرة الأوزاعي فاقت شهرته، وقد أصبح فقيهاً لأهل الشام ومفتياً لهم بعد وفاة الأوزاعي[٤]، وذكر الذهبي أن الأوزاعي أخذ عنه إجلالاً له[٥]، وكان لأهل الشام كمالك لأهل المدينة في التقدم والعلم والفضل والفقه والأمانة[٦].
- معاوية بن سلام بن أبي سلام الحبشي الألهاني ت ١٧٠هـ/٧٨٦م، وهو من أهل بيت لهيا قرب دمشق، ومن أبرز تلاميذه الوليد بن مسلم وأبي مسهر وابن المبارك وآخرين، وقد حرص المحدثون على الأخذ عنه لصدقه وأمانته[٧].

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٤١-١٦٠هـ، ص٥٢٨.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٧؛ أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٦٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٤٧؛ الذهبي: تاريخ، ج٩، ص٤٩٨؛ المزي: تهذيب، ج١١، ص٣١١-٣١٥؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٢٣٨؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص١٢٧؛ اليافعي: مرآة، ج١، ص٢٧٥.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١٠، ص١٦؛ الذهبي: سير، ج٧، ص٣٥٠؛ العسقلاني: تهذيب، ج٥، ص٣٥٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٣؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٣٢؛ تاريخ، حوادث ١٦١-١٧٠هـ، ص٢١٦؛ المزي: تهذيب، ج٧، ص٢٥٤؛ اليافعي: مرآة، ج١، ص٢٧٥.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٦١-١٧٠هـ، ص٢١٨.

(٦) الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٦١-١٧٠هـ، ص٢١٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٥٩.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٩، ص٣٨-٤٢؛ العسقلاني: تهذيب، ج١٠، ص٢٠٨.

- صدقة بن خالد الأموي أبو العباس الدمشقي (مولى أم المؤمنين أخت معاوية) ت ١٧١هـ/٧٨٧م. وقد تتلمذ على يديه عدد من مشاهير المحدثين والفقهاء الدمشقيين أمثال الوليد بن مسلم وأبي مسهر وهشام بن عمار ويحيى بن حمزة وغيرهم[١].
- إبراهيم بن بكر أبو الأصبع البجلي ت ١٧٦هـ/٧٩٢م. وذكر ابن عساكر أنه حدَّث بمصر عن ثور بن يزيد وأبو زرعة بن إبراهيم القرشي وإبراهيم بن معاوية الشامي[٢].
- يحيى بن حمزة الحضرمي ت ١٨٣هـ/٧٩٩م، وكان من كبار الفقهاء والمحدثين في الشام، وقد تتلمذ على مجموعة من كبار المحدثين الذين سبقوه أمثال: يحيى الذماري، وثور بن يزيد، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والأوزاعي، وكان من أعلم أهل الشام بحديث مكحول فقيه الشام في حينه. وكان لشهرته وفضله واحترام الناس له وتبجيله أثر كبير في اختيار المنصورله ليكون قاضياً لدمشق، واستمر في القضاء ثلاثين عاماً ١٥٣-١٨٣هـ[٣].

- الوليد بن مسلم بن العباس القرشي (مولى) ت ١٩٥هـ/٨١٠م، قال عنه أحمد بن حنبل: "ما رأيت من الشاميين أعقل من الوليد بن مسلم"[٤]. وكان الوليد رجل فضل وعلم وقيل أنه صنف كثيراً من المصنفات حتى بلغت سبعين كتاباً، وروى عن عدد كبير من مشاهير المحدثين أمثال سعيد بن عبد العزيز، ومن تلامذته الليث بن سعد، وهو أيضاً من شيوخه، وبقيه بن الوليد وهو من أقرانه وأحمد بن حنبل، واسحق بن راهويه وعدد كبير[٥]. وذكر أنه لما بدا بالتأليف والتصنيف جاءه أحد شيوخ المسجد فقال: "يا فتى خذ فيما أنت فيه فإني رأيت كأن قناديل مسجد الجامع قد طفيت فجئت أنت فأسرجتها"[٦].

أما أبرز المحدثين الدمشقيين الذين اشتهروا منذ بداية القرن الثالث الهجري وحتى نهاية فترة البحث فهم:

---

(١) العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٤١٤.

(٢) ابن عساكر: ج٦، ص٣٦٦-٣٦٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٧١؛ ابن عساكر: ج٦٤، ص١٢٥؛ المزي: تهذيب، ج٢٠، ص٦٥؛ العسقلاني: تهذيب، ج١١، ص٢٠٠؛ الحنبلي: شذرات، ج١، ص٤٨٧.

(٤) المزي: تهذيب، ج١٩، ص٤٥٥-٤٥٨.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٧٣؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٣، ص٢٧٥-٢٧٦؛ الذهبي: سير، ج٩، ص٢١١-٢١٣؛ المزي: تهذيب، ج١٩، ص٤٥٥-٤٥٨و ص٤٦٢-٤٦٣؛ العسقلاني: تهذيب، ج١١، ص١٥١؛ أحمد بدر: فقهاء الشام، ص٨٧-٨٨.

(٦) المزي: تهذيب، ج١٩، ص٤٥٥-٤٥٨، ص٤٦٢-٤٦٣.

- بشر بن بكر أبو عبد الله ت ٢٠٠هـ/٨١٥م، وهو من أهل دمشق، سكن تنيس وروى عنه الشافعي وعبد الله بن وهب[١].
- زيد بن يحيى بن عبيد (أبو عبد لله الخزاعي الدمشقي ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م، وروى عن حفص بن غيلان والأوزاعي وخلق، وروى عنه ابن حنبل وأحمد بن الأزهر وأيوب بن محمد الوزان، وكان من أهل الفتوى بدمشق، وقد شهد أبو زرعة جنازته سنة ٢٠٧هـ، ودفن بباب الصغير[٢].
- يحيى بن حسان أبو زكريا الشافعي، من أهل دمشق ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م، انتقل لمصر وعاش في تنيس وتوفي فيها، وألف كتاباً في الحديث، ووثقه الشافعي وروى عنه[٣].
- مروان بن محمد بن حسان أبو حفص الأسدي الطاطري ت٢١٦هـ/٨٣١م، سمي بالطاطري لأنه كان يعمل في بيع الكرابيس، وروى عن جمع كبير من علماء وشيوخ الحديث أمثال: مالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز والعلاء بن زبر والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم، وروى عنه خلق كثير منهم بقية بن الوليد وشعيب بن شعيب وأحمد بن أبي الحواري، وقد مدحه أحمد بن حنبل وأثنى على علمه[٤].
- محمد بن بكار بن بلال قاضي دمشق ت ٢١٦هـ/٨٣١م. روى عن محمد بن راشد المكحولي وغيره، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرازي[٥].
- هشام بن إسماعيل بن يحيى بن سليمان بن عبد الرحمن الحنفي وقيل الخزاعي (أبو عبد الملك الدمشقي العطار ت ٢١٦-٨٣٢م، وروى عن إسماعيل بن عبد الله بن سماعة ومروان بن محمد، وروى عنه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني وأبو مسعود أحمد ابن الفرات الرازي، وكان ثقة[٦].
- أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ت ٢١٨هـ/٨٣٣م. وقد عاصر الوليد بن مسلم، ثم تفرد بالزعامة الدينية والعلمية في دمشق بعد وفاة الوليد بن مسلم ١٩٥هـ، وعمت شهرته أرجاء العالم الإسلامي، وقد تعرض لمحنة خلق القرآن والامتحان فيها فأقر بذلك بعد

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج١٠، ص١٧٣-١٧٦.
(٢) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٠١-٢١٠هـ، ص١٦٣-١٦٤.
(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٣؛ ابن عساكرك تاريخ، ج٦٤، ص١١١-١١٤.
(٤) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥، ص٢٠٩؛ المزي: تهذيب، ج١٨.
(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢١١-٢٢٠هـ، ص١٥، ص٣٦٢.
(٦) المزي: تهذيب، ج١٩، ص٢٣٨-٢٣٩.

إجباره وتهديده بالقتل ولكنه عاد، وقد أمر المأمون بحبسه في بغداد حيث توفي بعد فترة وجيزة[١].

- محمد بن عثمان أبو الجماهر التنوخي الدمشقي الكفرسوسي ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م. روى عنه أبوا زرعة الرازي والدمشقي وعثمان الدارمي، ووثقه أبو مسهر، وقال عنه الدارمي: أوثق من أدركنا بدمشق، وأجمع أهل دمشق على صلاحه، وكانوا يقدمونه على هشام وعلى ابن أبي أيوب يعني سليمان بن عبد الرحمن[٢].
- جنادة بن محمد بن أبي يحيى ت ٢٢٦هـ/٨٤١م، كان فقيهاً زاهداً من فقهاء دمشق وروى عنه أبو حاتم الرازي وأبو زرعة الدمشقي[٣].
- الوليد بن عتبة الأشجعي، أبو العباس الدمشقي ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م، قرأ القرآن على أيوب بن تميم بحرف ابن عامر، روى عن مروان بن محمد الطاطري وبقية بن الوليد، وروى عنه أبو داود وأحمد بن أنس بن مالك وأحمد بن أبي الحواري وأبو زرعة الدمشقي والرازي، وكانت داره بدمشق عند باب الجابية في زقاق الأسديين، وذكر أنه علاوة على إجادته للقراءة فقد كان محدثاً مشهوراً[٤].
- دحيم الفقيه (عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون أبو سعيد) ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م كان حجة ولم يكن في دمشق مثله في زمنه، حدَّث عنه البخاري وعبد الله بن عبد الرحمن الأوزاعي والنسائي وأحمد بن مالك بن أنس وأبو زرعة الدمشقي[٥].
- هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م. تتلمذ على يد الوليد بن مسلم وقرأ القرآن عليه، كما قرأ على أيوب بن تميم مقرئ أهل دمشق، ولما توفي أيوب أصبح هشام بن عمار إماماً في القراءة إلى جانب عبد الله بن ذكوان ت ٢٤٢هـ/٨٥٦م، وقد رحل أصحاب الحديث لدمشق لسماع الحديث والقراءة من هشام، وقد اختاره المتوكل وبعث إليه أبناءه ليأخذوا عنه، وبعث له هدية مقدارها ألف دينار، وذكر أنه لجلالة قدرة روى عنه اثنين من شيوخه وهم الوليد بن مسلم ومحمد بن شعيب بن شابور[٦].

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٧٤؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٢٥ وص٤٣٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ، ج١١، ص٧٢؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢١١-٢٢٠هـ، ص٢٤٦-٢٤٧؛ سير، ج١٠، ص٢٢٨-٢٣٠؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٩٨؛ ابن حبّان: الثقات، ج٨، ص٤٠٨؛ أحمد بدر: فقهاء الشام، ص٨٧-٨٨.

(٢) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٣) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ، ص١٢٣-١٢٤؛ سير، ج١!، ص٣٩.

(٤) المزي: تهذيب، ج١٩، ص٤٣١-٤٣٢.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٤، ١٦٣-١٦٩.

(٦) الذهبي: سير، ج١١، ص٤٢٠، ج١٤، ص٣٣٨؛ تاريخ، حوادث ٢٤١-٢٥٠هـ، ص٥٢١-٥٢٢؛ العسقلاني: تهذيب، ج١١، ص٥١؛ ابن حسان: الثقات، ج٩، ص٢٣٣؛ القزويني: الإرشاد، مجلد ١، ص٤٤٥-٤٤٧.

- هشام بن خالد بن زيد ت ٢٤٩-٨٦٣م. ورى عن أبي مسهر ومروان الطاطري، وروى عنه أبو داود وابن ماجه وأحمد بن أنس بن مالك المقرئ، وكان من أهل الفتوى وهو ثقة(١).
- محمود بن إبراهيم بن عيسى بن القاسم بن سميع ت ٢٥٩هـ/٨٧٣م، قال عنه أبو حاتم صدوق ما رأيت بدمشق أكيس منه، روى عن إسماعيل بن أوس وأبو جعفر النفيلي ويحيى بن كثير وقد صنف كتاب الطبقات(٢).
- أحمد بن محمد بن عثمان بن الغمطريف "أبو عمرو الثقفي" ت بدمشق ٢٦١هـ/٨٧٥م، روى عن محمد بن شعيب بن شابور والوليد بن مسلم ومروان بن محمد وأبو مسهر الغساني(٣).
- إسماعيل بن أبان بن محمد بن حوي السكسكي البتلهي ت ٢٦٣هـ/٨٧٧م. روى عن أبي مسهر وأحمد بن حنبل وأبو مصعب الزهري، وروى عنه أحمد بن المعلى وأبو الحسن ابن جوصا، والعباس بن الوليد بن مزيد(٤).
- خالد بن روح بن السري بن أبي حجير أبو عبد الرحمن الثقفي الدمشقي ت ٢٨٠هـ/٨٩٤م. روى عن أبي النضر اسحاق بن إبراهيم وسليمان بن عبد الرحمن، وروى عنه أحمد بن عمير بن جوصا، وأحمد بن سليمان بن حذلم(٥).
- أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو ت ٢٨١هـ/٨٩٤م. تتلمذ على يد كبار علماء ومحدثي الشام أمثال أبي مسهر وهشام بن عمار، كما روى عن أحمد بن حنبل وخلق كثير، وقد أعجب أبو مسهر بمجالسته وهو صغير، وكان مفسراً، وكانت داره بدمشق عند باب الجابية شرق زقاق الأسديين(٦).
- أبو جعفر أحمد بن فياض القرشي الدمشقي ت ٢٩٦هـ، روى عن هشام بن عمار ومؤمل بن اهاب وهارون بن سعيد الأيلي(٧).
- إبراهيم بن عبد الرحمن "دحيماً" بن إبراهيم بن ميمون ت ٣٠٣هـ/٩١٦م، وكان من أشهر محدثي ورواة دمشق في زمنه(٨).

---

(١) المزي: تهذيب، ج١٩، ص٢٤٩-٢٥٠.
(٢) ابن منظور :مختصر، ج٢٤،ص١١٦؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ، ص٣٤٨؛ الحصني:منتخبات،ص٤٥٢
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٥ن ص٤٠٦.
(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٥٢٢.
(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج١٦، ص٢٦-٢٧.
(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٤١؛ الذهبي: سير، ج٢١، ص٢١٣؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٢٣٦.
(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥، ص١٦٩.
(٨) المصدر نفسه: ج٧، ص١٩.

- جماهير بن أحمد بن محمد بن حمزة أبو الأزهر الزملكاني الدمشقي ت ٣١٣هـ/٩٢٧م، وكان شيخ أبي بكر المقرئ، وحدث عن هشام بن عمار وعمرو بن محمد بن الغاز والوليد بن عتبة وأحمد بن أبي الحواري وإسماعيل بن عبد الله السكري القاضي، وروى عنه الفضل بن جعفر وأبو علي الحسن بن علي المري المعروف بالشحيمة، وخلق كثير، وكان ثقة مأموناً[١].
- أبو جعفر أحمد بن عبيد بن أحمد بن سيف القضاعي السقبي ت ٣٢١هـ/٩٣٥م سمع من محمد بن عبد السلام وأبا علي الأهوازي وأبا محمد عبد الله بن الحسين ابن عبدان[٢].

ويمكن القول: أن شيوخ دمشق والشام قد بلغوا من الشهرة إلى الحد الذي نجحت فيه مروياتهم من الوصول إلى خارج الشام، وأثَّر كبار شيوخ الشام أمثال الأوزاعي والوليد بن مسلم في كتابات عدد من تلامذتهم من خارج الشام مثل عبد الله بن المبارك المروزي[٣]، وكذلك إبراهيم بن محمد بن الحارث أبو إسحاق الفزاري[٤].

ووصلت المرويات الشامية للعراق، ونقل أفراد المدرسة العراقية تراجم لرجال شاميين وأخباراً عن فتوح الشام لرواة شاميين أمثال الوليد بن مسلم وأبي مسهر الغساني[٥]. وكانت أحاديث أهل الشام مصدر ثقة لعدد من مشاهير الحفاظ من العراق، وفي ذلك قال يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ) أحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل عنها[٦]. ومن أجل ذلك قصد شيوخ العلم وطالبيه في الأمصار المختلفة للشام للسماع على شيوخه.

ومن المؤكد ان التراث الذي تركه شيوخ الحديث البارزين في دمشق والشام أمثال الأوزاعي والوليد بن مسلم وبشكل خاص في السير والملاحم ربما قاد إلى نشوء مدرسة تاريخية شامية في الحديث، ولكنها لم تبلغ مثيلاتها في المدينة أو العراق، على الرغم من شهرة المحدثين الشاميين وقصدهم من قبل علماء العراق والمدينة للسماع منهم.

ويظهر أنه كان للظروف والأحداث التي مرت وعصفت بالشام أثر كبير في الحيلولة دون استقرار هذه المدرسة بأساساتها على الرغم من توفر الفرص السانحة لإقامتها، فسقوط الدولة الأموية في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة كان له أثر كبير في انتقال الثقل السياسي والفكري إلى العراق حيث العاصمة الجديدة، وتولى خلفاء شجعوا النهضة الفكرية هناك أمثال

---

(١) ياقوت: معجم البلدن، ج٣، ص٢٢٦.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٢، ص٣٩٦-٤٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص١٩؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٤٧٣؛ العسقلاني: تهذيب، ج١، ص١٥١.

(٥) ابن سعد: طبقات، ج٧، ص١٣٦، ١٥٣، ١٧٠.

(٦) الخطيب: تاريخ، ج١٤، ص٣٣٩-٣٤٠؛ الذهبي: سير، ج٩، ص٣٥٩-٣٦٠؛ العسقلاني: تهذيب، ج١، ص٣٦٨.

الرشيد والمأمون، وسبب انتقال العاصمة من حاضرة الشام دمشق إلى العراق، قيام العديد من الثورات من قبل أهل دمشق والشام محاولة منهم استعادة أمجادهم، وهو ما جعل الدولة العباسية تقف منهم موقف الحذر. وعلاوة على ذلك فإن النابغين من العلماء والمحدثين والفقهاء بدأوا بالهجرة إلى العراق حيث يلقون عناية أكثر وذلك لإكمال تعليمهم أو الإقامة والعمل هناك(١).

ويبدو أن اقحام بعض الفقهاء والمحدثين أنفسهم في السياسة جعل الدولة العباسية حذره من قبلهم، تتحين الفرص للإيقاع بهم، ومثال ذلك الوليد بن مسلم الذي كان يؤيد فكرة السفياني ويبشر فيها(٢). وكذلك أبو مسهر الذي تولى القضاء لأبي العميطر ١٩٥هـ(٣). كما كانت له انتقادات متكررة للخلفاء العباسيين وإجراءاتهم، وهو ما جعله يتعرض للمحنة زمن المأمون(٤).

وقد ساهمت العوامل آنفة الذكر في عدم قيام مدرسة متخصصة للحديث في الشام بسبب عدم توفر الأجواء الملائمة لقيامها، على الرغم من وجود أشخاص مؤهلين لتزعمها أمَّهم المحدثون من مختلف الأقطار للسماع منهم والأخذ برأيهم.

٣- الفقه

لقد ظهرت علوم القرآن والحديث منذ فترة مبكرة من الإسلام، لكن الفقه لم يظهر كعلم مستقل في الفترة نفسها، بل إن عبارة العلم كانت تطلق على القرآن الكريم وتفسيره وأحاديث الرسول (ص) وحفظها(٥). وخلال الفترات التالية بدأ الفقه يظهر كمجال مستقل له رواده، حتى أصبح علماً متميزاً، وكان يقصد به إعمال العقل لتفسير العلم واستنباط الحلول لبعض الحالات التي ما وردت في القرآن أو السنة بنص محدد كالملكية والإرث(٦)...

ومنذ البداية لم يعترض الرسول (ص) على الرأي بل شجعه، وهذا واضح من قول معاذ بن جبل عندما أرسله الرسول (ص) قاضياً على اليمن حيث قال: "يا رسول الله فإن كان ما سئلت عنه مما لم أجده في كتاب الله ولم أسمعه منك، قال الرسول (ص) اجتهد برأيك، فإن الله إذا علم منك الحق وفقك للحق(٧).

وقد نزل دمشق عدد من الصحابة ممن أثر عنهم العلم منهم معاذ بن جبل وكان أعلم الأمة بالحلال والحرام(٨)، وأبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الخزرجي الذي يعتبر أول من

---

(١) احسان عباس: تاريخ بلاد، ص١٩٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣، ص٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٤٩؛ الذهبي: سير، ج٩، ص٢٨٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧، ص٣١٣؛ الذهبي: سير، ج١، ص٢٣٢.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٢٥، ص٤٣٨.

(٥) خليل الزرو: الحياة العلمية، ص٨٠، رياض زركلي: بلاد الشام، ص٦٦٦.

(٦) المرجع نفسه، ص٨٢؛ المرجع نفسه، ص٦٦٦.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨، ص٤٠٩.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٨، ص٤٠٩؛ العسقلاني: الإصابة، ص١٣٧.

تولى القضاء في لإسلام بدمشق وكان في قضائه يدرأ الحدود بالشبهات، ويكره أن يقر المـذنب في الأمور التي تستوجب الحد، وكان يعيد النظر في القضية أكثر من مرة[١].

أما في الفترة الأموية فكان من أبرز الفقهاء الذين ظهروا قبيصة بن ذويب الخزاعـي، وهو من الطبقة الثانية من التابعين بالشام وكان ثقة وروى عن أبي الدرداء وابي هريرة وجماعة من الصحابة، وروى عنه الزهري ورجاء بن حيوة ومكحول[٢]. كما برز أبو إدريس الخولاني الذي كان معاصراً لعبد الملك بن مروان الذي روى عن أبي الدرداء وأبي ذر وحذيفة بن اليمان وغيرهم من الصحابة[٣]، وروى عنه مكحول والزهري وغيرهم[٤]. وكان قاضياً قاصـاً لأهـل دمشق في خلافة عبد الملك وكان يحدث الناس ويقص عليهم وهو جـالس علـى درج جـامع دمشق[٥].

ومنذ أواسط العصر الأموي برز في دمشق فقهاء بلغوا درجة عالية من العلم والفقه، حتى قصدهم العلماء والطلاب لسماعهم والتتلمذ على أيديهم، وقد أطلق عليهم قمة ما كان يعرف من ألقاب علمية في تلك الفترة مثل فقيه الشام وعالم الشام وشيخ الشام[٦].

وقد دانت الزعامة الفقهية منذ أواسط العصر الأموي لـ مكحول بن دبر ويقال ابن أبي مسلم بن شادل الكابلي (ت ١١٨هـ)، وكان مولى لامرأة من هذيل وقيل من قريش[٧] من آل سعيد بن العاص[٨]، وهو تابعي جليل القدر، كان إمام أهل الشام في زمانه[٩]، وروى عن أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأم الدرداء وغيرهم من الصحابة[١٠]. وقد رحل إلى مصر وطافها حتى وسع ما بها من علم، ثم رحل للمدينة، ثم لقي الشعبي فقيه الكوفة[١١]. وقد أشاد به أبو مسهر وأثنى عليه حتى قال: لم يكن في زمن مكحول أبصر منه بالفتيا، وكان لا يفتي حتى يقول

---

(١) خليل الزرو: الحياة العليمة، ص٨٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٤٤٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص٢٥٠؛ الذهبي: سير، ج٤، ص٢٨٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦، ص١٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ج٢٦، ص١٣٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦، ص١٣٨.

(٦) أحمد بدر: فقهاء الشام، ص٨٧.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٠، ص١٩٧.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٠، ص٢٠٥؛ ابن كثير: البداية، ج٩، ص٣٠٥.

(٩) ابن كثير: البداية، ج٩، ص٣٠٥.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٠، ص١٩٧–١٩٨.

(١١) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٤٥٣؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٠، ص٢٠٥، ٢٠٧.

لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا رأي والرأي يخطئ ويصيب[١]. وكان من بين تلاميذه العلاء بن الحارث الذماري ت١٣٦هـ/٧٤٥م، الذي كان يتميز بكثرة فتواه وقد عين فقيهاً للجند[٢]، ثم قيس بن موسى الأعمى الذي ولي فقه الجند أيضاً، فصرفه والي دمشق عبد الأعلى بن سراقة الأزدي وعين بدلاً منه الأوزاعي في منصب فقيه الجند[٣].

ومنذ وفاة مكحول ١١٨هـ دانت الهيمنة الفقهية في دمشق والشام جميعاً إلى العالم والفقيه الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) [٤]، وقد تميز الأوزاعي بمذهب مستقل في الفقه بناه على القرآن الكريم والسنة النبوية والسير واجتهادات الصحابة[٥]، وقد اشتهر مذهبه وانتشر في بلاد الشام بل تعداها إلى الأندلس، واستمر مذهب الأوزاعي معتمداً في الأندلس حتى تراجع لصالح مذهب الإمام مالك[٦]. بل أنه استمر شائعاً في بلاد الشام وخاصة دمشق حتى أواسط القرن الرابع الهجري حيث تراجع لصالح المذهب الشافعي[٧].

وكان الأوزاعي يستند إلى السنة في مذهبه، ولكنه يوسع مفهوم السنة ليجعلها تطال عهد الخلفاء الراشدين وأعمال الصحابة، ويجعل من هذه الأعمال حجة يحتج بها، ويظهر ذلك من خلال قوله: خمسة كان عليها السلف: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، والتلاوة والجهاد[٨]. ويذهب الأوزاعي لأبعد من ذلك عندما يقول: "ان العلم ما ورد عن أصحاب محمد"[٩]. وقوله: "عليك بآثار من سلف"[١٠].

ويتفق الأوزاعي مع رأي أبي حنيفة والشافعي في قوله: ان البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ويستثنى من ذلك ثلاث بيوع هي: مزايدة الغنائم والشركاء في الميراث والشركة في التجارة[١١]. ولكنه يخالف أبي حنيفة وأبي يوسف في قسمة الغنائم ومكانها وكيفية توزيعها[١٢]. وهو يقف أيضاً موقفاً أكثر رفقاً وليناً تجاه أهل الذمة، ويرى إحسان عباس أن ذلك نابع من أنه كان يعيش

---

(١) الشيرازي: طبقات، ص٧٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٠، ص٢١٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣٥، ص٢٠٤.

(٤) المصدر نفسه: ج٣٥، ص١٤٧؛ أحمد بدر: فقهاء الشام، ص٨٧.

(٥) إحسان عباس: تاريخ، ص١٨٢؛ أحمد بدر: فقهاء، ص٩١-٩٢.

(٦) إحسالن عباس: تاريخ، ص١٨٢.

(٧) المقدسي: أحسن، ص١٧٩؛ ابن منظور: مختصر، ج٣، ص٩٢؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٤١-١٦٠هـ، ص٤٩٨.

(٨) الذهبي: تذكرة، ص١٨٠.

(٩) الذهبي: سير، ج٧، ص١٢٠.

(١٠) المصدر نفسه، ج٧، ص١٢٠.

(١١) الطبري: اختلاف، ص١٤.

(١٢) أبو يوسف: الرد على سير، ص١-٢.

في منطقة يكثر فيها أهل الذمة، وهذا ما جعل التشريعات التي تخص أهل الذمة وتحمي حقوقهم تلقى عناية كبيرة منه(١).

وفي بعض مواقفه وأحكامه كان يتأثر بالعرف السائد في بلاد الشام فهو يرى أن ما تخطئه يد الحاصد أو يد القاطف، فليس لصاحب الزرع عليه سبيل إنما هو للمارة وابن السبيل(٢). وهذا ما زال شائعاً في بلاد الشام حتى هذا الوقت.

ثم خلف الأوزاعي فقيهان آخران هما يزيد بن السمط(٣) ويزيد بن يوسف(٤) ولكن الزعامة الفقهية والعلمية دانت من بعد الأوزاعي لـــ سعيد بن عبد العزيز ت ١٦٧هـــ/٧٨٣م، وكان الأوزاعي إذا سئل وسعيد حاضراً في مجلسه أحال السائل على سعيد(٥)، وقد مدحه ابن حنبل حتى قال فيه: "ليس بالشام رجل أصح حديثاً من سعيد بن عبد العزيز"(٦)، وكان بعض تلامذته يقدمونه على الأوزاعي(٧). وكان الوليد بن مسلم قد خلف سعيد بن عبد العزيز في زعامة الفقه في الشام علاوة على تفوقه في الحديث والمغازي(٨).

وكان عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر الغساني ت ٢١٨هـــ من أبرز تلامذة سعيد بن عبد العزيز، وقد دانت له زعامة الفقه في دمشق والشام منذ وفاة الفقيه الوليد بن مسلم ١٩٥هـــ، وقد عمت شهرته الشام كله وتعداه إلى أرجاء العالم الإسلامي(٩)، وقد جالس سعيد بن عبد العزيز اثنتي عشرة سنة وحفظ حديثه(١٠)، وكانت له منزلة عالية عند أهل دمشق، حيث كانوا يصطفون للسلام عليه وتقبيل يده كلما خرج من الصلاة(١١)، وقد جمع أبو مسهر كثيراً من علم الأوزاعي وذلك بعد أن التقى بالوليد بن مزيد أحد تلاميذ الأوزاعي(١٢). ولما قام أبو العميطر بثورته اتخذه قاضياً، واستمر في منصبه حتى انتهاء الثورة وإخفاقها ١٩٥هـــ(١٣)، ومن الواضح

---

(١) إحسان عباس: تاريخ بلاد، ص١٨٢.

(٢) الذهبي: سير، ج٧، ص١١٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٥، ص٢٠٩؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٨، ص٣١.

(٤) ابن منظور: مختصر، ج٢٨، ص٣١.

(٥) الذهبي: سير، ج٨، ص٣٤-٣٥.

(٦) الرازي: الجرح والتعديل، ج٤، ص٤٣؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٣؛ المصدر نفسه، ج٨، ص٣٤.

(٨) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٧٣؛ الذهبي: سير، ج٩، ص٢١١؛ المزي: تهذيب، ج١٩، ص٤٥٥-٤٥٦، ٤٦٠.

(٩) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٧٤؛ الخطيب: تاريخ، ج١١، ص٧٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٢١؛ الـذهبي: سير، ج١٠، ص٢٢٨-٢٣٠.

(١٠) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص٢٩١؛ الخطيب: تاريخ، ج١١، ص٧٢-٧٣؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص٢٣٥.

(١١) المصدر نفسه: ج١، ص٢٩١؛ المصدر نفسه، ج١١، ص٧٣؛ المصدر نفسه: ج١٠، ص٢٣٥.

(١٢) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص٢٨٦.

(١٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧، ص٣١٣؛ الذهبي: سير، ج١٠، ص٢٣٢.

أنه أجبر على تولي المنصب إجباراً[١]، لأنه كان لا يؤيد الخروج على الأئمة، بل إنه امتنع من أخذ الحديث والرواية عن محمد بن راشد لأنه كان يرى الخروج على الأئمة[٢].

ولا بد من القول: أن تدريس الفقه كان في حلقات كما هو الحال في القراءة والحديث، وكانت الطريقة في التدريس للفقه تتم عن طريق السؤال من التلميذ والجواب من الأستاذ، حيث يوجه التلميذ سؤالاً إلى شيخه فيقوم الشيخ بالجواب على سؤال التلميذ ثم يقوم زملاءه بتسجيل الرد ثم روايته عن الشيخ[٣]. وكان الطلبة يحرصون على صياغة أسئلتهم بشكل جيد حتى يتسنى الفهم للجميع، وتكون الإجابة واضحة، وقد قيل في ذلك: "أن حسن المسألة نصف الفقه"[٤]. وكان بعض شيوخ الفقه يسمحون لطلابهم بالافتاء في مجالسهم إذا كانوا أهلاً لذلك، فقد سمح الأوزاعي لمحمد بن شعيب بن شابور أحد طلابه بالفتوى في مجلسه[٥].

ويظهر أن فقهاء دمشق خلال فترة البحث قد تنوعت أصولهم بين العرب والموالي.

ومن الذين لمعوا في دمشق وكانت لهم أصول غير عربية الفقيه الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) ت١٥٧هـ/٧٧٣م والذي تشير بعض الروايات إلى أنه في الأصل من سبي السند[٦]. وكذلك الحال بالنسبة للوليد بن مسلم بن العباس القرشي ت ١٩٥هـ، الذي كان من رقيق الأخماس، ثم اشترى حريته من مالكه وأصبح مولى عتق[٧]. وكان الفقيه صدقة بن خالد الأموي أبو العباس الدمشقي ت ٢٤٨هـ/٨٦٢م الذي كان مولاً لأم البنين أخت معاوية[٨].

ويبدو أن استقرار القبائل العربية بكثرة في دمشق ومنذ فترة مبكرة قد جعل كفة الفقهاء من أصول عربية ترجح على الفقهاء من أصول غير عربية، فمن أبرز الفقهاء من أصول عربية في دمشق والذين ذاع صيتهم في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وقصدهم الناس ليسألوهم ويتتلمذوا على أيديهم، عبد الله بن العلاء بن زبر الربعي ت ١٦٥هـ/٧٨١م[٩]. وكذلك سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي ت ١٦٧هـ/٧٨٣م[١٠]، ويحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي ت ١٨٣هـ/٧٩٩م[١١]. ومروان بن محمد بن حسّان الأسدي الطاطري الدمشقي ت

---

(١) الذهبي: سير، ج١٠، ص٢٣٢.

(٢) أبو زرعة: تاريخ، ج٢، ص٤٠٤.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢، ص٣٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ج٦١، ص٣٦٠.

(٥) المصدر نفسه: ج٥٣، ص٢٥٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٨٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٥٥؛ الذهبي: سير، ج٧، ص١٠٧.

(٧) المصدر نفسه: ج٧، ص١٧٣؛ المصدر نفسه: ج٦٣، ص٢٧٤؛ المصدر نفسه: ج٩، ص٢١١.

(٨) العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٤١٤.

(٩) الخطيب: تاريخ، ج١٠، ص١٦؛ الذهبي: سير، ج٧، ص٣٥٠؛ العسقلاني: تهذيب، ج٥، ص٣٠٥.

(١٠) ابن عساكر: تاريخ، ج٢١، ص١٩٣؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٢٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٥٩.

(١١) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٧١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤، ص١٢٥؛ الحنبلي: شذرات، ج٢، ص٢٣٦.

٢١٦هـ/٨٣١م[١]، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ت ٢١٨هـ/٨٣٣م[٢]. وهشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م[٣] وغيرهم الكثير.

أما الأحوال الاقتصادية والمعيشية لفقهاء دمشق، فقد تباينت أحوالهم من حيث الغنى والفقر، فبعضهم عاش في طفولته عيشة بائسة يائسة معدمة لم يكن ليحقق حتى الكفاف في العيش. فالأوزاعي أحس بمرارة أن يكون الإنسان يتيماً فقيراً في طفولته، حتى تلقاه أحد السادة وألحقه بديوان العطاء[٤]، وهذا ما ساعده على توفير مصدر ومورد للدراسة والعلم. وذكر ان الوليد بن مسلم كانت أحواله المادية متدنية، فقد روي أنه لما فكر في الحج سنة ١٩٤هـ لم يكن لديه نقود فاستقرض مالاً لذلك، ولكنه لما عاد من الحج توفي قبل سداد الدين، وهذا ما جعل أحد الأشخاص يقوم ببيع داره في دمشق حتى يتسنى سداد دينه[٥]. وفي المقابل فقد وجد هناك بعض الفقهاء من الأسر الميسورة مثل عبد الله بن العلاء بن زبر ت ١٦٥هـ أحد علماء دمشق والذي كان من أشراف أهلها وأيسرهم حالاً[٦].

وعمل بعض الفقهاء من أجل توفير مصدر رزق له بوظائف منها ما هو عام لمصلحة الدولة، ومنها ما هو خاص لحساب أحد الأشخاص. فقد تولى محمد بن عبد الله بن المهاجر الدمشقي ت ١٥٤هـ/٧٧٠م، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الدمشقي ت ١٦٥هـ/٧٨١م بيت المال زمن المنصور[٧]، كما تولى عبد الرحمن بيت المال للمهدي[٨]. وكان الفرج بن فضالة التنوخي الدمشقي وقيل الحمصي ت ١٧٧هـ/٧٩٣م على بيت مال الرشيد[٩]. وتولى محمد بن عائذ أبو عبد الله الدمشقي ت ٢٣٤هـ خراج الغوطة في خلافة المأمون[١٠].

وكان منصب القضاء من بين المناصب التي شغلها فقهاء دمشق بشكل ملحوظ فقد تولى يحيى بن حمزة الحضرمي القضاء في دمشق زمن المنصور واستمر فيه حتى وفاته في خلافة الرشيد ١٨٣هـ[١١]. وكذلك الفقيه سويد بن عبد العزيز ت ١٩٤هـ الذي كان قاضياً للنصارى

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥، ص٢٠٩؛ الذهبي: سيرن ج٩، ص٢٢٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٤٠٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٢١؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٩٨.

(٣) الذهبي: سير، ج١١، ص٤٢٠؛ العسقلاني، ج١١، ص٥١؛ ابن حبان: الثقات، ج٩، ص٢٣٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٨٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٥٨؛ الذهبي: سير، ج٧، ص١٠٧.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ، ص٢٢٥.

(٦) الذهبي: سير، ج٧، ص٣٥٠-٣٥١.

(٧) الخطيب: تاريخ، ج٥، ص٣٨٨؛ ج١٠، ص٢٢٢؛ العسقلاني: تهذيب، ج١١، ص٥٥.

(٨) الخطيب: تاريخ، ج١٠، ص٢٢٢؛ ابن منظور: مختصر، ج١٤، ص٢٢٢.

(٩) العسقلاني: تهذيب، ج٨، ص٢٦٠.

(١٠) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٤١؛ الصفدي: الوافي، ج٣، ص١٨١.

(١١) البسوي: المعرفة، ج٢، ص٤٥٩؛ أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٠٤؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٢٢، ص١٠٨.

وشريك يحيى بن حمزة في القضاء[١]. ومحمد بن بكار العاملي ت ٢١٦هـ/٨٣١م الذي كان يتولى قضاء دمشق[٢]. وشغل بعض الفقهاء وظائف دينية، ومثال ذلك الإمامة أو الخطابة أو الآذان في جامع دمشق، فعبد الله بن بشير بن ذكوان ت ٢٤٢هـ/٨٥٦م كان مقرئاً وإماماً في جامع دمشق[٣]، وكذلك الحال هشام بن عمار الذي كان مقرءاً وخطيباً وإماماً لجامع دمشق[٤]. كما كان عتبة بن حماد بن خليد الحكمي الدمشقي القارئ إماماً للمسجد الجامع بدمشق[٥].

ومارس بعض الفقهاء مهناً خاصة لكسب عيشهم وتوفير مستلزمات حياتهم كالتجارة والزراعة، فقد روي أن محمد بن المبارك ت ٢١٥هـ/٨٣٠م مفتي دمشق بعد أبي مسهر، كان يلقب بالقلانسي، ومن المؤكد أنه نعت بهذا اللقب لعلاقته بالقلانس سواء أكان ذلك تصنيعاً أم بيعاً[٦]. كما نسب مروان بن محمد إلى بيع الكرابيس فسمي بمروان الطاطري- أي الذي يبيع الكرابيس (الأقمشة الرخيصة) [٧].

لقد كانت المكانة التي يمنحها العلم للعلماء في كثير من الأحيان تساوي المكانة التي كان يتمتع بها زعماء القبائل وربما تفوقت عليها، وكان العالم إن جمع النسب القبلي علاوة على العلم يبلغ قمة السيادة التي لا يستطيع أحد أن ينازعه فيها، فلما سأل هشام بن عبد الملك عن سيد أهل دمشق قيل له يحيى بن يحيى الغساني ت ١٣٣هـ[٨]. وقد مكنته هذه المكانة لاحقاً أن يكون مبعوثاً من قبل أهل دمشق ليتفاوض مع العباسيين حول شروط دخولهم دمشق، وبالفعل ذهب واجتمع بعبد الله بن علي واتفقا على شروط التسليم، ولكن عبد الله بن علي نقض اتفاقه معه بعد أن رأى جيوش العباسيين تقتحم الأسوار، وهو ما جعل يحيى ينتقده ويصف عمله بالغدر، ولكن عبد الله تغاضى عن قوله لما كان يتمتع به من مكانة كبيرة، بل إنه كافأه وجعل كل من يدخل بيته أو البيوت المجاورة لبيته آمناً[٩].

وكان نبوغ الشخص في العلم وتميزه فيه كفيل بصنع مكانة كبيرة له بين أهل بلده أولاً ثم المناطق الأخرى وكذلك يلقى احتراماً وتقديراً من قبل الدولة. فمكحول بن كسرى الدمشقي

---

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ، ص٢٠-٢١؛ ابن طولون: الثغر، ص١٢.

(٢) ابن طولون: الثغر، ص١٨.

(٣) ابن منظور: مختصر، ج١٢، ص١٥؛ الصفدي: الوافي، ج١، ص٢٠.

(٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٦١-٢٨٠هـ، ص٣١٨؛ سير، ج١١، ص٢٠؛ معرفة القراء، ج١، ص١٩٥، ص١٦١.

(٥) المزي: تهذيب، ج١٢، ص٣٦١-٣٦٢.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥، ص٢٠٩؛ ابن منظور: مختصر، ج٢٣، ص٢٠٤.

(٧) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٨٤-٢٨٥؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٥٥، ص٢٠٩؛ الذهبي: سير، ج٩، ص٥١٠؛ العسقلاني: تهذيب، ج١٠، ص٩٥.

(٨) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٤٩.

(٩) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٥٦؛ الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٢١-١٤٠هـ، ص٣٣٩.

وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي لم تكن لهما تلك الأصول القبلية. فكلاهما من الموالي، وكانت لهما في دمشق مكانة ربما ما كانت لغيرهما. فقد ذكر أن مكحول كان يدخل المجلس وقد صلى الناس، فيؤذن مكحول ويتقدم فيصلي بهم[١].

وعرض عبد الله بن علي- أول والٍ عباسي على دمشق والشام- على الأوزاعي أن يوليه القضاء، فاعتذر الأوزاعي عن قبول ذلك العرض[٢]. كما عرض المنصور على العديد من الفقهاء واستدعاهم لزيارة بغداد وكان من بينهم الأوزاعي[٣].

ويبدو أن العباسيين تنبهوا للمكانة التي كان يتمتع بها علماء وفقهاء دمشق، وحاولوا استثمارها لصالحهم وضد خصومهم، وذلك عن طريق كسب هؤلاء العلماء والذين يؤثرون وبشكل كبير على آراء الناس وأهوائهم، وبالتالي تكون لصالح الدولة ضد مناوئيها. ويؤيد ذلك ما ذكر عن الأوزاعي أنه كان في أهل الشام معظماً، أمره أعز عندهم من أمر السلطان[٤]، بل إن بعض الأشخاص كانوا يرون أن الأوزاعي هو خير من يصلح للخلافة[٥]، ولما حاول أحد ولاة دمشق اعتراضه قال له رجل من أهل دمشق: "دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك[٦]". وهذا يعني أن المكانة التي كان يتمتع بها الأوزاعي جعلت الدولة ممثلة بولاتها يهابونه لما له من تأثير على أهل الشام جميعاً وخصوصاً أهل دمشق وكان المنصور نفسه يتقبل النصيحة والموعظة من الأوزاعي، وكان يقول له: "أنت المقبول القول غير المتهم في النصيحة"[٧].

واستمر الخليفة المهدي في نهج سياسة والده المنصور القائمة على تقريب علماء الشام ودعوتهم لزيارة بغداد كما عين بعضهم في مناصب إدارية هامة في الدولة[٨].

وكان سعيد بن عبد العزيز التنوخي ت ١٦٧هـ/٧٨٣م فقيه أهل الشام بعد الأوزاعي، وكان أهل الشام يجلونه، وكان بالنسبة لهم كمثل مالك بن أنس لأهل المدينة في التقدم والفضل والفقه والأمانة[٩] وكان أبو مسهر عظيم القدر عند أهل الشام عامة ودمشق خاصة وكان الناس

---

(١) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص١١١.
(٢) الذهبي: سير، ج٧، ص١٠٧.
(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص٢١٤-٢١٥.
(٤) ابن كثير: البداية، ج١٠، ص١٢٠.
(٥) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٦٦.
(٦) فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج١، ص١٠٠.
(٧) البيهقي: المحاسن، ص٣٦٤؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص١٢٧.
(٨) الخطيب: تاريخ، ج١٠، ص٢٢٢؛ ابن منظور: مختصر، ج١٤، ص٢٢٢.
(٩) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٢٠٢؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٢٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج٤، ص٥٩.

يصطفون للسلام عليه وتقبيل يديه عند خروجه من المسجد[١]. وكانت السلطة العباسية تتابع أخباره وتحركاته ونشاطاته حتى وصل الأمر إلى وضع صاحب خبر كان يحضر حلقاته في المسجد للاطلاع على ما يدور فيها من نقاش وكان يكتب بذلك للمأمون[٢].

ويظهر أن المكانة التي تمتع بها العلماء لدى أهل دمشق والتي تزامنت مع الحرية التي حصل عليها علماء وفقهاء الشام من قبل الخلفاء جعلتهم يمارسون نشاطاتهم ويعرضون آرائهم بحرية، فقد شهدت خلافة المنصور فترة من الاستقرار تمتع خلالها الفقهاء بجو من الطمأنينة بعد أن كانوا ملاحقين أيام السفاح، واضطر بعضهم إلى الاختفاء عن الأعين مدة، ومثال ذلك الأوزاعي الذي اختفى ثلاثة أيام وهو لا يجد ما يأكله وذلك بعد دخول عبد الله بن علي دمشق[٣]. ولكن الوضع زمن المنصور قد تغير حيث كان للأوزاعي حلقة في جامع دمشق يدرس فيها الفقه ويروي الحديث[٤]، كما مارس نشر فكره بحرية تامة حيث أقام المناظرات المختلفة والتي كان بعضها بحضور الخلفاء أنفسهم[٥]. وكذلك كان سعيد بن عبد العزيز يقوم بتدريس الحديث في مسجد دمشق بحرية تامة ويجيب على ما يطرح عليه من مسائل دون أن يعترضه أحد[٦].

ويبدو أن الأمور لم تسر دوماً على ما يرام بين الفقهاء والسلطة العباسية. فكثيراً ما حدثت المجابهة بين السلطة العباسية والفقهاء في دمشق وذلك بسبب انتقاد الفقهاء للدولة العباسية وإجراءاتها أو مشاركة بعضهم بالثورات أو الترويج لها، وكانت أول مجابهة بين السلطة العباسية وفقهاء دمشق عندما قام يحيى بن يحيى الغساني بالسير إلى عبد الله بن علي خلال حصاره لدمشق لطلب الأمان لأهل دمشق، فاستقبله عبد الله بن علي على الترحاب، واتفقا على شروط تسليم المدينة ولكن عبد الله قبل أن يكتب شروط الصلح لاحظ أن الجيوش العباسية قد تمكنت من المدينة، فرفض أن يكتب عهداً وقال ليحيى أنه دخلها قسراً فرد عليه يحيى بل غدراً، ولم تنجح محاولة يحيى بوعظ عبد الله بن علي الذي اكتفى بتكريمه رغم نقده له، فجعل كل من يدخل داره فهو آمن، فلم يقتل أحد فيها ولا في الدار المتداخلة معها[٧].

---

(١) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص٢٩١؛ الخطيب: تاريخ، ج١١، ص٧٢-٧٣؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٣٨؛ العسقلاني: تهذيب، ج٦، ص٩٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٩٧.

(٤) البن عساكر: تاريخ،ج٣، ص٢٠٢؛ ج٣٥، ص١٩١؛ الذهبي: سير، ج٧، ص١٢٨؛ ابن كثير:البداية، ج١٠، ص١١٦

(٥) المصدر نفسه: ج٣٥، ص١٦٨-١٦٩؛ المصدر نفسه: ج٧، ص١٢٨؛ المصدر نفسه: ج١٠، ص١١٦.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٣، ص٢٠٢.

(٧) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن عساكر: ج٥، ص٦١؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص٣٣٩.

وحاول عبد الله بن علي بعد بسط سلطته على دمشق أن يضفي على الأعمال التي قـام بها ضد الأمويين صفة شرعية دينية، عن طريق سعيه للحصول على موافقة وإقرار فقيه الشام وعالمها الأوزاعي، فقام باستدعائه للمثول بين يديه، ووجه له مجموعة من الأسئلة، كان أولها حول شرعية القيام على الأمويين واعتبار ذلك جهاد، فكانت إجابة الأوزاعي بالنص الشـرعي من خلال حديث النبي (ص) "من كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله ورسـوله، ومن كانت هجرته إلى امرأة يتزوجها أو ديناً يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١]. ثم سأله عن دماء بني أمية ورأيه فيها وهل ما قام به بحقهم جائزاً، أجاب الأوزاعي مكتفياً بـإيراد الـنص الشرعي لإباحة دم الإنسان، حيث ذكر حديث النبي (ص) "لا يحل دم امرئ مسـلم إلا بإحـدى ثلاث: الزاني بعد إحصان والمرتد عن الإسلام والنفس بالنفس"[٢]. وهذا تلميح من الأوزاعي إلى حرمة دماء بني أمية. وعندما سئل عن حق آل البيت في الخلافة وأن الأمويين بحكم المرتدين، أجاب بالنفي والقول: أن الأمر لو كان كذلك لما وافق علي بن أبي طالب على التحكيم[٣].

ولما ثارت جماعة بجبل لبنان ضد عامل خراج بعلبك، وأرسل الوالي صالح بن علـي من قتل المقاتلة منهم، وأخرج جماعات من النصارى من مواطنهم، وصادر أملاكهم وكان منهم أناس لم يشتركوا بالخروج، كتب الأوزاعي إلى الوالي رسالة طويلة أكد فيها عدم جـواز ذلـك الإجراء لأنه لا يجوز أخذ العامة بذنوب فئة خاصة وذلك بموجب الآية الكريمة "وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[٤]". وكذلك وصية الرسول (ص) من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه"[٥].

ولم تقتصر أعمال الفقهاء على "إبداء الرأي" في إجراءات السلطة العباسية وأعمالها بل تعدتها إلى إقامة علاقات ودية مع الخارجين على الدولة وهذا ينطبق على الفقيه الوليد بن مسلم الذي نزل عند رغبة أبي الهيذام المري الذي ضبط دمشق مدة، وقام بتعليم ابنه أبا عامر حتـى أصبح عند أبي عامر من كتب الوليد ما ليس عند غيره[٦]. ولم يكتف الوليد بن مسلم بذلك بل قام بالترويج لفكرة السفياني وأكد على حتمية خروجه، حيث كان يقول: لو لم يبق من سنة خمـس وتسعين ومائة إلا يوماً واحداً لخرج هذا السفياني، وأن علاماته متوافرة في علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، وكان هذا إيذاناً من الوليد بن مسلم بتأييد ثورة علي بن عبد الله الملقب بأبي العميطر[٧]. وإلى جانب الوليد بن مسلم فقد تولى الفقيه أبو مسهر القضاء في دولـة أبـي

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص٢١٠.

(٢) المصدر نفسه: ج٣٥، ص٢١٠-٢١١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص٢١٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

(٥) البلاذري: فتوح، ص١٦٦-١٦٧.

(٦) أبو زرعة: تاريخ، ج١، ص٢٧٩؛ الذهبي: سير، ج٩، ص١٠٣.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣، ص٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٤٩؛ الذهبي: سير، ج٩، ص٢٨٤.

العميطر التي أعلن قيامها في دمشق، وهذا إقرار من أبي مسهر بهذه الثورة على الرغم مما قيل أنه تولى هذا المنصب مرغماً ويؤيد ذلك تنحيه عن هذا فور فشل الثورة[١]، ولكن موقفه يعبر عن نزعة الفقهاء وتطلعهم لاحتلال دور في تسيير الأمور في الدولة.

وساهم بعض الفقهاء في احتلال مواقع القيادة في بعض الثورات في دمشق منذ عهد الأمين، فلما اكتشف إمام مسجد دمشق شعيب بن إسحاق القرشي ت ١٨٩هـ/٨٠٥م، أن "القُلَّة" ليست في مكانها في المسجد، جاء إلى وسط القبة الكبيرة، وخلع قلنسوته وضرب الأرض بها تعبيراً عن غضبه وصاح سرقت قلتكم، فصاح الناس لا صلاة بعد القلة[٢]. وحدثت ثورة تمكنت من السيطرة على مقر الشرطة وعجز الوالي عن الوقوف في وجهها، وهرب مع قائد شرطته ليلاً من المدينة[٣]، وهذا يدلل على المكانة التي كان يتمتع بها الفقهاء والعلماء وقدرتهم على تحريك الجماهير وتوجيهها.

وكانت مجالس وحلقات أبو مسهر تتردد فيها آراء سياسية وطروحات تنتقد الدولة ممثلة بشخص الخليفة، فبينما كان أبو مسهر يجلس في إحدى حلقاته في المسجد الجامع وقت العشاء، دخل الجامع ضوء عظيم فسأل عنه؟ فقيل له: إن ذلك منبعث من النار التي تدلى من الجبل لأمير المؤمنين المأمون حتى تضيء له الغوطة. فأجاب على ذلك بآيات من القرآن الكريم وهي: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ(١٢٨)وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ(١٢٩)وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ[٤]". وهي إشارة إلى تشبيه بن العباس بقوم عاد، وكان في الحلقة صاحب خبر للمأمون فكتب بذلك للمأمون[٥].

وهذه إشارة إلى متابعة الدولة العباسية للعلماء والفقهاء وحرصها أن يبقوا تحت أعينها مخافة أن يثيروا الناس ضدها.

وأثار المأمون ما سمي بالمحنة وذلك بعد تبنيه آراء المعتزلة، وقاد حملة لإكراه الفقهاء في الدولة العباسية على اعتناق ما يعتقده من القول بخلق القرآن، وقام بنفسه بامتحان بعض علماء دمشق الأفذاذ وعلى رأسهم أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني، حيث استدعاه المأمون إليه عند حضوره دمشق، وناظره في خلق القرآن ثم تركه في المرة الأولى[٦]. ولكن المأمون استدعاه مرة أخرى خلال مقام المأمون في الرقة وامتحنه مع مجموعة من الفقهاء في

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٧، ص٣١٣؛ الذهبي: سير، ج١، ص٢٣٢.

(٢) الذهبي: سير، ج٩، ص١٠٣.

(٣) الذهبي: سير، ج٩، ص١٠٣.

(٤) سورة الشعراء، الآيات ١٢٨-١٣٠.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ، ص١٢٣-١٢٤؛ سير، ج١١، ص٣٩.

(٦) الأزدي: تاريخ، ص٤٠٩؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٣، ص٤٢٥؛ الذهبي: سير، ج١، ص٢٣٥.

خلق القرآن، فأقر بعضهم بذلك وأصر بعضهم على القول بأنه كـلام الله ومـنهم أبـو مسـهر الغساني وأحمد بن أبي الحواري وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن ذكوان وكلهم من أهل دمشق(١).

وتجدر الإشارة إلى أنه ساد بين أهل دمشق تيار يدعو لمعاداة علي بن أبي طالب وآله، وهذا ما جعل الفقيه الأوزاعي يقول: لا يجتمع حب عثمان وحب علي إلا في قلب مؤمن"(٢). بل إن الاعتراف بإمامة علي بن أبي طالب كان أمراً مستهجناً عند أهل دمشق حتى اعتبر الفقيـه هشام بن عمار متفرداً من بين فقهاء بلده يُرَبِّع بعلي(٣).

واستمرت موجة العداء لعلي بن أبي طالب بعد هشام بن عمار حيث اتخذت طابع النقد المبطن، ويظهر ذلك من موقف إبراهيم بن يعقوب ت ٢٥٩هـ أحد فقهاء دمشق والذي يـروى أنه اجتمع على بابه أصحاب الحديث ليسألوه فخرج إليهم، فأخرجت جارية له فروجاً ليذبح فلـم تجد أحداً يذبحها، فقال: سبحان الله لا يوجد من يذبحها وقد ذبح علي بن أبي طالب في ضَـحْوَةٍ نيفاً وعشرين ألفاً(٤).

<u>٤- العلوم الأخرى:</u>

لقد كان اهتمام المسلمين في العصرين الراشدي والأموي منصباً على الجهاد في الدرجة الأولى، والابتعاد عن كل ما هو مخالف لكتاب الله وسنة نبيه، ففي مجال العلوم انصب اهتمـام المسلمين على القرآن الكريم وما ورد فيه وعلى حديث النبي (ص) علاوة على ما كانوا يتلقونه من الأدب والشعر أو بمعنى آخر فإن اهتمامهم انصب على العلوم النقلية على حسـاب العلـوم العقلية والتي لم ترد سوى إشارات طفيفة إلى الاهتمام بها، حيث روي عن خالد بن يزيـد بـن معاوية اهتماماته بصناعة الكيمياء(٥).

وخطت الدولة الإسلامية في أعقاب تسلم العباسيين السلطة خطوات كبيرة نحو الازدهار العلمي، وذلك إثر انفتاحها بشكل واسع على علوم الأقدمين، حيث وجدت الكتب والمخطوطـات القديمة الإغريقية والسريانية والهندية والفارسية اهتماماً كبيراً من الخلفاء(٦)، وبلغ هذا الاهتمـام أوجه زمن الخليفة الرشيد وولده المأمون ووصلت النهضة العلمية في عهديهما إلى الحد الـذي

---

(١) الذهبي: سير، ج١٢، ص٩٢-٩٣؛ ج١٠، ص٢٣٥.
(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص٢٠١؛ أحمد بدر: فقهاء، ص٩٢.
(٣) الذهبي: سير، ج١١، ص٤٣٣.
(٤) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ، ص٧٢.
(٥) ياقوت: معجم الأدباء، ج١١، ص٤٢؛ جرجي زيدان:تاريخ التمدن،ج٣، ص١٣٦؛ كرد علي:خطط الشام،ج٤، ص٢٣
(٦) انظر المسعودي: مروج، ج٤، ص٣١٤-٣١٥.

أصبح معه تداول مثل هذه الكتب أمراً ممكناً، ويبدو أن انتشار الورق بسبب رخص ثمنه قد ساهم في هذه النهضة[١].

ومن الجدير بالذكر أن هذه النهضة في بدايتها اقتصرت على العراق وبعض الأجزاء الشرقية للدولة العباسية بشكل عام، ولم تصل خيوطها إلى الشام التي كانت تعيش بمعزل عنها على الرغم من الأرضية الخصبة فيها والصالحة لنمو مثل هذه النهضة، والمتمثلة في وراثة الشام لعلوم الأقدمين علاوة على وراثتهم لإنجازات الأمويين.

ويظهر أن شرخاً قد حدث في نظرة العراق إلى الشام منذ وقت مبكر فقد انحاز أهل الشام لجانب معاوية ضد علي في الصراع على الخلافة، وانتهى الصراع بتفوق الشام وإخضاع العراق، وقد استعمل الأمويون على العراق ولاة قساة مثل الحجاج بن يوسف الذي نكَّل بهم[٢].

وجاءت الثورة العباسية لتعيد التفوق العراقي على حساب الشام، ومن هنا لم ينس العباسيون لبني أمية ومؤيديهم من أهل الشام ما فعلوه بأسلافهم واستقرت لديهم نظرة سيئة تجاه أهل الشام باعتبارهم أنصار الأمويين، وقد عبَّر المأمون عن هذه النظرة من خلال رده على الرجل الذي اعترضه خلال زيارته دمشق وطلب منه أن يعامل عرب الشام كما يعامل أهل خراسان فقال له المأمون: "والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني، وأما قضاعة فسادة حرمها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث الله نبيه محمد من مضر، ولم يخرج إثنان إلا خرج شارياً...أغرب فعل الله بك"[٣].

وعلاوة على ذلك فإن قيام أهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة بسلسلة من الانتفاضات والثورات، وتجدد العصبية القبلية بين القيسية واليمانية[٤]، قد ساهم في جعل العباسين يخشون الشام ويكونون أكثر حذراً تجاه أهله.

ويظهر أن هذه العوامل أيضاً قد ساهمت في صرف اهتمام الشاميين أنفسهم عن الاهتمام بالعلوم العقلية مما أدى لتراجع أهمية الشام العلمية، بينما انصرف الناس إلى العلوم الدينية وخاصة علم الحديث والفقه بعد يأسهم من صلاح المجتمع وتحسين الأحوال، وهذا لا يعني بالضرورة أن أهل الشام ودمشق لم يكن لهم دور وإسهام في الحركة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي وخاصة العراق في الفترة العباسية بل قام العديد منهم بإسهامات واضحة ومؤثرة في

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٥، ص٥١٦.

(٢) انظر البلاذري: أنساب، قسم ٤، ج١ ص٢٠٩، ص٢١٦.

(٣)الأزدي: تاريخ الموصل، ص٢١٦-٢١٧.

(٤) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة (الحركات المناوئة).

ذلك، وكان كل مَنْ ينبغ من أهل دمشق والشام عامة في مجال من العلوم إذا أراد المجد والشهرة أو الزيادة والمتابعة، ينتقل إلى بغداد التي كانت تشهد في تلك الفترة نشاطاً منقطع النظير(١).

أما أبرز العلوم التي اشتهرت في دمشق فهي:

- رصد النجوم:

وجد علم صناعة النجوم اهتمامً كبيراً في العصر العباسي ووصل هذا الاهتمام إلى الحد الذي كان فيه أحد الخلفاء العباسين وهو المأمون ممارساً لهذا العلم خبيراً فيه، وقد شجع العلماء على عمل الآلات الخاصة به ومتابعة حركة الكواكب والنجوم وملاحظتها ثم تسجيل الملاحظات بدقة متناهية(٢)، وقد حظيت دمشق بجانب كبير من هذه الاهتمام وعلى الأخص منطقة جبل قاسيون التي أقيم فيها مرصداً للنجوم(٣)، وقد بدء بالرصد فيه سنة ٢١٤هـ وسمي ما سجل فيه (بالرصد المأموني) (٤).

وكان ممن تولى الرصد في هذا المرصد يحيى بن أبي منصور كبير المنجمين، وكان رجلاً فاضلاً كبير القدر، اتصل بالمأمون أمير المؤمنين وتقدم عنده بصناعة النجوم فلما عزم المأمون على رصد الكواكب تقدم إليه وإلى جماعة من العلماء بالتنجيم وأمرهم بالرصد وإصلاح آلاته، ففعلوا ذلك بالشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق، وذلك في سنوات ٢١٥هـ و٢١٦هـ و٢١٧هـ(٥). وكان رصده أول الإرصاد في الإسلام ولكنه توقف بعد وفاة المأمون ٢١٨هـ/٨٣٣م(٦).

وتوفي يحيى في بلاد الروم، وترك عدة تصانيف بارزة في مجال صناعة النجوم منها كتاب الزيج الممتحن ومنه نسختان، وكذلك كتاب العمل لسدس ساعة في الارتفاع بمدينة السلام(٧).

وكان البتّاني (محمد بن جابر بن سنان) أبو عبد الله الحرّاني ت ٣١٧هـ، مشهوراً بعلم الكواكب ورصدها ولا يعلم أحد من علماء الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها، وقيل أنه عاش في دمشق وتوفي فيها سنة ٣١٧هـ(٨)، ولا بد أن علماء التنجيم قد استفادوا من ملاحظاته واطلاعاته واصلاحاته لأدوات الرصد.

---

(١) انظر إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام، ص١٩٦.

(٢) القفطي: أخبار، ص٢٣٤؛ ابن العبري: تاريخ مختصر، ص١٣٧.

(٣) الذهبي: سير، ج١، ص٢٣٣؛ تاريخ، حوادث ٢١١-٢٢٠هـ، ص١٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٥٤٤.

(٤) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٥٢؛ أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٩٧.

(٥) القفطي: أخبار، ص٢٣٤؛ ابن العبري: تاريخ مختصر، ص١٣٧.

(٦) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٥٢؛ أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص٣٩٧.

(٧) القفطي: أخبار، ص٢٣٤.

(٨) الحصني: منتخبات، ص٤٥٧.

– الترجمة والطب

كان أهل الشام أكثر حنكة من غيرهم في نقل كتب الإغريق، وذلك عائد إلى أنهم منذ ما قبل الفتح كان قسم كبير منهم يتكلمون السريانية علاوة على اللغة اليونانية، بل إن بعضهم قد تكلم وكتب باللغتين معاً[١]. وبعد الفتح الإسلامي ودخول الإسلام إلى الشام وانتشار اللغة العربية فيها وحتى العصر العباسي كان قد مضى على دخول الاسلام الى الشام ما يزيد على القرن من الزمن، وقد كان ذلك كفيلاً بأن يخلق جيل يتقن اللغة السريانية لغة أجداده، وكذلك يتقن اللغة العربية لغة الدولة الجديدة، وهذا ما ساعد كثيراً في ترجمة ذخائر الكتب اليونانية والسريانية إلى العربية[٢]. ومن هنا فلم يكن من المستغرب أن يكون أكثر المترجمين في العصر العباسي من أهالي الشام، حيث برز منهم عدد من المترجمين والأطباء، الذين قاموا بنقل العلوم من لغة الى أخرى، وكان أكثرهم من أهل المعرفة الواسعة في نواحي العلم التي اشتغلوا في نقلها[٣]، ومنهم:

– أبو عثمان الدمشقي، وكان من أبرز مترجمي أهل دمشق، فقد كان علاوة على كونه مترجماً، طبيباً مشهوراً وبارعاً وهذا ما جعل الوزير علي بن عيسى يقوم بتقليده رئاسة المارستان الذي أنشأه في بغداد سنة ٣٠٢هـ[٤].

- أبو الحكم الطبيب الدمشقي، وهو عيسى بن الحكم الطبيب، وجد في أوائل الدولة العباسية، وكان طبيباً ناقلاً مجيداً، وقد خرجت منه عائلة اشتهرت بالطب والترجمة[٥].
- الحكم بن أبي الحكم الدمشقي ت ٢٠١هـ/٨٢٥م، وكان يلحق بأبيه في معرفة الطب، وهو من أهل دمشق وكان مقيماً فيها، وقد عمر طويلاً وتوفي مدخل ابن طاهر لدمشق، وقد سأل ابن طاهر عيسى بن الحكم عن العمر الذي بلغه أبوه فأجاب ١٠٥ سنوات ولم يتغير عقله ولم ينفق علمه[٦]. وقد ذكرت له قصص مشهورة في معالجة بعض الأمراض علاوة على معالجة بعض الجروح، ومنها معالجة لرجل تم فصده بطريق الخطأ وكاد أن يتلف لكثرة ما نزف منه من الدم ولم يستطع من حضر أن يوقف النزيف... حتى تمكن هو من إيقافه باستخدام قشر الفستق[٧].

---

(١) نينا بيغلو ليفسكايا، العرب على حدود، ص ٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٣-٤٤.

(٣) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص ٣٩٦.

(٤) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص ٣٩٦.

(٥) القفطي: أخبار العلماء، ص ٢٦.

(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون ص ١٧٦-١٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧٧؛ لويس شيخو: علماء النصرانية، ص١٥١، كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص ٢٦.

- أبو الحسن عيسى بن الحكم الدمشقي (ت٢٢٧هـ/٨٤١م)، وهو من عائلة عريقة في مجال النقل والطب، ولكن شهرة هذه العائلة قد بلغت كمالها به، وكان مشهوراً بمسيح، وكان يسلك طريق الرهبان، وله أقوال في ذم البصل وبيان معايبه[١]. وبلغت شهرة عيسى إلى الحد الذي جعل الرشيد يستدعيه لبغداد ليقوم بالإشراف على حالته الصحية، وقد أعجب بمهارته في المداواة، وأرسله في بعثة الى الهند للإطلاع على ما فيها من علوم في الطب فسافر للهند ومكث هناك ثلاث سنوات وهناك بدأ بتأليف رسالته الهارونية التي أهداها إلى الرشيد سنة ١٩٢هـ ٨٠٨م قبيل وفاته[٢]. وقد تضمنت هذه الرسالة مواضيع طبية هامة في الطب الوقائي، علاوة على المعالجة الطبية بالممارسة السريرية والوقائية، كما تحوي قفزات كبيرة في علوم الكيمياء وعلوم الأحياء، واحتوت على طرق لتحديد الأدوية البسيطة منها والمركبة والمستحضرات الصيدلانية وكذلك المصطلحات اللغوية الخاصة بالشفاء من الأمراض والصحة[٣].

ومن الأثار الأخرى التي تركها عيسى بن الحكم علاوة على الرسالة الهارونية، كتاب الكناش الكبير، وكتاب منافع الحيوان[٤]، وله وصايا ودراسات في الوقاية من الأمراض والمحافظة على الرشاقة ونصائح لإطالة العمر والمحافظة على النظارة منها أن لايقوم الشخص بغسل يديه أو وجهة خلال خروجه من الحمام الا بماء بارد ما أمكنه ذلك،وأن لا يذوق بعض أنواع الأطعمة ومنها القديد ويظهر ذلك من خلال ما دار في المحاورة التي جرت بينه وبين يوسف بن إبراهيم مولى ابراهيم المهدي الذي نزل عليه داره بدمشق سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م لمرض أصابه فعالجه[٥]. ويظهر أيضاً أنه كان عارفاً بالأحوال المناخية وأثرها على الاطعمة والأمراض وبارعاً في اختيار الأطعمة التي تناسب مناخ كل بلد[٦].

- حبيش بن الأعسم (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، وهو حبيش بن الحسن الدمشقي ابن أخت حنين ابن اسحاق. كان مرافقاً لخاله حنين ومنه تعلم صناعته، وكان يسلك مسلك حنين في نقله وكلامه وأحواله إلا أنه لم يبلغ منزلته[٧]. وقد قال فيه حنين بن اسحاق: "إن حبيشاً ذكي مطبوع على الفهم غير أنه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه، بل فيه تهاون، وإن كان ذكاؤه

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) القفطي: أخبار العلماء، ص١٦٥-١٦٦؛ إبن أبي أصيبعة؛ عيون ص ١٧٨؛ سامي الحمارنة: الطبيب عيسى بن الحكم، ص ٤-٥.

(٣) سامي الحمارنة، الطبيب عيسى بن الحكم، ص ٤-٨.

(٤) ابن ابي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ١٧٧-١٧٨؛ لويس شيخو: علماء النصرانية ص ١٩١-١٩٢.

(٥) القفطي: أخبار العلماء، ص١٦٥-١٦٦، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء، ص ١٧٨.

(٦) القفطي: أخبار العلماء، ص١٦٦.

(٧) ابن ابي أصيعبة: عيون الأنباء، ص٢٧٦.

مفرطاً وذهنه ثاقباً"[١]، وقيل أن من تمام سعادة حنين بن اسحاق صحبة حبيش له فإن أكثر ما نقله حبيش من الكتب نسبه المؤرخون الى حنين، حيث كان الناس عندما يرون الكتب القديمة المترجمة بنقل حبيش يظنونها لحنين وإن الإسم قد صحف تصحفياً فيشطبونه ويكتبون مكانه حنيناً[٢]. وهكذا فقد هظم حق هذا العالم بنسبة كثير من الكتب التي ترجمها الى خاله حنين لأنه أكثر منه شهرة وتقدماً.

ومهما يكن فقد اشترك حبيش مع خاله حنين وعدد من المترجمين في نقل وترجمة الكثير من الكتب، وكان أولاد موسى بن شاكر يخصصون له ولغيره من المترجمين والنقلة خمسمئة دينار في كل شهر[٣]. وكانت أغلب الكتب التي ينقلها في مجال الطب حيث تمكن من اتمام كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين وجعله مدخلاً الى هذه الصناعة[٤].

كما اشترك مع عيسى بن ماسرجويه في نقل احدى كتب ابقراط في الطب وهو بعنوان الماء والهواء حيث ترجمه من السريانية الى العربية[٥]. واشترك مع ثابت بن قرة في نقل كتاب الكيموس لجالينوس[٦]. ونقل كتاباً لأبقراط في الطب أيضاً وهو عهد أبقراط[٧]، وترجم حبيش من الاغريقية مؤلفات في النباتات كانت من الأهمية بحيث أصبحت فيما بعد اساساً لما كتبه العرب عن العقاقير[٨]. كما ترجم في ميدان الفلسفة والمنطق عدة كتب أهمها: كتاب الكون والفساد، وكتاب الأخلاق، وكتاب انتفاع الأخيار بأعدائهم وعلوم ارسطو وأراء أفلاطون وابقراط، وكتاب المحرك الأول لايتحرك[٩].

وعلاوة على ترجماته الكثيرة للكتب والتي لاحصر لها، فقد ألف حبيش مجموعة كتب في ميادين مختلفة أبرزها: اصلاح الأدوية المسهلة، الأدوية المفردة وكتاب الأغذية، في مجال الصيدلة[١٠]. وكذلك كتاب الاستسقاء ومقالة في النبض على جهة التقسيم[١١]. كما نقل له بعض النصوص المترجمة من الاغريقية من أعمال هيبوقراطيس[١٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٦.
(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٧٦-٢٧٧، ١٦٧؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص١٤٥.
(٣) القفطي: أخبار العلماء، ص٣٠، ٣١.
(٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٧٦.
(٥) جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص١٤٥، ص١٥٣، ص١٦٤.
(٦) المرجع نفسه، ج٣، ص١٧٣.
(٧) المرجع نفسه، ج٣، ص ١٥٣، ص١٧٣.
(٨) مصطفى الشكعة، معالم الحضارة، ص١٤٣.
(٩) جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص١٥١، ملكة أبيض: التربية والثقافة، ص٢١٤.
(١٠) ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٧٦.
(١١) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.
(١٢) مصطفى الشكعة: معالم الحضارة، ص١٤٣.

ومن الجدير قوله: أن دمشق كانت مكاناً فضّل بعض حكماء اليونان وأطباؤها السكن فيه، فقد ذكر ابن العبري أن أبقراط الطبيب اليوناني كان له في دمشق بستاناً يأوي اليه في واد هناك يسمىالنيرب[١]. كما احتوت دمشق على العديد من المقتنيات الهامة وخاصة في مجالات العلوم والطب فقد روي أنها احتوت العديد من الكتب الطبية النادرة والتي عزت في غيرها، فلما بحث حنين بن اسحاق عن كتاب البرهان في اللغة اليونانية لم يجده وكان جبرائيل بن بختشوع قد طلبه ولم يجده وطاف في طلبه البلدان في الجزيرة والشام وفلسطين ومصر والاسكندرية فلم يجده ولكنه وجد قسماً منه بدمشق[٢].

- التاريخ والمؤرخون:

لقد نشأت منذ نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري طبقة تمثل أبناء الصحابة والتابعين في الأمصار ممن تتلمذ على أيدي من تقدمهم من الصحابة، وقد أخذوا على عاتقهم الاستمرار في حمل لواء الدين الإسلامي، كما تمت على أيديهم تنمية الفكر الإسلامي وتطويره في مختلف مجالاته.

وكان للصراع السياسي بين علي ومعاوية والذي انتهى لصالح الاخير، ونجم عنه نقل العاصمة الى دمشق والتي اصبحت تمثل ثقلاً سياسياً وفكرياً، وخاصة أنها جذبت اليها عدداً من الصحابة والتابعين أمثال أبو ذر الغفاري ووائلة بن الأسقع وأبو الدرداء[٣]. ومن التابعين وتابعيهم أمثال قبيصةبن ذؤيب الخزاعي[٤] وأبو ادريس الخولاني[٥] ثم مكحول الدمشقي[٦] والزهري[٧].

وقد تمكنت دمشق من مزاحمة الحجاز والكوفة على الزعامة الفكرية، وانصرف فقهاء الشام لحل المشاكل الناجمة عن الأوضاع الجديدة التي شهدتها الدولة والتي نجمت عن اتساع رقعة الدولة الاسلامية وامتدادها الى مناطق واسعة علاوة على ضمها لبلاد وثقافات عديدة تختلف عن بعضها في اللغات والعادات، وكذلك في المعاملات المالية، وكان لابد من ايجاد حلول للمشاكل الناجمة عن الحروب وما نتج عنها من غنائم وأسرى وتقسيم الأراضي ، وذلك بالبحث في القرآن الكريم ثم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ثم في سير أصحابه.

---

(١) ابن العبري: مختصر الدول، ص ٥٠.

(٢) ابن أبي أصيبة: عيون الأنباء، ص ١٤٦.

(٣) ابن سعد: طبقات، ج٢، ص ٣٥٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص٢٥٠، الذهبي: سير، ج٤، ص٢٨٢.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٢٦، ص١٣٧-١٣٨.

(٦) ان كثير: البداية، ج٩، ص٣٠٥، ابن منظور: مختصر، ج٢٥، ص٢٣٦.

(٧) ابن كثير: البداية، ج٩، ص ٣٤٠-٣٤٤.

ومن هنا نشأ في الشام وحاضرتها دمشق مدرسة فقهية خاصة بها ارتبطت بفقهاء اشتهروا في العالم الاسلامي في القرن الثاني الهجري وعلى رأسهم عبدالرحمن الأوزاعي الذي انتشر مذهبه في أغلب الشام والأندلس، واستمر معمولاً به حتى أواسط القرن الرابع الهجري. وجاءت الكتابات الأولى لفقهاء الشام حول السيرة النبوية مركزة على الجوانب الفقهية أكثر من الجوانب التاريخية، وذلك بسبب متطلبات الإدارة الجديدة الملحة لايجاد قانون فقهي يستقي من القرآن والسنة، وهذا ما جعل الأوزاعي أول من كتب في السيرة من فقهاء الإسلام تأتي كتاباته للبحث عن تساؤلات فقهية حول السبي والغنائم والأرض المكتسبة والأسرى[١]، وهذا ما جعل أهل الشام عامة يتميزون بعلمهم بالمغازي والمقاسم على غيرهم، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن عيينه بقوله: "من أراد الاسناد والحديث الذي يسكن اليه فعليه بأهل المدينة، ومن أراد المناسك والعلم بها فعليه بأهل مكة، ومن أراد المقاسم وأمر الغزو فعليه بأهل الشام"[٢].

ويبدو أن أهل الشام قد تخصصوا بأمر بالمغازي والسير، وهذا ما جعل فقهاء الشام يستغربون أن يقوم عالم من خارج الشام بالكتابة في المغازي والسير، فقد ذكر أن الأوزاعي وقع في يديه كتاب لمحمد العراقي فقال: وما لأهل العراق في التصنيف في هذا الباب، فإنه لا علم لهم بالسير، ومغازي رسول الله وأصحابه كانت جانب الشام والحجاز دون العراق فإنها محدثة فتحها[٣]. وأكد ذلك ابن تيمية فيما بعد بقوله: "أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة ثم أهل الشام"، وسبب ذلك كما يراه هو أن أهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد، فكان لهم بالعلم والجهاد والسير ما ليس لغيرهم[٤].

واستمر اهتمام أهل الشام في الفترات التالية بالمغازي والسير مستثمرين وجود الأشخاص الذين شاركوا بها أو رووها عمن شارك بها مباشرة، وبدأ اهتمام أهل الشام كغيرها من أقطار العالم الإسلامي بتدوين التاريخ منذ القرن الثاني الهجري وممن أثر عنهم الاهتمام بذلك من أهل دمشق خلال فترة الدراسة:

- عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي ت ١٥٧هـ/٧٧٣م. ويعتبر أول شامي يكتب في السيرة وجاءت كتاباته للبحث عن أجوبة فقهية لأمور السبي والغنائم والأراضي والأراضي المكتسبة والأسرى، وبيان آرائه الفقهية في تلك المسائل، وهذا ما جعل

---

(١) رضوان السيد: المدرسة التاريخية، ص٨٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ ج١، ص ٣٢٩، خليل الزرو: الحياة العلمية، ص ١٩٩.

(٣) أبو يوسف: الرد على سير الأوزاعي، ص ٢-٣.

(٤) ابن تيمية: مقدمة في أصول، ص ١٥٠.

بعض الفقهاء يتصدى للرد على تلك السير والآراء وعلى رأس أولئك الفقيه أبو يوسف قاضي قضاة الرشيد[١].

وقيل أن الأوزاعي خلف ثلاثة عشر قندافاً (كراساً) وله علاوة على ذلك كتاب السنن في الفقه وكتاب المسائل، وقد سئل عن سبعين ألف مسألة فقهية فأجاب عليها[٢].

- الوليد بن مسلم ت ١٩٥هـ- ٨١١م، وكان أحد أبرز تلاميذ الأوزاعي، وأحد أشهر محدثي الشام في العقد الأخير من القرن الثاني الهجري، وكان مهتماً برواية الأخبار الواردة في القرآن مستعيناً بالقرآن ولكن بلغته الخاصة وكان ذلك أقرب للموعظة كما حرص على رواية بعض الاخبار الأخرى[٣]. وعلى الرغم من قيامه بتأليف ما يزيد على السبعين مصنفاً كانت تعتبر هامة لمن يرغب في تولي القضاء[٤]. ورغم علمه بالمغازي لكن كتاباته في هذا المجال كان يغلب عليها المأثورات والفتن والملاحم[٥]، وقال عنه ابو زرعة أنه أفضل من وكيع بأمر المغازي[٦].
- محمد بن عائد الدمشقي ت ٢٣٤هـ كان كاتباً وهو صاحب المغازي والفتوح، والصوائف وغيرها[٧]. ولكن هذه الكتب لم تصل الينا، وقد تولى خراج الغوطة أيام المأمون، وذكر أنه كان من أهل الفتوى بدمشق[٨]. وهو بذلك ينظم الى الأوزاعي والوليد بن مسلم في أنه كان فقهياً قبل أن تكون له اهتمامات بتدوين التاريخ والاهتمام به بشكل خاص.
- هشام بن عمار ت ٢٤٥هـ- ٨٥٩م، كان خطيب دمشق ومحدثها وفقهها، وقيل أنه ألف كتاب المبعث ولكنه لم يصل الينا[٩]. ويظهر أن النهج المتمثل في اهتمام الفقهاء والمحدثين بالجوانب التاريخية قد استمر للبحث عن اجابات فقهية للكثير من المسائل.
- محمود بن ابراهيم بن محمد بن سميع (كزبير) الدمشقي ت ٢٥٩هـ كان حافظاً للحديث الى جانب كونه مؤرخاً، وهو شيخ ابو زرعة الدمشقي[١٠]، وقد ألف كتاباً في الطبقات ولكنه لم يصل الينا[١].

---

(١) انظر: ابو يوسف: الرد على سير الأوزاعي؛ رضوان السيد: المدرسة التاريخية، ص٢٥.

(٢) ابو زرعة: تاريخ، ج١، ص ٢٦٥، ابن عساكر، تاريخ، ج٣٥، ص ١٦٢؛ الذهبي: سير ج٧، ص ١٠٧، ص ١٣٢؛ ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ١٢٧.

(٣) خليل الزرو: الحياة العلمية، ص ٢٠١.

(٤) الذهبي: سير، ج٩، ص ١٠٤-١٠٦، ص٢١١.

(٥) خليل الزرو: الحياة العلمية ص٢٠١، احسان عباس: تاريخ بلاد، ص١٨٥.

(٦) الذهبي: سير، ج٩، ص٢١١؛ الزركلي: الاعلام، ج٨، ص١٢٢.

(٧) صلاح الدين المنجد: معجم، ص٩.

(٨) ابن عساكر: ج٥٣، ص٢٨٨، الذهبي: سير ج١١، ص ١٠٤، العبر، ج١، ص ٤١٤؛ المزي: تهذيب، ج١٦، ص٣٩٠؛ الصفدي: الوافي ج٣، ص١٨١.

(٩) صلاح الدين المنجد: معجم، ص١٠.

(١٠) الذهبي: تذكرة، ص٦١٤؛ العبر، ج١، ص ٤٤٥؟، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٣٤٦.

- أبو زرعة، عبدالرحمن بن عمرو بن صفوان بن زرعة الدمشقي، ت ٢٨١هـ- ٨٩٤م. كان شيخ الشام في وقته، وهو من كبار المحدثين الأثبات الثقات[٢]، وقد ألف كتاباً هاماً وهو التاريخ وقد وصل إلينا[٣]. ووصف البغدادي هذا الكتاب بأنه من الكتب التاريخية المحدثة الهامة[٤]، وقد احتوى هذا الكتاب معلومات هامة عن تاريخ الرسول (ص) ومعلومات حول الخلفاء الراشدين وفتنة عثمان وقيام دولة بني أمية، وثورة ابن الزبير وكان يعدد زوجات الرسول واسماء الصحابة من أصيب ومن توفي، كما أورد قائمة بعلماء دمشق وكناهم ووفاتهم[٥]. وألف كتاباً آخر وهو الآخوة والأخوات ولم يصل إلينا لكن ابن عساكر اقتبس منه في بعض ترجماته[٦].

- أحمد بن المعلى بن يزيد (أبو بكر الاسدي) ت ٢٨٦هـ- ٨٩٩م. كان قاضياً لدمشق نيابه عن أبي زرعة، وكان محدثاً ثقة[٧]، وله كتاب حول خبر المسجد الجامع وبناءه وقد اقتبس منه ابن عساكر في تاريخه[٨]. ونقل عنه ابن جبير في رحلته عند وصف الجامع بقوله: قرأنا في تاريخ ابن المعلى[٩]. ولكن الكتاب لم يصلنا.

ومن الجدير قوله: أنه ظهر في دمشق القصَّاصون الذين كانوا يقومون برواية القَصَصْ على الناس، وكان ابرزهم "عثمان بن أبي العاتكة"، الذي توفي خلال ولاية الفضل بن صالح على دمشق ١٤٩-١٥٨هـ- ٧٦٦-٧٧٣م، وكان ينعت بأنه ضعيف الحديث[١٠]. ويظهر أن السبب في ذلك ناجم عن اهتمامه بالقصة وحرصه على اكمالها لإحداث العبرة والعظة دون الاهتمام بالسند من حيث الثقة والضعف.

كما برز أناس اهتموا بمعرفة الانساب، حيث كانت معرفة النسب ضرورية للعالم للأخذ عنه، وكانت عدم معرفة النسب تشكل عائقاً في ذلك، ومن هنا برزت أهمية الأنساب والحرص عليها، وقيل لعبد الرحمن بن ابراهيم: تعرف لسليمان بن عبدالرحمن نسباً بدمشق؟ قال: لا قيل: فتدفعة وقد روى عن شعبة وعمرو بن الحارث وروى عنه خالد بن معدان، قال: لايدفع[١١].

---

(١) صلاح الدين المنجد: معجم، ص١١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص١٤١؛ الذهبي: سير ج٢١، ص٢١٣؛ العبر، ج١، ص٦٥؛ تذكرة ص٦٢٤.

(٣) انظر: ابو زرعة: تاريخ.

(٤) الخطيب: تاريخ، ج٤، ص ٨٤، تحقيق بشار عواد.

(٥) ابو زرعة: تاريخ

(٦) ابن عساكر: تاريخ ج٣٨، ص ٣٣٠.

(٧) المصدر نفسه، ج٦، ص ١٩-٢٠، ج٤٣، ص٢٣٨.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٦، ومابعدها انظر خبر بناء المسجد الجامع.

(٩) ابن جبير: رحلة، ص ٢٦٣- ٢٦٤.

(١٠) ابو زرعة: تاريخ، ج١، ص ٢٦١؛ البسوي: المعرفة، ج١، ١٢٢؛ ابن عساكر: تاريخ ج٣٨، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(١١) ابو زرعة: تاريخ، ج١، ص٣٩٨.

وعلاوة على الانساب فقد ظهرت اهتمامات من أهل دمشق بأيام العرب ووقائعها وكان يحيى بن صالح بن بيهس من علماء أهل دمشق والشام بأيام العرب ووقائعها[١]. ولكنه لم يصنف كتاباً في ذلك. واشتهر أبو مسهر عبد الاعلى الغساني بمعرفته بأيام الناس وأنساب الشاميين[٢].

- الشعر والأدب:

لقد سار تعليم الأدب والشعر جنباً الى جنب مع تعليم القرآن والفقه والحديث في الكتاب والمساجد، وكان يتم تعليم الطلاب النحو والحسن من الشعر وأخبار العرب[٣].

وقد نبغ في الشام عامة ودمشق خاصة مجموعة من العلماء والمؤدبين الأفذاذ الذين بلغوا من الشهرة حداً جعل الخلفاء أنفسهم يطلبونهم لتأديب أبنائهم، ولاشك أن هؤلاء المؤدبين كان منهم الشعراء والكتاب والخطباء[٤].

ففي مجال الشعر لم يصل لنا ديوان لأحد شعراء دمشق خلال فترة البحث، وهذا لا يعني أنها لم تكن تنجب الشعراء أو أن أهمية الشعر قد تراجعت، ولكن مدينة بغداد صارت كعبة يحج اليها الشعراء والعلماء إن هم رغبوا بالشهرة أو رغبوا أن يكون لشعرهم وعلمهم تلك الفائدة المادية التي يطمعون بالحصول عليها فقصدها الشعراء والعلماء.

ولكن ما يثير الانتباه أن الكثير من الشعراء كانوا يظهرون وتتهيج قريحتهم الشعرية وخاصة عند حدوث الحوداث الجسيمة بدمشق وخاصة تلك الحوادث التي تتغذى جذورها من العصبية القبلية، فلما قامت عصبية أبي الهيذام المري ١٧٦هـ[٥]، ظهر الى السطح شعراء لم يكن لهم وجود من قبل أو بتعبير أدق كانوا مغمورين وقد وجد هؤلاء في هذه الفتنة فرصة سانحة لهم وموانية ليفخروا بأنسابهم وعصبيتهم، أو يرثون أبنائهم الذين قتلوا في الفتنة، أو يهجون خصومهم، أو يلومون قومهم على التقصير في بذل أنفسهم والتفاني في الدفاع عن شرفهم[٦]. وجاءت أشعار هذه الفئة من الشعراء على شكل مقطوعات لم تعطنا مجالاً لتذوق ذلك الشعر لأنها جاءت على فترات متباعدة وعلى شكل شعور يعبر عن الهم نجم عنه انفجار شعري عبر عنه الشاعر[٧]. ولكن ما هو مهم في هذه المقطوعات الشعرية أنها فتحت أعيننا على

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٦٤، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) أمينة بيطار: الحياة السياسية، ص ٣٨٣.

(٣) الجاحظ: البيان، ج٢، ص ٣٠٤؛ ابن سحنون: آداب المعلمين ص ٤٢-٤٤.

(٤) انظر :الذهبي: معرفة القراء: ج١، ص١٥٥؛ الخطيب: تاريخ ج١٠، ص ٩٥.

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة "فتنة أبو الهيذام".

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج٦، ص ٤٤، ج٦٢، ص ٢٨-٢٩، ج١٦ ص ٣٣٥، ج٥٦ ص ٢٧٢-٢٧٣، ج٦٥، ص٢٥، ج٥٦، ص ٣٤٤، ج٥٩، ص ٣٣٧، ج٣٦، ص ٢٣٢، ج٣٢، ص١٨٠، ج٤٩ ص٤٩٩، ج٧٠ ص٤٨، ج٥٧ ص ٨٦.

(٧) احسان عباس: تاريخ بلاد ص ١٩٦؛ ياسين عايش: الشعر في بلاد، ص ١٠٨-١١٠.

شعراء كثر لم تذكرهم كتب الأدب والتاريخ بل هم مغمورون ولم يكن ليصبح لهم وجود شعري لولا تعبيرهم عما حدث في هذه الفتن[١].

ويظهر أنه كان للفتن الكثيرة في دمشق دور كبير في تنشيط الحياة الشعرية وخاصة شعر الفخر بالانساب والمساجلات والرثاء والهجاء وشملت المقطوعات الشعرية التي نظمت في هذه المناسبات مختلف مجالات واغراض الشعر والتي جاءت في مجملها خدمة للعصبية القبلية وحاول ناضموا هذه الاشعار استثارة أقوامهم لحرب خصومهم، من خلال مدح من يتفانوا بالدفاع عن القبلية ورثاء من يموتون وجعلهم مثلاً يحتذى لغيرهم[٢].

ومثال ذلك قول خريم بن أبي الهيذام يذكر يوم حرلان" وطعنته المعمر بن ايوب الطائي[٣].

أتانا أخو طيء غدوة ... فما آب منها ولم يغنم
أتتنا قرود يمانية ... فذاقت أمر من العلقم
ترجى ابن ايوب اشلاءنا ... رويدك ذق حرة الصليم

ولما مات خريم بن ابي الهيذام قال ابو يعقوب الخريمي فيه شعراً يرثيه[٤]

ألم ترني صبرت على خري ... وكان فداؤه أهلي ومالي
ولو أني سئلت به يميني ... لافردت اليمين من الشمال

وقال عبدالله بن محمد بن ذويد يصف بعض وقائع ابي اليهذام مع القحطانية ويفتخر بغلبة قومه حيث قال[٤]:

عجبت لقحطان أهل الخنا ... غداة أتونا على الحامية
يقودهم أحمق فاجر ... دعي منازلة نائبة
فلاقوا طعاناً وضرباً به ... تولوا خزايا الى خازية
برزت لهم معلماً في يدي ... حسام بشفرته القاضية

وجاءت بعض الأشعار التي نظمت في فتنة أبي الهيذام على شكل أراجيز، نظمها أصحابها في ميادين القتال استثارة لابناء قبيلتهم ومثال ذلك ما قاله عاصم بن بحدل الكلبي[٥].

يا كلب سيري سيرة العروس
واثخني بالضرب في الرؤوس
سيري الى قيس بلا تحميس

---

(١) إحسان عباس: تاريخ البلاد، ص ١٩٦.
(٢) انظر: ابن عساكر: تاريخ، ج١٦، ص ٣٣٥، ج٣٢، ص ١٨٠. ج٣٦، ص ٣٢، ج٧٠، ص ٤٨.
(٣) المصدر نفسه: ج١٦، ص ٣٣٥-٣٣٦.
(٤) المصدر نفسه: ج١٦، ص ٣٣٦.
(٤) المصدر نفسه: ج٣٢، ص١٨٠-١٨١.

فقد أطاعوا الأمر من ابليس

وكذلك قول معتصم بن عصمة الكلبي(٦):

خوضوا الى الموت بني قحطان　　　بالرمي وبالسيف وبالطعان

حُزوا الرقاب من بني عـــــيلان　　　فأمسي ما قطعتم لـــــساني

لم تشهدوني أمس من احســـاني　　　فاليوم لا أرجع كالـــجريان

وجاءت بعض الأشعار على شكل نقائض شعرية، كقول الشاعر قيس الهلالي(١):

كأنا يوم داريا أســـود　　　تدافع عن مساكنها أسودا

تركنا أهل داريا رميماً　　　حطاماً في منازلهم همودا

فرد عليه عثمان بن مرة الخولاني بقوله(٢):

كذبت لقد بقيت لكل أمـــر　　　يسؤوك فاستمع مني الوعيدا

سأجلب نحوكم خيلاً جياداً　　　وفتياناً تخـــــالهم الأسودا

متى طمعت بنوعيلان فينا　　　فتطمع أو ترجى أن تسودا

وقد تمخضت حركة ابي العميطر ١٩٥هـ عن بروز شاعرين ما كنا لنسمع بهما لـــولا حدوث هذه الحركة وهما زعيم هذه الحركة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيـــد بـــن معاويـــة، ومحمد بن صالح بن بيهس زعيم القيسية الذي تصدى لمواجهته(٣). وجاءت أشعارهما تصـــف المعارك أولاً بأول، وكان كل منهما يشجع قبيلته على الوحدة في مواجهـــة الخصـــم والتفـــاخر بأنسابهم وانجازاتهم وتميز شعر هذين الشاعرين باتجاه واحد يدعو للعصبية ولكن هذه العصبية تجدها أكثر اشتعالاً في شعر ابن بيهس في حين كان لهيبها أقـــل اشـــتعالاً فـــي شـــعر ابـــي العميطر(٤). ويبدو أن ذلك عائد الى كبر سن ابي العميطر الذي يروى أنه تجاوز التسعين ســـنة عند خروجه واعلانه لثورته(٥).

فقد دعا ابو العميطر في احدى قصائده التي يرثى بها ابنه القاسم بعد مقتله على يد ابـــن بيهس الى وحدة الصف الأموي لدرء الخطر العباسي حيث قال(٦):

بني أميَّة إنَّ الرأيَ مُشْتَرك　　　والنُّصْحُ عند ذوي الألباب مقبولُ

حتى متى أنتُم في كلِّ حادثة　　　رادٍ قتيـــــلٌ وعــــــانٍ ثَمَّ مغْلولُ

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص٤٩٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص ٤٩٩.

(٣) ابن عساكر ج٥٢، ص٢٥٩-٢٦٢؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث ١٨١- ١٩٠، ص ٤٩٤-٤٩٦.

(٤) ياسين عايش، الشعر في بلاد، ص ٩٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣ ص ٢٥؛ ابن الاثير: الكامل، ج٦، ص ٢٤٩؛ الذهبي: سير ج٩ ص ٢٨٥.

(٦) ابن عساكر: تاريخ ، ج٤٣، ص ٣٣.

هذا ابنُ بيهسَ قد بدا عداوَتَكم   فالحــربُ قائمةٌ والسيفُ مسْلول

وفي قصيدة أخرى يخوف فيها بني أمية من مغبة الانقسام والتفرق ويــذكرهم بالفضــائع التي فعلها بهم العباسيون ويحذرهم من الغد الأسود القادم في حال تفرق كلمتهم. ومنها[١]:

أَبَني أميَّةَ أَنَّكُم أصبحــتُم   غَــنَــمَ الــذبــابْ

وأرى بني العباس طراً   والــزمانِ الى انقلابْ

يسقونكم ما كُــنْتُم   تَسقُونَ مِن سَــلَعٍ وَصابْ

إن كان دهرَكُمُ التّخاذُلُ   فــي المُــلِمَّاتِ الصِّعابْ

فدعوا الشــآم لرحلةٍ   لَيستْ تـــحوُر الى ايابْ

وفي احدى قصائده عبر عن غضبه تجاه انحياز القيسية الى بني العباس حيث قال[٢]:

لستم أمية في قريش   بالصَّريح ولا اللُّبابْ

إن لم تدع صولاتُكُم قيساً   بمــنقَــطعِ التُراب

قَطَعَت بقتلِ بني أميَّة   قيسُ اسبابَ العِتَابْ

ولكن ابن بيهس تظهر في شعره علامات التحدي والافتخــار بانتصــاراته علــى أبــي العميطر، ففي احدى قصائده يصف انتصاره على أبي العميطر وحصاره له في دمشق بقوله[٣]:

حصرتُ بني أميّةَ في دمشْقٍ   فما يُبْدونَ منها قيْــس شــبْرِ

حصرتُ بني أميةَ بَعدمــا   قَدْ أَباحُوا للعراق وأرضِ مصر

ولَــم أُغْــلِقْ بَقيّتَهم وإني   لحَــرّبٌ مَــا بقيتُ لآل صخْرِ

وبعد انتصاره على القوات التي بعثها أبو العميطر قال ابن بيهس[٤]:

شفتنــي من أمــية باقياتٌ   على الايام من بيضِ الوقائعْ

وأنْسَتْني وقيعةَ يومِ سَــكّا   وما أُعطِيتُه يوم الصــوامِعْ

وفي قرداَ قتْلَتُ حُماةَ صخرٍ   وكل مخالِفٍ خــزْيَانَ خالِعْ

ولما انتصر على القاسم ابن ابي العميطر افتخر ابن بيهس في أنه لم يمكن الأمويين مــن تحقيق ما يريدون وبعث برأس القاسم الى المأمون وقال في ذلك[٥]:-

منعتُ بني أميةَ ما أرادَتْ   وقد كانت تَسَــمَّتْ بالخلافةْ

أبْدتُهُم من الشّامات قَتلاً   ولَم تَكُ لي بِهِمْ في ذاك رافةْ

---

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٣، ص ٣٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ: ج٤٣، ص٣٣.

(٣) المصدر نفسه: ج٥٣، ص ٢٥٩.

(٤) المصدر نفسه: ج٥٣، ص ٢٦١.

(٥) المصدر نفسه: ج٥٣، ص ٢٦٢-٢٦٣.

أناضِلُهم عن المأمونِ إنّي   علـــى من خَالَفَ المأمونَ آفَةْ

وظهر بعض الشعراء الذين حاولوا بشعرهم التوفيق بين القيســية واليمانيــة وتنبــيههم لضرورة الوحدة ضد الخطر القادم من خارج الشام والمتمثل بالجنود الخراسانية الــذين جلــبهم العباسيون ومثال ذلك قول أحد الشعراء يدعو الى التألف بين القيســية واليمانيــة فــي دمشــق ويدعوها للتوقف عن القتال، حيث قال(١):

إيْهاً نزارٌ وإيْهاً عنكِ قَحْـــطانُ   حَـــتَّام شُغْــلكُمُ حَـرْبٌ وشنآن

فيم التحارب يا للشام قد جَــشَأَتْ   عليـكـُـم، تبلـوها خــراسان

لا الما مال بآلِ الشــامِ إن قَطَعَتْ   خَيْلُ الفراتِ ولا الأوطانُ أوطانُ.

ولم يكن هذا النوع من الشعر ليطفئ نار العصبية المشتعلة في النفــوس بــل اســتمرت بالاشتعال واستمر الشعراء في تغذيها بأشعارهم ومثال ذلك ما قاله يحيى بن صالح بن بــيهس خلال تصديه للحركة التي قام بها سعيد بن خالد بن محمد الفديني الذي خرج بعد ثــورة ابــي العميطر ١٩٨هــ- ٨١٣م(٢). وقد أشاد بشعره بفروسيته وافتخاره بقبليته وانتصاره على الفديني حيث قال(٣):

اذا ما الناسُ عَــدُّوا جَـاهليّاً   مـــن الافعـــال عربانـــاً وعجمـــاً

رأونا خير من القَتْ نزارٌ اليهِ   أُمُـورَهــــا شَـــرْقاً وغرْبـــاً

لَعمرُو أبي موارقَ عبدِ شمسٍ   ألِيَّـــةَ صـــادقٍ لـــم يـــأتِ ذنبـــاً

أناضلهم عن المأمون إنـــي   رضـــيت فعـــاله والله ربـــي

وكان لكثرة الحركات القبلية والحركات الموجهة ضد الدولة العباسية التي قامت في دمشق أثر في لجوء الدولة لقمع تلك الحركات، ولمَّا كان هذا القمع يؤثر في سكان دمشق فقد لجأ بعض الشعراء ومن خارج دمشق الى التوسط في شعره لدى بعض ولاة دمشق من خلال مدحهم حتى يصفحوا عن أهل دمشق ومثال ذلك ما قاله الشاعر ابو تمام الطائي في مــدح الــوالي موســى الرافقي(٤).

فِتَنٌ جَلَوتَ ظَلامها من بَعْدِما   مَــدُّوا عيـــوناً نحوَهـــا ورؤوســـا

سار ابن ابراهيمَ موسى سِيْرةً   سَــكَنَ الزَّمـــانُ لهـــا وكـــانَ شَمُوســـاَ

اعطِ الرّياسةَ من يديكَ فلمْ تزلْ   مـــن قبــل أن تُـــدْعى الــرئيسَ رئيســا

---

(١) ياسين عايش، الشعر في بلاد، ص١٠١.

(٢) انظر: الفصل الثاني: في هذه الدراسة (ثورة الفديني).

(٣) ابن عساكر: تاريخ،ج ٦٤، ص ٣٧٣.

(٤) ديوان ابي تمام قصيدة رقم ٨٣.

أسقِ الرّعيةَ من بشاشَتِك التي ... لــــــو أنَّــــــها مـــــاءٌ لكـــان مَسُوســـــا

إنَّ الطلاقَة والندى خيرٌ لـــهم ... مــــن عفـــــةٍ جُمِسَـــتْ عليـــك جُمُوســـا

ولم يظهر في دمشق من الشعراء البارزين الذين اشتهروا في العصر العباسي في حـــين نبغ العديد من الشعراء من مناطق الشام الاخرى وذاع صيتهم في مختلف أقطـــار الاســـلامي، وعلى رأسِ هؤلاء ابو تمام والبحتري وديك الجـــن الحمصـــي والعتـــابي ومنصـــور النمـــري والخريمي وبكر بن النطاح والشاعر الكبير مروان بن أبي حفصة[١].

ومنذ النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ظهر في دمشق شاعران كانا حاضرين بمـــا يمر بدمشق من تقلبات في أحوالها وهما:

- قعدان بن عمرو الدمشقي، وكان موجوداً في دمشق حين قدمها ابن طولـــون ٢٦٩هـــ لخلع أبي أحمد الموفق أخو الخليفة المعتمد[٢]. ولم يصل الينا ديوانٌ خاصٌ بهذا الشاعر، لكن أغلب مقطوعاته الشعرية التي وصلتنا جاءت للحديث عن ابرز التطـــورات التـــي شهدتها دمشق منذ قدوم ابن طولون فهو يرحب بقدوم ابن طولون ويمدحه ويدعو الناس في الشام عامة ودمشق خاصة لنصرته لأنه جاء ليعيد الحق الـــى اصـــحابه وينصـــر الخليفة المعتمد على اخيه الموفق الذي سلبه حقه الشرعي في الخلافة[٣].

وأبرز ما قال في مدح ابن طولون[٤]:-

طالَ الهُدَى يا ابنَ طولونَ الاميرَ كَما ... يَزْهُو بهِ الدين عن ديـــن اسلام

قاد الجيوش من الفســـطاط يـــقدمها ... منه على الهول ماض غير مجام

ومن قوله في دعوة أهل الشام لنصرة ابن طولون لتخليص الخليفة المعتمد من قبضة أخيه الموفق[٥]:

من مبلغٍ مَضَر الشامِ وما حَوَت ... مصرُ ومَنْ هُو متْهِمٌ أو مُنْجِدِ

ما بَالُكُم هضَـــُتم مُبَاحَ سِنَانكُم ... بِتَواكُلٍ مِنْ فِـــعْلٍ لا يُـــحمَد

إنَّي فَكَيْفَ يَطِيبُ لا ادْرِي لَكُم ... خَفْضُ المَعيشَةِ والإمَامُ مُقَيد

- محمد بن سلامة أبو زرعة الدمشقي وقد عاصر الشاعر الشهير ديك الجن الحمصي ت ٢٣٥هـــ، وقد وصف الاثنان بأنهما شاعرا الشام في عصرهما[٦]، ويشير احســـان عبـــاس أن

---

(١) احسان عباسن: تاريخ بلاد، ص ١٩٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص ٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ج٤٩، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٤٩، ص ٣٤٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج٤٩، ص ٣٤٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٥٣، ص١٧٠؛ احسان عباس: تاريخ بلاد، ص ١٩٧.

تسمية هذين الشاعرين بشاعري الشام يعني أن المصادر لم تعد الذين أثروا الانضمام الى حاضرة الخلافة شاميين[(١)].

ولم يصلنا ديوان خاص بهذا الشاعر وكل ما وصل عبارة عن مقطوعات شعرية ذكرها ابن عساكر[(٢)]. وعبر من خلالها عن كرهه لفصل الشتاء والمطر ويعتبره مهاجماً للفقراء اللذين لايستطيعون أن يحموا أنفسهم منه. ومثال ذلك قوله[(٣)]:

إذا كنتَ في بلدةٍ راحلاً ... وحلَّ الشتاءُ حلولَ الغَريْم

فلا تذكر الرزقَ حتّى ترى ... منَ الصّحْوِ يَوْماً نَقيَّ الأديْم

فَكَمْ غَدْوَةً في هَبوب الجَنُوب ... تُرْدِي الوجوهَ بِبَرْدٍ صَميْم

وكَمْ زَلْقَةً عَنْ حَواشِي الطَّريْق ... تَرُدُ الثيابَ بِخِزي عَظِيم

إذا ما رأيتُ سَحَابَ الشِتَاء ... تَغَشَّتْ فُؤَادِي سَحابُ الهُمُوم

ومن شعره في هجاء أبي الجهم أحمد بن سيف قوله[(٤)]:

ولكن أبو الجهم إن جئتهُ ... لَهِيْفاً حُجِبْتَ عَنِ الحاجبِ

وإن جئتَهُ راغِباً مادِحاً ... رَجَعْتَ بِجائزةِ الخائبِ

وإن جِئْتُه عائِذاً هارِباً ... إليْهِ دُفِعْتَ إلى الطالبِ

وله بعض المقطوعات في الغزل ومثال ذلك قوله[(٥)]:

كيفْ يَخْفَى نُحُول مَنْ لَيْسَ يَخْفَى ... هل ترى لي إلا لساناً وُطُرْفَا

إنَّ عيْنِي رَمَتْ فؤادي بِنَارٍ ... سَوْف أُطْفا وَحرُّها ليس يُطْفَا

كيْفَ أبقى والشوقُ يزدادٌ ضَعْفاً ... كلَّ يومٍ والنَّفْسُ تزدادُ ضَعْفاً

فَسقَى الله كأسَ كُلِّ سرورٍ ... مَنْ سَقَانِي كأسَ المنيَّةِ صِرَفا

النثر:

لم تكن صورة النثر في دمشق خلال فترة البحث واضحة المعالم، ولم يبرز في دمشق خلال هذه الفترة كتاباً متميزون تركوا اثراً متميزاً في فنون الكتابة وذكر احسان عباس أن كل ما وصلنا عدا عما وصلنا من الأوزاعي بعض رسائل موجزة من أبي الهيذام الى أهل المزة،

---

(١) احسان عباس: تاريخ بلاد، ص ١٩٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج٥٣، ص١٧٠-١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٥٣، ص١٧٠-١٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٥٣، ص١٧١.

(٥) المصدر نفسه، ج٥٣، ص١٧١-١٧٢.

ورسالة من أبي العميطر الى ابن بيهس ولم تحوي هاتين الرسالتين ما يمكن أن نميز به حقيقة الأدب ومواصفاته في هذه الفترة[١].

واشتهر الأوزاعي بكتاباته الأدبية ووصف بأنه كان مترسلاً بارعاً وقد اعجب الخليفة المنصور به، وكان يأمر أن تنسخ رسائله في دفاتر وتوضع بين يدي المنصور وكان يطيل التأمل فيها[٢]. ومدحه كتاب المنصور معترفين بعجزهم عن البلوغ الى مستواه في الكتابة والتفنن فيها، وقال فيه الكاتب سليمان بن مجالد كانب المنصور "والله يا أمير المؤمنين ما أحسن ذلك وإنما أرد عليه ما أحسن، وإن له نظماً في الكتب لا أظن أحداً من جميع الناس يقدر على اجابته عنه، وأنا استعين بألفاظه على من لا يعرفها ممن نكاتبه في الآفاق[٣].

ووجه الأوزاعي مجموعة من الرسائل التي وصلت الينا عن طريق المصادر المختلفة[٤]، وجاءت اغلب هذه الرسائل على شكل المواعظ منها موجه لالتماس عذر لبعض الاشخاص وتحسين أوضاعهم[٥]، ومنها ما هو موجه لدار الخلافة يحثها على مغاداة الاسرى بعد أن يصف حالهم[٦].

ويرى احسان عباس أن هذه الرسائل ذات فائدة تاريخية للتعرف على بعض احداث العصر كما أنها تلقي الضوء على شخصية صاحبها، وهي لا تمثل اتجاهاً أدبياً ذا خصائص واضحة[٧].

ونستطيع القول: أن الأمن والاستقرار السياسي الذي تمتعت به بلاد الشام لأكثر من ثلث قرن في ظل خلافة كل من المنصور والمهدي والهادي وجزءاً من خلافة الرشيد، وانعكس جو الاستقرار هذا على الأوضاع الثقافية فيها ونشطت الحركة التعليمية فيها وزاد عدد العلماء عما كان عليه في القرن الأول الهجري. وذكرت ملكة أبيض أن عدد العلماء والمتعلمين قد قفز إلى ٩٥٠ شخصاً مقابل ٥٠٨ شخصاً في القرن الأول الهجري وكان نصيب دمشق وحدها من هذا العدد في القرن الثاني الهجري ٦٨٦ شخصاً[٨]. وإذا كان هذا العدد من العلماء يعطي فكرة عن سعي الأمويين بالنهوض بالثقافة في بلاد الشام، فهو يعكس اهتمام الخلفاء العباسيين بالشؤون

---

(١) إحسان عباس: تاريخ البلاد، ص١٩٧.

(٢) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص٢١٦؛ الذهبي: سير، ج٧، ص١١٥.

(٣) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص٢١٦؛ ابن عساكر: تاريخ، ج٣٥، ص؛ الذهبي: سير، ج٧، ص١١٥.

(٤) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص١٨٧-٢٠٢؛ الأصفهاني: حلية، ج٦، ص١٣٥-١٣٦و ص٢١٦؛ ابن عساكر: تاريخ، وقد جمع إحسان عباس هذه الرسائل في تاريخ بلاد الشام، ص٢٠٣-٢٢٣.

(٥) الرازي: الجرح والتعديل، ج١، ص١٨٧-١٨٨، ص١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٥-١٩٦.

(٧) إحسان عباس: تاريخ البلاد، ص٢٠٠.

(٨) ملكة ابيض: التربية والثقافة، ص ٣٨٩.

الثقافية في الولايات العباسية وعلى رأسها الشام وحاضرتها دمشق، وهو في الوقت نفسه يؤكد حركة الشامين على تعليم أبنائهم وتثقيفهم بدءاً من الكتاتيب إلى حلقات المساجد ومراكز العلم الأخرى.

وحظيت العلوم الدينية باهتمام أكثر من غيرها لدى أهل دمشق شأنها في ذلك شأن سائر ولايات الدولة العباسية، ومرد ذلك يعود إلى أن الاتجاه الديني هو الذي كان سائداً في ذلك الوقت، وكذلك المكانة والاحترام اللذين تمتع بهما رجال العلم على الصعيدين الرسمي والشعبي، وهذا ما كان يغري الكثير من الأشخاص للإقبال على تعلم الحديث والفقه. وبلغت نسبة المشتغلين بالعلوم الدينية ٧٠% بالنسبة إلى سائر العلوم الأخرى وكان نصيب الأسد من هذه النسبة لمدينة دمشق[١]. والتي برز فيها مجموعة من مشاهير علماء الحديث أمثال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر برت ١٥٣هـ وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ت١٥٧ هـ وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ت١٦٥هـ وسعيد بن عبد العزيز التنوخي ت ١٦٧هـ ويحيى بن حمزة الحضرمي ت ١٨٣هـ ومروان بن معاوية الفزاري ت ١٩٣هـ والوليدبن مسلم ت ١٩٥هـ[٢].

واقبل بعض العلماء على رواية التاريخ حتى بلغت نسبة المهتمين بالتاريخ ١٨-١٩%[٣] وقد عرف عن أهل الشام اهتماماتهم بالتاريخ والسير حتى تميزوا بها وأبرز من أشتهر بها من أهل دمشق في القرن الثاني الهجري عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ت ١٥٧هـ والوليد بن مسلم ت ١٩٥هـ[٤] .

أما اللغة والآداب فالروايات الواردة لا تعطي صورة صادقة عن أعداد المهتمين بها حيث بلغت نسبة المشتغلين بالآداب ١٠-١١% وهي نسبة قليلة جداً[٥]. ويظهر أنه كان لتداخل اللغة واتصالها مع الفقه وقراءة القرآن أثر في عدم وضوح صورتها. فقد روي أن اللغة والنحو والآداب والشعر كان يدرس إلى جانب القرآن والحديث في الكتاتيب[٦].

أما العلوم الأخرى" العلوم البحتة" كالطب والصيدلة والفلسفة وغيرهما فنسبتها لا تكاد تذكر إذا لم تتجاوز أعداد العاملين بها نسبة ١% وتفسير ذلك أن الجماعة الإسلامية كانت اهتماماتها في الفترة الأولى دينية ولم تعر اهتماماً لهذا النوع من العلوم[٧].

---

(١) ملكة أبيض، التربية والثقافة، ص ٤٣٩.

(٢) انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة "الحديث".

(٣) ملكة ابيض: التربية والثقافة، ص ٤٣٩.

(٤) انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة "التاريخ".

(٥) ملكة أبيض: التربية والثقافة، صفحة ٤٣٩.

(٦) انظر ابن عساكر:ج٢٤ص١٣، ج٣٥ص؛ ابن سحنون: أداب المعلمين،ص٨٦-٨٩.

(٧) ملكة أبيض: التربية والثقافة ص ٤٤١.

وشهد القرن الثالث الهجري انخفاضاً في الإقبال على مختلف العلوم في أرجاء الشام وذلك بسبب الظروف السياسية والاقتصادية المضطربة التي شهدتها الشام عامة ودمشق خاصة، فانخفضت أعداد المقبلين على دراسة الآداب وكذلك أعداد المهتمين بالتاريخ(١)، ولم يأتِ ابن عساكر في تاريخه الذي يترجم لدمشق، على ذكر أيٍ من المهتمين بالعلوم البحتة كالطب والصيدلة والكيمياء وغيرها من أهل دمشق في القرن الثالث الهجري. ويمكن تفسير ذلك بأن بغداد في هذه الفترة كانت تشهد حركة علمية واسعة بلغت أوجها باحتضان المأمون للعلوم المختلفة وتشجيعه للعلماء واستقدامهم من مختلف المناطق، وتشجيعه لحركة الترجمة والنقل والتأليف، ولم يلاقِ علماء الشام من دعم المأمون وغيره من الخلفاء مالاقاه غيرهم من علماء العراق وفارس(٢).

ولم يشهد القرن الثالث للهجرة تقدماً علمياً وازدهاراً في دمشق والشام إلا في العلوم الدينية التي شهدت ارتفاعاً في إعداد المهتمين بها حتى وصلت إلى ٨٤% مقابل ٧٠% في القرن الثاني الهجري(٣)، وهذا يوضح أن تلك العلوم كانت لا تزال تستأثر اهتماماً الجماعة الإسلامية في كافة أرجاء الدولة في تلك الفترة . وبرز في دمشق في القرن الثالث مجموعة من مشاهير المحدثين الذين قصدهم الطلاب والشيوخ لسماعهم أمثال مروان بن محمد الطاطري(ت ٢١٠هـ - ٨٢٦م) ومحمد بن بكار بن بلال (ت ٢١٦هـ ٨٣١م) وهشام بن إسماعيل بن يحيى (ت ٢١٦هـ- ٨٣١م) وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ت٢١٨ هـ-٨٣٣م وهشام بن عمار ت ٢٤٥هـ-٨٥٩م وأبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو ت ٢٨١-٨م(٤).

ويمكن القول أن تراجعاً في المستوى التعليمي شهدته دمشق في القرن الثالث الهجري ويظهر ذلك من خلال تناقص أعداد العلماء فيها فبعد أن كان عددهم ٦٨٦ في القرن الثاني الهجري انخفض ليصبح ٤٥٦عالماً في القرن الثالث الهجري(٥). وانعكس هذا التراجع العلمي على رحلة علماء الشام إلى خارج الشام طلباً للعلم، فلم تزد أعدادهم سوى نسبة ضئيلة عما كانت عليه في القرن الثاني الهجري(٦). ومن المؤكد أن الظروف السياسية التي مرت بها بلاد الشام خلال فترة البحث كان لها أثر كبير في حركة الرحلة لطلب العلم خارج الشام. ولكن اضطراب الأحوال السياسية لم يمنع رحلة شيوخ الحديث من الأمصار وقصدهم الشام وحاضرتها دمشق للتتلمذ على أيدي شيوخها الذين ذاع صيتهم في أرجاء الدولة الإسلامية(٧).

---

(١) ملكة أبيض: التربية والثقافة، ص ٤٣٩.

(٢) ملكة ابيض: التربية والثقافة، ص٤٣٩؛ رياض زركلي: بلاد الشام منذ ص٧٠٤.

(٣) ملكة أبيض، التربية والثقافة، ص ٤٣٩.

(٤) انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة "الحديث".

(٥) ملكة أبيض: التربية والثقافة ص ٣٨٩.

(٦) ملكة ابيض: التربية والثقافة، ص ٤٩٥.

(٧) انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة "الحديث".

الخاتمة:

كان الهدف من هذه الدراسة التعرف على أحوال دمشق المختلفة خلال فترة حرجة تمثلت بانتقال مركز الدولة الإسلامية من الشام إلى العراق منذ استيلاء العباسين على دمشق وحتى سقوطها بيد الطولونين ١٣٢-٢٦٤هـ /٧٤٩-٨٧٧م.

وقد توصلت الدراسة للنتائج التالية:

- كانت دمشق عامرة منذ العهد الآرامي واستمرت كذلك لاحقاً، حيث كانت تقوم بدور كبير طوال الفترات المتلاحقة وحتى خلال فترة البحث. وشهدت توسعاً منذ العصر الراشدي والأموي وخاصة بعد أن تحولت لتصبح حاضرة الدولة الأموية والعالم والإسلامي، وقد استمر هذا التوسع في العصر العباسي على الرغم من انتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد.
- شهدت دمشق اهتماماً ملفتاً من قبل الخلفاء العباسين وزارها العديد منهم بل إن أكثر من واحد منهم قد فكر في نقل العاصمة إليها، وقد توجت هذه الأفكار بالفعل على يد الخليفة المتوكل.

- ساعدت العصبية القبلية التي نشبت في دمشق أواخر الفترة الأموية العباسيين وسهلت من مهمتهم في الاستيلاء على دمشق. وبالرغم من ذلك لم يحظ العباسيون بالترحاب من أهل دمشق بل وجدوا مقاومة عنيفة تمثلت في قيام العديد من الثورات ضدهم وقد اتخذت تلك الحركات صبغات عديدة فمنها ما حمل فكرة السفياني وانطلق منها، ومنها ما انطلق من تأييد للأمويين، كما قامت العديد من الثورات التي كان سببها سوء سياسة الولاة وميلهم تجاه عصبية على حساب أخرى.
- كانت حركة عبد الله بن علي العباسي من أقوى وأخطر الحركات التي قامت ضد الدولة العباسية، وتأتي أهمية هذه الحركة من أنها قامت على يد رجل عباسي بارز وهو عم الخليفة العباسي الأول والثاني، كما أنها قامت في بداية الدولة العباسية، وكادت هذه الحركة (تمرد العم) أن تودي بالدولة العباسية، ولكن المنصور (الخليفة العباسي الثاني القدير) تمكن من القضاء هذه الحركة بعد أن عهد لقائده "أبو مسلم الخرساني" بمواجهة عمه عبد الله والقضاء عليه.
- أن كثرة الحركات المناوئه التي شهدتها دمشق ضد الدولة العباسية يدل على أن دمشق قد ساءها أن يخرج مركز الثقل الإسلامي منها ويتحول لصالح العراق. فجاءت هذه الحركات الكثيرة التي شهدتها دمشق ولم تشهدها أي منطقة في أرجاء العالم الإسلامي، قد أمل أهل دمشق من خلال هذه الحركات أن تعود دمشق مركزاً للخلافة من جديد، ولكن مصير الحركات التي قامت في دمشق جميعها كان الإخفاق.
- تمتعت إدارة دمشق باهتمام بالغ من الخلفاء العباسيين الأوائل، ويبدوا ذلك من خلال الولاة الذين تعاقبوا عليها، حيث كان أغلبهم من أفراد البيت العباسي، وكان هذا الإجراء من قبل

الخلفاء العباسين تقديراً منهم لدمشق وتخوفهم مما يمكن أن تقوم به هذه المدينة في تحريك الأحداث ضدهم.

-ظهر تدخل العناصر الغير عربية في إدارة دمشق بشكل واضح منذ عهد الخليفة المعتصم، ثم تزايد هذا التدخل في الفترات الأخيرة للبحث حتى صار أغلب ولاة دمشق والشام هم من العنصر التركي.

-شهدت دمشق تطوراً شمل مختلف الجوانب الاقتصادية، واستمرت دمشق بإنتاج العديد من المحاصيل الزراعية وتصديرها إلى مختلف المناطق في داخل الشام أو خارجه، كما تميزت صناعتها عن غيرها من سائر أرجاء العالم الإسلامي. وازدهرت أسواق دمشق المؤقتة والدائمة وكانت في أغلب الأحيان تتوافر البضاعة وبأسعار رخيصة. وكان لكثرة الاضطرابات التي اجتاحت دمشق وخاصة خلال فترة الرشيد والأمين والمأمون أثر في اضطراب الأحوال الاقتصادية خلال هذه الفترة، وبالرغم من ذلك فقد استمر الميزان التجاري لصالح دمشق وكانت صادراتها أكثر من وارداتها طوال فترة البحث.

-أنجبت دمشق خلال فترة البحث مجموعات من العلماء الأفذاذ الذين برزوا في مجالات العلم المختلفة، وذاع صيتهم في أرجاء العالم الإسلامي وخاصة في مجال العلوم الدينية كالفقه والسيرة والحديث، وقصدهم الناس من مختلف المناطق للسماع منهم والتتلمذ على أيديهم.

المصادر المخطوطة:

- ابن عساكر، علي بن الحسين ت ٥٧١هـ-١١٧٥م، مخطوط تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، المعروف بتاريخ ابن عساكر، نسخة المكتبة الظاهرية، وقف أسعد باشا العظم على مدرسة والده اسماعيل باشا بالخياطين، نسخة محفوظة في مكتبة الأستاذ سهيل زكار، دمشق.
- المقريزي: أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ-١٤٤١م)، مخطوط المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها، مخطوط باريس، نسخة محفوظة في مكتبة الأستاذ سهيل زكار، دمشق.

المصادر المطبوعة:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ-١٤٤٨م)، المستطرف في كل مستظرف، تحقيق عبد الله الطباع، دارالقلم، بيروت، ١٩٨١م.
- الإتليدي، محمد بن دياب (غير معروف وفاته)، نوادر الخلفاء المسمى إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق، أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية.
- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ-١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن الأخوة، محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (٧٢٩هـ-١٣٢٩م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، نشر روبن ليفي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، ١٩٣٨م.
- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي (ت ٥٦٠هـ-١١٦٥م)، نزهة المشتاق في احتراق الآفاق، روما ١٨٧٨م.
- الأربلي، عبد الرحمن بن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ-١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك، وقف على طبعه وتصحيحه، مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت).
- الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ-٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت ٣٤٦هـ-٩٥٧م)، مسالك الممالك، تحقيق، محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦١
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت ٣٥٦هـ-٩٧٦م)، الأغاني، طبعة مصورة عن دارالكتب، ٢٤ جزءاً، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت (د. ت). وطبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان (د. ت).
- الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ-١٠٢٩م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣٨م، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ-١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥
- ابن أعثم الكوفي، محمد بن أحمد (ت ٣١٤هـ-٩٢٦م)، الفتوح، ط١، ٨ أجزاء، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن ١٩٦٨م. وطبعة دار الأضواء، بيروت ١٩٩١.
- البدري، أبو البقاء عبد الله بن محمد بن أحمد الدمشقي (ت٨٤٧هـ-١٤٤٣م)، نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٣هـ.
- البسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ-٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٤م.
- ابن البطريق، سعيد بن البطريق (ت ٣٢٨هـ-٩٤٠م)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ- ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، القاهرة ١٩٢٨م.
- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ-١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء، تحقيق وضبط مصطفى السقا، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٤٥م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ-٨٩٢م)،
  - أنساب الأشراف، القسم الثالث، العباس وولده، تحقيق، عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٨م.
  - فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
  - والقسم الرابع بنو عبد شمس: تحقيق إحسان عباس، يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفغيسبادن، بيروت، ١٩٧٩م.
- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ-٩٣٣م)، البدء والتاريخ، وضع حواشيه خليل عمران، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.
- البيهقي، إبراهيم بن محمد (أدرك خلافة المقتدر ٢٩٥-٣٣٠هـ-٩٠٧-٩٢٣م)، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م)، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦م.
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي بن محمد (ت ٣٨٤هـ-٩٩٤م)،

- الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجبي،دار صادر، بيروت ١٩٧٨م.
- المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق، كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٤٦م.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت ٧٢٨هـ-١٣٢٧م)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٩م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ-١٠٣٨م)،
  - لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.
  - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٦م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ-٨٦٨م)،
  - البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت). وطبعة المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٣م.
  - **مجموعة رسائل أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ**، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩٠٦م.
  - ثلاث رسائل لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م.

- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ-١٢١٧م)،
  - رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م، وطبعة القاهرة ١٩٥٥م.
  - الجامع الأموي بدمشق، نصوص لابن جبير والعمري والنعيمي تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٥م.
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ-١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء، نشر برجستر أسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.
- الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ-٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند ١٣٥٨هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ-١٠٠٢م)، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥٦م.
- ابن حبّان، محمد بن حبّان (ت ٧٥٤هـ-١٣٥٣م).
  - الثقات، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٩٧٩م.

• مشاهير علماء الأمصار، تصحيح فلايشهمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٩م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ-١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.
- الحسن بن عبد الله بن عمر (ت ٧٠٩هـ-١٣١٠م)، آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ-١٤٩٣م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ-١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن أحمد النصيبي (ت ٣٦٧هـ-٩٧٧م)،
  • صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).
  • المسالك والممالك، طبعة ليدن ١٨٨٩م.
- ابن خرداذبة، عبيد الله بن أحمد (ت ٣٠٠هـ-٩١٢م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ-١٤٠٦م)،
  • العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٩٩م.
  • مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر القاهرة (د. ت).
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١هـ-١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٩م.
- الخطيب لبغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ-١٠٧٢م)
  • تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت). وطبعة دار الغرب الإسلامي، حققه وضبط نصه وعلّق عليه، بشار عواد، بيروت ٢٠٠١م.
  • الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العامة، بيروت ١٩٧٥م.
- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ-٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، دمشق ١٩٧٧م. وطبعة وزارة الثقافة، دمشق، تحقيق سهيل زكار ١٩٦٨م.

- الخولاني، عبد الجبار بن عبد الله بن محمد (ت ٣٧٠هـ-٩٨١م)، تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥٠م.
- ابن الداية، أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٤٠هـ-٩٥١م)، المكافأة، تصحيح وتعليق أمين عبد العزيز، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١٤م.
- الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (عاش في القرن ٦هـ- القرن ١٢م)، الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض من رديئها، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٣١٨هـ
- الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت ٦٩٩هـ- ١٢٩٩م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق بيرنر رانكه، (د. ت)، القاهرة ١٩٨٢م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ-٨٥٩م)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م)،
  - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٧ جزءاً، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٩م.
  - تذكرة الحفاظ، ط٣، مطبعة مجلس المعارف العثمانية،حيد أباد، الركن ١٩٥٥م.
  - سير أعلام النبلاء، ط١، ٢٥ جزءاً، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.
  - العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة التراث العربي، الكويت ١٩٦٠م، وطبعة دار الكتب العلمية تحقيق أبو هاجر محمد سعيد، بيروت ١٩٨٥م.
  - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، مجلدان، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.
- الرازي، أبو حاتم عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ-٩٣٨م)،
  - أداب الشافعي ومناقبه، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣م.
  - الجرح والتعديل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيد أباد- الهند ١٩٥٢م.
- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمران (ت ٢٩٠هـ-٩٠٢م)، الأعلاق النفسية، باعتناء دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١م. نشر مكتبة المثنى ببغداد.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ-١٧٩٠م)، تاج العروس في جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٨٨٨م.
- الزبيري، المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ-٨٥٠م)، نسب قريش، عني بنشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م.

- أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م)، التاريخ وعلل الرجال، تحقيق شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربي، دمشق ١٩٨٠م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين بن المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ-١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد المدكن، ١٩٥١م.
- ابن سحنون، محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد (ت ٢٥٦هـ-٨٧٠م)، آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٧٢م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ-٤٤م)، كتاب الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت (د. ت).
- السلَّمي، يوسف بن يحيى بن عبد العزيز (من علماء القرن ٧هـ- القرن ١٣م)، عقد الدرر في أخبار المنتظر، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عالم الفكر، القاهرة ١٩٧٩م.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ-١١٦٦م)،
  - أدب الإملاء والاستملاء، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥٢م.
  - الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد أباد- الهند، ١٩٦٢م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق (ت ٩١١هـ-١٥٠٥م)،
  - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، بيروت، ١٩٥٢م.
  - تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة، ط٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد- الدكن ١٩١٥م.
- أبوشامة، أبو الحسن بن إسماعيل المقدسي الشامي (ت ٦٦٥هـ-١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين، (د. ن) القاهرة ١٨٧٠م.
- ابن شداد، أبو عبد الله محمد بن عالي (ت ٦٨٤هـ-١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٦٢م.
- شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ-١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة بطرسبرغ ١٨٦٥م.
- الشيخ علوان، علي بن عطية بن حسن بن محمد الحداد (ت ٩٣٦هـ-١٥٣٠م)، نسمات الأسحار في مناقب الأولياء والأخيار، من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م.

- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٩٠هـ-١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩م.
- الصابيء، أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن (ت ٤٨٠هـ-١٠٨٧م)، الهفوات النادرة، تحقيق وتعليق صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦٧م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ-١٣٦٢م)،
- أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٥م.
  - تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، قسم١، تحقيق إحسان خلوصي وزهير حمدان، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩١م.
  - الوافي بالوفيات، بعناية هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، شتوتغارت ١٩٩١م.
- الصولي، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ-٩٤٦م) أدب الكاتب، شرح وتعليق أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.
- ابن طباطبا، محمد بن علي بن محمد (ت ٧٠٩هـ-١٣٠٩م)،
  - تاريخ الدول الإسلامية وهو كتاب الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٠م.
  - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٦٢م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ-٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت (د. ت).
- الطبري: اختلاف الفقهاء، تصحيح فردريك كرن، نشر فردريك كرن، القاهرة، ١٩٠٢م
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت ٥٢٠هـ-١١٢٦م)، سراج الملوك، حققه وضبطه وعلق عليه محمد فتحي أبو بكر، قدم له شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٤م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ-١٥٤٦م)،
  - الثغر البسام فيمن ولي قضاء الشام، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥٦م.
  - القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، جزءان، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق ١٩٥٦م.

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٤م.

- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت ٢٨٠هـ-٨٩٣م)، بغداد، عرَّف الكتاب وترجم المؤلف محمد زاهد حسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله ووق عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٤٩م.
- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج هارون بن توما الملطي (ت ٦٨٥هـ-١٢٨٦م) **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق انطون صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨م.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م)،
  - بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٢ جزءاً، حققه وقدم له سهيل زكار دمشق ١٩٨٨م.
  - زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٥١م.
- ابن عساكر، علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ-١١٧٥م)، تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ-١٤٤٩م)،
  - تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد- الهند، ١٩٠٧م.
  - فتح الباري في صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ-١٠٠٤م) الأوائل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ-١١٨٤م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٣م.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ-١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دار الكتب المصرية (د. م) ١٩٢٤م. وطبعة المعهد العلمي الفرنسي، تحقيق أيمن فؤاد السيد، القاهرة ١٩٨٥م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ-١١١١م)، إحياء علوم الدين، المطبعة العثمانية المصرية، (د. م) ١٩٣٣م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م)،

- تقويم البلدان، تصحيح رينود، مالك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م.
- المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٩٤٠م.
- اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال، فالح البكور، دار القلم العربي، حلب ١٩٨٩م.

- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٢٨٦هـ-٨٩٩م)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٢هـ. ومكتبة المثنى، بغداد ١٨٨٥م.
- ابن فرحون، محمد بن فرحون (ت ٧٩٩هـ-١٣٩٦م)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية والأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ-١٤١٤م)، القاموس المحيط، مكتبة النوري، دمشق (د. ت).
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ-٨٨٩م)،
  - عيون الأخبار، شرحه وعلق عليه مفيد محمد قمحية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.
  - الإمامة والسياسة (منسوب له ومعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق طه محمد الزيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٩م.
  - المعارف، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القولي، القاهرة ١٩٦٠م.
- قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ-٩٤٠م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق ١٩٨١م.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ-١٢٣٢م)، نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، مرفق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، بريل، ليدن ١٨٨٩م.
- القرماني، أحمد بن يوسف أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ-١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م.
- القزويني، أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٤٦هـ-١٠٥٤م)، كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق ودراسة محمد سعيد بن عمر، مكتبة الرشد، الرياض ١٩٨٩م.
- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ-١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر (د. ت).

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ–١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزءاً، حققه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، ١٩٨٧م.
- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ–١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء بن عمر (ت ٧٧٤هـ–١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ط٢، ١٤ جزءاً، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦م.
- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ–٨١٩م) نسب معد واليمن الكبير، تحقيق محمود فردوس العظم، قراءة رياض عبد الحميد مراد، دار اليقظة العربية، دمشق ١٩٨٨م.
- الكندي، محمد بن يوسف يعقوب (ت ٣٥٥هـ–٩٦٦م)،
  - كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبغة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.
  - ولاة مصر، تحقيق حسين الفار، دار صادر، بيروت (د.ت).
- الكندي، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ–٨٧٣م)، رسالة في عمل السيوف، تحقيق فيصل دبدوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢م.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ–٨٨٨م) سنن ابن ماجه، حقق نصوصه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (د. ت).
- الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ–١٠٥٨م)،
  - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
  - أدب القاضي، تحقيق محيي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧١م.
- ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن الدمشقي (ت ٩٠٩هـ–١٥٠٣م)، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد أسعد علي، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥م.
- مجهول (القرن ٣هـ– القرن ٩م)، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت ١٩٧١م.
- مجهول (القرن ٣هـ– القرن ٩م)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٣ من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، ويليه مجلد من تجارب الأمم وفيه حوادث ١٩٨–٢٥١هـ. مكتبة المثنى، بغداد (د. ت).
- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ–١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر (د. ت).

- المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ-١٣٦٨م)، تهذيب الكمال في أسماءالرجال، ٢٢ جزءاً، تحقيق الشيخ أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا، مراجعة وتقديم سهيل زكار، دار الفكر، (د. ت).
- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ-٩٥٧م)،
  - **التنبيه والإشراف**، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م.
  - **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ١٩٧٣م.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ-١٠٣٠م)، **تجارب الأمم**، ج٤، تحقيق وتقديم أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ١٩٩٧م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد البشاري (ت ٣٨١هـ-٩٩١م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، بريل، ليدن ١٩٦٧م.
- المقدسي، مطهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ-١١١٣م)، البدء والتاريخ، ٦ أجزاء، مكتبة الثقافة، مصر (د. ت) ومكتبة المثنى، بغداد (د. ت).
- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ-١٤٤١م)،
  - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية)، مجلدان مطبعة بولاق ١٨٥٣م.
  - إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م.
  - المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ-١٣١١م)
  - لسان العرب، ١٥ جزءاً، دار صادر، بيروت (د. ت) وطبعة ١٩٥٥، دار صادر، ٣ مجلدات.
  - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٩ جزءاً، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م.
- ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ-١٠٨٨م)، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. م) ١٩٩٣م.
- ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٠هـ-٩٩٠م)، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، دانشكاه، طهران ١٩٧١م.
- النعيمي، عبد القادر محمود بن عمر (ت ٩٢٧هـ-١٥٢١م)،

- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٨م، مطبعة دار الكتاب الجديد، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت١٩٨١م

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد التميمي (ت ٧٣٣هـ-١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د. ت).
- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ-١٢١٤م)، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٣م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ-٩٤٥م).
  - **الإكليل**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ج١ ١٩٦٣م، ج٢ ١٩٦٢م، ج٣ ١٩٧٩م، ج١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المناهل، بيروت ١٩٨٧م.
  - **صفة جزيرة العرب**، ليدن، بريل ١٩٦٨؛ مطبعة السعادة، تحقيق محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي، القاهرة ١٩٥٣م.
- الهمذاني، أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني أبو الفضل بديع الزمان (ت ٣٩٨هـ-١٠٠٨م)، مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المعاهد بمصر، ١٩٢٣م.
- ابن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ-١٣٤٨م)،
  - تتمة المختصر في تاريخ البشر، تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠م.
  - جريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة ١٩٣٩م
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ-٩١٨م)، أخبار القضاة، ٣ أجزاء، عالم الكتب، بيروت (د. ت).
- اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ-١٣٦٥م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، ١٩١٨م.
- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٢هـ-١٢٢٨م)،
  - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (المعروف بمعجم الأدباء)، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.
  - معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٨٦م.

- يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر (ت ٢٨٩هـ-٩٠٢م)، **أحكام السوق**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٩٧٥م.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ - بعد ٩٠٥م)،
    - البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٧م.
    - تاريخ اليعقوبي، جزءان، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.
- أبو يعلى، محمد بن الحسين الحنبلي (ت٤٥٨هـ-١٠٦٥م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٣م.
- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ-٧٩٨م)،
    - كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٢٧م، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د. ت).
    - الرد على سير الأوزاعي، بعناية رضوان محمد رضوان، تصحيح أبو الوفاء الأفغاني، حيدر أباد- الركن (د. ت).

المراجع الحديثة:

- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن ٤هـ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.
- آشتور. آ، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للشرق في العصور الوسطى، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.
- إبراهيم بيضون، تاريخ بلاد الشام، ط١، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٧م.
- إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٢م.
- أحمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق للنشر والتوزيع، دمشق (د. ت).
- أحمد أمين:
    - ضحى الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت (د. ت).
    - فجر الإسلام، ط١٠، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٦٥م.
- أحمد الرفاعي، عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٨م.
- أحمد سبانو:
    - اكتشافات مثيرة تغير تاريخ دمشق القديم، منشورات دار قتيبة، دمشق (د. ت).
    - دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية، دار الكتاب العربي، دمشق (د. ت)

- أحمد شلبي:
  - تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٠م.
  - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥م.
- أمينة البيطار، الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠م.
- البرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة كمال خوري، حققه وضبط حواشيه انطوان ب. نوفل. د. ن، بيروت ١٩٩٧م.
- بدران، الشيخ عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط١، دمشق ١٩٦٠م.
- البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨م.
- ترتون، أ. س، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق حسن حبشي، دارالمعارف، القاهرة ١٩٦٧م.
- ثابت الراوي، تاريخ الدولة العربية، خلافة الراشدين والأمويين، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٠م.
- جمال جودة، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام، دار البشير، عمان ١٩٨٩م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩م.
- جاك كوفان، الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد، ترجمة قاسم طوير، مطبعة سورية، دمشق ١٩٨٤م.
- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال بمصر ١٩٥٠م.
- جمال جودة، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام، دار البشير، عمان ١٩٨٩م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١
- جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بغداد ١٩٨٤م.
- جورج مارسيه، الفن الإسلامي، ترجمة عفيف البهنسي، دمشق ١٩٦٨م.
- الجومرد، عبد الجبار، هارون الرشيد_(د. ن) بيروت ١٩٥٦م.
- جونز، هـ.م. مدن بلاد الشام، ط١، دار الشروق، عمان ١٩٨٩م.

- حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٤، القاهرة، (د. ن) ١٩٥٨م.
- حسن حمامي، الأزياء الشعبية وتقاليدها في سورية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧١م.
- حسين مولوي، الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي، (د. ن) القاهرة ١٩٥٨م.
- الحصني، محمد أديب آل تقي الدين، منتخبات التواريخ لدمشق، قدم له كمال الصليبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م.
- خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الإسلامي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٤م.
- الخضري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ط٩، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٩م.
- خليل الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق، بيروت ١٩٧١م.
- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية، القاهرة ١٩٦٥م.
- الدوري، عبد العزيز:
  - دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد ١٩٤٥م.
  - العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٨م.
  - المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ، مكتبة دار الفتح، دمشق ١٩٧١م.
  - تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤م.
- دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، د. ن، ١٩٧١م.
- ديماند، م. س، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف بمصر، الاسكندرية ١٩٥٣م.
- رجاء دويدري، جغرافية سورية في العصرالعربي، مطبعة طربين، دمشق ١٩٨٢م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م.
- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٦٤م.

- سوفاجيه، دمشق الشام (لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر) ترجمة فؤاد البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م.
- سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله للعربية رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٣٨م.
- سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول) ج٣، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، (د. ت).
- سيد محمود خليفة، تاريخ المنسوجات، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦١م.
- شاكر مصطفى، دولة بني العباس، جزءان، ط١، وكالة المطبوعات،الكويت، ١٩٧١م.
- شوقي ضيف:
  - تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، ط٣، مطبعة دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.
  - تاريخ الأدب في العصر العباسي الثاني، ط٢، مطبعة دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.
- صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بغداد (د. ت) ١٩٥٣م.
- صفوح خير:
  - غوطة دمشق، ط١، دمشق (د. ن) ١٩٦٦م.
  - مدينة دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق ١٩٧٢م.
- صلاح الدين المنجد:
  - خطط دمشق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٤٩م.
  - مأساة سقوط دمشق ونهاية الأمويين، ط١، دار الكتاب الجديد،بيروت (د. ت).
  - معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٨م.
- صلاح العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠م.
- عادل عبد السلام، جغرافية سورية الإقليمية، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٨١م.
- عبد الحليم عويس، بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، دار الصحوة للنشر، القاهرة ١٩٨٧م.
- عبد القادر ريحاوي، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، (د. ن) دمشق ١٩٦٩م.
- عصام شبارو، قاضي القضاة في الإسلام، دار مصباح الفكر، بيروت ١٩٨٨م.

- عفيف البهنسي:
    - الشام والحضارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق ١٩٨٦م.
    - الآثار السورية (مجموعة أبحاث تاريخية)، دار طلاس، دمشق ١٩٨٥م.
    - الفن الإسلامي، دار طلاس، دمشق ١٩٨٦م.
- علي الحسني، تاريخ سورية الاقتصادي، مطبعة بدائع الفنون، دمشق ١٩٢٣م.
- علي أبو عساف، دمشق الآراميون، دار أماني، طرطوس ١٩٨٨م.
- عمر كحالة، الفنون الجميلة، المطبعة التعاونية، دمشق (د. ت).
- عمر أبو النصر، الحضارة الأموية العربية في دمشق، ط١، د. ن، بيروت ١٩٤٨م.
- الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية بحلب، ١٩٢٦م.
- فاروق عمر:
    - بحوث في التاريخ العباسي، بيروت ١٩٧٧م.
    - الخليفة المقاتل مروان بن محمد، دار واسط للنشرؤ والتوزيع.
    - العباسيون الأوائل، دار الفكر، بيروت ١٩٧٣م.
- فان فلوتن، السيادة العربية، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٣٤م.
- فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الكتاب الثالث في الاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د. ت)+ طبعة الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م.
- فلهاوزن يوليوس، تاريخ الدولة العربية ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨
- فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ترجمة جورج حداد، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٢م.
- قتيبة الشهابي، أبواب دمشق، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٦م.
- كرد علي، محمد:
    - الإسلام والحضارة العربية (د. ن)، القاهرة ١٩٦٨م.
    - خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م.
    - غوطة دمشق، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥٢م.

- كلود كاهن، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢م.
- كلينكل، هورست، آثار سورية القدمية، ترجمة قاسم طوير، (د. ن) دمشق ١٩٨٥م.
- لومبارد، موريس
  - الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م.
- لويس شيخو، علماء النصرانية في الإسلام، تحقيق كميل حشمة جونيه (د. ن)، لبنان ١٩٨٣م.
- محمد دهمان، في رحاب دمشق، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.
- محمد طلس:
  - تاريخ الأمة العربية: عصر الازدهار، تاريخ الدولة العباسية منذ عهد أبي العباس السفاح إلى نهاية عهد المعتصم بالله ١٣٢-٢٣٢هـ، دار الأندلس، بيروت د. ت.
  - التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٧م.
- محمد عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، عدد ١٢٨، ١٩٨٨م.
- محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، دار الدراسات الخليجية، أبو ظبي ١٩٧٧م.
- محمود عرنوس، تاريخ القضاء في الإسلام، نشر مكتب الكليات الأزهرية بمصر (د. ت).
- محمود هاشم، القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوصفية، عمادة شؤون المكتبات، الرياض ١٩٨٨م.
- ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية والإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاث الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
- منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، مطبعة النضال، دمشق (د. ت).
- منير الكيالي، الحمامات الدمشقية وتقاليدها، (د. ن)، دمشق ١٩٦٤م.
- نجدة خماش:
  - الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م.
  - الشام في صدر الإسلام، (د. ن) دمشق ١٩٨٧م.
- نعمان القساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، (د. ن)، بيروت ١٨٧٦م.
- نقولا زيادة، العالم القديم "تاريخ وافٍ للعصور القديمة" المكتبة العصرية، يافا ١٩٤٦.

- نينا بيغلوليفسكايا، ثقافة السريان في العصور الوسطى، ترجمة خلف الجراد، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٠م.
  - العرب على حدود بيزنطة وإيران، ترجمة صلاح الدين عثمان، الكويت ١٩٨٥م
- هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤م.
- ولتسينجر، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، تعريب قاسم طوير، دمشق ١٩٨٤م.
- يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.
  - دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمة نزار أباظة، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩١م.

المراجع الأجنبية:

- Bazmee, Ansar. Hisba/ EI, Vol 111, London, 1979.
- Bitard, waynet, T., Ancient Dam, A Historical study of the syrian city- state from Earllest times until its full to the Assyrians in 732 B. C. E.
  - Bitard: Dimashk, E. I, vol 11.
- E lisseeff, N. Dimashk, E1, Vol 11, Londodn, 1965.
- Goitein, S. D, Amediterranean Society, Berkeley: University of California Press, 1976-1978, (4 vols).
- Kennedy, Hugh: The Early Abbasid Caliphate, croom Helm, London, Sydney, 1981.
- Klengte. Horst, City and Land of Damascus in the cuneform Tradition. Les Annales Archeologiques, Arabes Syriennes, Volume XXXV, 1985, P. 49-57.
- Paul M. cobb, white Banners contention in Abbasid Syria, 750-880, state university of NewYork Press, 2001.
- Sack, Dorothee, Damaskus. Entwicklung and strukur Einer Orientalish- Islamschen State 1989, Verlag Philipp Von Zabern Mainz Am Rhein.
- Sauvaget. J, le plan Antique De Damas syria Tome XXXI, Paris 1949.
- Wilferd Madelang: The sufyani Between Tradition and History, Studia Islamica, (Paris), XIII, 1986, P.p 5-48.
- Will, Ernest, Damas Antique, syria, page 1-43, Paris 1994.

الرسائل الجامعية:

- إبراهيم زعرور، الحياة الاجتماعيى في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ١٩٩٠م.

- حسين محافظة، دمشق في صدر الإسلام، رسالة دكتوراة، الجامعة الإردنية ١٩٩٨م.
- خلدون الشوحة، موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ١٩٩٢م.
- رياض زركلي، بلاد الشام منذ سقوط الدولة الأموية وحتى قيام الدولة الطولونية، رسالة دكتوراة، جامعة دمشق ١٩٩٣م.
- عامر ناصر، استقرار القبائل العربية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ١٩٩٤م.
- عص٢ام مصطفى عقلة عبد الهادي، الأمويون في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م.
- فيصل بني حمد، بنو العباس ودروهم في الحياة العامة في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية ١٩٩٧م.
- محمد محاسنة، تاريخ دمشق خلال العصر الفاطمي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ١٩٩٣م.

الدوريات:

- أمينة بيطار، مجاهل الأسماء في دمشق الفيحاء، مجلة الحوليات، مجلد ٢٧-٢٨، ١٩٧٧-١٩٧٨م.
- بشري فهد، الطيلسان، مجلة كلية الشريعة، بغداد ١٩٦٦م.
- جوزي بندلي، السفياني، مجلة المقتطف (القاهرة) مج٨٣، ج١ ص٣٧-٥٣، ١٩٣٣م.
- سلطان محيسن، دمشق ما قبل التاريخ، مجلة التراث العربي، العدان ٥٥، ٥٦، دمشق ١٩٩٤م.
- الشيخ علوان، نسمات الأسحار، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد ٣٢، ١٩٥٨م.
- صلاح الدين أبو صالح، المناخ ومصادر المياه في الشرق الأوسط، دراسات عربية، عدد ٣-٤، ١٩٩٢م.
- عبد القادر ريحاوي:
  - تاريخ دمشق العمراني، مجلة الحوليات الأثرية السورية مجلد ١٤، دمشق ١٩٦٤م.
  - البيت في الشرق العربي الإسلامي، المجلة العربية للثقافة، عدد ٤، ١٩٨٣م.
- عفيف البهنسي، المدينة العربية الإسلامية ونموذجها دمشق القديمة، مجلة الحوليات، مجلد ٢٦، ١٩٧٦م.

- علي أبو عساف، المصادر القديمة في تاريخ دمشق، دراسات تاريخية، العددان ٤١-٤٢ ١٩٩٢م.
- عيسى اسكندر المعلوف، حقائق تاريخية عن دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد ١، دمشق ١٩٦٩م.
- أبو الفرج العش، الزجاج السوري المموه بالمينا والذهب، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١٦، ج١، ١٩٦٦م.
- نبيه عاقل، دمشق من الفتح حتى العصر العباسي، مجلة التراث، العددان ٥٥، ٥٦، ١٩٩٤م.

المؤتمرات والندوات:

- أحمد بدر، فقهاء الشام في العصر العباسي وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية ١٩٩٠م.
- أحمد يوسف، صناعة الفولاذ، محاضرة في أسبوع العلم الثالث، دمشق ١٩٧٢م.
- أكرم ضياء العمري، التعليم العربي الإسلامي (المؤسسات والمؤتمرات) بحث للتربية العربية الإسلامية، ج١، المجمع العلمي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٩٨٩م.
- توفيق اليوزبكي، نظرات في مواقف الإسلام والدولة الإسلامية من أهل الذمة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، الندوة الأولى للدراسات الإسلامية بالجامعات العربية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨١م.
- تيسير الزواهر، طرق التجارة والحج في بلاد الشام في العصر العباسي، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠م.
- الدوري، عبد العزيز، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الدار العربية المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٤م.
- الدوري، عبد العزيز، المدينة الإسلامية (دراسة عربية إسلامية) أعمال لجنة الندوات والمحاضرات، تحرير يوسف بكار، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م.
- رضوان السيد، المدرسة التاريخية الشامية وعلاقتها بالحديث والآثار في القرنين الثالث والرابع، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان، الجامعة الأردنية ١٩٩٠م.
- زريف المعايطة، الأسواق في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان، الجامعة الأردنية ١٩٩٠م.
- سامي الحمارنة، الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي ورسالته الهارونية، محاضرة في المؤتمر الدولي لالخامس لتاريخ بلاد الشام، عمان الجامعة الأردنية ١٩٩٠م.

- سعيد عاشور، المؤسسات الاجتماعية، بحث داخل موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت ١٩٨٧م.
- صالح الحمارنة، ثورة الفلاحين في فلسطين أيام المعتصم سنة ٢٢٧هـ-٨٤٢م، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين). الجامعة الأردني، عمان ١٩٨٣م.
- صالح الحمارنة، دور القائد قحطبة بن شبيب الطائي في قيام الدولة العباسية وسر هلاكه المفاجئ، مستلة من أوراق في التاريخ والأدب مهداه إلى نقولا زيادة.
- صالح درادركة، البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠م.
- طه الطراونة، حركة التجارة بين بلاد الشام والبلاد الإسلامية في العصر العباسي الأول، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠م.
- محمد خريسات، التوسع العمراني في دمشق حتى أواخر الحكم الفاطمي لبلاد الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠م.
- نجدة خماش، الأجناد وإدارتها، أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية ١٩٨٩م.
- نجدة خماش، التنظيم الإداري في بلاد الشام، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠م.
- نبيه عاقل، بعض ملامح الأوضاع المالية والتجارية في فلسطين في العصر العباسي، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية،عمان ١٩٩٠م
- نقولا زيادة، تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي ١٣٢-٤٥١هـ/٧٥٠-١٠٥٩م، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠م.

ABSTRACT

Damascus During The Abbasid Period

(132-264 A. H/ 749-877 A. D)

By

Jameel Mahmmod Bani-Salameh

Supervisor

Prof Dr. Saleh Hamarneh

This study aims at spotting the light on the diffrernt circumstances of Damascus during the critical historical period in which the center of weight has transformed from (Al sham) and its capital Dumascus to Iraq and its capital Baghdad.

The transfromation of Damascuc into the Abbasid handhold has a tremendous effect on that city that swept over the different managerial, social, economic, and cultural fields. The city went through a process of change from the central city of the Omayyad State into a County Center in the Abbasid State.

Although Damascus has lost much if its managerial importance under the new condition, it was not margenalized and its evolution, which involved its many different aspects, didn't stop. It also was the destiny of attention paid by the Abbasid "khalefats" who visited it.

This study has been divided into five chapters. The researcher has studied in the first chapter, the plans and the architects in Damascus in the pre-Abbasid Periods and also in the Abbasid period, and its Abbasid Concerns. And then the factors that influenced the architecture of Damascus.

In the Second chapter the researcher has dealt with the attitudes of the people of Damascus and their reaction against the Abbasid State, their causes and the factors of their failure.

The third chapter has focused on the management of Damascus, and has identified itself with the managerial setting and the many different departments in Dsamascus.

The fourth Chapter has dealt with the social and economic life where it took into consideration the elements of the population, The costoms, the clothes, the foods….etc. and also the economic situation which included agriculture, industry, and commerce.

The fifth chapter, which is the final has been dedicated to talk about the scientific and cultural life in which the researcher has focused on the educational, the theological, and the intellectual associations, and also focused upon the leading scientific figures who had an upper hand in the many different domains of science and their main accomplishments.